سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٦٩)

فتاوى نور على الدرب

(٦٩٥٠ فتوى)

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

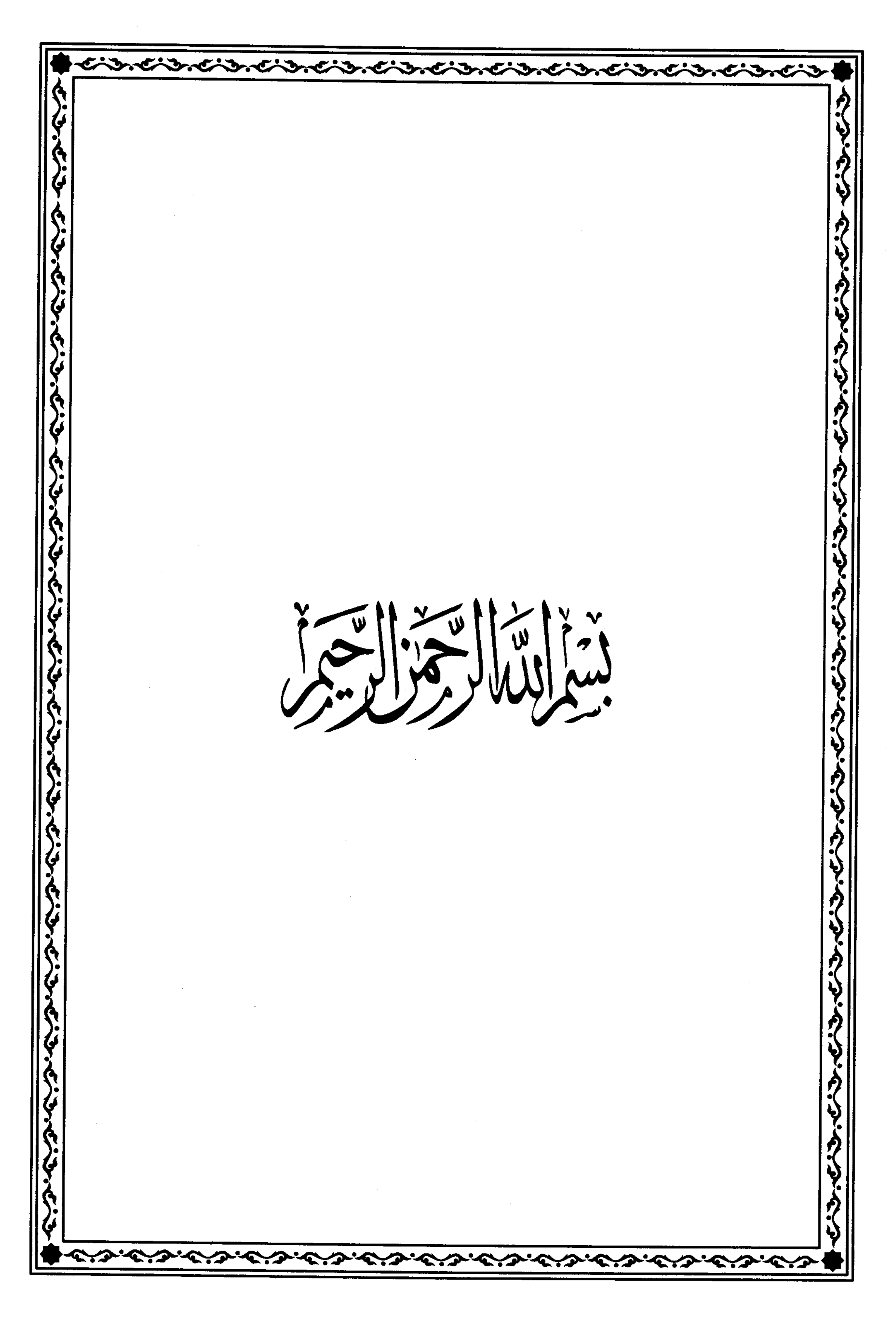
المجلد الأول

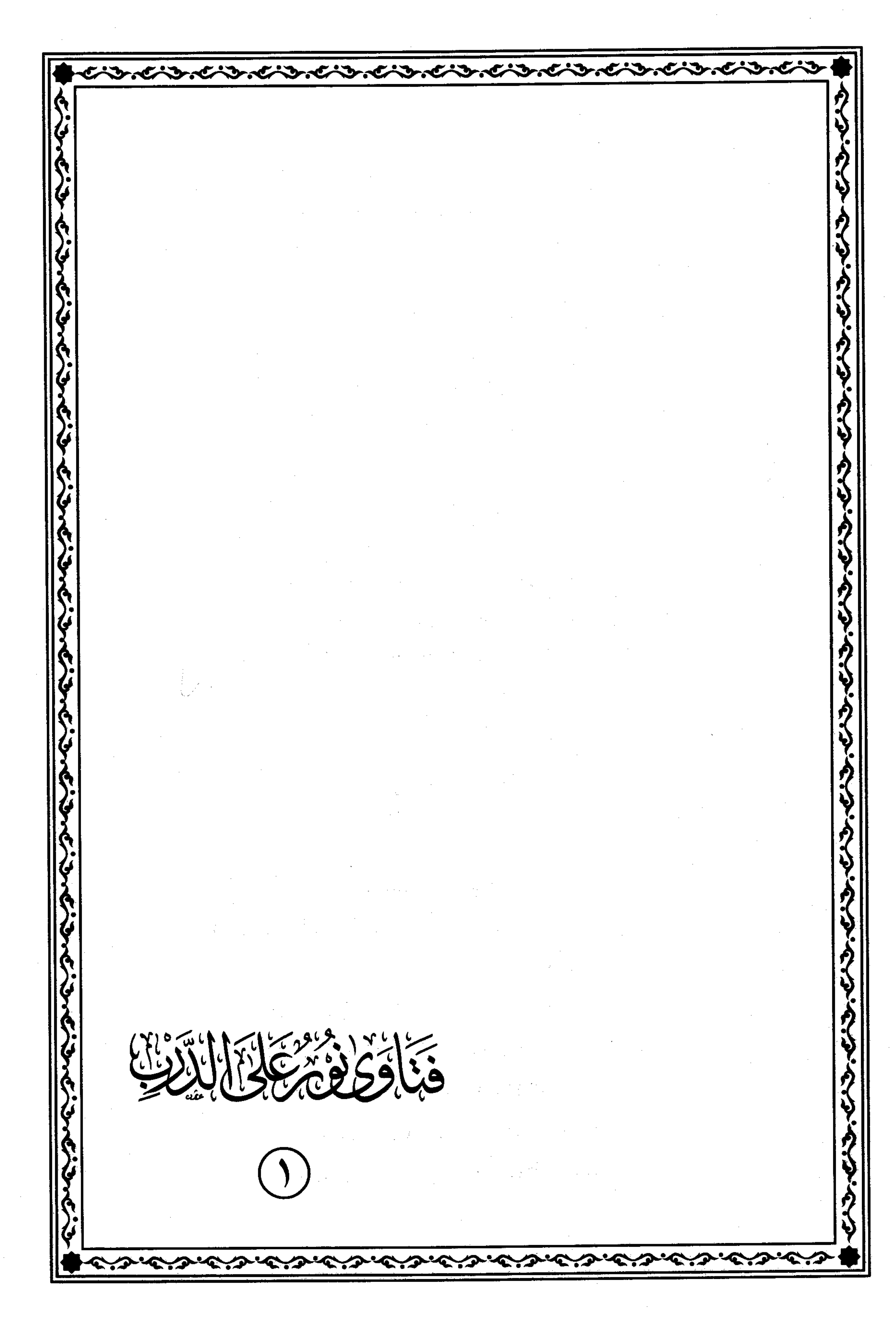
١ - ١٢

العقيدة

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية


بسم الله الرحمن الرحيم



فتاوى نور على الدرب
١

ⓒ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العثيمين، محمد بن صالح
فتاوى نور على الدرب. / محمد بن صالح العثيمين .-الرياض، ١٤٣٤هـ
٧١٩٢ص؛ ١٧×٢٤سم. - (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ٦٩)
ردمك: ٥ - ٢ - ٩٠٢٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الفتاوى الشرعية ٢ - الفقه الحنبلي أ. العنوان
ديوي ٢٥٨,٤ ١٤٣٤/١٩٧٩

الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٣٤هـ

يُطلب الكتاب من:
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
المملكة العربية السعودية
القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩
هاتف: ٠٦/٣٦٤٢١٠٧ - ناسوخ: ٠٦/٣٦٤٢٠٠٩
جوّال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧
www.ibnothaimeen.com
info@binothaimeen.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلَا هاديَ لَه، وأشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تَبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فقَد تحلَّى صاحبُ الفَضِيلة العلَّامة شَيخنا محمَّد بن صالِح العُثَيْمِين رحمه الله تعالى بصفاتِ العُلَماء الجليلة وأَخلاقهم الحَميدة، أُولئك الَّذِين وَقَفوا حياتَهم لِخدمة العُلوم الشَّرعيَّة ونشرِها بين النَّاس في مَيَادين التَّعليم والتَّأليف والإِفْتاء والنُّصح والتَّوجيه والدَّعوة إلى الله على بَصِيرة.

وفي هذا المَقَام كانت لفَضيلتِه رحمه الله تعالى جُهود مُباركة في تَحرير الفتاوَى وتَدْوينها والإجابةِ على الأسئلة المتعدِّدة مُشافهةً ومُهاتفةً وفي محافِل اللِّقاءات والمُحاضَرات.

وقد بنَى فتاواه رحمه الله تعالى على التَّأصيل والتَّوثيق الشرعيِّ، واتِّباع الدَّليل ووَجَاهة التَّعليل، وقرَّب محتواها بخصائص أُسلوبه الذي يتجلَّى بوُضوح العِبارة وفَصاحة التَّركيب ودِقَّة الألفاظ وسُهولة عَرْض المعاني وتَرْتيب الأَفْكار وتَفريع المسائِل وتَقْسيماتها وتحرِّي الصَّواب فيها؛ حتَّى رَزقه الله القبولَ الواسعَ لدَى الناس فاطمأنُّوا لاختياراتِه وترجيحاتِه الفقهيَّة وأَخَذوا بها، ونَهَلُوا مِن مَعِينها، وسَرَت فتاواه في الآفاق وانتَشرت في أَنْحاء العالم الإسلاميِّ بفَضْل الله وإحسانِه وكَرمِه وامتِنانِه، وذلِك فَضْل الله يُؤتِيه مَن يَشاء والله ذُو الفَضْل العَظِيم.

وكان مِن سَعْيه الموفَّق الهادِف لنَشْر العِلْم الشَّرعيِّ بَين النَّاس مشاركتُه الفعَّالةُ في البَرْنامج الإذاعيِّ الشَّهير (نُورٌ عَلَى الدَّرْبِ) الَّذِي يَنْطلق يوميًّا -ومنذ عُقود- من إذاعة القرآن الكَريم بالمَمْلكة العربيَّة السُّعوديَّة؛ في إِطار سَعْيها الشَّامل المُبارك لبَثِّ الوَعْي العامِّ بين النَّاس، والتَّبْصير بمَحاسن الإِسْلام، وبيان أَحْكام الشَّريعة؛ ويتولَّى الإجابَةَ فيه على أَسْئلة المستمعِين نُخْبةٌ من عُلماء المَمْلكة، ويَنْتفع به أعدادٌ كبيرةٌ مِن مُختلَف الفِئات داخلَ المملكةِ وخارجَها. وكانَتْ مُشاركتُه في هذا البَرْنامج تَزِيد عَن عِشرينَ عامًا؛ حتَّى وفاتِه رَحِمَهُ اللهُ تعالَى عام (١٤٢١هـ).

واستِجابةً لطَلَب القُرَّاء الكِرام فِي طِباعة فتاوَى فَضِيلة الشَّيخ رحمه الله تعالى فِي ذَلك البَرْنامج مُفردَةً مُستقلَّةً لتَعميم انتِشارها وتَسهيله وزيادَة الانتِفاع بها بإذن الله تعالى؛ عهِدت (مُؤسَّسة الشَّيخ محمَّد بن صالِح العُثَيْمِين الخيريَّة) إلى مجموعة عَمَلٍ من طُلَّاب الشَّيخ رحمه الله تعالى؛ اختارَهُم الشَّيخ الدُّكتور خالِد بن عبد الله المُصْلِح -حفظه الله- لعَمَل الإِعْداد المَبْدئيِّ للمادَّة المفرَّغة مِن تَسْجيلات البَرْنامج، فقامُوا -مَشْكورين أثابَهم الله تعالى- بالمُقَابلَة السَّمْعيَّة مِن الأَشْرطة وتَصْنِيف الأَسْئلة وتَبْويبها موضوعيًّا.

وإنفاذًا للقَواعِد والضَّوابط التي قرَّرها شيخُنا رحمه الله تعالى لإِخْراج تُراثه العِلْميِّ تولَّى القِسْمُ العِلْميُّ بالمؤسَّسة إِكمالَ الخِدْمة العِلْميَّة اللَّازمة للإِخْراج النِّهائيِّ لنَشْر وطِباعة تِلك الفتاوى القيِّمة التي بَلغت ستَّةَ آلافٍ وتِسْع مئة وخمسين فتوى صدَرت في اثني عشر مجلدًا، زاخرةً بمسائلَ في العقيدةِ، وأحكام شرعيَّة؛ في العِبادات والمُعاملات، وقَضايا اجتماعيَّة.

نَسأل الله تعالى أَنْ يجعلَ هذا العَمَل خالصًا لوَجْهه الكَريم، نافعًا لعِبادِه، وأن يجزيَ فَضِيلة شَيْخِنا محمَّد بن صالِح العُثَيْمِين رحمه الله تعالى خَيْر الجَزَاء ويُضَاعف له المثُوبة والأَجْر ويُعْلِي دَرَجته في المَهْدِيِّين، إنَّه جَواد كَريم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارَك علَى عَبْده ورسولِه، نبيِّنا محمَّد وعلى آلِه وأصحابِه والتابعِين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

القِسْمُ العِلْمِيُّ
فِي مُؤسَّسة الشَّيخ محمَّد بن صالِح
العُثَيْمِين الخيريَّة
٢٥ محرم ١٤٣٤هـ

✿✿✿



نبذة مختصرة عن
العلاّمة محمد بن صالح العثيمين
١٣٤٧ - ١٤٢١هـ

نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، محمد ابن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة – إحدى مدن القصيم – في المملكة العربية السعودية.

نشأته العلمية:

ألحقه والده – رحمه الله تعالى – ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلِّم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ رحمه الله، ثمَّ تعلَّم الكتابة، وشيئًا من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ – حفظه الله –، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلِّم علي بن عبد الله الشحيتان رحمه الله حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده رحمه الله أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله يدرِّس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتَّب اثنين[1] من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه الله حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

---

(١) هما الشيخان محمد بن عبد العزيز المطوع، وعلي بن حمد الصالحي رحمهما الله تعالى.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتّباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رحمه الله قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعضُ إخوانه[1] أن يلتحق به، فاستأذن شيخَه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ - ١٣٧٣هـ.

ولقد انتفع - خلال السنتين اللّتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي - بالعلماء الذين كانوا يدرِّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدِّث عبد الرحمن الإفريقي - رحمهم الله تعالى -.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز - رحمه الله -، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثُّر به.

---

(١) هو الشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يَدرُسُ على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءًا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقته، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ولّما تخرَّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله تعالى – فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه رحمه الله عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ – رحمه الله – يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إمامًا وخطيبًا ومدرسًا، حتى وفاته – رحمه الله تعالى –.

بقي الشيخ مدرِّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته– رحمه الله تعالى –.

وكان يدرِّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى وفاته – رحمه الله تعالى–.

وللشيخ رحمه الله أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقي الدروس والمحاضرات بهمَّة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجًا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس.

آثاره العلمية:

ظهرت جهوده العظيمة - رحمه الله تعالى - خلال أكثر من خمسين عامًا من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -.

ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميَّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذًا للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته - رحمه الله تعالى - لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - بعون الله وتوفيقه - بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناءً على توجيهاته - رحمه الله تعالى - أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية[1]، من أجل تعميم الفائدة المرجوة - بعون الله تعالى - وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

---

(١) www.binothaimeen.com.

أعماله وجهوده الأخرى:

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها ما يلي:

* عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.
* عضوًا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨ – ١٤٠٠هـ.
* عضوًا في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.
* وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألّف عددًا من الكتب المقررة بها.
* عضوًا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢هـ إلى وفاته – رحمه الله تعالى – حيث كان يلقي دروسًا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
* ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥هـ إلى وفاته.
* ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
* من علماء المملكة الكبار الذين يجيبون على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدِّين وأصوله عقيدة وشريعة، وذلك عبر البرامج الإذاعية من المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج «**نور على الدرب**».

* نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفه ومكاتبة ومشافهة.
* رتَّب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.
* شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.
* ولأنه يهتم بالسلوك التربوي والجانب الوعظي اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.
* وللشيخ رحمه الله أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البرّ ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم وكتابة الوثائق والعقود بينهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

مكانته العلمية:

يُعَدُّ فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله - بمنّه وكرمه - تأصيلاً ومَلَكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنّة، وسبر أغوار اللغة العربية معانِيَ وإعرابًا وبلاغة.

ولما تحلَّى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبَّه الناس محبة عظيمة، وقدّره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل رحمه الله العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

أولاً: تحلِّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانيًا: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريسًا وإفتاءً وتأليفًا.

ثالثًا: إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعًا: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامسًا: اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح؛ فكرًا وسلوكًا.

عقِبُه:

له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

وفاتـــه:

تُوفي رحمه الله في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيّعته تلك الآلاف من المصلّين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.

وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صُلِّي عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

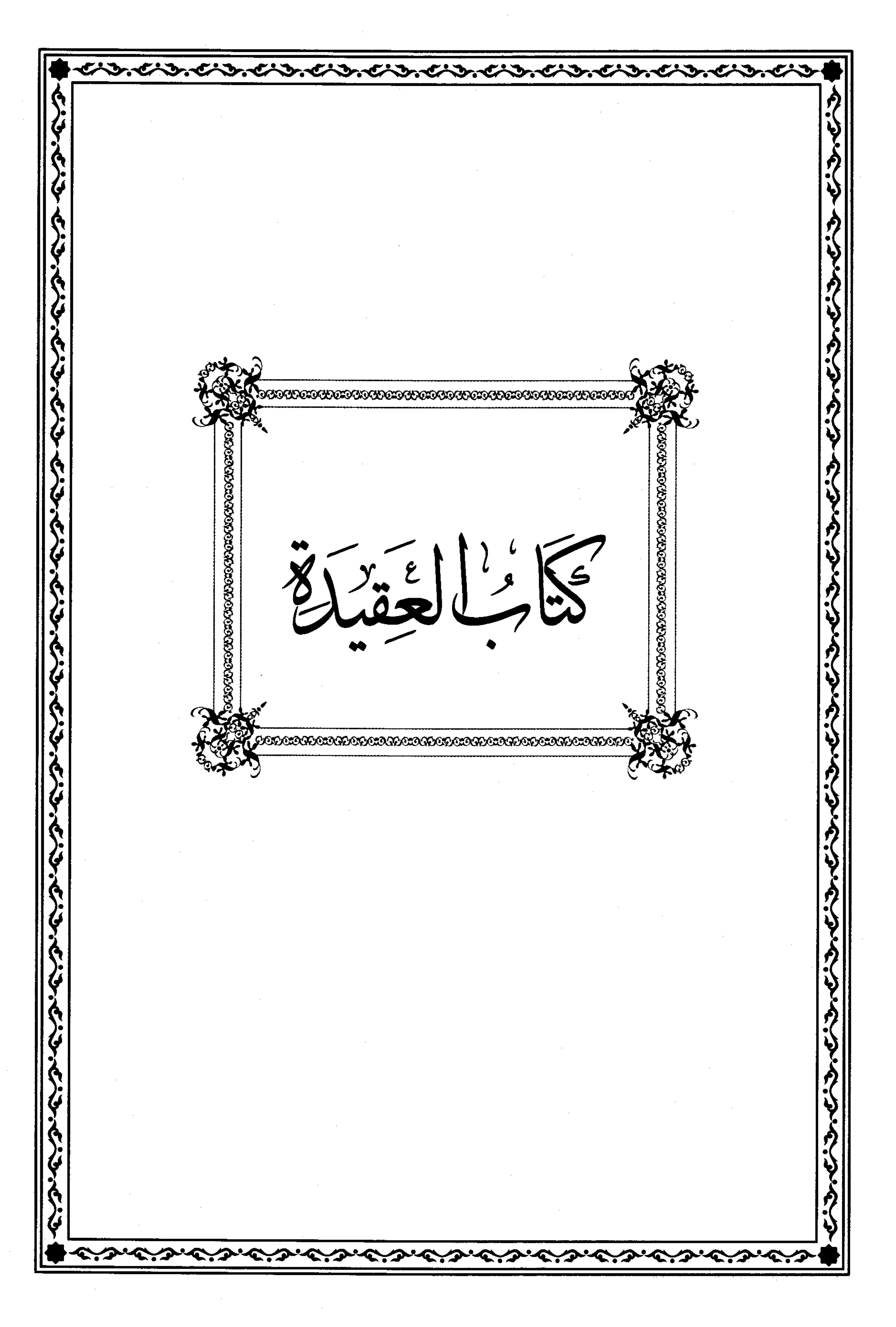
رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومَنَّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيرًا.

القسم العلمي

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

✿✿✿




كِتَابُ العَقِيدَةِ



۞ التوحيد ۞

(١) **تقول السائلة أ. ع: قرأت في كتاب أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار، فمن هم أهل التوحيد؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أهل التوحيد الذين عبدوا الله -تعالى- وحده، أي: قاموا بالعبادة مخلصين بها لله، متبعين فيها لرسول الله ﷺ، ولا يختصون بطائفةٍ دون أخرى، في أي بلادٍ كان الإنسان، ومن أي قبيلةٍ كان، ومن أي جنسٍ كان، إذا قام بعبادة الله -عز وجل- وحده، مُتَّبِعًا في ذلك رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهو من أهل الجنة.

***

(٢) **يقول السائل: ما هي أنواع التوحيد وشروط كلمة التوحيد؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما بالنسبة لسؤال السائل عن كلمة التوحيد، فكلمة التوحيد هي لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله، وهذه تتضمن شيئين مهمين:

الأول: نفي الأُلُوهية الحقة عما سوى الله -عز وجل-، فإنه لا إله إلا الله -عز وجل-.

والثاني: إثبات الألوهية الحقة لله -عز وجل-، وبهذا تم الإخلاص في هذه الكلمة العظيمة التي هي باب الدخول في الإسلام، ولهذا من قال: لا إله إلا الله، فقد عَصَمَ دمَه ومَالَه.

ففي الحديث الصحيح أن أسامة بن زيد رضي الله عنه لحق رجلًا مشركًا هرب منه، فلما أحاط به قال المشرك: لا إله إلا الله. فقتله أسامة بعد أن قال: لا إله إلا الله، فأخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فقال له: «**يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله**» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان

مُتَعَوِّذًا. يعني: ليعتصم بها من القتل وليست عن إخلاص، فقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله**» فما زال يُكَرِّرُها عَلَيَّ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.(١)

فهذا أهم شيء في كلمة الإخلاص.

ومن شروط قبولها أن يكون الإنسان قد قالها عن يقين، أي: قالها مُتيَقِّنًا، لا مترددًا ولا مُقَلِّدًا، بل متيقنًا أنه لا إله حق إلا الله -تبارك وتعالى-، ولها مكملات بعضها على سبيل الوجوب وبعضها على سبيل الاستحباب، معلومة في كتب أهل العلم.

***

(٣) يقول السائل ي. ح: ما أقسام التوحيد مفصلة؟ لأننا في زمن كثرت فيه الشِّرْكِيَاتُ، فنشاهد أناسًا يذبحون عند الأضرحة، ويطوفون بها، ويتقربون إليها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سؤال الأخ عن التوحيد وأقسامه سؤال مهم، لأن التوحيد هو الذي بُعِثَتْ به الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وحكى الله عن الرسل على وجه التفصيل أنهم كانوا يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، والنبي -عليه الصلاة والسلام- جاء بتحقيق هذا التوحيد تحقيقًا تامًّا يمنع العبد من الإشراك بالله الشرك الصغير والكبير.

وقد ذكر أهل العلم -رحمهم الله- أن أقسام التوحيد ثلاثة، وذلك بالتتبع والاستقراء:

أولها: توحيد الربوبية.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد، رقم (٦٨٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم (٩٦).

والثاني: توحيد الألوهية.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وقد اجتمعت الثلاثة في آية واحدة من كتاب الله في قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] فقوله -تعالى-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الرُّبُوبيَةِ، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ﴾ هذا توحيد الألوهية، وقوله -تعالى-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات، أي لا تعلم له سَميًّا أي: مَسَامِيًا يضاهيه ويماثله -عز وجل-.

فأقسام التوحيد ثلاثة:

القسم الأول: توحيد الرُّبُوبيَةِ، وهو: إفراد الله -عز وجل- في الخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مُدَبِّرَ إلا الله، لا أحد يقوم بهذا على وجه الإطلاق والعموم والشمول إلا الله رب العالمين، فهو المتفرد بالخلق، الملك، التدبير، قال الله -عز وجل-: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهذه الآية فيها حصر الخلق والأمر في الله وحده، وذلك بتقديم الخبر ﴿لَهُ﴾ على المبتدأ ﴿ٱلْخَلْقُ﴾، وتقديم ما حقُّه التأخير يفيد الحصر، كما قرر ذلك علماء البلاغة، فالخلق كله له، والأمر كله له -عز وجل-، لا يَشْرُكُهُ أحد، قال الله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]، فبيَّنَ الله -عز وجل- أن هؤلاء السفهاء الذين اتخذوا عباده شركاء مع الله، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض على وجه الاستقلال بها دون الله، ما لهم فيهما من شرك، أي: لا

يملكون شِرْكَةً مع الله -عز وجل-، فليسوا مستقلين في شيء، وليسوا شركاء مع الله في شيء، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، يعني: ما لله أحد من هؤلاء يساعده ويعينه -عز وجل-، بل هو مستغنٍ عن جميع خلقه ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وذلك لكمال سلطانه وعظيم ملكه -عز وجل-، لا أحد يشفع عنده يتوسط بشيء لأحد من خير أو دفع ضرر إلا بإذنه -عز وجل-، وفي هذا قطع لجميع ما يتعلق به المشركون الذين يدعون أنهم يعبدون هذه الأصنام، يتخذونها شفعاء عند الله، قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، ومن المعلوم أن الله لن يأذن لهذه الأصنام أن تشفع، ولا يأذن لأحد أن يشفع لعابد هذه الأصنام، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] وقال -تعالى-: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وحينئذٍ تنقطع كل الآمال التي يتعلق بها هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله غيره، يرجونه نفعًا أو دفع ضرر، فإن ذلك لا ينفعه، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

إذًا توحيد الربوبية إفراد الله -عز وجل- بأمور ثلاثة: بالخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر إلا الله، وما يوجد من المخلوق من صنع الأشياء، وما يوجد من المخلوق من الملك، وما يوجد للمخلوق من التدبير، فكله تدبير ناقص، وهم أيضًا غير مستقلين به، بل ذلك من خلق الله -عز وجل-، أما المنفرد بذلك على وجه الاستقلال فهو الله -سبحانه وتعالى-، فللمخلوق خلق وإيجاد، لكنه ليس كخلق الله، فالله -تعالى- مُوجِدُ الأشياء من العدم، والمخلوق لا يستطيع أن يُوجِدَ الشيء من العدم، وإنما يستطيع أن يُرَكِّبَ شيئًا مع شيء، أو يُغَيِّرَ صورة شيء إلى شيء، كما

لو غيَّر النجار الخشبة إلى باب، والحداد الصفائح الحديد إلى أبواب وما أشبه ذلك، لكنه لن يخلق هذه المادة، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

كذلك الإنسان له مُلك، قال الله -تعالى-: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦]، وقال الله -تعالى-: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور: ٦١]، ولكن هذا الْمُلك مُلْكٌ مقيد محدود ليس بشامل، وليس للإنسان فيه مطلق التصرف، بل هو محدود، فما بيدي من الملك ليس لك، وما بيدك من الملك ليس لي، ثم إنه ملك محدود لا تستطيع أن تتصرف فيه إلا على وفق ما جاءت به الشريعة.

وكذلك للإنسان تدبير: يُدَبِّر مملوكه، ويُدَبِّر زوجته، يُدَبِّر أهله، لكنه تدبير ناقص ليس بشامل، ولا للإنسان فيه مطلق الحرية، وبهذا عرفنا أن المنفرد بالخلق والمنفرد بالملك والمنفرد بالتدبير هو الله -عز وجل- وحده.

هذا قسم من أقسام التوحيد، وهذا التوحيد لم ينكره المشركون الذين بعث فيهم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، بل كانوا يُقِرُّونَ به غاية الإقرار، قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وهكذا الآيات الكثيرة كلها تدل على أن المشركين الذين قاتلهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- واستباح دماءهم وأموالهم ونساءهم وذريتهم كانوا يقرون بهذا التوحيد، لكن ذلك لم ينفعهم، لأنهم مشركون في توحيد الألوهية، توحيد العبادة الذي هو حق الله الخاص له، وهو:

القسم الثاني: توحيد الألوهية: المستفاد من قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]،

والألوهية مبنية على شيئين، بل العبادة مبنية على شيئين: المحبة والتعظيم، فبالمحبة يكون الرجاء وفعل الأوامر، طلبًا للوصول إلى محبة الله -عز وجل- وثوابه، والتعظيم -وهو الأساس الثاني للعبادة- به يترك الإنسان الْمَنَاهِيَ التي نهى الله عنها، لأنه بتعظيمه لله يترك مناهيه ويخاف من عقابه.

ثم إن العبادة لها شرطان: الأول: الإخلاص لله. والثاني: المتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

فللعبادة إذًا ركنان ولها شرطان، أما ركناها: فالمحبة، والتعظيم وهما الأساس، وأما شرطاها فهما: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، ودليل ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله -تعالى- في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمِل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِركَه**»(١)، ودليل المتابعة قوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**من عمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**»(٢). أي: مردود على صاحبه، لأنه لم تتحقق فيه المتابعة.

وإذا نظرنا إلى حال كثير من المسلمين اليوم وجدنا أنهم ليسوا على توحيد خالص في باب الألوهية والعبودية فمنهم من يعبد القبور، ومنهم من يعبد الأولياء، ومنهم من يطوف بالقبور رجاءً لنفعها ودفعها للضرر، ومنهم من يُؤلِّه الحكام ويجعلهم في منزلة الألوهية، يطيعهم فيما حرم الله فيستحله وفيما أحل الله فيحرمه، وهذا هو اتخاذهم أربابًا، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم (٢٦٩٧)، مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»**(١).

وهذا القسم من التوحيد هو الذي خالف فيه المشركون رسولَ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأنكروا عليه، وقالوا فيه: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] وسبحان الله أن يكون التوحيد عجابًا، وأن يكون شركه صوابًا، فالعجب العجاب الذي لا ينقضي هو أن يشرك هؤلاء بالله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ولا يستجيب لهم إلى يوم القيامة، وقد استباح النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- دماء هؤلاء المشركين، ونساءهم، وذرياتهم، وأموالهم، وقاتلهم على ذلك أشد المقاتلة، حتى يعبدوا الله -عز وجل- أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

أما القسم الثالث: فهو توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله -عز وجل- بأسمائه وصفاته، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى الله عن نفسه، والسكوت عما سكت الله عنه ورسوله، إثباتًا بلا تمثيل، ونفيًا بلا تعطيل، وهذا هو الذي انقسمت فيه الأمة الإسلامية إلى أقسام متعددة، فمنهم السلف، وهم فقط أهل السُّنَّة والجماعة الذين أثبتوا لله ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، إثباتًا بلا تمثيل، ونفوا ما نفى الله عن نفسه نفيًا بلا تعطيل، وسكتوا عما سكت الله عنه ورسوله، فمن ذلك أنهم أثبتوا لله كل ما وصف به نفسه، كل صفة أثبتها لنفسه من الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام، والعزة، والحكمة، والرحمة، والعجب، والضحك، وأثبتوا لله الوجه

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم (٣٠٩٥).

واليدين والعينين، وأثبتوا لله القدم والساق، وكذلك كل ما وصف الله به نفسه أثبتوه لله -عز وجل- لكن بلا تمثيل، يثبتون هذا ويقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيقولون: لله يد ولكن ليستا كأيدينا، لله وجه لكن ليس كوجوهنا، عينان لكن ليست كأعيننا، وهكذا بقية الصفات. ويقولون أيضًا: إن الله استوى على العرش، علا عليه عُلُوًّا يليق بجلاله -عز وجل-، لكن ليس كاستوائنا نحن على السرير أو على الدابة أو على الفُلْك، لا، لأن الله -تعالى- يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هذا هو مذهب السلف: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، ونفي ما نفى الله عن نفسه من الأسماء والصفات، والسكوت عما سكت عنه.

بعد ذلك تنازع الناس تنازعًا طويلًا عريضًا لا ينبني على أصل، لا من المعقول ولا من المنقول، فأثبت قوم الأسماء، وأثبتوا من الصفات صفات قليلة، ليس على الوجه الذي يثبته عليه أهل السُّنَّة والجماعة، بل يخالفونه في كيفية هذا الإثبات.

وأثبت قومٌ الأسماء، ونفوا الصفات كلها، إلا الحياة والعلم والقدرة.

ونفى قومٌ الأسماء والصفات، ونفى قوم الإثبات والنفي، واضطربوا في ذلك اضطرابًا كثيرًا. لكن من هؤلاء من تصل بِدْعَته إلى حد الكفر المخرج من الملة، ومنهم من دون ذلك، ولكن الحق فيما ذهب إليه السلف، وهم أهل السُّنَّة والجماعة وهو: إثبات كل صفة أثبتها الله لنفسه بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ونفي كل صفة نفاها الله عن نفسه، والسكوت عما سكت الله عنه، وهذه الطريقة السليمة الثابتة سمعًا وعقلًا وفطرة.

وللناس في هذا كتب ورسائل معلومة، ومن أحسن ما رأيته تقريبًا لهذا الأصل العظيم ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتبه تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنهما كتبا في هذا الباب كتابات عظيمة مفيدة، ما رأيت أحدًا كتب مثل

كتابتهما، وغالب من يكتب في هذا الباب تجدهم يُقَلِّدُ بعضهم بعضًا، ولهم مقلدون لا يخرجون عن كلامهم ولو تبين الحق، والحقيقة أن الواجب على المرء أن يتبع ما دل عليه كتاب الله وسُنَّةَ رسوله -صلى الله عليه وآله سلم-، وأنه ليس بمعذور إذا خالف ذلك من أجل قول فلان وفلان، قد يخطئ فلان وفلان من المتبوعين خطًا يعذر فيه، لكن التابع الذي تبين له الحق لا يعذر في اتباعه للمخطئين.

وإنني من هذا المنبر -منبر نور على الدرب في إذاعة المملكة العربية السعودية- أدعو جميع إخواني الذين درسوا في هذا العلم -علم التوحيد، وعلم العقائد- إلى تقوى الله -عز وجل-، وأن يسلكوا ما سلكه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه من الخلفاء الراشدين وغيرهم في هذا الباب العظيم الخطير، لأن هذا الباب مبناه على الخبر المحض، ليس للعقول فيه مجال إلا على سبيل الإجمال، فإن العقول تهتدي إجمالًا إلى أن الله موصوف بصفات الكمال، منزه عن كل نقص وعيب، ولكن لا تدرك هذا على وجه التفصيل، وإنما يؤخذ ذلك من الكتاب والسُّنَّة، وإذا كان هذا هو الواقع، وأن ما يتعلق بصفات الله وأسمائه خبر محض، فإنه يجب علينا أن لا نحيد عمَّا جاء به الكتاب والسُّنَّة قِيدَ أنملة، ولا سُمْكَ شعرة، بل يجب علينا قبول ما جاء به الكتاب والسُّنَّة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

ولقد رأينا أن الذين يَحِيدُونَ عن هذه السبيل، ويتخبطون خبط عشواء في بعض أسماء الله وصفاته يَضِلُّون كثيرًا، ويؤدي بهم الحال إلى الشرك وإلى الحيرة، كما نقل ذلك عن كثيرٍ من زعمائهم، حتى إن الفخر الرازي وهو من رؤسائهم قال فيما نقل عنه، إما منشدًا وإما ناظمًا[1]:

نهاية إقدام العقول عِقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضَلال
وأرواحُنا في وحشةٍ من جُسومِنا ... وغايةُ دنيانا أذًى ووَبالُ

---

(١) الأبيات قالها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، وانظر طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٩٦)، وعيون الأنباء (٢/ ٢٨).

ولم نستفِدْ من بحثِنا طولَ عمرنا سِوى أنْ جمعْنا فِيه: قِيلَ وقالُوا

وقال: «لقد تأملتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا، وجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

ويقول الآخر[(١)]:

لقد طفت في تلك المعاهدِ كلِّها وسيَّرتُ طرفي بينَ تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ على ذقنِه، أو قارعًا سنَّ نادِمِ

وهذا يدل على أن هؤلاء المتكلمين الذين ذهبوا يَحْكُمُون على الله -تعالى- بعقولهم فيما يصفونه به كانوا في حيرة شديدة، وأن من بلغ منهم الغاية في علم الكلام رجع إلى الحق، وهو ما كان عليه سلف هذه الأمة من إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، ونفي ما نفى الله عنه، أو ما نفاه عنه رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، والسكوت عن ما لم يرد به إثبات ولا نفي، وهذا هو الأدب مع الله ورسوله، فعلينا جميعًا أن نتوب إلى الله -عز وجل-، وأن نرجع إلى منهج سلفنا الصالح في هذا الباب العظيم الخطير.

ونسأل الله لنا، ولإخواننا السلامة والتوفيق لمنهج السلف الصالح، وأن يتوفانا على ما يحبه ويرضاه، إنه جواد كريم.

***

(٤) **يقول السائل**: هل الإيمان هو التوحيد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان والتوحيد شيئان متغايران ومتفقان،

---

(١) الأبيات للشهرستاني، قالها في نهاية الإقدام (ص٣).

فالتوحيد هو إفراد الله -عز وجل- بما يستحقه ويختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ولهذا قال العلماء -رحمهم الله-: إن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

إن هذه الأقسام جاءت في قوله -تعالى-: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] فقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعني توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ﴾ يعني توحيد الألوهية، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يعني توحيد الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم للإيمان في الواقع، لأن الإيمان بالله -عز وجل- يتضمن الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وعلى هذا فالْمُوَحِّدِ لله مؤمن به، والمؤمن بالله موحد له، لكن قد يحصل خلل في التوحيد، أو في الإيمان فينقصان، ولهذا كان القول الراجح أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد وينقص في حقيقته، وفي آثاره ومقتضياته، فالإنسان يجد من قلبه أحيانًا طمأنينة بالغة، كأنما يشاهد الغائب الذي كان يؤمن به، وأحيانًا يحصل له شيء من قلة هذا اليقين الكامل، وإذا شئت أن تعرف أن اليقين يتفاوت فاقرأ قول الله -تعالى- عن إبراهيم خليله -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠] كما أنه أيضًا يزيد بآثاره ومقتضياته، فإن الإنسان كلما ازداد عملًا صالحًا ازداد إيمانه، حتى يكون من المؤمنين الْخُلَّصِ.

***

(٥) **يقول السائل**: كيف يحقق المسلم التوحيد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يُحَقَّقُ التوحيد بإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله -عز وجل-، فكل ما عبد من دون الله فهو

باطل، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ويحقق التوحيد -وهو توحيد الاتباع- بالتزام سُنَّة النبي ﷺ، فلا يحيد عنها يمينًا ولا شمالًا، وألا يتقدمها إقبالًا، ولا يتأخر عنها إدبارًا.

***

(٦) **يقول السائل**: كيف يحقق المسلم التوحيد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يحقق التوحيد بالإخلاص لله -عز وجل-، وأن تكون عبادته لله تعالى وحده لا يُرَائِي فيها ولا يُحابي فيها، وإنما يعبد الله مخلصًا له الدين، هذا بالنسبة للعبادة.

كذلك أيضًا بالنسبة للربوبية: لا يعتمد إلا على الله، ولا يستعين إلا بالله، قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لابن عمه وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يَنْفَعُوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يَضُرُّوكَ بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»**[1]، وعليه أن يسأل الله دائمًا الثبات على الحق وعلى التوحيد، فإن كثيرًا من الناس وإن كان معه أصل التوحيد لكن تكون عنده أشياء منقصة لإيمانه، وأضرب لك مثلًا شائعًا عند الناس يتهاونون به وهو: الاعتماد على الأسباب، فإن من المعلوم أن الله -سبحانه وتعالى- قَدَّرَ للأشياء أسبابًا، فالمرض قدر الله للشفاء منه أسبابًا، والجهل قدر الله -تعالى- للتخلص منه أسبابًا، الأولاد قدر الله لهم أسبابًا، وهلم جرًّا، فبعض الناس يعتمد على السبب، فتجده إذا مرض يتعلق قلبه تعلقًا كُلِّيًّا بالمستشفى وأطبائه، ويذهب وكأن الشفاء بأيديهم، وينسى أن الله -سبحانه وتعالى- جعل هؤلاء أسبابًا قد تنفع وقد لا تنفع، فإن نفعت

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب، رقم (٢٥١٦).

فبفضل الله وتقديره، وإن لم تنفع فبِعَدْلِ الله وتقديره، فلا يجوز أن ينسى الإنسان المتسبب ويتذكر السبب، نعم نحن لا ننكر أن السبب له تأثير في المسبب، لكن هذا التأثير إنما كان بإذن الله -عز وجل-، كما قال الله -تبارك وتعالى- في السحرة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢] قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالمهم أن تحقيق التوحيد هو تعلق القلب بالله -تبارك وتعالى- خوفًا وطمعًا، وتخصيص العبادة له وحده.

✿✿✿

۞ أهل السنة والجماعة ۞

(٧) يقول السائل: من هي الطائفة المنصورة؟ وكيف تُعرف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الطائفة المنصورة هم أهل السُّنَّة والجماعة، وهم الفرقة الناجية، وهم الذين كانوا على مثل ما عليه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه عقيدةً وقولًا وفعلًا.

ففي العقيدة: يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، يؤمنون بأن الله -تعالى- رب كل شيء ومَلِيكُهُ، يؤمنون بأن الله -تعالى- هو الحق، وأن ما يُدْعَى من دونه هو الباطل، يؤمنون بكل ما سَمَّى الله به نفسه، أو ما سماه به رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، يؤمنون كذلك بملائكة الله -تعالى- على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، يتعبدون لله -تعالى- بما شرع، لا يبتدعون في دين الله -تعالى- ما لم يشرع، لا في العقيدة ولا في الأعمال القولية أو الفعلية، بل هم مخلصون لله -تعالى- في عباداتهم، لأنهم أمروا بذلك: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، متبعون لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-، يعتقدون أن كل بدعة في دين الله -تعالى- ضلالة، هؤلاء هم الفرقة الناجية، وهم الطائفة المنصورة، وهم أهل السُّنَّة والجماعة.

***

(٨) يقول السائل: ما أهمية الجماعة في الإسلام؟ وهل يشترط على المسلم أن ينتمي إلى جماعةٍ معينة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجماعة في الإسلام هي الاجتماع على شريعة الله -عز وجل- التي قال فيها الرسول -عليه الصلاة والسلام-: **«لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خَذَلَهم ولا من خَالَفَهُمْ،**

حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[١]، هذه هي الجماعة التي يجب على الإنسان أن ينتمي إليها، أما الجماعة الحزبية التي لا تريد إلا انتصار رأيها، سواء كان بحق أم بباطل، فإنه لا يجوز الانتماء إليها، لأن ذلك متضمنٌ البراءة من الجماعة الإسلامية، والولاية للجماعة الحزبية التي فيها التفرق والاختلاف، وقد قال الله -تعالى-: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال -تعالى-: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣] وقال -تعالى-: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال -تعالى- لنبيه ﷺ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وهذه الجماعات الإسلامية التي تنتمي إلى الإسلام وهدفها انتصار الإسلام يجب عليها أن لا تتفرق، يجب عليها أن تنحصر في طائفةٍ واحدة، طائفة الجماعة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حين قال: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي الجماعة**»[٢].

إنَّ هذه الجماعات فَرَّقَتِ الأمة، وألقت بينهم العداوة، حتى صار الواحد منهم ينظر إلى الثاني نظر العدو البعيد، مع أن الكل منهم مُسْلِمٌ ينتمي إلى الإسلام ويريد أن ينتصر الإسلام به، ولكن أنَّى لهم، وقد تفرقوا هذا التفرق، وتمزقوا هذا التمزق؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين، رقم (٧٣١١)، مسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا، رقم (١٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩٣).

فالذي ينبغي أن أوجه إخواني إليه من هذا المنبر منبر نور على الدرب من إذاعة المملكة العربية السعودية أن يجتمعوا على الحق، وأن يجتنبوا أوجه الاختلاف بينهم، فيزيلوها بالرجوع إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

والحقيقة أن هذا التفرق أصبح فريسته الشباب الإسلامي، فإن هذا الشباب بِتَفَرُّقِ هذه الجماعات صار كل طائفةٍ منهم تنتمي إلى جماعة، صار كل واحدٍ منهم ينتمي إلى جماعة من هذه الجماعات، وتفرقوا وصار بعضهم يسب بعضًا ويطعن في بعض، وهذه ضربةٌ قاسية قاصمةٌ لهذه الصحوة التي بدأت -ولله الحمد- تظهر آثارها في شباب المسلمين.

المهم أنني أنا أنصح بعدم التفرق ولو في ضمن هذه الجماعات، وأرى أن تكون الأمة الإسلامية أمةً واحدة، لا تختلف ولا تتسمى كل واحدةٍ منهم باسم ترى أنها نِدٌّ للجماعات الأخرى.

***

(٩) يقول السائل: **وجدت في تفسير ابن كثير حديثًا يقول فيه الرسول ﷺ ما معناه: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[1]، فهل هذا الحديث صحيح؟ وما هي الفرق الضالة من هذه الفرقة الناجية؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث صحيح، بكثرة طرقه، وتَلَقِّي الأمةُ له بالقبول، فإن العلماء قَبِلُوه وأَثْبَتُوهُ حتى في بعض كتب العقائد، وقد بين النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الفرقة النَّاجية هي الجماعة الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة وقول وعمل، فمن التزم ما كان عليه رسول الله ﷺ من العقائد الصحيحة السليمة، والأقوال، والأفعال المشروعة، فإن ذلك هو الفرقة الناجية، ولا يختص ذلك بزمان ولا

---

(١) تقدم تخريجه.

بمكان، بل كل من التزم هدي الرسول -عليه الصلاة والسلام- ظاهرًا وباطنًا فهو من هذه الجماعة الناجية، وهي ناجية في الدنيا من البدع والمخالفات، وناجية في الآخرة من النار.

***

(١٠) يقول السائل: ما المقصود بالسلف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السلف معناه المتقدمون، فكل متقدم على غيره فهو سلف له، ولكن إذا أطلق لفظ السلف فالمراد به القرون الثلاثة المفضلة، الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، هؤلاء هم السلف الصالح، ومن كان بعدهم وسار على منهاجهم فإنه مثلهم على طريقة السلف، وإن كان متأخرًا عنهم في الزمن، لأن السَّلَفِيَةَ تطلق على المنهاج الذي سلكه السلف الصالح رضي الله عنهم، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»[١]، وفي لفظ: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**».

وبناء على ذلك تكون السلفية هنا مقيدة بالمعنى، فكل من كان على منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فهو سَلَفي، وإن كان في عصرنا هذا وهو القرن الرابع عشر بعد الهجرة.

***

(١١) يقول السائل: ما المراد بالتوسط في الدين أو الوسطية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوسط في الدين أو الوسطية أن يكون الإنسان بين الغالي والجافي، وهذا يدخل في الأمور العِلْمِيَةِ العَقَدِيَةِ، وفي الأمور العملية التعبدية.

ففي الأمور العقدية انقسم الناس فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته إلى ثلاثة

---

(١) تقدم تخريجه.

أقسام: طرفان ووسط، طرفٌ غلا في التَّنْزِيهِ فَنَفَى عن الله ما سمى ووصف به نفسه، وقسمٌ غلا في الإثبات فأثبت لله ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، لكن باعتقاد المماثَلَة، وقسمٌ وسط أثبت لله -تعالى- ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، لكن بدون اعتقاد المماثلة، بل باعتقاد المخالفة، وأن الله -تعالى- لا يماثله شيءٌ من مخلوقاته.

القسم الأول: الذين غلوا في التنزيه الذين يقولون: إن الله -تعالى- لا يوصف إلا بصفاتٍ معينة حددوها، وادعوا أن العقل دل عليها، وأن ما سواها لا يثبت، لأن العقل بزعمهم لم يدل عليها، فمثلًا أثبتوا صفة الإرادة لله وقالوا: إن الله -تعالى- مريد، لكنهم نفوا صفة الرحمة عنه وقالوا: معنى الرحمة الإحسان أو إرادة الإحسان، وليست وصفًا في الله -عز وجل-، فتجد هؤلاء أخطؤوا حيث نفوا ما وصف الله به نفسه، بل نفوا ما كانت دلالة العقل فيه أظهر من دلالة العقل على ما أثبتوه، فإن إثباتهم للإرادة بالطريق العقلي أنهم قالوا: إن تخصيص المخلوقات بما تختص به مثل: هذه سماء، وهذه أرض، وهذا بعير، وهذه فرس، وهذا ذَكَرٌ، وهذه أنثى، هذا التخصيص يدل على إرادة الخالق أنه أراد أن يكون الشيء على هذا فكان.

فنقول لهم: إن دلالة نعم الله -عز وجل- ودفع نِقَمِه تدل على الرحمة أكثر مما يدل التخصيص على الإرادة، ولكن مع ذلك نفوا الرحمة وأثبتوا الإرادة، بناءً على شبهةٍ عرضت لهم.

القسم الثاني: الذين غَلَوْا في الإثبات وهم أهل التمثيل، قالوا: نثبت لله -عز وجل- الصفات، لكن على وجهٍ مماثلٍ للمخلوق، وهؤلاء ضلوا وغَفَلُوا عن قول الله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

والقسم الثالث الوسط قالوا: نثبت لله كل ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو فيما صح عن رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، مع اعتقاد عدم المماثلة، وأن ما يثبت للخالق من ذلك مخالفٌ لما يثبت للمخلوق، فإن ما يثبت للخالق أكمل

وأعلى، كما قال -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، هذا في العقيدة.

أما في الأعمال البدنية: من الناس من يغلو فيزيد ويشدد على نفسه، ومن الناس من يتهاون ويفرط فيضيع شيئًا كثيرًا، وخير الأمور الوسط.

والوسط الضابط فيه: ما جاءت به الشريعة فهو وسط، وما خالف الشريعة فليس بوسط، بل هو مائل، إما للإفْرَاط وإما إلى التَّفْرِيط.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة الواسطية خمسة أصول، بَيَّنَ فيها رحمه الله أن أهل السنة فيها وسطٌ بين طوائف المبتدعة، فيا حبذا لو أن السائل رجع إليها لما فيها من الفائدة.

***

(١٢) يقول السائل ع. ب. ع: ما حكم من قال بأن الخوض في مسائل العقيدة والتوحيد والمناقشات العلمية يسبب الفرقة وضياع الجهد والفكر والدعوة؟ وَجِّهُونا في ضوء هذا السؤال.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التعمق في السؤال فيما يتعلق بالعقيدة ليس هو من طريق السلف، بل كانوا يحذرون منه غاية التحذير، لأن أمور العقيدة أمورٌ غيبية يجب أن يتلقاها الإنسان بالتسليم، دون الخوض في كيفياتها وحقيقتها، ولهذا لما سأل رجلٌ الإمام مالكًا رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالكٌ رحمه الله برأسه حتى علاه الرُّحَضُ -أي: حتى علاه العرق- ثم رفع رأسه فقال: «يا هذا! الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا»، ثم أمر به فأخرج من المسجد مسجد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وأما البحث عن معاني أسماء الله -تعالى- وصفاته وإثباتها على الوجه اللائق به -جل وعلا- من غير تكييفٍ ولا تمثيل فهذا حق، وهذا منهج

السلف الصالح رضي الله عنهم، هذه هي القاعدة والجادة فيما يتعلق بالعقيدة، ولكن إذا ابتليت بشخص أرغمك على أن تبحث معه وله اصطلاحات خاصة، فعليك أن تُبيِّنَ الحق، وأن لا تسكت أو تسكته إلا إذا علمنا أنه معاند، فلنا أن نسكته حتى يعرف قدر نفسه.

***

(١٣) تقول السائلة أ. ع: ما حكم التَّنَطُّع في الإسلام؟ وَضِّحوا لنا ذلك من الكتاب والسُّنَّة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التَّنَطُّعُ في الإسلام معناه: التشدد في الإسلام والتعمق والتقعر، وحكمه أنه هلاك للمرء، لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[(١)]، ودين الله -سبحانه وتعالى- الحق بين الغالي فيه والجافي عنه، فالتعمق والتَّنَطُّع وإلزام النفس بما لا يلزمها هذا كله هلاك، وخير الهديِ هَدْي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(١٤) يقول السائل: ما السبب في وجود عقيدة صحيحة وعقيدة خاطئة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا سؤالٌ عجيب! يعني إذًا قل: ما السبب في وجود مؤمنين وكافرين؟ ما السبب في وجود فاسقين وطائعين؟ ونقول: السبب في ذلك أن هذه حكمة الله -عز وجل-، كما قال -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [هود: ١١٨] أي: على دينٍ واحد وعقيدة واحدة، ولكن: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

ولولا هذا الاختلاف لكان خلق الجنة والنار عبثًا، لأن النار تحتاج إلى أهل، والجنة تحتاج إلى أهل، فلا بد من الاختلاف.

لكن ينبغي أن يقول: ما هو ضابط العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة؟ وجوابنا على هذا أن نقول: ما كان موافقًا لما كان عليه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه فهو عقيدةٌ صحيحة، وما كان مخالفًا لهم فهو عقيدةٌ فاسدة.

وكذلك في الأعمال البدنية: ما كان موافقًا لما كان عليه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه فهو عملٌ صالح، وما لم يكن كذلك فهو عملٌ فاسد، وهذا هو الذي ينبغي أن نسأل عنه.

ينبغي أن نبحث: هل نحن في عقيدتنا، وأعمالنا موافقون لما كان عليه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه أم مخالفون؟

***

(١٥) يقول السائل: في بعض البلاد الإسلامية يدرس تاريخ الإسلام بطريقة غير صحيحة، مما يؤدي إلى بغض بعض الصحابة -رضوان الله عليهم-، نرجو التوضيح خاصة عن موقف بعض المعارك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ما قاله السائل صحيح، فإن التاريخ في الحقيقة يُزَوَّرُ ويُشَوَّهُ حسب ما تكون الدولة، فهو خاضع مع الأسف للدولة بحيث توجهه حيث ما تريد، وخاضع لبعض الأفكار التي تجترئ على الكذب في جانب ما تدعو إليه وتهدف إليه، ولذلك نرى في كثير من كتب التاريخ أشياء مشوهة إن كان صدقًا، وأشاء كثيرة مزورة مكذوبة، لاسيما فيما جرى بين الصحابة ﷺ مما هم فيه معذورون، لأنهم مجتهدون، ومن أصاب منهم له أجران، ومن أخطأ فله أجر، وخطؤه مغفور.

فيجب على المرء أن يحذر من مثل هذه الكتب المزورة، أو المشوهة بزيادة أو نقص، لاسيما إذا كان يشعر بأن هذا الكتاب مثلًا يسيء إلى الصحابة ﷺ

في تشويه حياتهم ومجتمعاتهم، لأن القدح في الصحابة رضي الله عنهم ليس قدحًا في الصحابة أنفسهم فقط، بل هو قدح فيهم وفي رسول الله ﷺ، وقدح في الشريعة، وقدح في الله -سبحانه وتعالى-، لأنه إذا صار القدح في الصحابة رضي الله عنهم كان ذلك قدحًا في الشريعة، لأنهم هم الذين نقلوها إلينا، فإذا كانوا محل قَدْح وعيب فكيف نثق بالشريعة التي بين أيدينا وقد جاءت عن طريقهم؟ وإذاً كان قدحًا في الصحابة صار قدحًا في النبي ﷺ، لأنهم أصحابه وأحبابه وناصروه على أعدائه، والقدح في الصاحب قدح في المصحوب، وإذا كان القدح في الصحابة صار قدحًا في الله -عز وجل-.

فكيف يقال: إن الله -تعالى- اختار لنبيه -وهو أفضل خلقه- مثل هؤلاء الأصحاب الذين هم محل القدح والسَّبِ والعَيب؟

فالقدح في الصحابة قدح في الله وفي رسوله وفي شريعته، والأمر أمر عظيم، وكتب التاريخ قد يكون بعضها متناولًا لهذا الأمر مما يكون دالًا على القدح في الصحابة إما تصريحًا وإما تلميحًا، فليحذر المؤمن من مثل هذه التواريخ التي تضله. والله المستعان.

۞۞۞

۞ الإيمان والإسلام ۞

(١٦) يقول السائل: ما هي أركان الإيمان؟ وما حكم الإيمان بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أركان الإيمان هي ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»[(١)]، ومن لم يؤمن بها جميعًا فهو كافر، يعني: لو آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر، لأن الذي يؤمن ببعض الشريعة ويكفر ببعضها فهو كافر بالجميع، والذي يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعضهم كافر بالجميع، كما قال الله -تعالى- موبخًا بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فبين الله -تعالى- أن هؤلاء الذين يؤمنون ببعض الرسل دون بعض هم الكافرون حقًا.

فأركان الإيمان إذًا ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فأما الإيمان بالله: أن يؤمن الإنسان بأن الله -تعالى- حي عليم قادر، منفرد بالربوبية، والألوهية، وبأسمائه وصفاته، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ويؤمن بأنه على كل شيء قدير، وأن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون.

والإيمان بالملائكة: أن تؤمن بهذا العَالَم من الخلق، وهم الملائكة، عالم غيبي لا نشاهده إلا إذا أراد الله أن نشاهده لحكمة فهذا يقع، فقد خلقت

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، رقم (٥٠)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو، رقم (٩).

الملائكة من نور، وهم مطيعون لله -تعالى- دائمًا، يُسَبِّحُون الليل والنهار لا يفترون، نعلم منهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل.

أما جبريل: فهو موكل بالوحي يأتي به من الله -عز وجل- إلى من أوحاه الله إليه.

وأما إسرافيل فإنه موكل بالنفخ في الصور.

وأما ميكائيل فإنه موكل بالقطر والنبات.

ومن الملائكة من وُكِّلوا بحفظ بني آدم، كما قال -تعالى- عنهم: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١].

ومنهم من هو موكل بإحصاء أعمال ابن آدم يكتبها عليه، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: ١٦-١٨].

هم عن أيماننا وعن شمائلنا لكن لا نراهم، وقد يُرى الْمَلَكُ بصورة إنسان مثلًا، كما جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة، جلس إلى النبي ﷺ جلسة المتأدب، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم سأل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأشراطها.

والملائكة -عليهم الصلاة والسلام- لا يأكلون ولا يشربون، وهم عدد لا يحصيهم إلا الله -عز وجل- كما جاء في الحديث: «**أَطَّتِ السماء وحق لها أن تَئِطَّ، ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم لله، أو راكع أو ساجد**»[1]، وأخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن البيت المعمور أنه «**يدخله**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣)، الترمذي: كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم، رقم (٢٣١٢).

كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه»[1]، وهذا يدل على كثرتهم العظيمة.

والركن الثالث من أركان الإيمان: الإيمان بكتب الله هذا، كتب الله المنزلة نعرف منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وخاتمها القرآن الكريم المنزل على محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ورسله: جمع رسول، وهم الذين أرسلهم الله -تبارك وتعالى- إلى البشر، وهم من بني آدم، يلحقهم من العوارض الجسدية ما يلحق بني آدم، وكم من بني آدم فضلوا بما أعطاهم الله من النبوة والأخلاق والشمائل، نعرف منهم عددًا كبيرًا، ومنهم من لم نعلم، لم يقصه الله علينا، لكن يَكْفِينَا الإجمال أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ومن علمناه بعينه آمنا به بعينه.

واليوم الآخر: هو يوم القيامة، وسُمِّيَ آخرًا لأنه لا يوم بعده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ويدخل في الإيمان باليوم الآخر كل ما صح عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه أو نعيمه، لأن كل من مات فقد قامت قيامته. انتقل إلى اليوم الآخر.

ويدخل في ذلك: الإيمان بما يكون في ذلك اليوم من حشر العالم كلهم في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وما ذكر في ذلك اليوم من الميزان، وحوض النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، والصراط المنصوب على جهنم، والجنة والنار، وغير ذلك مما جاء به القرآن وصحت به السنة.

والقدر خيره وشره: القدر يعني: تقدير الله -عز وجل-، والله -تبارك وتعالى- قَدَّرَ كل شيء، قال الله -تعالى-: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٢).

ومراتب القدر أربع:

المرتبة الأولى: أن تؤمن بعلم الله -تعالى- المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، فإن الله -تعالى- عالم بكل شيء كان أم لم يكن، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال الله -تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

المرتبة الثانية: الكتابة، فإن الله -تعالى- كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، ودليل ذلك: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال -تعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، فما كتب في اللوح المحفوظ فلا بد أن يقع، كما جاء في الحديث: «**رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(١).

المرتبة الثالثة: أن تؤمن بعموم مشيئة الله -عز وجل-، وأنه ما في الكون من موجود ولا معدوم إلا بمشيئة الله، فهو الذي يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، حتى أفعالنا نحن كائنة بمشيئة الله.

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله، أي: بأن الله -تعالى- خالق كل شيء، وأن له مقاليد السماوات والأرض، حتى أعمال العباد مخلوقة لله -عز وجل-، قال الله -تعالى-: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

هذه المراتب الأربع لا بد من الإيمان بها، فمن نقص منها مرتبة واحدة لم يتم إيمانه بالقدر. **وقوله: «خيره وشره»** إذا قال قائل: إذا كان القدر من الله

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧)، الترمذي: كتاب صفة القيامة، بابٌ، رقم (٢٥١٦).

كيف يكون فيه شر؟ فالجواب: أن الشر ليس في تقدير الله، ولكن فيما قدره الله، أي: في المقدورات، أما قدر الله لها بالشر فإنه لحكمة بالغة، وبهذا الاعتبار يكون خيرًا.

***

(١٧) يقول السائل: ما هي العقيدة الإسلامية الصحيحة التي يتقبل الله بها صلوات المصلين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العقيدة الصحيحة للمسلمين التي يتقبل الله بها صلاة المصلين هي ما أجاب به النبي ﷺ جبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**».

هذه هي العقيدة الصحيحة التي يتقبل الله بها من المسلمين، وتتضمن هذه العقيدة تمام القبول والانقياد، وذلك بأن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وحينئذٍ يكون مسلمًا تصح منه الصلاة وسائر العبادات.

***

(١٨) يقول السائل: ما هي العروة الوثقى؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العروة الوثقى هي الإسلام، وسميت عروة وثقى لأنها توصل إلى الجنة.

***

(١٩) يقول السائل: إذا أخل المسلم بركن واحد من أركان الإيمان الستة، فما الحكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا أخل بركن من أركان الإيمان الستة جحدًا وتكذيبًا فهو كافر، وأما إذا كان عن تأويل -كالذين أنكروا مسائل في باب القدر- فهذا لا يكفر، لأنه مُتَأَوِّلٌ لكن أحيانًا يكون التأويل بعيدًا، وأحيانًا يكون التأويل قريبًا.

***

(٢٠) يقول السائل: ما الفرق بين الإسلام، والإيمان، والإحسان؟ وإذا أقام الشخص الإسلام وترك الباقيات هل نكفره أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الفرق بين هذه الثلاثة بَيَّنَه النبي -عليه الصلاة والسلام- حين سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال له: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**»، وسأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»، فسأله عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)]، هذا هو الفرق.

ومن ترك واحدًا من ذلك ففيه تفصيل: من ترك الشهادتين فلم يشهد أن لا إله إلا لله وأن محمدًا رسول الله، فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين، ومن أتى بالشهادتين لكن ترك الصلاة فهو كافر على القول الراجح، والأدلة على ذلك كثيرة تمر بنا كثيرًا في هذا البرنامج، ومن ترك الزكاة، أو الصيام، أو الحج فإنه لا يكفر على القول الراجح، لقول عبد الله بن شقيق: «**كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**»[(٢)].

وأما الإيمان: فأركانه ستة، إذا أنكر واحدًا منها كفر لو لم يؤمن بالله فهو كافر، أو بملائكته فهو كافر، أو بكتبه فهو كافر، أو برسله فهو كافر، أو باليوم الآخر فهو كافر، أو بالقدر فهو كافر.

وأما الإحسان فهو كمال: إن أتى به الإنسان فلا شك أنه أكمل، يعني: صلى كأنه يرى ربه فإن لم يكن يراه فإن الله -تعالى- يراه، فالإحسان كمال وفضل.

أما الإيمان فترك واحد من أركانه كفر، والإسلام فيه التفصيل.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢٢).

(٢١) تقول السائلة: **كيف يعلم الشخص أنه وصل إلى درجة الإيمان؟ لأن عندي إحدى الأخوات تقول بأنها مؤمنة وإيماني قوي، كيف يعلم الإنسان بأن إيمانه قوي؟ وما هي الشروط التي تجعل المؤمن قوي الإيمان؟ وهل يعلم الإنسان إذا كان إيمانه قويًّا أو ضعيفًا؟ أرجو توضيح ذلك مأجورين؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان أعلى مرتبة من الإسلام، والإنسان يعلم أنه مؤمن بما يكون في قلبه من الإقرار الجازم بما يجب الإيمان به، وهو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبما يكون لهذا الإيمان من النتائج، وهي الإنابة إلى الله -عز وجل- بفعل الطاعات، والتوبة إليه من المعاصي، ومحبة الخير للمؤمنين، ومحبة النصر للإسلام، وغير ذلك من موجبات الإيمان التي تدل دلالة واضحة على أن الإنسان مؤمن.

ويمكن أن يعلم الإنسان أنه مؤمن، بأن يطبق أحواله وأعماله على ما جاءت به السنة مثل: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١].

فلينظر: هل هو يحب لأخيه ما يحب لنفسه، أو يحب أن يستأثر على أخيه ولا يهتم بشأنه، أم ماذا؟

وفي المعاملة: هل هو ناصح في معاملته لإخوانه، أو غاشٌّ لهم؟ لأن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢]. وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من غش فليس منا**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة، رقم (٥٧)، مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

ولننظر أيضًا: هل هو حَسَنُ الجوار بجيرانه، أو على خلاف ذلك؟ لأن حُسْنَ الجوار من علامات الإيمان؟ قال النبي ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»(٢). وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»(٣)، إلى غير ذلك من الأحاديث التي يعرف بها الإنسان ما عنده من الإيمان قوة وضعفًا.

فالإنسان العاقل البصير يَزِنُ إيمانه بما يقوم به من طاعة الله واجتناب معصيته، ومحبة الخير لنفسه وللمسلمين.

وأما قول القائل: أنا مؤمن وإيماني قوي، فهذا إن قاله على سبيل التزكية لنفسه فقد أساء، لقول الله -تعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وإن قالها على سبيل التحدث بنعمة الله، وتشجيع غيره على تقوية إيمانه، فلا حرج عليه في ذلك، ولا بأس به.

والإنسان يعرف قوة الإيمان -كما ذكرنا آنفًا- بآثاره التي تترتب عليه، ومتى قوي إيمانه صار الإنسان كما أنه يشاهد علم الغيب الذي أخبر الله عنه، بحيث لا يكون عنده أدنى شك فيما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب.

***

(٢٢) يقول السائل: ما الفرق بين المسلم والمؤمن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإسلام والإيمان يُذكران جميعًا ويذكر أحدهما منفردًا عن الآخر، فإذا ذُكِرَا جميعًا اختلف معناهما، وكان الإيمان للأعمال الباطنة والإسلام للأعمال الظاهرة، ودليل ذلك حديث عمر بن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»، رقم (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه، رقم (٦٠١٦)، مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم (٤٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٦٠١٩)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (٤٧).

الخطاب ﷺ حين جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الإسلام، فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام»**، ثم سأله عن الإيمان، فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[(١)].

ففرق بين الإيمان والإسلام، فجعل الإسلام هي الأعمال الظاهرة التي هي: قول اللسان وعمل الجوارح، وجعل الإيمان الأعمال الباطنة التي هي: إقرار القلب، واعترافه، وإيمانه، ولهذا قال الله -عز وجل- عن الأعراب: ﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٤]، فجعل الله -تعالى- الإيمان في القلب، وبيَّنَ في هذه الآية الكريمة أن الإيمان أعلى رتبة من الإسلام، لأن الإسلام يكون من المنافق ومن المؤمن حقًّا، وفي هذه الحال نقول: إن الإيمان أعلى مرتبة من الإسلام.

أما إذا أفرد أحدهما عن الآخر فإنهما يكونان بمعنى واحد، كقول الإنسان: أنا مؤمن، كقوله: أنا مسلم ولا فرق، ولكن إذا قال: أنا مؤمن، فإنه يجب عليه أن يكون الباعث له على هذه المقالة التحدث بنعم الله -عز وجل-، أو الإخبار المحض المجرد، لا أن يكون الحامل له على ذلك تزكية نفسه وإعجابه بها وافتخاره على غيره، فإن ذلك من الأمور المحرمة.

***

(٢٣) يقول السائل: ما الفرق بين المسلم والمؤمن وفقكم الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإسلام والإيمان يتفقان في المعنى إذا افترقا في اللفظ، بمعنى: أنه إذا ذكر أحدهما في مكان دون الآخر فهو يشمل الآخر،

---

(١) تقدم تخريجه.

وإذا ذُكِرَا جميعًا في سياق واحد صار لكل واحد منهما معنى، فالإسلام إذا ذكر وحده شمل كل الإسلام، شرائعه، ومعتقداته، وآدابه، وأخلاقه، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وكذلك المسلم إذا ذُكِرَ هكذا مطلقًا فإنه يشمل كل من قام بشرائع الإسلام من معتقدات، وأعمال، وآداب، وغيرها.

والإيمان كذلك: فالمؤمن مقابل الكافر، فإذا قيل: إيمان ومؤمن بدون قول الإسلام معه فهو شامل للدين كله، أما إذا قيل: إسلام وإيمان في سياق واحد فإن الإيمان يفسر بأعمال القلوب وعقيدتها، والإسلام يفسر بأعمال الجوارح.

ولهذا قال النبي ﷺ في جوابه لجبريل: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**» إلى آخر أركان الإسلام، وقال في الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه**»[(١)] إلى آخر أركان الإيمان المعروفة.

ويدل على هذا الفرق قوله -تعالى-: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]، وهذا يدل على الفرق بين الإسلام والإيمان، فالإيمان يكون في القلب، ويلزم من وجوده في القلب صلاح الجوارح، لقول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[(٢)] بخلاف الإسلام فإنه يكون في الجوارح، وقد يصدر من المؤمن حقًّا، وقد يكون من ناقص الإيمان.

هذا هو الفرق بينهما، وقد تبين أنه لا يفرق بينهما إلا إذا اجتمعا في سياق واحد، وأما إذا انفرد أحدهما في سياق فإنه يشمل الآخر.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، مسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩).

(٢٤) يقول السائل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤] يقول: أيهما أولى: الإسلام أم الإيمان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان أكمل، ولهذا قال الله -تعالى- في هذه الآية: ﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] يعني: لم يدخل بعدُ الإيمان في قلوبكم، ولكنه قريب من الدخول.

ولكن إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وإذا ذكر الإيمان وحده فقيل: مؤمن وكافر، فإن الإيمان يشمل الإسلام، أما إذا ذُكرا جميعًا -كما في آية الحجرات- فإن الإيمان في القلب، والإسلام في الجوارح، والإيمان أكمل.

***

(٢٥) يقول السائل: بعض الناس يقدمون المعونات المادية لبعض المساكين، ويكتفون بذلك ولا يؤدون فرائض الله -تعالى- كالصلاة والصوم وغيرهما، ويدَّعُون أنهم يعملون الصالحات، وأنهم خيرٌ عند الله من الذين يؤدون فرائض الله ثم يذنبون، وأنهم سيدخلون الجنة بما قدموا من حسناتٍ ماديةٍ قبل الذين يؤدون الفرائض، وربما حُرِّمَت على الذين يؤدون الفرائض ويذنبون، وهم لا يُحْرَمُون منها لأنهم أيضًا بيض القلوب غير مذنبين، فما الحكم في مثل هؤلاء أينما كانوا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحكم في هؤلاء أنه إذا كان الواحد منهم يَدَّعِي أنه غير مذنب فإننا نقول: أي ذنبٍ أعظم من ترك الصلاة وشعائر الإسلام؟ وما أنفقوه على الناس من سد الحاجات، وإعانة المحتاج، وإصلاح الطرق وغيرها، كل هذا لا ينفعهم، كل هذا هباءٌ منثور كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال

-تعالى-: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤]، فهؤلاء كل أعمالهم -ولو كانت متعديًا نفعها إلى الغير- كلها لا تنفعهم عند الله ولا تقربهم إليه، وهم إن ماتوا على ترك الصلاة ماتوا كفارًا مخلدين في النار، والعياذ بالله.

فعليهم أن يتوبوا إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأن يقوموا بما أوجب الله عليهم.

ودعواهم أن من قام بشرائع الإسلام ولم ينفق إنفاقهم فإنه يُحْرَم دخول الجنة وتكون الجنة لهم، هذه دعوى كاذبة، بل إن من قام بشرائع الإسلام، وحصل منه بخل في بعض ما أوجب الله عليه بذله، فإنه كغيره من أهل الذنوب والمعاصي تحت المشيئة، إن شاء الله -تعالى- عذبه، وإن شاء غفر له، فهذه التي قالها أولئك القوم دعوى باطلة كاذبة.

***

(٢٦) يقول السائل ر. غ. أ. من الرياض الديرة: **كثير من الناس لا يؤدون شرائع الإسلام، وإذا طُلب من أحدهم تأديتها قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهذا ما طُلب من الرسول تحصيله بالقتال، فإذا قالوا ذلك فقد عصموا منه دماءهم وأموالهم، ولذا يرددون: الإسلام مجرد النطق بكلمة التوحيد؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: هذا الفهم الذي فهمه هذا السائل وغيره خطأ عظيم فادح، حيث يظنون أن الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإنما هذا مفتاح الإسلام للدخول فيه، وأما الإسلام فإنه هذا مع الشرائع الأخرى، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»(١)، وقاتلهم أبو بكر

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، رقم (٢٥)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم (٢١).

رضي الله عنه، قاتل من منع الزكاة، ولما راجعه عمر في ذلك قال: **«الزكاة حق المال»**، والزكاة من حقوق الإسلام التي لا بد منها، وكذلك الصلاة، والحج، والصيام، لكن من هذه الحقوق ما يكون تركه كفرًا، كما في الصلاة التي ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- **«إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»**(١)، وأنها **«العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**(٢)، ومن حقوق الإسلام ما لا يكون تركه كفرًا بحسب ما تقتضيه النصوص الشرعية.

المهم أن الإسلام ليس مجرد النطق بالشهادتين، وكيف يكون مسلمًا من يقول: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهو لا يقوم لله ولا لرسوله ﷺ بالحق الواجب لهما؟ إذا كان يشهد ألا إله إلا الله فلماذا لا يقوم بحقه؟ لماذا لا يعبده؟ إذا كان يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله لماذا لا يقوم بحقه؟ لماذا لا يتبعه؟ فلا بد من عبادة الله، ومن اتباع رسول الله ﷺ، وإلا مجرد النطق بالشهادتين لا يكفي، المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولكنهم لا يأتون بأركان الإسلام، فلذلك لم يكونوا مؤمنين.

***

(٢٧) يقول السائل: ع. م: **أحيانًا يوسوس لي الشيطان: من خلق هذا؟ إلى أن يقول لي: من خلق الله -سبحانه وتعالى-؟ وأسهو كثيرًا وأحزن وأترك هذا الموضوع. أفيدوني بما أصرف به هذا الوسواس، وهل الوسواس يؤثر عليّ في حياتي؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الوسواس لا يؤثر عليك، وقد أخبر به النبي -عليه الصلاة والسلام- **«أن الشيطان يأتي للإنسان فيقول: من خلق**

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦)، الترمذي: كتاب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)، ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩).

كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟»[1]، وأعلمنا رسول الله ﷺ بالدواء الناجع، وهو: أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وننتهي عن هذا، فإذا طرأ عليك هذا الشيء وخطر ببالك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وانتهِ عنه وأعرض إعراضًا كُليًّا، وسيزول بإذن الله.

***

(٢٨) يقول السائل م. أ. م. ع: أنا مصري الجنسية وأعيش في ألمانيا، وقد حاول الكثير ممن أعرفه يدينون بالمسيحية، حاولوا استمالتي وترغيبي في دينهم، ولقلة معرفتي بدين الإسلام وعدم توفر القرآن عندي جعلني أحتار وأشك في أي الدينين هو الصحيح؟ وقد قرأت الإنجيل الذي أهدوه إلي ولم أجد فيه شيئًا يقبله العقل السليم ولا المنطق، مما يؤكد لي أنه مُحَرَّف وأنه غير صحيح، مما قوى إيماني بالله وتمسكي بديني الإسلام، وأخيرًا حصلت على نسخةٍ من القرآن الكريم وأخذت أقرأ فيها وفي بعض التفاسير، وزادني ذلك -والحمد لله- قوة إيمانٍ ويقين بأن دين الإسلام هو الدين الحق، وأخذت بعد ذلك أحاول معهم أن يعتنقوا دين الإسلام. فهل علي إثمٌ في حَيْرَتي الأولى؟ وبماذا تنصحونني أن أفعل نحو هؤلاء؟ كما أرجو إرشادي إلى من أجد عنده الكتب الدينية والقرآن بخطٍ واضح والتفاسير الصحيحة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الذي حصل لك أيها الأخ هو من نعمة الله عليك، حيث ثبتك الله -عز وجل- في حال الشبهة والتلبيس من هؤلاء، ولا ريب أن ما فتح الله به عليك من معرفة الحق ومعرفة الإنجيل المحرف خيرٌ ونعمة، ولهذا يسر الله لك حيث كنت تريد الحق، يسر الله لك هذه النسخة من القرآن الكريم، وكذلك التفاسير، وما حصل لك من الحيرة إبان دعوتهم إياك لا يضرك، ما دمت والحمد لله قد ثبت على دين الإسلام، ثم

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٦٧)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان، رقم (١٣٤).

ازددت يقينًا بما حصل لك من هذه النسخة من القرآن الكريم والتفاسير القيمة، فنرجو لك الثبات، ونرجو أن تمضي قُدُمًا في دعوة هؤلاء وغيرهم إلى دين الإسلام، ببيان صحته من الوجهة النقلية ومن الوجهة العقلية، فإنه الدين الحق الذي لا يشك فيه أي عاقلٍ منصف إذا علمه أنه حق، وحينئذٍ فاستمر في دعوتك إليه: **«ولأن يهدي الله بكَ رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم»**(١).

وأما ما ذكرت من إرشادك إلى من يكون عنده تفسير أو كتب دينية: فإننا نرشدك إلى الاتصال برئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، في الرياض، في المملكة العربية السعودية، وتطلب منها الكتب المناسبة، لعل الله ينفع بها من يطلع عليها.

***

(٢٩) يقول السائل أ. ع: أكثر الناس يحبون المال حبًّا شديدًا، فهل يؤثر ذلك على عقيدتهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن حب المال لا يؤثر على العقيدة ولا على الدين إذا لم يشغل عن واجب أو مستحب، فإن شغل عن واجب كان الاشتغال به حرامًا، وإن شغل عن مستحب كان الاشتغال بالمستحب أولى من الاشتغال بالمال، ولا بد أن يكون تصرف الإنسان بالمال على وفق الشريعة الإسلامية، فلا يعامل معاملة فيها ظلم أو ربًا أو غش، ولا يعامل الناس بدعوى ما ليس له أو بإنكار ما هو عليه.

وحب المرء للمال أمر طبيعي، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ١-٨] أي: لحب المال، كما قال -تعالى-:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم (٢٩٤٢)، مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٢٤٠٤).

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وإذا كانت محبة الإنسان المال من أجل أن ينميه ليعمل به عملًا صالحًا كان ذلك خيرًا، فإنه نِعْم المال الصالح عند الرجل الصالح، وكم من أناس أغناهم الله فنفع الله -تعالى- بأموالهم في الجهاد في سبيل الله، في نشر العلم، في إعانة الملهوف، إلى غير ذلك.

***

(٣٠) تقول السائلة م. أ. في رسالتها: عندما أقرأ القرآن تمر علي آيات الترغيب في الجنة وآيات الترهيب من النار، ولكني في قرارة نفسي أتأثر كثيرًا من آيات الترغيب في الجنة، ولكنني قليلة التأثر في الترهيب من النار، فهل في ذلك خلل أو نقص في العقيدة؟ رغم أنني -والحمد لله- مؤمنة بها، وأقيم الصلاة في أوقاتها. أفيدوني، بارك الله فيكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا ليس فيه خلل في العقيدة، ما دمت تؤمنين بأن ما أخبر الله به من الثواب والعقاب حق واقع لا محالة، فإن ذلك لا يؤثر في عقيدتك، وبعض الناس قد يكون في قلبه شيء من القسوة فلا يلين عند المواعظ، وبعض الناس ربما يتأثر من المواعظ دون بعض، باعتبار صفاء ذهنه في تلك الساعة، أو باعتبار إلقاء الواعظ، أو باعتبارات أخرى.

والحاصل أن الإنسان ما دام مؤمنًا بما أخبر الله به من الثواب والعقاب ولا شك عنده في ذلك فإن عقيدته سليمة، فلا يحزن ولا يخف.

۞۞۞

۞ توحيد الربوبية ۞

(٣١) يقول السائل ح. ع. أ: ما رأيكم في نشرة الأحوال الجوية، وكل التنبؤات الجوية التي نسمعها يوميًّا في نشرات الراديو، وفقكم الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن نزول المطر من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤]، فمن ادعى علم الغيب فيما ينزل من المطر في المستقبل فإنه كافر، لأنه مُكَذِّب لقول الله -تعالى-: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما من أخبر بنزول مطر، أو توقع نزول مطر في المستقبل، بناءً على ما تقتضيه الآلات الدقيقة التي تقاس بها أحوال الجو، فيعلم الخبيرون بذلك أن الجو مهيأ لسقوط الأمطار، فإن هذا ليس من علم الغيب، بل هو مستند إلى أمر محسوس، والشيء المستند إلى أمر محسوس لا يقال إنه من علم الغيب، والتنبؤات التي تقال في الإذاعات من هذا الباب، وليست من باب علم الغيب، ولذلك هم يستنتجونها بواسطة الآلات الدقيقة التي تضبط حالات الجو، وليسوا يخبرونك بأنه سينزل مطر بعد كذا سنة وبمقدار معين، لأن هذه الآلات لم تصل بعد إلى حدٍّ تدرك به ماذا يكون من حوادث الجو، بل هي محصورة في ساعات معينة، وقد تخطئ أحيانًا وقد تصيب، أما علم الغيب فهو الذي يستند إلى مجرد العلم فقط بدون وسيلة محسوسة، وهذا لا يعلمه إلا الله -عز وجل-.

وبهذه المناسبة أود أن أقول: إنه يجب أن يُعْلَمَ أن ما جاء في كتاب الله، أو فيما صح عن رسوله ﷺ من الأمور الإخبارية فإنه لا يمكن أبدًا أن يُكَذِّبَهَا الواقع، لأن الواقع أمر يقيني، وما جاء به كتاب الله، أو ما صح عن رسوله ﷺ فهو أيضًا أمر يقيني، إذا كانت دلالاته على مدلوله غير محتملة، ولا يمكن التعارض بين يقينيين، لأن اليقيني قطعي ولا تعارض بين قطعيين.

وعلى هذا فإذا وجدنا آيةً في كتاب الله ظاهرها كذا، ولكن الواقع يخالف الظاهر فيما يبدو لنا، فإنه يجب أن نعرف أن هذا الظاهر ليس هو ما أراده الله -عز وجل-، لأنه لا يمكن أبدًا أن يكون الواقع المحسوس مُكَذِّبًا للقرآن أبدًا، بل إن القرآن نزل من عند الله -عز وجل-، وهو العليم الخبير الصادق فيما يقول، فبعض الناس يظن أن هذه التنبؤات مخالفة لقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤] والحقيقة أنها لا تعارضها، لأنه كما أشرنا إليه إنما يعارضها لو كانوا يحكمون بهذه الأمور بمجرد العلم، ولكنهم يحكمونها بواسطة آلات محسوسة يتبين بها حال الجو، وهل هو مهيأ للأمطار أو ليس بمهيأ.

ومثل هذا ما نُقل أخيرًا من كونهم يعلمون ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، يعرفون أنه ذكر أو أنه أنثى، فإن بعض الناس يظن أنه معارض لقوله -تعالى-: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤]، وفي الحقيقة أنه إذا ثبت ذلك فإنه لا يعارض هذه الآية، لأن قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿ مَا ﴾ اسم موصول يقتضي العموم، وهو شامل لكل ما يتعلق بهذا الجنين، ومن المعلوم أن أحدًا لا يستطيع أن يَدَّعِي أنه يعلم أن هذا الجنين سيخرج حيًّا أو ميتًا، أو أنه إذا خرج حيًّا سيبقى مدة طويلة أو يموت بعد زمن قصير، أو أن هذا الجنين إذا خرج إلى الدنيا وعاش هل يكون غنيًّا أو فقيرًا، وهل يكون صالحًا أو فاسدًا، وهل هو شقي أو سعيد، ثم لا يدعي أحد أن يعلم هل هو ذكر أو أنثى قبل أن يُخلَّق وتتبين ذكورته وأنوثته.

فمتعلق العلم بما في الأرحام ليس خاصًا بالذكورة والأنوثة بعد أن يُخلَّق الجنين في بطن أمه، لأنه إذا خُلِّق فإنه يمكن أن يعلم به الملك الذي يوكّل بالأرحام يقول: أذكر أو أنثى؟ ويعلم أنه ذكر أو أنثى.

فتبين بهذا أن ما ذكر إذا صح أنهم استطاعوا أن يعرفوا كون الجنين ذكرًا أم أنثى، فإنه لا يعارض الآية، لِسِعَةِ متعلق علم ما في الأرحام، لأنه ليس خاصًّا بكونه ذكرًا أو أنثى.

***

(٣٢) يقول السائل م. ع. محاسب بالعراق من محافظة صلاح الدين: إلى فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين نرى في الآونة الأخيرة ما شاع عن حقيقة تحديد نوع المولود ذكر أم أنثى، وبهذا نسأل توصل علماء الطب في أمريكا واليابان إلى ذلك، فهل هذا حرام؟ وما علاقة الآية الكريمة التي يقول الله فيها -عز وجل- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال الذي ذكره السائل يحتمل أن يريد بقوله: نوع الذكورة والأنوثة، أي: العلم بأن هذا ذكر أو أنثى، ويحتمل أن يكون مراده تحديد نوع الذكورة والأنوثة، أي: العلم بأن هذا ذكر وأنثى، أن يجعلوا هذه الأنثى ذكرًا، أو أن يجعلوا الذكر أنثى.

أما الأول -وهو العلم بأن الجنين ذكر أو أنثى-: فهذا كما قاله السائل، قد اشتهر أنهم يعلمون ذلك، وهذا العلم لا ينافي ما جاءت به النصوص من كون الله -سبحانه وتعالى- يعلم ما في الأرحام، فإن الله -تعالى- يعلم ما في الأرحام بلا شك، ولا ينافي علمه بذلك أن يكون أحدٌ من خلقه يعلمه، فالله يعلم وكذلك غيره يعلم.

المعلوم الذي يتعلق بالجنين ينقسم إلى قسمين: الأول: قسم محسوس يمكن للخلق أن يعلموا به، كالذكورة والأنوثة، والكبر والصغر، واللون، وما أشبه ذلك، فهذا يكون معلومًا عند الله -عز وجل-، وعند من يتوصل إلى علمه بالوسائل الحديثة، ولا منافاة بين الأمرين.

وأما المعلوم الثاني للجنين: فهو المعلوم الذي ليس بمحسوس يدرك، وهو علم ماذا سيكون مآل هذا الجنين هل يخرج حيًّا أو ميتًا؟ وإذا خرج حيًّا هل يبقى طويلًا في الدنيا أو لا؟ وإذا بقي فهل يكون عمله صالحًا أم سيئًا؟ وإذا بقي فهل يكون رزقه واسعًا أو ضيقًا؟ وما أشبه ذلك من المعلومات

الخفية التي ليست بِحِسِيَّةٍ، فهذا النوع من العلوم المتعلقة بالجنين هذا لا يعلمه إلا الله، ولا يستطيع أحد أن يعلمه، ومن ادعى علمه فهو كاذب، ومن صدقه في ذلك فقد كَذَّبَ قول الله -عز وجل-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

أما الاحتمال الثاني ما يحمله سؤال السائل أنهم توصلوا إلى أن يجعلوا الذكر أنثى أو الأنثى ذكرًا، فهذا لا يمكن، لأن هذا يتعلق بخلق الله -عز وجل-، وهو الذي بيده التذكير والتأنيث، فلا يمكن لأحد من المخلوقين أن يجعل ما قدره الله ذكرًا أنثى، ولا يمكن أن يجعل ما قدره الله أنثى ذكرًا، يقول الله -عز وجل-: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]، وكذلك الآية التي ذكرها السائل: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩].

فالذي أقوله الآن: إن هذا أمر غير ممكن، وكما أنهم لا يستطيعون أن يجعلوا الذكر المولود أنثى والأنثى المولودة ذكرًا، فكذلك لا يمكنهم أن يجعلوا الجنين الذي قدره الله ذكرًا أن يجعلوه أنثى أو العكس، هذا ما أعتقده في هذه المسألة.

***

(٣٣) يقول السائل أ. ص: هل صحيح أن للأرض حركتين أم لا؟ وهل في ذلك آيات تدل عليه أم العكس؟ ثم أفيدوني أين توجد الجنة والنار؟ وهل هناك آيات دالة على ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن البحث في هذا من فضول العلم، وليس من الأمور العقدية التي يجب على الإنسان أن يحققها ويعمل بما تقتضيه الأدلة، ولهذا لم يُبَيَّنْ هذا الأمر في القرآن الكريم على وجهٍ صريح لا يحتمل الجدل،

فمن الناس من يقول: إن للأرض حركتين: حركة تختلف بها الفصول، وحركة أخرى يختلف بها الليل والنهار، ويقول: إن قول الله -تعالى-: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] يدل على ذلك، ووجه الدلالة عنده أن نفي الْمَيَدَان دليلٌ على أصل الحركة، إذ لو لم يكن أصل الحركة موجودًا لكان نفي الميدان لغوًا من القول لا فائدة منه، ويقول: إن هذا دالٌ على كمال قدرة الله، أن تكون هذه الأرض -وهي هذا الجرم الكبير- تتحرك بدون أن تميد بالناس وتضطرب، مع أن الله -عز وجل- إذا شاء حركها فحصلت الزلازل والخسوفات.

ومن العلماء من يقول: الأرض لا تتحرك، بل هي ثابتة، لقوله -تبارك وتعالى-: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] أي: تضطرب. ولقوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]، ولأن الله -تعالى- جعل الأرض قرارًا يَقَرُّ الناس عليه، وهذا ينافي أن تكون لها حركة.

وأيًّا كان هذا أو هذا فإن إشغال النفس بمثل ذلك ليس فيه كبير فائدة، فيقال: إن كانت تتحرك وهي في هذا القرار التام فهذا دليلٌ على تمام قدرة الله -عز وجل-، وإن كانت لا تتحرك فالله تعالى هو الذي خلقها وجعلها ساكنةً لا تتحرك، لكن الشيء الذي أرى أنه لا بد منه هو أن نعتقد أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وهي التي يكون بها اختلاف الليل والنهار، لأن الله -تعالى- أضاف الطلوع والغروب إلى الشمس، فقال -عز وجل-: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧] فهذه أربعة أفعال أضيفت كلها إلى الشمس: إذا طلعت، وإذا غربت، تزاور، تقرض، كلها أفعال أضيفت إلى الشمس، والأصل أن الفعل لا يضاف إلا إلى فاعله أو من قام به، أي: من قام به هذا الفعل، فلا يقال: مات زيدٌ ويراد مات عمرو، ولا يقال: قام زيدٌ ويراد قام

عمرو، فإذا قال الله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف: ١٧] فليس المعنى أن الأرض دارت حتى رأينا الشمس، لأنه لو كانت الأرض هي التي تدور وطلوع الشمس يختلف باختلاف الدوران ما قيل: إن الشمس طلعت، بل يقال: نحن طلعنا على الشمس، أو: الأرض طلعت على الشمس، وكذلك قال الله -تبارك وتعالى- في قصة سليمان: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ [ص: ٣٢] أي: الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ ولم يقل: حتى توارى عنها بالحجاب، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- لأبي ذر عند غروب الشمس: «**أتدري أين تذهب**»؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش**»(١) فأضاف الذهاب إلى الشمس.

فظاهر القرآن والسنة أن اختلاف الليل والنهار يكون بدوران الشمس على الأرض، وهذا هو الذي يجب أن نعتقده، ما لم يوجد دليلٌ حسيٌّ قاطع يسوغ لنا أن نصرف النصوص عن ظواهرها إلى ما يوافق هذا النص القاطع، وذلك لأن الأصل في أخبار الله ورسوله أن تكون على ظاهرها، حتى يقوم دليل قاطع على صرفها عن ظاهرها، لأننا يوم القيامة سنسأل عما تقتضيه هذه النصوص بحسب الظاهر، هذا هو الجواب عن السؤال الأول.

وأما قوله: أفيدوني أين توجد الجنة والنار؟ فالجواب عليه: الجنة في أعلى عليين، والنار في سجين، وسجين في الأرض السُّفْلَى، كما جاء في الحديث: «**الميت إذا احتضر يقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى**»(٢) وأما الجنة فإنها فوق في أعلى عليين، وقد ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: « **إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن**»(٣)، جعلنا الله -تعالى- من أهلها.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، رقم (٣١٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين، رقم (٢٧٩٠).

(٣٤) **يقول السائل**: فضيلة الشيخ تعلمون -وفقكم الله- أن الملاحدة منذ زمن قديم يبثون شبهاتهم حول الإسلام، ويَدْعُون لأفكارهم الفاسدة، ومن تلك الأفكار أن الكون أوجد نفسه، ثم ما زال يتطور حتى كان كما هو عليه الآن، واستدلوا على هذا بالميكروبات والطفيليات التي تتكون في الأشياء المتعفنة من غير أصل لها، فبماذا نرد على هذه الطائفة لدحض حجتهم الزائفة وشبهاتهم الباطلة؟ جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نرد على هؤلاء بما ذكره الله -تعالى- في سورة الطور: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، فنسألهم أولًا: هل هم موجودون بعد العدم، أو موجودون في الأزل وإلى الا بد؟ والجواب بلا شك أن يقولوا: نحن موجودون بعد العدم، كما قال الله -تعالى-: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١].

إذا قالوا: نحن موجودون بعد العدم، قلنا: من أوجدكم؟ أوجدكم أبوكم، أو أمكم، أو وُجِدْتُم هكذا بلا مُوجِد؟ سيقولون: لم يوجدنا أبونا ولا أمنا، لأن الله -تعالى- يقول: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٦١].

إذا قالوا: وجدنا من غير موجد، نقول: هذا مستحيل عقلًا، لأنه ما من حادث إلا وله مُحْدِثٌ، وحينئذٍ يتعين أن يكون حدوثهم بِمُحْدِثٍ، وهو الله -عز وجل- الواجب الوجود.

وكذلك يقال في السموات والأرض: نقول: من أوجد السموات والأرض؟ الله -عز وجل-، لكن السموات والأرض كانت ماءً تحت العرش، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧] فخلق الله -عز وجل-

السموات والأرض من هذا الماء، قال الله -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي: فصلنا ما بينهما ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فهذا جواب على هؤلاء الملاحدة، فإن أَبوا إلا ما كانوا عليه فهم مكابرون، ويحق عليهم قول الله -تعالى- في آل فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

***

(٣٥) يقول السائل أ. أ. سوداني مقيم بالعراق في رسالته: عرفنا من القرآن الكريم أن الله -سبحانه وتعالى- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] **ولكن أريد أن أعرف منكم ما البعد بين كل سماء؟ وهل هناك سُمْكٌ لكل سماء؟ أفيدونا بذلك مأجورين؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على ذلك أن السموات كما ذكر السائل سبع، جعلهنّ الله تعالى طباقًا، وجعل بينهن مسافات، ويدل لذلك حديث المعراج الثابت في الصحيحين وغيرهما: «**أن جبريل -عليه الصلاة والسلام- جعل يعرج بالنبي ﷺ من سماء إلى سماء، ويستفتح عند دخول كل سماء، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، وبلغ ﷺ موضعًا سمع فيه صريف الأقلام، ووصل إلى سدرة المنتهى**»(١)، وكذلك الأَرَضُون هي سبع، كما يشير إلى ذلك قوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، والمثلية هنا ليست في الصفة، لأن ذلك من المعلوم بالضرورة، ولكنها مثلية في العدد، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين في قول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**من اقتطع شبرًا من الأرض طوقه يوم القيامة من**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٩)، مسلم: كتاب كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم (١٦٢).

سبع أرضين»[١]. وهذا يدل على أن الأرضين متطابقة أيضًا، وأن بعضها تحت بعض.

وأما بُعْد ما بين كل سماء والأخرى: فقد ورد في ذلك حديث عن رسول الله ﷺ: «**بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «**فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ وَمَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ**»[٢] وأن «**نَضَدُ كُلِّ سَمَاءٍ -يَعْنِي غِلَظَهُ- خَمْسُمِائَةِ عَامٍ**»[٣]، والعلم عند الله -تبارك وتعالى-.

۞۞۞

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٠).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحديد، رقم (٣٢٩٨).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العَظَمَةِ (٢/ ٥٦٥).

❁ الشهادتان ❁

(٣٦) تقول السائلة من الأردن: يا فضيلة الشيخ محمد ما هي شروط لا إله إلا الله؟ وضحها لنا يا شيخ، جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا تحتاج إلى شروط تُوَضَّحُ، واضحة بنفسها، لا إله إلا الله يعني: لا معبود حق إلا الله، يجب أن يشهد الإنسان بذلك، بقلبه، ولسانه، وجوارحه.

أولا: بقلبه: يعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا معبود حق إلا الله، وأن جميع ما يعبد من دون الله فهو باطل، كما قال -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

ثانيًا: أن يقول ذلك بلسانه: ما دام قادرًا على النطق، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**حتى يشهدوا ألا إله إلا الله**»(١) فلا بد من النطق لمن كان قادرًا عليه، أما الأخرس فيكتفى باعتقاد قلبه.

ثالثًا: لا بد من تحقيق هذه الكلمة، وذلك بالعمل بمقتضاها، بأن لا يعبد إلا الله، وأن لا يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، فمن أشرك بالله ولو شركًا أصغر فإنه لم يحقق معنى قول: لا إله إلا الله، ومن تابع غير الرسول -عليه الصلاة والسلام- مع مخالفته للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإنه لم يحقق معنى لا إله إلا الله، ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يكتفي بقول: لا إله إلا الله، حتى فيما يظن الإنسان أنه قالها غير مخلص بها، لحق أسامة بن زيد بن حارثة رجلًا مشركًا، فلما أدركه قال الرجل: لا إله إلا الله، فظن أسامة أنه قال ذلك خوفًا من القتل، فقتله، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لأسامة: «**أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله**»؟ قال: يا رسول الله إنما قالها

---

(١) تقدم تخريجه.

تعوذًا! فجعل يكرر الرسول ﷺ ويقول: «**ما تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**»؟ يقول: حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت من قبل.[(١)]

فلهذا نقول: لا بد من النطق بها باللسان، والعمل بمقتضاها بالأركان، والاعتقاد بمعناها ومدلولها في الْجَنَان، أي: في القلب.

***

(٣٧) يقول السائل ع. أ. من السودان: ما هي شروط كلمة التوحيد لا إله إلا الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا بد أن نعرف أولًا معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فمعناها: لا معبود حقٌّ إلا الله، فكل ما عبد من دون الله من ملكٍ، ونبي، وولي، وشجرٍ، وحجر، وشمسٍ، وقمر باطل، لقوله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] هذا معنى هذه الكلمة العظيمة.

وهي مبنية على ركنين: نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله، وإثباتها لله، فباجتماع النفي والإثبات يتحقق التوحيد، ووجه ذلك أن النفي المحض الذي لا يقترن بإثباتٍ هو عدم، وأن الإثبات المحض الذي لا يقترن بالنفي إثباتٌ لا يمنع المشاركة، فلا يتحقق التوحيد إلا بإثبات ونفي، نفي الحكم عما سوى من أُثْبِتَ له، وإثباته لمن أثبت له، وهذان الركنان هما الأصل.

أما شروطها: فلا بد أن تكون صادرةً عن يقين وعلم، يقين لا شك معه، وعلم لا جهل معه، ولا بد لها من شروطٍ لاستمرارها: كالعمل بمقتضاها حسب ما تقتضيه الشريعة، وأما مجرد القول باللسان بدون اعتقادٍ وإيقان فإن ذلك لا ينفع، فنشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٣٨) **يقول السائل**: **كيف يكون المسلم محققًا لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قولًا وعملًا واعتقادًا بحيث يضمن لنفسه النجاة من الخلود في النار؟ وجهونا في ضوء هذا السؤال.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يفهم الإنسان معناها أولًا، ثم يعمل بمقتضى هذا العلم، فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود حق إلا الله، وليس معناها لا إله موجود إلا الله، بل المعنى: لا إله حق إلا الله، لأن من المخلوق ما عبد من دون الله وسُمِّيَ إلهًا، كما قال -تعالى-: ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [هود: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الإسراء: ٣٩] وقال المشركون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص: ٥] لكن هذه الآلهة ليست حقًّا، بل هي باطل، لقول الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وإذا كان لا معبود حق إلا الله وجب على الإنسان أن يجعل العبادة كلها عقيدة وقولًا وعملًا لله -تعالى- وحده، وإذا كان هذا معنى لا إله إلا الله فلا يمكن أن يحققها الإنسان حتى يعمل بمقتضاها، بمعنى: أن لا يعبد إلا الله، فلا يتذلل ولا يخضع لأحد على وجه التعبد والتقرب والإنابة إلا لله -عز وجل-.

ومقتضى هذا أيضًا أن لا يعبد الله إلا بما شرع، لأن الله هو الإله الحق، وما سواه فهو الباطل، وعلى هذا فلا يعبد الله إلا بما شرع على أيدي الرسل - عليهم الصلاة والسلام -.

ولا بد أيضًا لتحقيق شهادة أن لا اله إلا الله من الكفر بما سوى الله -عز وجل- من الآلهة، حتى يتحقق له الاستمساك بالعروة الوثقى، قال الله -تعالى-: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال الله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] فلا بد لتحقيق شهادة أن لا

إله إلا الله من اجتناب الطاغوت، وهو: كل ما عبد من دون الله -عز وجل-، أو تحاكم إليه من دون الله.

***

(٣٩) يقول السائل: أحسن الله إليكم هناك من يقول بأن شروط لا إله إلا الله السبعة أو الثمانية التي وُضِعَتْ لا يصح أن نسميها شروطًا، لأن التعريف ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود. يقول: فهذه الشروط تلزم كل إنسان، ومتى اختل واحد من هذه الشروط اختلت هذه الشروط. وقيل بأن الأصح أن يقال: من لوازم لا إله إلا الله، لأن اللازم ليس مثل الشروط، فما رأيكم في ذلك مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رأينا في هذا أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بين أعظم بيان ﷺ، سأله أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال: **لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[1]، فإذا قال الإنسان: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، وقام بلوازم هذه الشهادة العظيمة فإنه مسلم، وأما من قالها غير مخلص في قلبه، كالمنافقين الذين يقولونها اتقاءً ورياءً فإنها لا تنفعه، ومن قالها ولم يلتزم ببعض الشرائع فإن قوله إياها ناقص بلا شك، لأن تركه بعض شرائع الإسلام يُضْعِفُ توحيده، وربما ينتفي عنه التوحيد كله، حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية.

***

(٤٠) يقول السائل س. ع. مصري: فضيلة الشيخ هل الكبار الذين يجهلون معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله مسلمون؟ وما هي شروط كلمة التوحيد وواجباتها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذين يقولون: لا إله إلا الله يجب أن يَعْرِفُوا معناها، وأنه لا معبود حق إلا الله، وأن كل ما يعبد من دون الله فهو باطل،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

لقول الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وشروط كلمة التوحيد لا إله إلا الله: أن يقولها الإنسان بلسانه نطقًا لا بقلبه، وأن يقولها طائعًا مختارًا.

ويشترط أيضًا: أن يقوم بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، ومن أهم ما يقوم به الصلاة، لأن من ترك الصلاة فهو كافر ولو قال: لا إله إلا الله.

ثم إن هذه الكلمة إذا قالها الإنسان وهو يفهم معناها فإنها تستلزم أن يقوم بطاعة الله -عز وجل-، لأن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهذا يقتضي أن يعبد هذا الإله الحق على الوجه الذي أمر به مخلصًا له الدين، مُتَّبِعًا لخاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(٤١) يقول السائل ع. أ: في كلمة الإخلاص شروط وأركان، فإذا لم يأت بها المسلم كاملة، فهل يكون قد أدى حقيقتها؟ أرجو الإفادة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كلمة الإخلاص هي قول: لا إله إلا الله، ولا يكفي أن يقولها الإنسان بلسانه، لأن المنافقين يقولون ذلك بألسنتهم كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]، ولكن لا بد من أن يكون الإنسان معتقدًا لمعناها في قلبه، مؤمنًا بها، قائمًا بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، وهو: التعبد لله وحده لا شريك له، بحيث لا يشرك معه في عبادته ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا، ولا سلطانًا حاكمًا، ولا غير ذلك من مخلوقات الله -عز وجل-، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتكفير في أمور تقع ممن قال: لا إله إلا الله، مثل كفر تارك الصلاة، فإن من ترك الصلاة كسلًا وتهاونًا يكفر، كما

دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وكلام الصحابة رضي الله عنهم، والمعنى الصحيح بل والنظر الصحيح.

وهذه مناسبة لما وعدنا به سابقًا من أننا سنتكلم بإسهاب عن حكم تارك الصلاة، حيث بَيَّنا فيما سبق أن كفر تارك الصلاة تهاونًا وكسلًا هو مقتضى دلالة الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح، وأن ما خالف ذلك لا يخلو من واحد من أمور خمسة: إما ألا يكون فيه دلالة أصلًا، وإما أن يكون وقع من قوم معذورين بجهلهم، وإما أن يكون مُقَيَّدًا بقيد يمتنع معه أن يترك الصلاة، وإما أن يكون ضعيفًا، وإما أن يكون عامًّا لكنه مخصوص بأدلة تكفير تارك الصلاة.

وبَيَّنا أيضًا فيما سبق بأن المراد بترك الصلاة تركها بالكلية، وأما من كان يصلي ويخلي، أي: يصلي أحيانًا ويدع أحيانًا فإنه لا يكفر.

نحن الآن نسوق ما تيسر لنا من الأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة: فمن ذلك قوله -تبارك وتعالى- عن المشركين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، فإن هذه الآية الكريمة شرطت لثبوت الأخوة في الدين من المشركين ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يتوبوا من الشرك.

والشرط الثاني: أن يُقِيموا الصلاة.

والشرط الثالث: أن يؤتوا الزكاة.

ومن المعلوم أن ما رُتب على شرط فإنه يتخلف بتخلف هذا الشرط، فإذا لم يتوبوا، ولم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة فليسوا إخوانًا لنا في الدين، ولا تنتفي الأخوة الدينية إلا بكفر مخرج عن الإيمان، أما مجرد المعاصي -وإن عظمت- إذا لم تصل إلى حد الكفر، فإنها لا تخرج الإنسان من الإيمان، ودليل ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ

بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فجعل الله القاتل والمقتول أخوين، مع أن القاتل أتى ذنبًا عظيمًا، توعد الله عليه بوعيد شديد في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال الله -عز وجل-: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، فأثبت الله الأخوة بين الطائفتين المقتتلتين وبين الطائفة المصلحة بينهما، مع أن قتال المؤمن من أعظم الذنوب.

فإذا تبين أن الأخوة الإيمانية لا تنتفي بكبائر الذنوب التي دون الكفر، فإن انتفاءها يدل على أن من حصل منه ما يوجب هذا الانتفاء، دليل على أنه كافر، فإن قال قائل: ما تقولون فيمن تاب من الشرك وأقام الصلاة ولم يؤت الزكاة؟ أَتُكَفِّرُونه كما تقتضيه الآية، أم لا تكفرونه؟ قلنا: لا نكفره، لأن لدينا منطوقًا يدل على أنه ليس بكافر، والمنطوق عند العلماء مقدم على المفهوم، هذا المنطوق ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»(١)، فإن هذا الحديث يدل على أن من لم يؤدِّ الزكاة لا يكفر، لأن قوله: «**ثم يرى سبيله: إما إلى النار أو الجنة**» دليل على أنه قد يدخل الجنة، ولا يمكن أن يدخل الجنة مع كفره، وعلى هذا فيبقى القَيْدُ في التوبة من الشرك وإقام الصلاة قيدًا معتبرًا لا معارض له،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

بخلاف قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فإن مفهومه عورض بمنطوق الحديث الذي ذكرت، فحينئذٍ لا يكون ترك الزكاة والبخل بها مُكَفِّرًا مخرجًا عن الإسلام، على أن من العلماء من قال: إن تارك الزكاة الذي لا يؤديها كافر، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، ولكن الذي تقتضيه الأدلة أنه لا يكفر، ونحن بحول الله لا نعدو ما دلت الأدلة عليه سلبًا ولا إيجابًا.

وأما دلالة السنة على كفر تارك الصلاة: ففيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»**(١)، فجعل ترك الصلاة هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان، أو بين الشرك والإيمان، ومن المعلوم أن الحد فاصل بين محدودين لا يدخل أحدهما في الآخر، ويدل لهذا أن لفظ الحديث: **«بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»**. فقال: **«والكفر»**، ولم يقل ﷺ: ترك الصلاة كفر، حتى يمكن أن يحمل على كفر دون كفر، ولكنه عرفه بأل، الدالة على حقيقة الكفر، وقد أشار إلى هذا الفرق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم).

أما الحديث الثاني: فهو ما رواه أهل السنن عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»**(٢)، فجعل النبي ﷺ الصلاة الحد الفاصل بين المسلمين والكفار، ومن المعلوم أن الحد يخرج كل محدود عن دخوله في الآخر.

أما كلام الصحابة رضي الله عنهم: فقد حَكى إجماعهم على كفر تارك الصلاة عبد الله بن شقيق رحمه الله، وهو تابعي مشهور قال: **«كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»**(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وقد حكى إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة إسحاق بن راهويه الإمام المشهور، وحكاه غيره أيضًا.

وأما النظر الصحيح الذي يقتضي أن تارك الصلاة كافر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة: فإنه لا يمكن لمؤمن -بل لا يمكن لمن في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان- أن يعلم شأن الصلاة وعظمها ومنزلتها عند الله -عز وجل- ثم يحافظ على تركها، هذا من المحال أن يكون في قلبه شيء من الإيمان، وعلى هذا نقول: إن من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل إيمان لا يمكن أن يترك الصلاة تركًا مطلقًا وهو يعلم ما لها من المنزلة العظيمة في دين الإسلام.

وأما الأدلة التي استدل بها من قال: إنه لا يكفر، فقد أشرنا إلى أنها لا تخلو من واحد من خمسة أمور، كما صدرنا ذلك في كلامنا هذا، وإذا تبين قيام الدليل السالم عن المعارض المقاوم فإنه يجب الأخذ بمقتضاه، وإننا حين نحكم بالكفر على من دلت الأدلة على كفره لم نتجاوز ولم نتعد، لأن الحكم بالتكفير أو عدم التكفير إلى الله -عز وجل-، كما أن الحكم بالتحليل، والتحريم، والإيجاب، والاستحباب إلى الله -عز وجل-، ولا لوم على الإنسان إذا أخذ بما تقتضيه الأدلة من أي حكم من الأحكام، وعلى كل مؤمن أن يأخذ بما تقتضيه الأدلة من أي وصف كان، ولأي موصوف كان، وألا يجعل النزاع سببًا موجبًا للتخلي عن مدلول الكتاب والسُّنَّة وغيرهما من الأدلة، لقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وقال -تعالى-: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠].

فإن قال قائل: إذا قلت بتكفير تارك الصلاة حصل في ذلك ارتباك وتشويش وتكفير لكثير من الناس؟

فالجواب عن ذلك أن نقول: إننا إذا قلنا بمقتضى الأدلة الشرعية فإنه لن

يكون من جراء ذلك إلا ما فيه الخير والصلاح، لأن الناس إذا علموا أن ترك الصلاة كفر مخرج عن الملة ورِدَّة كبرى، فإنهم لن يتجرؤوا على ترك الصلاة، بل سيكون ذلك حافزًا له على القيام بها على الوجه المطلوب منهم، ولكننا إذا قلنا: إنه ليس بكفر وإنما هو فِسْقٌ، فإنهم يتهاونون بها أكثر مما قلنا لهم ذلك إنه كفر، ونحن لا نقول: إنه كفر، من أجل أن نحثَّ الناس على فعل الصلاة، ولكننا نقول: إنه كفر، من أجل دلالة الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة على ذلك.

وأما قول هذا القائل الذي يقول: إنك إذا حكمت بكفر تارك الصلاة فإنك بهذا توقع الإرباك والتذبذب، وتخرج كثيرًا من الناس عن الملة الإسلامية.

أقول: ما قول هذا القائل إلا كقول من قال: إنك إذا قطعت يد السارق أصبح نصف الشعب مقطوعًا.

فإننا نقول لهذا: إنك إذا قطعت يد السارق فسيقل السراق قلة كبيرة، لأن السارق إذا علم أن يده ستقطع فإنه لن يقدم على السرقة.

وما مثل هذا وهذا إلا كمثل من يقول: إنك إذا قتلت القاتل المستحق للقتل قصاصًا فإنك تضيف إلى قتل الأول قتل رجل آخر، وهذا يضاعف عدد المقتولين، فإننا نقول: إن هذه المقولة مقولة باطلة، أبطلها الله في قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فإن القاتل إذا علم أنه إذا قتل عمدًا سيقتل لن يقدم على القتل، فحينئذٍ يقل القتل عمدًا وعدوانًا.

والمهم أنه يجب على الإنسان العالم المتقي لله -عز وجل- أن يكون متمشيًّا مع الدليل حيث ما كان إيجابًا وسلبًا، وإصلاح الحال على الرب -عز وجل- الذي شرع هذا الذي أقدم عليه المفتي والحاكم، والله -عز وجل- لم يشرع لعباده إلا ما فيه صلاحهم وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، لا

يمكن أبدًا أن يُشَرِّعَ لعباده ما فيه مفسدة راجحة على مصلحة، كما قال الله -تعالى-: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وأنت إذا حكمت الناس بمقتضى شريعة الله لا بمقتضى واقعهم فإن الواقع سوف يتغير، حتى يتحول إلى مراد الله -عز وجل- في عباده فيما شرعه لهم.

يقول السائل: **في كلمة الإخلاص شروط وأركان، فإذا لم يأت بها المسلم كاملةً فهل يكون قد أدى حقيقتها؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قلنا: إنه لا يؤدي حقيقتها إذا لم يأت بشروطها ومقتضياتها اللازمة، فإنه ليس المراد من كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله أن يقولها بلسانه، بل لا بد أن يقولها بلسانه معتقدًا مدلولها بقلبه، قائمًا بما تقتضيه من واجبات وشروط وأركان.

***

(٤٢) يقول السائل أ. ص: **هل من قال: لا إله إلا الله، بدون أن يعمل أي عمل يدخل الجنة؟ أي: قالها بلسانه، لأنه يوجد حديث فيما معناه يقول: «وعزتي وجلالي لأُخْرِجَنَّ من النار كل من قال: لا إله إلا الله»**[1]**. والله أعلم، ولكم جزيل الشكر؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كلمة لا إله إلا الله كلمة عظيمة، لو وزنت بها السموات والأرض لرجحت بهن، ومعناها: لا معبود حق إلا الله، فكل ما يعبد من دون الله فهو باطل، لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]. والعبادة لا تختص بالركوع أو السجود، يعني: أن الإنسان قد

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤٢٥) بلفظ: «**إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**».

يعبد غير الله دون أن يركع له ويسجد، ولكن يقدم محبته على محبة الله، وتعظيمه على تعظيم الله، ويكون قوله أعظم في قلبه من قول الله، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رَضِي وإن لم يُعطَ سخط، تَعِسَ وانْتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ**»(١)، فَجَعَلَ للدينار عبدًا، وللدرهم عبدًا، وللخميصة عبدًا، الخميصة: الكساء، مع أن هؤلاء لا يعبدون الدرهم والدينار، لا يركعون له ولا يسجدون له، لكنهم يعظمونه أكثر من تعظيم الله -عز وجل-، وإلى هذا يشير قوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فهذه الكلمة كلمة عظيمة، فيها البراءة من كل شرك، وإخلاص الألوهية والعبادة لله -عز وجل-، فلو قالها بلسانه وقلبه فهو الذي قالها حقًّا، ولهذا قال أبو هريرة: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»(٢) وقال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في حديث عِتْبان بن مالك: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(٣)، فلا بد من الإخلاص.

وأمَّا مَنْ قالها بلسانه دون أن يوقن بها قلبه فإنها لا تنفعه، لأن المنافقين يذكرون الله ويقولون لا إله إلا الله، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] ويشهدون للنبي ﷺ بالرسالة، كما قال -تعالى-: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] فلن تنفعهم شهادة أن لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمدًا رسول الله، لأنهم

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو، رقم (٢٨٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

لم يقولوا ذلك عن قلب وإخلاص، فمن قال هذه الكلمة دون إخلاص فإنها لا تنفعه، ولا تزيده من الله -تعالى- إلا بعدًا. فنسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين الإيقان بها، والعمل بمقتضاها، إنه على كل شيء قدير.

***

(٤٣) يقول السائل س. م. من جمهورية مصر العربية: يوجد بعض الرجال يقولون لنا: قولوا: لا إله إلا الله تدخل الجنة، فإن رسول الله ﷺ يقول: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، قولًا بلا عمل فقط، فهل هم على صواب؟ أفيدونا وانصحونا بهذا مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليسوا على صواب، فإن المراد بقول: لا إله إلا الله، أن يقولها الإنسان بلسانه، معتقدًا مدلولها بقلبه، عاملًا بمقتضاها، ولهذا لو قال الإنسان: لا إله إلا الله، وجحد ولو حرفًا واحدًا من القرآن كان كافرًا، ولم تنفعه لا إله إلا الله، ومن قال: لا إله إلا الله، وترك الصلاة مثلًا كان كافرًا، ولم تنفعه لا إله إلا الله، لكن من قال: لا إله إلا الله، وكانت آخر كلامه، فإنه سيقولها مخلصًا لله بها وهو في هذه الحال، لا يستطيع أن يعمل أكثر من ذلك، فتكون مدخلة له الجنة.

***

(٤٤) يقول السائل: الذي ينطق بالشهادة قبل موته هل يدخل في قول الرسول ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»[(١)]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا قال: لا إله إلا الله، عند موته موقنًا بها قلبه فإنه يدخل في الحديث، ولكن ليعلم أن النصوص العامة فيما يدخل الجنة أو يدخل النار لا تطبق على شخصٍ بعينه إلا بدليل، فمثلًا: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[(٢)]. إذا علمنا أن هذا الرجل كان آخر كلامه

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧)، أبو داود: كتاب الجنائز، باب التلقين، رقم (٣١١٦).

(٢) تقدم تخريجه.

من الدنيا لا إله إلا الله فنحن نقول: يُرْجَى أن يكون من أهل الجنة، فالْمُعَيَّنُ لا تجزم له، وإنما قل: يرجى إذا كان في خير، أو يخشى إذا كان في شر، لأنه يفرق بين العموم والخصوص، نحن نشهد ونعلم ونوقن أن كل مؤمنٍ في الجنة، فهل نشهد لكل مؤمن بعينه أنه في الجنة؟ فالجواب: لا، لكننا إذا علمنا أنه مؤمن نرجو له أن يكون داخلًا في الجنة، نؤمن بأن الله -تعالى- يحب المؤمنين ويحب المحسنين، فلو رأينا رجلًا يُحْسِنُ ورأينا رجلًا مؤمنًا يقوم بالواجبات ويترك المحرمات فهل نشهد أن الله يحبه؟ فالجواب: لا، لأن التعيين غير التعميم، ولكن نقول: نشهد لكل مؤمن أن الله يحبه، ونرجو أن يكون هذا الرجل بعينه ممن يحبه الله -عز وجل-، وقد أشار البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه إلى نحو هذا فقال: بابٌ: لا يقال: فلان شهيد. وإن كان قتل في سبيل الله فلا تقل: إنه شهيد، واستدل لذلك بقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا إذا كان يوم القيامةِ جاء وجرحه يَثْعُبُ دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**»[1] فقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله**» إشارة إلى أنك لا تشهد للشخص المعين، بل قل: الله أعلم.

وخطب أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إنكم تقولون: فلان شهيد فلان شهيد، وما أدراك لعله فعل كذا وكذا؟ ولكن قولوا: من مات في سبيل الله، أو قتل فهو شهيد. ففرق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين التَّعْيِينِ والتَّعْمِيمِ.

***

(٤٥) يقول ع. أ. ك: أخبركم أني قرأت في كتاب (رياض الصالحين) عن الإمام المحدث الحافظ محيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي أحاديث كثيرة، ومنها: قال رسول الله ﷺ: «من قال في آخر حياته -يعني: عند موته، من

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٣).

قال-: لا إله إلا الله دخل الجنة»[١]، و«من مات له ثلاثة أولاد أو أقل قبل البلوغ دخل الجنة»[٢]، و«لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة»[٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله إلا أبعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا»[٤]، وقال رسول الله ﷺ في باب يقال له: باب الريان: «يدخل منه الصائمون»[٥]، فإذا كان ذلك من الأحاديث الصحيحة، فما بال آكل الربا، والزاني، والقاتل، والسارق، والكذاب؟ أفتوني بهذه المسألة؛ لأنني في حيرة جزاكم الله عني خير الجزاء.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال مهم، وهو موضع إشكال كما ذكره السائل، لأن ما ذكره من الأحاديث التي ترتب دخول الجنة على هذه الأعمال، يعارضها أحاديث كثيرة تدل على دخول النار لمن عمل أعمالًا أخرى، مع قيام صاحبها بهذه الأعمال الموجبة لدخول الجنة.

فجوابنا على هذا وأمثاله من الأحاديث، بل من النصوص، سواء من القرآن أو من السنة أن يقال: إن ذكر بعض الأعمال التي تكون سببًا لدخول الجنة ما هو إلا ذكر للسبب، وكذلك ذكر بعض الأحاديث التي ذكر فيها أن بعض الأعمال سبب لدخول النار ما هو إلا ذكر للسبب فقط، ومن المعلوم أن الأحكام لا تتم إلا بتوفر أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، فهذه الأعمال المذكورة هي سبب لدخول الجنة، لكن هذا السبب قد يكون له موانع، فمثلًا:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، رقم (١٣٨١).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات، رقم (١٩١٢).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله، رقم (١١٥٣).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٨٩٦)، مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥٢).

«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»، هذا إذا قالها على سبيل اليقين والصدق، فإذا قالها على سبيل النفاق -وهو بعيد أن يقولها على سبيل النفاق في هذه الحال- فإنها لا تنفعه، وهكذا « **من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الْحُلُمَ كانوا سِترًا له من النار**» هذا سبب من الأسباب، من أسباب وقاية النار، لكن قد يكون هناك موانع تمنع نفوذ هذا السبب، وهي الأعمال التي تكون سببًا لدخول النار، وإن هذه الموانع وتلك الأسباب تتعارضان، ويكون الحكم لأقواهما.

فالقاعدة إذًا أن ما ذكر من الأعمال مرتبًا عليه دخول الجنة ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بالنصوص الأخرى التي تفيد أن هذا لا بد له من انتفاء الموانع.

فلنضرب مثلًا: رجل من الناس كافر، ومات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الْحُلُم وصبر، فهل نقول: إن هذا الكافر يدخل الجنة ولا يدخل النار؟ فالجواب: لا.

كذلك في آكل الربا، وكذلك في آكل مال اليتيم، وكذلك في قتل النفس وغيرها، مما وردت فيه العقوبة بالنار، هذا أيضًا مقيد بما إذا لم يوجد أسباب أو موانع قوية تمنع من نفوذ هذا الوعيد، فإذا وجدت موانع تمنع من نفوذ هذا الوعيد فإنها تمنع منه، لأن القاعدة كما أسلفنا هي: أن الأمور لا تتم إلا بتوفر أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها.

۞۞۞

❁ العبادة ❁

(٤٦) تقول السائلة ن. ع. من جمهورية مصر العربية، وتقيم الآن في المملكة: أنه كانت لي أمنية أرجو أن تتحقق من الله -عز وجل-، وقد نذرت لها العديد من النذور لتتحقق، وكنت أذهب إلى مساجد أولياء الله الصالحين وأنذر هناك، كذلك وبعد تحقق هذه الأمنية قمت بالوفاء بها أتذكر من هذه النذور، ولكن كان هناك العديد من النذور نسيتها نظرًا لطول المدة على هذه النذور، فأرجو من فضيلتكم توضيح هل تسقط هذه النذور التي نسيتها أم ماذا أفعل؟ جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول في الجواب على هذا السؤال المهم:

أولًا: كونها تنذر لله -عز وجل- ليحصل مقصودها هذا خطأ عظيم، لأن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير**»[1] فليس النذر هو الذي يجلب الخير للإنسان، ولا النذر هو الذي يدفع الشر، إذا قضى الله قضاءً فلا مرد له، لا بالنذر، ولا غيره، ولهذا جاء في حديث آخر: « **إنه لا يرد شيئا**»[2]، فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يظن الظان إذا نذر شيئًا وحصل مقصوده أن هذا من أجل النذر، لأن النذر مكروه منهي عنه، والمكروه لا يكون وسيلة إلى الله -عز وجل-، وكيف تتوسل إلى الله بما نهى عنه رسول الله؟ هذا فيه مضادة؟ إنما يتوسل الإنسان إلى الله بما يحب -أي: بما يحبه الله -عز وجل- حتى يحصل للمتوسل ما يحب.

ثانيًا: كونها تذهب إلى مساجد الأولياء والصالحين، أفهم من هذا أن هناك مساجد مبنية على قبور الأولياء والصالحين، وهذه المساجد التي تبنى على قبور الأولياء والصالحين ليست مكان عبادة ولا قربة، والصلاة فيها لا تصح،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب النذر، باب النهي عن النذر، رقم (١٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النذر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، رقم (٦٦٠٨)، مسلم: كتاب النذر، باب النهي عن النذر، رقم (١٦٣٩).

ويجب أن تُهْدَم، لأن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبور وقال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)]، والواجب على ولاة الأمور في البلاد التي فيها مساجد مبنية على القبور أن يهدموها إذا كانوا ناصحين لله ورسوله وكتابه والمسلمين، أما إذا كانت المساجد سابقة على القبور ودفن الميت في المسجد، فإن الواجب نبشه، لأن المسجد لم يُبْنَ على أنه مقبرة، بُنِيَ للصلاة والذكر وقراءة القرآن، فالواجب نبش هذا القبر، وإخراج الميت منه، ودفنه مع الناس، ولا يجوز إقرار القبر في المسجد.

فإن قال قائل: كيف تقول هذا وقبر النبي ﷺ في مسجده؟ الآن المسجد محيط به من كل جانب ومازال المسلمون يشاهدون هذا؟ فالجواب: أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، وقبر النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يبن عليه المسجد، ولم يدفن الرسول ﷺ في المسجد، المسجد كان بناه الرسول -عليه الصلاة والسلام- حين قدم المدينة مهاجرًا، والنبي ﷺ لم يقبر فيه، وإنما قبر في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها، ثم لما احتاج المسلمون إلى توسعة المسجد وسعوه، فدخلت فيه بيوت أزواج النبي ﷺ، وكان من جملتها بيت عائشة، لكنه بيت مستقل، لم يَنْوِ المسلمون حين وسعوا المسجد أن يكون من المسجد، فهو حجرة في مسجد، قائمة قبل بناء المسجد -أعني: الزيادة في المسجد- ثم إنه زيد فيه فطوق بثلاثة جدران، فهو بناء مستقل سابق على هذه الزيادة، وحين زادوها كانوا يعتقدون أن هذا بناء منفصل عن المسجد متميز بجدرانه، فليس مثل الذي يؤتى بالميت ويدفن في جانب المسجد، أو يبنى المسجد على القبر، وحينئذٍ لا حجة فيه لأصحاب المساجد التي بنيت على القبور، أو التي قبر فيها الأموات إطلاقًا، وما الاحتجاج بهذا إلا شبهة يلقيها أهل الأهواء على

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم (٤٣٥)، مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم (٥٢٩).

البسطاء من الناس، ليتخذوا منها وسيلة إلى تبرير مواقفهم في المساجد المبنية على قبورهم، وما أكثر الأمور المتشابهات -بل التي يجعلها مُلَبِّسُوهَا متشابهات- ليضلوا بها عباد الله، هاتان مسألتان مهمتان في الجواب على هذا السؤال.

أما المسألة الثالثة، وهي: أنها لا تعلم أن النذور التي نذر قد وَفَّتْ بها جميعا، فلا يجب عليها إلا ما علمته، لأن الأصل براءة الذمة، فما علمته من النذور وجب عليها الوفاء به، وما لم تعلمه فإنه لا يجب عليها.

ولكنني أكرر النهي عن النذر، سواء كان نذرًا مطلقًا أو معلقًا بشرط، لأن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير**» فالنذر يأتي بخير، لا يرد قضاءً، ولا يرفع بلاءً، وإنما يكلف الإنسان، ويلزمه ما ليس بلازم له، وما هو بعافية منه، سواء كان هذا النذر معلقًا بشرط، مثل أن يقول: إن شفى الله مريضي فلله علي كذا وكذا، أو غير معلق مثل أن يقول: لله علي نذر أن أصوم من كل شهر عشرة أيام مثلًا، فالبعد البعد عن النذر، نسأل الله السلامة.

***

(٤٧) تقول السائلة من الدمام: فضيلة الشيخ كيف يكون المؤمن بين الرجاء والخوف؟ وإذا كان عند الإنسان خوف كثير، وأنا أعلم بأن فضل الله -عز وجل- على عباده كبير، وأن رحمته سبقت غضبه، فأنا دائمًا خائفة جدًّا لتقصيري، وأسأل الله -عز وجل- أن يمن علينا وعليكم بعفوه وفضله، وجهونا في ضوء هذا السؤال؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المؤمن يجب أن يسير إلى الله -تبارك وتعالى- بين الخوف والرجاء كجناحي طائر، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فأيهما غلب هلك صاحبه.

فالإنسان إذا رأى ذنوبه وما حصل منه من التقصير في حقوق الله -عز وجل- وحقوق العباد خاف، وإذا تأمل فضل الله -تعالى- وسعة رحمته،

وعفوه، طمع ورجع، وعليه فينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، لأنه إن غلب عليه الرجاء يخشى عليه من الأمن من مكر الله، وإن غلب عليه الخوف خشي عليه أن يَقْنَطَ من رحمة الله، وكلاهما محظور، وقد قال الله -تعالى- عن أوليائه وأنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومن العلماء من قال: إن فعل الطاعات فليغلب جانب الرجاء والقبول، وأن الله -تعالى- لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وإن فعل المحرمات غلب الخوف، وخاف أن تناله سيئاته بعقوبات حاضرة ومستقبلة.

وقال آخرون من أهل العلم: ينبغي في حال الصحة أن يغلب جانب الخوف، ليحمله ذلك على فعل الواجبات وترك المحرمات، وفي حال المرض الذي يخشى أن يلاقي ربه به يغلب جانب الرجاء، من أجل أن يموت وهو يحسن الظن بالله -عز وجل-.

وعلى كل حال يجب على الإنسان أن لا يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله، أو الرجاء حتى يأمن من مكر الله، وليكن سائرًا إلى ربه بين هذا وهذا.

***

(٤٨) تقول السائلة ن.ع.غ: اشرحوا لنا حسن الظن بالله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حسن الظن بالله إذا عمل الإنسان عملًا صالحًا يحسن الظن بربه أنه سيقبل منه، إذا دعا الله -عز وجل- يحسن الظن بالله أنه سيقبل منه دعاءه ويستجيب له، إذا أذنب ذنبًا ثم تاب إلى الله ورجع من ذلك الذنب يحسن الظن بالله أنه سيقبل توبته، إذا أجرى الله تعالى في الكون مصائب يحسن الظن بالله، وأنه -جل وعلا- إنما أحدث هذه المصائب لحكم عظيمة بالغة، يحسن الظن بالله في كل ما يقدره الله -عز وجل- في هذا الكون، وفي كل ما شرعه الله -تعالى- على لسان رسوله -صلى الله عليه وعلى

آله وسلم- بأنه خير ومصلحة للخلق، وإن كان بعض الناس لا يدرك هذه المصلحة، ولا يدرك تلك الحكمة مما شرع، ولكن علينا جميعًا التسليم بقضاء الله -تعالى- شرعًا وقدرًا، وأن نحسن به الظن، لأنه -سبحانه وتعالى- أهل الثناء والمجد.

***

(٤٩) يقول السائل من جمهورية مصر العربية: ما حقيقة التوكل على الله؟ أرجو بهذا إفادة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حقيقة التوكل على الله -عز وجل- تفويض أمرك إلى الله، كما قال الله -تعالى- عن مؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [غافر: ٤٤] أن يفوض الإنسان أمره إلى الله، ويَصْدُق في الاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، ويثق في الله -عز وجل- وبوعده، ويفعل الأسباب الشرعية والحسية التي أمر الله بها، هذا هو التوكل.

وأنت إذا اعتمدت على ربك على هذا الوصف فإن الله تعالى حَسْبُكَ وكافيك، لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣] ونحن نقر بذلك -أي: بالتوكل على الله، أو بما يتضمنه- في كل صلاة، نحن نقول في كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والاستعانة تستلزم تفويض الأمر إلى الله -عز وجل-، وأنه ليس لنا حول ولا قوة ولا قدرة على العبادة إلا بمعونة الله، ولكن لا بد من فعل الأسباب الموصلة إلى المقصود، شرعيةً كانت أم حسية.

فمن قال: أنا أعتمد على الله وأتوكل عليه في حصول الولد، ولم يتزوج كان كاذبًا في توكله، لا بد أن يتزوج، والزواج هو الوسيلة الشرعية لحصول الولد.

ومن قال: أنا أعتمد على الله، وأَلْقَى نفسه في النار، أو ألقى نفسه في

البحر وهو لا يعرف السباحة، نقول: أنت كاذب، لا بد أن تفعل الأسباب الواقية من النار أو من الغرق.

ولهذا كان سيد المتوكلين محمدٌ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يأخذ بالأسباب الحسية مع صدق توكله على الله، فكان -عليه الصلاة والسلام- في الحرب يلبس الدرع، والدرع عبارة عن درع من حديد يَقِي السهام والحراب، وربما لبس درعين زيادةً في الوقاية، كما فعل ذلك يوم أحد. فلا بد من فعل الأسباب النافعة، شرعية كانت أم قدرية حسية، من أجل أن يحصل لك المقصود في اعتمادك على الله -عز وجل-.

***

(٥٠) **يقول السائل**: كيف يكون الإنسان متوكلًا على الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يكون الإنسان متوكلًا على الله بأن يصدق الاعتماد على ربه -عز وجل-، حيث يعلم أنه -سبحانه وتعالى- هو الذي بيده الخير، وهو الذي يدبر الأمور، ولقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **«يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»**[(١)].

فبهذه العقيدة يكون الإنسان معتمدًا على ربه -جل وعلا-، لا يلتفت إلى من سواه.

لكن حقيقة التوكل لا تنافي فعل الأسباب التي جعلها الله تعالى سببًا، بل إن فعل الأسباب التي جعلها الله تعالى سببًا، سواء كانت شرعية أم حسية، هو من تمام التوكل، ومن تمام الإيمان بحكمة الله -عز وجل-، لأن الله -تعالى- قد جعل لكل شيء سببًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

وهذا النبي ﷺ وهو سيد المتوكلين كان يلبس الدروع في الحرب، ويتوقى البرد، ويأكل ويشرب لإبقاء حياته ونمو جسمه، وفي غزوة أُحُدٍ ظَاهَرَ بين دِرْعَيْن -أي: لبس درعين- فهؤلاء الذين يزعمون أن حقيقة التوكل ترك الأسباب والاعتماد على الله -عز وجل- هم في الواقع مخطئون، فإن الذي أمر بالتوكل عليه له الحكمة البالغة في تقديره وفي شرعه، قد جعل للأمور سببًا تحصل به.

فلو قال قائل: أنا سأتوكل على الله -تعالى- في حصول الرزق، وسأبقى في بيتي لا أبحث عن الرزق. قلنا: إن هذا ليس بصحيح، وليس توكلًا حقيقيًّا، فإن الذي أمرك بالتوكل عليه هو الذي قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

ولو قال قائل: أنا سأتوكل في حصول الولد أو في حصول الزوجة، ولم يشرع في طلب الزوجة وخطبتها، لعده الناس سفيهًا، ولكان فعله هذا منافيًا لما تقتضيه حكمة الله -عز وجل-.

ولو أن أحدًا أكل السُّمَّ وقال: إني أتوكل على الله -تعالى- في أن لا يضرني هذا السم، لكان هذا غير متوكل حقيقة، لأن الذي أمرنا بالتوكل عليه -سبحانه وتعالى- هو الذي قال لنا: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩].

المهم أن فعل الأسباب التي جعلها الله تعالى أسبابًا لا ينافي كمال التوكل، بل هو من كماله، وأن التعرض للمهلكات لا يُعَدُّ هذا من توكل الإنسان على الله، بل هو خلاف ما أمر الله -عز وجل- به.

***

(٥١) هذا سؤال بعث به كل من س. و. م. من حضرموت قال أهل العلم: إن الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة، ماذا يُقْصَدُ بكل منهما؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يريد العلماء -رحمهم الله- بتقسيم الدعاء إلى

قسمين: دعاء مسألة ودعاء عبادة، ما ذكره الله -تعالى- في قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] فدعاء المسألة: أن تسأل الله -تعالى- حاجاتك، بأن تقول: رب اغفر لي، وارحمني، وارزقني، وعافني، واجبرني، وما أشبه ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله -تبارك وتعالى- بما شرع، تصلي، وتزكي، وتصوم، وتحج، وتفعل الخير، لأن هذا الذي يتعبد لله ما قصد إلا رضوان الله وثوابه، فهو داع لله -تعالى- بلسان الحال له لا بلسان المقال، على أن بعض هذه العبادات التي يتعبد بها تتضمن دعاء المسألة، كالصلاة مثلًا، ففي الصلاة يقول المصلي: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] وهذا دعاء مسألة، ويقول: رب اغفر لي، وهذا دعاء مسألة، ويقول: السلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم صل على محمد، اللهم بارك على محمد، أعوذ بالله من عذاب جهنم، وهذا كله دعاء مسألة.

فالفرق بينهما إذًا: أن دعاء المسألة أن يسأل الله -تعالى- شيئًا مباشرة، سواء سأله حصول مطلوب أو سأله النجاة من مرهوب.

ودعاء العبادة: أن يتعبد لله -تعالى- بما شرع، رجاء ثوابه -سجل وعلا-، وخوفًا من عقابه، هذا هو معنى تقسيم أهل العلم -رحمهم الله-.

وقد علمنا أن الدعاء نفسه عبادة، كما تدل عليه الآية التي تلوتها، وهي قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل: عن دعائي، وهذا يدل على أن الدعاء عبادة.

وقال الله -تعالى-: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ودعاء الله -تعالى- بأسمائه الحسنى يتضمن سؤاله بها، مثل: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، ويتضمن التعبد لله -تعالى- بمقتضاه، فإذا علمنا أنه غفور عملنا ما يكون سببًا للمغفرة، وإذا عَلِمْنَا أنه رحيم عملنا ما يكون سببًا للرحمة، وإذا علمنا أنه رزاق عملنا ما يكون سببًا للرزق، وهلم جرًّا.

***

(٥٢) يقول السائل: هل من دعوة الأمة إلى سؤال الله -عز وجل- والتعلق به دون التعلق بغيره؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن الذي يجب أن يوجه إليه الدعاء والاستعاذة الله -عز وجل-، وهو المعين، وهو المجيب، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٥]، وفي قراءة: (سَيَقُولُونَ اللهُ). وقال -تبارك تعالى-: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال -تعالى-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال الله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٦] فالدعاء لله وحده، والاستعاذة بالله وحده، والملك لله وحده، فهو أهل الدعاء، وأهل الاستعاذة، وهو أهل الفضل و الإحسان.

***

(٥٣) يقول السائل: مجموعة من الناس طلبوا مني أن أشتري لهم من الأماكن المقدسة حاجات، مثل سجادة وكفن وحناء ومصحف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما السجادات: فإن كانوا أوصوك بها لأن السجادات تتوفر في ذلك المكان أكثر من غيره، وقد تكون أرخص، فلا حرج، وأما إذا كان الاعتقاد أن السجادات التي تُشترى من هناك لها مزية على غيرها في الفضل، فليس بصحيح، ولا تشترِها لهم بناءً على هذا الاعتقاد.

وأما الكفن: فإنه ليس بمشروع أن يشتري الإنسان كفنه من تلك المواضع، ولا أن يغسله بماء زمزم، لأن ذلك ليس واردًا عن النبي -عليه

الصلاة والسلام- ولا عن أصحابه، وإنما يتبرك بالكفن فيما ورد به النص، وهو ما ثبت به الحديث عن النبي ﷺ أنه أهديت إليه جبة، يا رسول الله، اكسنيها. فقال: «**نعم**». فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع، فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يَرُدُّ سائلا، فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كَفَنِي يوم أموت، فكانت كفنه.(١)، وكذلك أيضًا طلب عبدالله بن عبدالله بن أُبِيٍّ من النبي ﷺ أن يكفن أباه عبدالله بن أبي بقميص الرسول -عليه الصلاة والسلام- ففعل.(٢)

فهذه الأكفان التي كانت من لباس الرسول -عليه الصلاة والسلام- لا بأس أن يتبرك بها الإنسان، وأما كونها من مكة أو من المدينة فهذا لا أصل للتبرك به.

***

(٥٤) يقول السائل: بعض المشايخ يعالجون المرضى بالآيات القرآنية، ما مدى صحة هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لاشك أن الله -تعالى- جعل هذا القرآن شفاءً لما في الصدور، وشفاء لما في الأجسام أيضًا: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقد قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث أبي سعيد: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدِغَ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن، رقم (١٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص، رقم (١٢٦٩)، مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب، رقم (٢٤٠٠).

يَتْفِلُ عليه، ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فكأنما نشط من عقال. فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- لما رجعوا إليه وأخبروه: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**»[١]، فأثبت النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الفاتحة رقية، لأنه يَرْقِي بها المريض، أي: يقرأ عليه.

فالقرآن كله خير وكله بركة، ولا شك أنه مؤثر، ولكن يجب أن نعرف كما يقال: السيف بضاربه، لا بد لتأثير القرآن من ثلاثة أمور:

أولًا: إيمان القارئ بتأثيره.

وثانيًا: إيمان المقروء عليه بتأثيره.

وثالثًا: أن يكون ما قرأ به مما تشهد الأدلة له بالتأثير.

فإذا كان كذلك فإنه مؤثر بإذن الله، أما إذا نقص واحد من هذه الأمور الثلاثة، مثل: أن يقرأ على سبيل التجربة، يقول: أجرب ينفع أم لا؟ فإن ذلك لا ينفع، لأن الواجب على المؤمن أن يؤمن بتأثيره، وكذلك أيضًا لو كان المريض عنده شك في ذلك، وليس عنده إيمان بتأثير القرآن، فإن ذلك لا ينفعه أيضًا، لأن المحل غير قابل حينئذ، وكذلك أيضًا لو قرأ آيات لم تشهد الأدلة لها بالتأثير، فهذا أيضًا قد لا يؤثر، وليس معنى ذلك أنه نقص في القرآن الكريم، ولكنه خطأ في استعمال أو قراءة ما تبقى قراءته من الآيات أو السور.

***

(٥٥) يقول السائل من السودان: أسأل عن الرقية الشرعية، وغير الشرعية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الرقية الشرعية ما جاءت به السنة، مثل: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك،**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، رقم (٢٢٧٦).

شفاءً لا يغادر سقمًا»[١]، وغير الشرعية هي البدعية أو الشركية، فما كان بدعة أو شركًا فإن الرقية به محرمة، ولا تزيد الإنسان إلا ضررًا ومرضًا، وإن قُدِّرَ أنه شفي بها فهو لم يشفَ بها في الواقع، وإنما كان الشفاء عندها لا بها، امتحانًا من الله -سبحانه وتعالى- لهذا الرجل الذي رقى بالشرك أو بالبدع، وأما الأدعية المباحة التي ليست ببدعة فالرقية بها جائزة.

فالرقى أربعة أقسام:

الأول: ما جاءت به السنة، فالرقية به مشروعة مستحبة.

الثاني: ما كان شركًا أو كان بدعة فالرقية به محرمة.

الثالث: ما كان دعاءً مباحًا لا شرك فيه ولا بدعة، لكنه ليس مما ورد عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فالرقية به جائزة، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الرقى: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[٢].

***

(٥٦) يقول السائل: ما حكم القراءة في الماء، ثم الوضوء بهذا الماء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا بأس أن يقرأ في الماء ويتوضأ به المريض ليستشفي به، وهذا وإن كنت لا أعلم أنه واردٌ عن السَّلَفِ لكن قد يقول قائل: إنه يدخل في عموم الآية الكريمة: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وخيرٌ من ذلك أن يقرأ المريض على نفسه بآيات من القرآن، أو يقرأ عليه أحدٌ من أهله، أو من أصحابه بما يراه مناسبًا.

***

(٥٧) يقول السائل ي. و. س. م. من سوريا، درعاء: فضيلة الشيخ هل يجوز التداوي ببعض آيات القرآن الكريم؟ وإن كان كذلك فكيف تتم هذه

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، رقم (٥٦٧٥)، مسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، رقم (٢٢٠٠).

المداواة؟ وما هي الطريقة؟ وهل التداوي بالقرآن لكافة أنواع الأمراض، أم لمرض معين؟ وإن كان كذلك فما هو؟ أرشدونا بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم يجوز التداوي بالقرآن العظيم، لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وكان النبي ﷺ يقرأ المعوذتين يتعوذ بهما، وقال: «**ما تعوذ متعوذ بمثلهما**»[1] فيقرأ على المريض الآيات المناسبة لمرضه، مثل أن يقرأ لتسكين المرض والألم: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٣]، ويقرأ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]، أو نحو ذلك من الآيات المناسبة، وكذلك يقرأ الفاتحة، فإن النبي ﷺ ذكر أنها رقية يرقى بها المريض واللديغ، وينتفع بها بإذن الله، لكن يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء، ولكنه بحسب القارئ، وبحسب المقروء عليه، لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة، فالفاعل لا بد أن يكون أهلًا للفعل، والمحل لا بد أن يكون قابلًا له، فلو أن أحدًا من الناس قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض، والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به، فلا بد من الإيمان من القارئ والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كلٍ من القارئ والمقروء عليه انتفع به.

***

(٥٨) يقول السائل: بارك الله فيكم ما هي الأدعية التي تقال في الرقية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأدعية التي تقال في الرقية أهمها وأعظمها قراءة سورة الفاتحة، فإن قراءة سورة الفاتحة على المريض من أسباب شفائه، كما

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٣)، أبو داود: كتاب الوتر، باب في المعوذتين، رقم (١٤٦٣)، النسائي: كتاب الاستعاذة، بابٌ، رقم (٥٤٣٨).

قال النبي ﷺ: «**وما يدريك أنها رقية؟**»[١]، ومن ذلك ما جاءت به السنة، مثل قوله ﷺ: «**باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، من شر كل عين حاسد الله يشفيك**»[٢]، وقوله: «**ربنا الله الذي في السماء تَقَدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنت رب الطَّيِّبين، اغفر لنا حُوبَنَا وخطايانا، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجَع**»[٣]، وقوله: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[٤]، والأحاديث في هذا معروفة، يمكن للسائل أن يرجع إليها في كتاب (الوابل الصيب من الكلم الطيب) لابن القيم، أو في كتاب (الأذكار) للنووي، أو غيرهما مما كتبه أهل العلم في هذا الباب.

***

(٥٩) يقول السائل: بينما كنت جالسًا في مصلى المسجد أقرأ القرآن دخلت علي امرأة ومعها فتاة بالغة، وطلبت مني أن أقرأ على الفتاة آيات من القرآن، لأنها كانت تعاني من حالة نفسية، فقرأت قدر خمسين آية من سورة البقرة، وبعد أن انتهيت من القراءة قمت بمسح رأس ووجه الفتاة، وطلبت منها أن تنظر في المصحف، فهل أنا آثم على ما فعلت؟ علمًا بأني ما أردت من ذلك إلا الخير والثواب وقصد الشفاء إن شاء الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما قراءتك على الفتاة فإن هذا لا بأس به، ولكن في هذه الحال يجب أن تكون ساترة لما يجب ستره من الوجه وغيره، وأما مسحك رأسها ووجهها بعد قراءتك فلا أرى له وجهًا، ولا ينبغي ذلك منك، بل يحرم عليك أن تمس بشرة امرأة أجنبية منك، ليست زوجة وليس بينك وبينها محرمية، فعليك أن تتوب إلى الله من هذا الأمر، وأن لا تعود إليه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦).

(٤) تقدم تخريجه.

أما القراءة على النساء والرجال مع مراعاة التحفظ الواجب فإن هذا لا بأس به، وهو من الإحسان، بشرط أن لا يكون هناك فتنة.

***

(٦٠) **يقول السائل ي. أ. خ: ما صحة هذا الحديث المروي عن الرسول ﷺ أنه «إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده»[1] ويفعل ذلك ثلاث مرات، وما كيفية النفث؟ أرجو الإفادة والتوضيح بارك الله فيكم؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث صحيح أنه كان -عليه الصلاة والسلام- إذا أوى إلى فراشه فعل ما ذكره السائل، لكن السائل بدأ بـ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] قبل ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]، والترتيب الصحيح أن نقول: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ قبل ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾.

نفث: نفخ مع ريق خفيف، والحكمة من ذلك أن هذا الريق تأثر بقراءة هذه السور الكريمة، فإذا كان متأثرًا به ومسحه على وجهه ورأسه، وبسط عن جسده كان في ذلك خيرٌ، وبركة، وحماية، ووقاية للإنسان في منامه.

***

(٦١) **تقول السائلة م: فضيلة الشيخ هل هناك آيات واردة تُقْرأ بغرض تسهيل الولادة بالنسبة للمرأة؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا أعلم في ذلك شيئًا عن السنة، لكن إذا قرأ الإنسان على الحامل التي أخذها الطلق ما يدل على التيسير، مثل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ويتحدث عن الحمل

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذتين، رقم (٥٠١٧).

والوضع، كقوله -تعالى-: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١١]، ومثل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٢] فإن هذا نافع ومجرب بإذن الله، والقرآن كله شفاء، إذا كان القارئ والمقروء عليه مُؤمنين بأثره وتأثيره فإنه لا بد أن يكون له أثر، فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وهذه الآية عامة شفاء ورحمة يشمل شفاء القلوب من أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات، وشفاء الأجسام من الأمراض الصعبة.

***

(٦٢) يقول السائل أ.ع: طلبت مني زوجتي أن أذهب بها إلى أحد الأشخاص الذين يَرْقُون المرضى، إلا أني لم أتشجع لذلك مع علمي بجواز الرقية بشروطها، والسبب في ذلك هو أن كثيرًا من هؤلاء الذين يقرؤون جعلوا من عملهم وسيلة للتكسب، فينظرون ماذا يدفع لهم، وقد يطلبون مبلغًا معينًا، فهل عملي في محله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: إن تأثير الإنسان في قراءته على حسب إخلاصه ونيته، والذي ينبغي للقراء الذين ينفع الله بهم أن يخلصوا النية لله -عز وجل-، وأن تكون نيتهم التقرب إلى الله، والإحسان إلى عباد الله، حتى ينفع الله بهم، ويجعل في قراءتهم خيرًا وبركة.

***

(٦٣) يقول السائل أ. ص. أ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ما حكم التفرغ للقراءة واتخاذها حرفة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

التفرغ للقراءة على المرضى من الخير والإحسان، إذا قصد الإنسان بذلك

وجه الله -عز وجل-، ونفع عباد الله، وتوجيههم إلى الرقى الشرعية التي جاءت في كتاب الله، وفي سنة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وأما اتخاذ ذلك لجمع الأموال فإن هذه النية تنزع البركة من القراءة، وتوجب أن يكون القارئ عبدًا للدنيا إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

لذلك أنصح إخواني الذين يتفرغون للقراءة على المرضى أن يخلصوا النية لله -عز وجل-، وألا يكون همهم المال، بل إن أعطوا أخذوا، وإن لم يعطوا لم يطلبوا، وبذلك تحصل البركة في قراءتهم على إخوانهم، هذا ما أقوله لإخواني القراء.

***

(٦٤) يقول السائل: هل تجوز القراءة في الماء والنفث فيه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القراءة على المريض فعلها السلف -رحمهم الله-، ولعل لها أصلًا من كون الرسول -عليه الصلاة والسلام- عند النوم ينفث في يديه ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] ثلاث مرات.

***

(٦٥) يقول السائل: ماذا يفعل الإنسان بالماء المقروء فيه بالقرآن، إذا أراد أن يغتسل به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعروف أن قراءة القرآن في الماء إنما يشربها المريض ولا يغتسل بها، وإذا كان المرض في الجلد -يعني: لا في داخل الجسم- فإنه يؤخذ من هذا الماء ويدهن به الجلد، يؤخذ بقطنة أو بمنديل ويدهن به الجلد المصاب، هذا المعروف، أما أن يغتسل به الإنسان غسلًا كاملًا فلا أصل له.

***

(٦٦) يقول السائل: هل يجوز أن أستعمل الماء أو الزيت المقروء فيه أثناء العذر الشهري؟ وهل تجوز القراءة على الكريمات مثل الفازلين وغيره؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يجوز للمرأة الحائض أن تستعمل ما قُرِئَ به من زيت، أو ماء، أو تمر، أو خبز، أو غيره، وتجوز القراءة في الأدهان جميعها، وفي الأطعمة التي يأكلها المريض، وفي الأشربة التي يشربها، لأن الله -تعالى- قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، فإذا استعمل القرآن على وجه ظهرت فيه الفائدة والمصلحة، وليس فيه إهانة للقرآن الكريم فلا بأس، وقولنا: ليس فيه إهانة للقرآن الكريم، احترازٌ مما يوجد في بعض الأواني فيكتب في بعض الأواني آية الكرسي أو غيرها من القرآن، منقورًا نقرًا لا يزول بالغسل، وهذا لا شك أنه إهانة للقرآن، وأنه لا يجوز، لأن هذا الإناء مبتذل، وربما يلقى في الأرض، وربما يُدَاسُ بالقدم خطًا أو عمدًا، نسأل الله العافية، فلذلك لا يحل للإنسان أن يكتب شيئًا من القرآن محفورًا يبقى في الإناء، لما في ذلك من امتهان القرآن الكريم.

***

(٦٧) يقول السائل: بارك الله فيكم ما حكم القراءة في الماء، ثم يقوم الإنسان بشربه، أو إعطائه للمريض ليشربه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا ورد عن السلف الصالح -رحمهم الله- أنهم يقرؤون القرآن ويلفظون بريقهم ليشربه المريض، وقد جُرِّبَ هذا ونفع، لكن إذا علم القارئ أن في فمه داء يمكن أن تنتقل الجراثيم بواسطة الريق إلى هذا الماء فيصاب به المريض فإنه لا يجوز له ذلك، خوفًا من وقوع الضرر على المريض، وفي هذه الحال يمكن أن يذهب الرجل بنفسه إلى المريض فيقرأ عليه.

***

(٦٨) يقول السائل: هل ورد في سنة النبي الكريم ﷺ قراءة القرآن للمريض في الماء ثم شربه؟ أو قراءة القرآن في الزيت ثم الادهان به؟ أو قراءة

القرآن في كأس مكتوبٍ فيه آية الكرسي ووضع ماء فيه ثم شرب الماء؟ لأن كثيرًا من الناس يفعلون ذلك، هل هذا جائز يا فضيلة الشيخ أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قال الله -عز وجل-: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وهذا الشفاء الذي أنزله الله -عز وجل- في هذا القرآن الكريم يشمل شفاء القلوب من أمراضها، وشفاء الا بدان من أمراضها أيضًا، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أبو سعيد أو غيره ممن معه في السرية التي بعثها رسول الله ﷺ، فاستضافوا قومًا من العرب فلم يضيفوهم، ثم إن سيد هؤلاء القوم لُدِغَ، فطلبوا له قارئًا يقرأ من السرية التي بعثها رسول الله ﷺ، فجاؤوا إليهم وقالوا: هل منكم من راق؟ -يعني: من قارئ- قالوا: نعم، ولكنكم لم تضيفونا، فلا نرقي لكم إلا بِجُعل، فجعلوا لهم شيئًا من الغنم، ثم ذهب قارئٌ منهم يقرأ على هذا اللديغ، فقرأ عليه بفاتحة الكتاب، فقام كأنما نشط من عقال، -يعني: قام بسرعة طيبًا بريئًا-، ثم أعطوهم الجُعل، ولكنهم توقفوا حتى يسألوا رسول الله ﷺ، فلما سألوا رسول الله ﷺ عن هذا قال: «**واضربوا لي معكم بسهم**»، وقال للقارئ «**وما يدريك أنها رقية؟**»[1] يعني: ما يعلمك أنها -أي: الفاتحة- رقية؟.

وهكذا بعض الآيات الأخرى التي يسترقي بها الناس، التي يقرأ بها الناس على المرضى، كثير فيه فائدةٌ مجربة معروفة، فإذا قرأ القارئ على المريض بفاتحة الكتاب وبغيرها من الآيات المناسبة فإن هذا لا بأس به ولا حرج، وهو من الأمور المشروعة.

وأما كتابة القرآن بالأوراق ثم توضع في الماء ويشرب الماء، أو على إناء ثم يوضع فيه الماء ويُرَجُّ فيه ثم يشرب، أو النفث في الماء بالقرآن ثم يشرب، فهذا لا أعلم فيه سنة عن رسول الله ﷺ، ولكنه كان من عمل السلف، وهو

---

(١) تقدم تخريجه.

أمرٌ مجرب، وحينئذٍ نقول: لا بأس به -أي: لا بأس أن يصنع هذا للمرضى لينتفعوا به- ولكن الذي يقرأ في الماء بالنفث أو التفل ينبغي له أن لا يفعل ذلك إذا كان يعلم أن به مرضًا يخشى منه على هذا المريض الذي قُرِئ له.

***

(٦٩) يقول السائل: هل يمكن علاج الأمراض بالرقية؟ وهل هناك أحاديث واردة عن الرسول ﷺ في ذلك؟ وهل من السنة كتابة آية الكرسي، وسورة يس، أو الفاتحة في ورقة، ثم نقوم بوضعها في ماء ونشرب ذلك الماء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم الأمراض قد تُشْفَى بقراءة القرآن، وهذا أمرٌ واقع شهدت به السنة، وجرت عليه التجارب، فإن النبي ﷺ بعث رهطًا في سرية، فنزلوا على قوم، ولكن القوم الذين نزلوا عليهم لم يُضَيِّفُوهُم، فقعدوا ناحية، ثم إن الله -سبحانه وتعالى- سَلَّطَ على سيدهم حيةً فلدغته، فجاؤوا إلى هؤلاء الرهط وقالوا: هل معكم من يرقي؟ قالوا: نعم. فتقدم إليه رجل فقرأ عليه الفاتحة، فقام كأنما نشط من عقال، فلما وصلوا إلى رسول الله ﷺ وأخبروه قال له -عليه الصلاة والسلام-: «**وما يُدْرِيكَ أنها رُقْيَة؟**»[1]، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وأما ما ذكره السائل من كتابة بعض الآيات التي فيها الاستعاذة والاستجارة بالله -عز وجل-، بأن توضع في ماء ويشرب، فهذا أيضًا قد جاء عن السلف الصالح، وهو مجرَّبٌ ونافع.

لكن ورد في سؤاله ذكر سورة يس، وهذا لا أعلم أن سورة يس مما يرقى به، لكن يرقى بالفاتحة، بآية الكرسي، بالآيتين الأخيرتين في سورة البقرة، بـ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١].

***

(١) تقدم تخريجه.

(٧٠) يقول السائل: أسأل عن المحاية التي تكتب على اللوح من القرآن، وتشرب من أجل الشفاء، أفيدوني في هذا السؤال، جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كان بعض السلف يكتب بالزعفران في الإناء أو نحوه، ثم يُخَضُّ بالماء ويشربه المريض، ويحصل به الشفاء إن شاء الله، وهذا يدخل في عموم قول الله -تبارك تعالى-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، فإن قوله -تعالى-: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ يعم الشفاء القلبي والبدني، أي: يعم الشفاء من الأمراض القلبية كالشَّكِّ، والشرك، والعداوة للمؤمنين، والبغضاء لهم، وما أشبه ذلك، وكذلك من الأمراض الجسدية كالصداع، والألم، وما أشبه ذلك، فالقرآن كله خير، كله شفاء، فإذا استشفى به الإنسان على وجهٍ من الوجوه وانتفع به فهذا هو المقصود.

***

(٧١) يقول السائل ح. إ. ي من السودان: عندنا في السودان بعض من الناس يعرفون بالمشايخ، يكتبون المحايا للناس، إذا مرض الشخص، أو أصابه سحر، أو غير ذلك من الأمور الخرافية، فما حكم من يتعامل معهم؟ وما حكم عملهم هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن الرقية على المريض المصاب بسحر أو بغيره من مرض لا بأس بها إذا كانت من القرآن، أو من الأدعية المباحة، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يرقي أصحابه، ومن جملة ما يرقيهم به: «**ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، أنت رب الطيبين، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ**»[1]، ومن الأدعية المشروعة: «**باسم الله أرقيك،**

---

(١) تقدم تخريجه.

من كل داء يؤذيك، من شر كل عين أو حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»[١]، ومنها: أن يضع الإنسان يده على الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[٢]، إلى غير ذلك مما ذكره أهل العلم من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ.

وأما كتابة الآيات أو الأذكار وتعليقها: فقد اختلف أهل العلم في ذلك، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، والأقرب المنع من ذلك، لأن هذا لم يرد عن النبي ﷺ، وإنما الوارد أن يقرأ على المريض، أما أن تعلق الآيات أو الأدعية على المريض في عنقه أو في يده، أو تحت وسادته وما أشبه ذلك، فإن ذلك من الأمور الممنوعة على القول الراجح، لعدم ورودها، وكل إنسان يجعل شيئًا من الأمور سببًا لأمر آخر بغير إذن من الشرع فإن عمله هذا يعد نوعًا من الشرك، لأنه إثبات سبب لم يجعله الله سببًا، هذا بقطع النظر عن حال هؤلاء المشايخ، فلا ندري لعل هؤلاء المشايخ من المشعوذين الذين يكتبون أشياء منكرة محرمة، فإن ذلك لا شك في تحريمه، ولهذا قال أهل العلم: لا بأس بالرقى بشرط أن تكون معلومة مفهومة خالية من الشرك.

***

(٧٢) يقول السائل م. أ. م. من السودان، من مدينة أبو زيد: ما هو رأي الدين في كتابة آيات من القرآن في لوح من الخشب، ومحو هذه الآيات وتقديمها إلى المريض؟ وهل كان الرسول ﷺ يفعل ذلك أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا نحفظ عن النبي ﷺ أنه عمل مثل هذا، ولكن بعض السلف كانوا يفعلون ذلك، فإذا فعله الإنسان فلا حرج عليه، ولكن الأفضل من هذا والأَوْلَى أن يقرأ هو بنفسه على المريض ما وردت السنة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، رقم (٢٢٠٢).

به من الآيات والأحاديث، ومن ذلك مثلًا قراءة الفاتحة على المريض، فإنها من أبلغ الأدوية، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**وما يدريك أنها رقية؟**»[١]، وكذلك القراءة على المريض بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وكذلك ما جاءت به الأحاديث مثل: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[٢]. ومثل: «**ربنا الله الذي في السماء، تَقَدَّسَ اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنت رب الطيبين، واغفر لنا حُوبَنَا وخطايانا، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ**»[٣]، و«**باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس، أوعين حاسد الله يشفيك**»[٤]، وغير ذلك مما جاءت به السنة، فإذا قرأ الإنسان هذه على المريض أَوْلَى من كتابة آيات من القرآن تجعل في ماء يستشفي بها المريض.

***

(٧٣) يقول السائل أ. ن. ن. من الرياض: يعمل بعض الناس عملًا، وهو: أنهم يكتبون بالقلم الحبر أو السائل بعض من الآيات القرآنية أو من الأحاديث أو الأدعية على ورقة، ثم يضعونها داخل كأس في إناء، ويعطون هذا الماء لأي شخص مريض لكي يشربه، الرجاء منكم توضيح هذا العمل هل هو جائز أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: يجب أن نعرف أن تلك الكتابة بهذا الحبر أو بالأقلام على ورقة، ثم توضع في إناء ويشربها المريض قد يكون في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

ذلك ضرر على المريض، لأن تركيب هذا الحبر وهذه المادة الجافة قد يكون فيه أشياء سامة تضر البدن، لكن العلماء -رحمهم الله- قالوا: إنه يكتب بالزعفران إما على ورقة، ثم تلقى في الماء حتى يظهر أثر الزعفران على الماء، وإما في إناء نظيف يكتب فيه آيات من القرآن، ثم يصب فيه الماء ويمزج، ثم يشربه المريض، هذا الذي كان يفعله السلف الصالح، ولا بأس باستعماله، وقد جربه بعض الناس فانتفعوا به.

وأما الأقلام والحبر: فلا ينبغي أبدًا أن يستعملها الإنسان في هذه المسألة، لأننا لا ندري ما هي مركبات هذا الحبر، سواء جافًّا أو سائلًا.

***

(٧٤) يقول السائل: هل تجوز الرُّقْيَةُ بالنَّفْثِ بالقرآن والأحاديث؟ حيث يرقي هذا الشخص الماء، ثم يَشْرَبُه المريض؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: فعل بعض السلف مثل هذا، أي: إنه ينفث في الماء ثم يشربه المريض، وقد جُرِّبَ ونفع، لكن كون القارئ يقرأ على المريض مباشرة أحسن وأفيد وأرجى للانتفاع، والمسلم إذا أتى إلى أخيه ورَقَاهُ فإنه على خير، قد يجعل الله الشفاء على يده فيكون محسنًا إلى هذا المريض إحسانًا بالغًا، ولكن ليعلم أن الراقي على المرضى لا بد أن يعتقد أن هذه الرقية نافعة في حد ذاتها، فإنه لو قرأ وهو متشكك متردد فإنها لا تنفع، لا بد أن يعتقد بأنها نافعة، ولا بد للمَرْقِيِّ أن يعتقد أيضًا انتفاعه بها، فإن كان مترددًا شاكًّا فلا تنفعه، لأن كل سبب شرعي لا بد أن يكون الفاعل له مؤمنًا بأنه سبب يؤدي إلى المقصود حتى ينفع الله به.

وأَحُثُّ إخواني الذين نفع الله بقراءتهم على المرضى أن يبتعدوا عن الكلمات التي لا تُعْرَفُ، والتي ليس فيها إلا أسجاع سمجة باردة، وأن يقتصروا على ما جاءت به السنة من الرقى، وأعظمه الرقية بالفاتحة، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال في الذي رَقَى المريض بها فقام كأنما نشط

من عقال -: «**وما يدريك أنها رقية؟**»[١]، وهذا حث له ولغيره على أن يَرْقِيَ بها المرضى.

***

(٧٥) يقول السائل: ما الحكم في تعليق التمائم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التمائم لا يخلو إما أن تكون من القرآن أو من غيره، فإن كانت من القرآن ففيها خلافٌ بين أهل العلم من السلف والخلف.

فمن العلماء من يقول: إن تعليقها جائز ولا بأس به، وربما يستدل بقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ويجعل هذا من بركة القرآن أن الله -تعالى- يرفع به العَيْنَ والشَّرَّ ممن عَلَّقَهُ.

وقال بعض أهل العلم من السلف والخلف: إن تعليقه محرم، وذلك لأن مثل هذه الأمور لا يجوز إثباتها إلا بدليلٍ من الكتاب والسُّنَّة، وليس في الكتاب والسُّنَّة دليلٌ على أن تعليق القرآن يكون نافعًا لصاحبه، وإنما ينفع من يقرؤه، وقد قال الله -تعالى-: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، فَنَيْلُ البركة من القرآن إنما يكون على حسب ما جاءت به الشريعة.

وهذا هو القول الراجح أنه لا يجوز أن تُعَلَّقَ التمائم من القرآن على الصدر، ولا أن تجعل تحت الوسادة وما أشبه ذلك، ومن أراد أن يستشفي بالقرآن فليستشفِ به على حسب ما جاءت به السنة.

وأما إذا كانت التمائم من غير القرآن من طلاسم لا يدرى ما معناه، أو كتابة كالنقوش لا تقرأ وما أشبهها فإنها محرمة، محرمة بلا شك، ولا يجوز للمرء أن يُعَلِّقَهَا بأي وجهٍ من الوجوه، لأنها قد تكون أسماء شياطين، أو أسماء عفاريت من الجن أو ما أشبه ذلك، والشيء الذي لا تدري معناه لا يجوز لك أن تتناوله وتستعمله في مثل هذا الأمور.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٧٦) يقول السائل: ما حكم من يلبس الحجاب الذي يكتب فيه كلام الله، هل هو حرام أم حلال؟ أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحجاب يعني التميمة التي تعلق على الإنسان، أو يجعلها بعض الناس تحت الوسادة، أو يعلقها على الجدار.

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في تعليق التمائم إذا كانت من القرآن، أو من الأذكار النبوية، أو الأدعية المباحة، اختلفوا في هذا على قولين، فمنهم من منع ذلك، لعموم التحذير من التمائم، ومنهم من أجاز ذلك وأدخلها في عموم قوله -تعالى-: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] والاحتياط ألا يعلق هذا ولو كان من القرآن، أو من الأدعية، أو الأذكار الواردة.

فأما إذا كانت التميمة لا يقرأ ما فيها، فإن تعليقها حرام ولا يجوز، أو كان الذي فيها كتابة لا يعرف ما هي فإن تعليقها حرام ولا يجوز، أو كان ما فيها من أسماء الشياطين، أو الجن، أو ما أشبه ذلك فإن هذا حرام ولا يجوز.

المهم أن التمائم تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما عُلِمَ أنه من القرآن أو من الأذكار النبوية، أو من الأدعية المباحة، فهذا محل خلاف بين العلماء، والاحتياط ألا يعلقها.

والقسم الثاني: ما سوى ذلك، فتعليقه حرام على كل حال.

***

(٧٧) يقول السائل أ. أ. من مصر: في الحديث: «**إنَّ الرقى، والتمائم، والتِّوَلَةَ شرك**»[1]، **ما هي التِّوَلَةُ؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التِّوَلَةُ شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وقريب من ذلك ما يسمى عندنا بالدِّبْلَةِ، يقال:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، أبو داود: كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، رقم (٣٨٨٣)، ابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم، رقم (٣٥٣٠).

إن الزوج يكتب اسم امرأته في خاتمه، والزوجة تكتب اسم زوجها في خاتمها، ويدعون أنهما -أي: الزوجين- يحصل بفعلهما هذا الألفة بينهما، وأنه لو خلع هذه الدبلة أو خلعتها معناه الفراق.

فإذا قال قائل: ما هي الوسيلة إلى أن يحب الرجل زوجته والمرأة زوجها؟ فنقول: الوسيلة إلى ذلك بَيَّنَها الله بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩]، فإذا عاشر كل إنسان زوجته بالمعروف، وهي كذلك، حصلت المحبة والألفة والحياة الزوجية السعيدة.

***

(٧٨) يقول السائل: ما حكم تعليق الأحجبة على أعضاء الجسد، وخاصة تلك الأحجبة التي بها آيات قرآنية أو أحاديث؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة -أعني: تعليق الحجب أو التمائم- تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون الْمُعَلَّقُ من القرآن.

والثاني: أن يكون من غير القرآن مما لا يعرف معناه.

وأما الأول وهو: تعليقها من القرآن، فقد اختلف في ذلك أهل العلم سلفًا وخلفًا، **فمنهم من أجاز ذلك**، ورأى أنه داخلٌ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، وأن من بركته أن يُعَلَّقَ ليدفع السوء.

ومنهم من حرَّم فعل هذا وقال: إن تعليقها لم يثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه سببٌ شرعيٌّ يدفع به السوء أو يرفع به، والأصل في مثل هذه الأشياء التوقيف.

وهذا هو القول الراجح، وأنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن، ولا يجوز أن تجعل تحت وسادة المريض، أو تُعَلَّقَ في الجدران أو ما أشبه ذلك، وإنما يوضع المريض ويقرأ عليه مباشرةً، كما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يفعل.

وأما القسم الثاني: إذا كان المعلق من غير القرآن مما لا يعرف معناه، فإنه لا يجوز بكل حال، لأنه لا يدرى ماذا يكتب، فإن بعض الناس يكتبون طلاسم وأشياء معقدة، حروفًا متداخلة ما تكاد تعرفها ولا تفهمها، فهذا من البدع، وهو محرم لا يجوز بكل حال.

***

(٧٩) يقول السائل: ما حكم وضع القرآن في السيارة حفظًا من العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يجوز هذا ولا ينفع، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه أنه يَتَحَصَّنُ بالقرآن على هذا الوجه، وما يتوهمه بعض الناس لأنه تخيّل أنّ هذا نافع، فظن أنّ انتفاء الشَّرِّ والعَيْنِ عن سيارته بواسطة وضع المصحف فيها.

***

(٨٠) تقول السائلة: امرأة كلما حملت تسقط، وذكر لها أحد الناس بعمل تمائم من القرآن وقد نفعت، وهي مترددة، فما الحكم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التمائم من القرآن التي تعلق على العنق اختلف فيها السلف والخلف. فمنهم من قال بجوازها، واستدل بعموم قوله -تعالى-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقالوا: إن أي تجربة يكون فيها الشفاء وهي من القرآن الكريم فإنها داخلة في هذا العموم. ومنهم من قال: إن التمائم ممنوعة، سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن.

فهذا موضع خلاف بين أهل العلم -رحمهم الله-.

***

(٨١) تقول السائلة من الأردن: والدي يعلم بأن والدتي تستعمل أحجبة العرافين، لكنه لا يهتم بذلك بحجة أنه يقرأ المعوذات وآية الكرسي، وأنها لن تستطيع أن تؤثر عليه، علمًا بأن والدتي تستخدم هذه الأحجبة نظرًا للمشكلات بينها وبين أبي، فما الحكم في ذلك مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان الحجاب الذي يُعَلِّقُه المريض من القرآن والأدعية المباحة، فقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في جواز تعليقه، فمنهم من منعه ومنهم من أجازه.

أما إذا كان الحجاب قد كتب فيه ما لا يَدْرِى عنه ولا عن معناه فإنه لا يجوز لبسه، لاحتمال أن يكون به أشياء شركية لا نعلم بها.

***

(٨٢) يقول السائل ن. م. ع. من العراق: في بلدنا معروفٌ وضع الحجاب، إما لغرض الحفظ من العين، أو للحماية من إطلاق الرصاص، أي: لا يصيب الشخص أيُّ أذى من إطلاق النار عليه بحمد الله ولبسه للحجاب، أو يوضع في غرض تهدئة الطفل الذي يبكي كثيرًا. ورأيي -والله أعلم- هو أنه خرافة أو بدعة، وأستند إلى قوله -تعالى-: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ولكن في بعض الأحيان بعض الناس يقولون: إن الحجاب الذي يحتوي على بعض آيات من القرآن، أو أدعية من أدعية الرسول الكريم ﷺ عبارة عن رُقْيَةٍ مكتوبة، لأن الرُّقَى تؤدي إلى شفائها، فما رأي الشرع في نظركم في هذه المسألة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يريد السائل بالحجاب التميمة التي تعلق على الإنسان في عنقه، أو يجعلونها في جيبه، أو يجعلونها تحت وسادته إذا نام.

وهذه التمائم تكون على وجهين:

الوجه الأول: أن يكتب فيها ما لا يُعْلَمُ ولا يُدْرَى معناه، فإن هذه لا تحل ولا تجوز، لأنه لا يدرى ما الذي تشتمل عليه، أهو شرك، أم أسماء للشياطين، أو لمردة الجن، أو ما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة؟ فهذه لا تجوز قطعًا.

وأما الوجه الثاني: فهو التمائم التي يكتب فيها شيء من القرآن على وجه واضح بَيِّنٍ يُقْرَأُ، أو شيء من الأدعية الواردة عن النبي ﷺ، وهذه فيها خلاف بين العلماء، فمنهم من أجازها ومنهم من منعها، والصواب مع من منعها وأنها

لا تجوز، لأن الاستشفاء بالقرآن إنما يجوز على الوجه الوارد عن النبي ﷺ، وذلك بقراءته على المريض مباشرة، وبعض السلف يُجوِّز أن يكتب القرآن في إناء بزعفران أو نحوه، ويصب عليه الماء ويحرك حتى يصطبغ الماء بهذا اللون المكتوب به القرآن، ثم يشرب.

وعلى هذا نقول: إن تعليق التمائم واصطحابها في الجيب ووضعها تحت الوسادة لا يجوز مطلقًا، سواء كانت من القرآن أو غيره، ولكن يقرأ على المريض بالآيات التي يرقى بها للمرضى.

وأما قول السائل: أرى أن هذا لا يفيد، لأن الله -تعالى- يقول: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧] فإن الآية لا تدل على منع هذا الحجاب أو هذه التميمة إذا صح أنها سبب شرعي، لأن قوله -تعالى-: ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧] يشمل ما كشفه الله -سبحانه وتعالى- بسبب غير معلوم لنا، وما كشفه بسبب معلوم، لكن لا بد أن يكون هذا السبب معلومًا عن طريق الشرع، أو عن طريق الحس و التجربة.

***

(٨٣) تقول السائلة من سوريا: فضيلة الشيخ انتشرت عندنا ظاهرة الأحراز التي يعلقها الشباب والشابات على صدورهم، وهذه الأحراز مكتوبة من مشايخ يقولون بأنها تحفظ من العين. فما حكم الشرع في مثل هذه الأحراز؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على هذا السؤال: يجب أن نعلم أن الأسباب التي تجلب الخير أو تدفع الشر لا بد أن تكون متلقاة من الشرع، لأن مثل جلب الخير أو دفع الشر لا يكون إلا بتقدير الله -عز وجل-، فلا بد أن نسلك الطريق الذي جعله الله -سبحانه وتعالى- طريقًا يوصل إلى ذلك، أما مجرد الأوهام التي لا تبنى على أصل شرعي فإنها أوهام لا حقيقة لها، قد يتأثر الإنسان منها نفسيًا لاعتقاده فيها ما يعتقد، وإن كان في الحقيقة خلاف ذلك.

إن تعليق الأحراز على الصدور لا يخلو من حالين:

الحال الأولى: أن تكون طلاسم أو حروفًا مقطعة لا يُعْلَمُ لها معنى، فهذه محرمة بلا شك، وربما يكتب عليها أسماء الشياطين من الجن ولا يعلم حاملها ذلك، وعلى هذا فيكون تعليقها نوعًا من الشرك، وإذا اعتقد معلقها أنها تنفع أو تضر بدون قدر الله -عز وجل- كان مشركًا شركًا أكبر، وأما إذا كان يعتقد أن النافع والضار هو الله ولكن هي وسيلة، فهي شرك أصغر، لأن الله -تعالى- لم يجعل هذا سببًا يندفع به الشر أو يحصل به الخير.

أما الحال الثاني: أن تكون هذه الأحراز مكتوبة بحروف معلومة من القرآن أو من صحيح السنة، فهذه موضع خلاف بين العلماء، فمنهم من يرى أنها لا بأس بها، مستدلًا بعموم قوله -تعالى-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ومنهم من يرى منعها وأنها من الشرك الأصغر، مستدلًا بعموم الأحاديث الدالة على أن التمائم شرك.

فينبغي للمؤمن أن يتجنبه، وذلك لأن أقل ما فيها أنه لم يرد فيها عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ما يدل على الجواز، والأصل في مثل هذه الأمور المنع حتى يقوم دليل على الجواز. ثم إن الإنسان إذا تعلق بها أعرض عمّا ينبغي أن يقوم به من الأوراد القولية التي جاءت بها الشريعة، مثل قوله -صلى الله عليه وآله وسلم- في آية الكرسي: «**إن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[(١)] وقوله في الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة: «**من قرأهما في ليلة كفتاه**»[(٢)] وكذلك قوله في المعوذتين[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا، رقم (٢٣١١)، وهو حديث الشيطان سارق الصدقة.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، بابٌ، رقم (٤٠٠٨).

المهم أن هذه الأحراز توجب غفلة الإنسان عمَّا ينبغي أن يقوم به من الأوراد الشرعية القولية، وعلى هذا فإن نصيحتي لهؤلاء وأمثالهم أن يَدَعُوا هذه الأحراز، وأن يقوموا بما جاءت به السنة من الأوراد القولية، إما من الكتاب أو السنة.

***

(٨٤) يقول السائل ع. ب. م. من قباء شمال: البعض من الناس يكتب سور القرآن الكريم ويعلق ذلك على الأطفال، مثل المعوذتين وسورة الإخلاص، يقصد حمايتهم من العين، وجلب النفع والهداية. فهل هذا عمل صحيح؟ أرجو بهذا إفادة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تعليق الآيات على صدور الصبيان منهيٌّ عنه، لأنه داخلٌ في التمائم في عمومها، إذ إن الأحاديث الواردة في ذلك لم تستثنِ شيئًا مما يُعَلَّقُ، ثم إن فيه عرضة لامتهانه، لأن الصبي لا يحترز من وقوع الأذى على هذا الذي عُلِّق عليه من القرآن، وربما يتلطخ بنجس، وربما يدخل به بيت الخلاء وما أشبه ذلك، فلهذا يُنْهَى عن هذا العمل، ويقال: إذا أردت أن تُعَوِّذَ أبناءك بشيء فَعَوِّذْهُم بالقراءة عليهم.

ومن العلماء من رخص في تعليق المكتوب من القرآن على المريض للاستشفاء به، واستدل بعموم قوله -تعالى-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

الاحتياط أن لا يفعل ذلك، لا لدفع البلاء كما ذكره السائل، ولا لرفعه كما أشرنا إليه، وليكن مستعملًا لما جاءت به السنة من تعويذ الإنسان بالقراءة على المريض.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٨٥) يقول السائل ب. ي. ي من العراق، محافظة ديالي: فضيلة الشيخ ما حكم من يقوم بالقراءة على الأطفال، وكتابة بعض الكلمات أو العبارات في أوراق وتسخيرها لهم، زعمًا منه أن في هذا شفاء لهم من الخوف أو غير ذلك مما يسمونه بهذه الأسماء؟ مع العلم بأن هذه العبارات قد تكون غير مفهومة، وأن هذا الرجل يأتيه الناس ويقولون: إن الله هو الشافي، وإن هذا سبب في الشفاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تعليق التمائم، أو وضعها تحت وسادة الفراش، أو تعليقها في جدران الحجرة، أو ما أشبه ذلك، كله من البدع، بل مما نهي عنه: «**فمن تعلق تميمة، فلا أتم الله له**»[1]. والشفاء الذي يحصل بهذا ليس منها، بل هو فتنة حصل عندها لا بها.

لكن اختلف السلف -رحمهم الله- فيما إذا كان المعلق من القرآن، هل هو جائز أم لا؟ فكرهه ابن مسعود وجماعة، وهذا أقرب إلى الإخلاص والتوكل على الله -عز وجل-، وأجازه آخرون.

وأما ما ليس من القرآن فلا يجوز، لا سيما إذا كان فيه حروف لا يعرف معناها، فإنها قد تكون أسماء للشياطين وطلاسم سحرية، فلا يجوز اعتمادها، حتى لو حصل الشفاء عند استعمالها فإنه لم يحصل بها، لأنه لم يقم دليل على أنها سبب شرعي، ولا هي سبب حسي، لكن قد يبتلي الله -سبحانه وتعالى- العبد ويَفْتِنُه، فيحصل مطلوبه بوسيلة محرمة.

فليحذر العاقل اللبيب من هذه الأمور، وليستعن بالله -عز وجل-، وليتوكل عليه، نعم لو وجدنا رجلًا صالحًا يقرأ على المريض بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية فهذا لا بأس به، وهو من السُّنة أن يَرْقِيَ الإنسان أخاه بالرقى المشروعة.

***

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤).

(٨٦) تقول السائلة من الأردن: أود أن أسأل عن الحجب، وهل يجوز إخراجها من مكانها؟ علمًا بأن أهلي قاموا في العام الماضي بالذهاب إلى إحدى النساء التي تعمل ذلك، وتقول بأنها أخرجته من مكانه، وتقوم هذه المرأة بإحضار ماء ويوضع في وسط هذه الحجب، ولكن المرأة تأخذ مبالغ كبيرة مقابل ذلك العمل، هل ينالنا العقاب جراء ذهابنا إلى هذه المرأة وتعاملنا معها؟ وما حكم الشرع في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواقع أنني ما عرفت معنى الحجب بالضبط، لأن المعروف أن الحجب هي عبارة عن أوراق يكتب فيها أدعية وآيات قرآنية، يحملها الإنسان على صدره مربوطة في عنقه، يرى أنها تحجبه من الشر ومن الشياطين، وبعضهم يفعل ذلك إذا مرض، يرى أن الله يشفيه بها، هذا معنى الحجب التي نعرف، وأما ما يفيده ظاهر كلامها فكأنها تريد بذلك نقض السحر، ونقض السحر بالسحر ممنوع، لأن النبي ﷺ سئل عن النُّشْرَةِ فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[1] لكن قد يكون هناك حالات خاصة ينظر فيها بعينها.

***

(٨٧) يقول السائل أ. ع: مرض أحد أقربائي، فطلبت مني والدتي أن أحضر لها عزائم من أحد الناس الذين يقرؤون على الناس، فطلب مني ذلك الرجل مبلغ ألف ريال مقابل هذه العزائم التي توضع عند رأس المريض، فما حكم هذه العزائم؟ وما حكم أخذ هذا الرجل هذا المبلغ الباهظ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما بالنسبة لهذه العزائم فإنه لا يجوز للإنسان أن يستعمل عزائم لا يدري ما هي حتى يعرف أنها من القرآن، أو من السنة الصحيحة، أو من الأدعية المباحة، فأما أن يأتي لشخص يجده يقرأ على الناس ويكتب لهم العزائم فيطلب منه ذلك فإن هذا لا يجوز.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب النشرة، رقم (٣٨٦٨).

وأما وضعها عند الرأس فلا أصل له، ولم يفعله أحد من السلف، لكن رخص بعض السلف في العزائم إن كانت من القرآن أن يَتَقَلَّدَهَا الإنسان، أو أن يضعها في ماء ويشرب أثر المداد الذي يتحلل في هذا الماء، وأما وضعها عند الرأس أو تحت الوسادة فلا أصل له.

وأما أخذ الأجرة والعوض على هذه العزائم: فالذي ينبغي للإنسان أن لا يفعل، وإن فعل فلا حرج، لأن النبي ﷺ أجاز أخذ الأجرة على الرقية في قصة الصحابة الذين بعثهم النبي ﷺ، فاستضافوا قومًا فلم يضيفوهم، فسلط الله على سيدهم حية فلُدِغَ، ثم جاؤوا إلى الصحابة يطلبون منهم قارئًا، قالوا: لا نقرأ عليكم إلا بكذا وكذا من الغنم. فأعطوهم من الغنم، وبلغ ذلك النبي ﷺ فأقره[1].

وأما كون القارئ يأخذ أجرًا كبيرًا على عمل يسير: فإني أنصحه أن يتقي الله -عز وجل- في إخوانه، وألا يستغل ضرورتهم في ابتزاز أموالهم، فليأخذ ما يرى أنه حق له، وأما ما زاد فَلْيَتَوَرَّعْ عنه.

***

(٨٨) تقول السائلة من الأردن الزرقاء: إن عمرها خمسة وعشرون عامًا، فمنذ صغرها وهي تُطْلَبُ للزواج ولا يحصل نصيب، لا يكون ذلك برفض منها ولكنها لا تدري ما هو السبب، فهي إنسانة طبيعية متوسطة الجمال، فقال الناس لأمها: إن ابنتك لها حجاب عن الزواج، ولكن أمها رفضت هذه الفكرة من الأصل، لأنها تخاف الله ولا تصدق بهذه الأشياء. وفي يوم من الأيام ذهبت الفتاة وحدها إلى امرأة يقال لها: شيخة، فقالت لها: إن لك عدة أعمال محجوبة، من ضمنها الزواج والوظيفة والقلق والكراهية وما إلى ذلك، وعملت لها عدة أشياء، منها ما يعلق على الصدر وعلى الكتف اليمين، ومنها ما يُشْرَبُ ويرش،

---

(١) تقدم تخريجه.

فبقيت تستعمل هذه الأشياء سرًّا بعيدًا عن والدتها، ومضى شهر وشهران وأكثر ولم يطرق بابها أي خاطب. أما ما قالته لها بخصوص العمل فهي موظفة، أما ما تعانيه فهو صحيح، فهي تكره أن ترى الناس، بعد ذلك تغيرت وأصبحت حالتها أحسن، وذات مرة خطر ببالها أن تمزق هذا الحجاب الذي أعطته لها تلك المرأة، وعندما فتحته وجدت بداخله تكرارًا لأسماء الرسول، والخلفاء، وبعض الرسل، وبعض الأسماء الغريبة، فحرقتها جميعًا. فتسأل: هل صحيح أن الحجاب الذي يعمله المشعوذون يمنع الفتاة عن الزواج؟ وهل ما قامت به من تمزيقه حرام؟ مع العلم أن بعض ما أخبرتها به صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا سؤال يتلخص جوابه في شيئين:

الشيء الأول: تعليق هذه الحجب، سواء كان لطلب الزواج، أم للبراءة من المرض الجسمي أو النفسي، هل هو جائز أو ليس بجائز؟ في هذا خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يرى أنه ليس بجائز على كل حال، وذلك لأنه لم يرد في كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ أن تعليق مثل هذا يكون سببًا في إزالة ما يكره أو حصول ما هو محبوب، وإذا لم يثبت شرعًا فإنه لا يجوز إثبات كونه سببًا.

ومن العلماء من يقول: إنه لا بأس به -أي: بتعليق الحجاب- لدفع ضرر أو حصول منفعة، لكن بشرط أن يكون من إنسان موثوق به، وأن يعلم ما كُتب فيه، وأن لا يكون هذا المكتوب مخالفًا لما جاء به الشرع، فإذا تمت هذه الشروط الثلاثة فهو جائز، وبعضهم يشترطون شرطًا رابعًا، وهو: أن يكون من القرآن خاصة.

وعلى هذا القول الثاني يجوز التعليق بالشروط الأربعة، ولكن الذي أرى أنه لا يجوز مطلقًا، لأن تعليل من قال بعدم الجواز قوي، حيث إنه لم يثبت في كتاب الله، ولا سُنَّةَ رسوله ﷺ أن هذا من الأسباب النافعة، وكل شيء يثبت سببًا لشيء ولم يكن معلومًا بالشرع أو بالحس فإنه لا يجوز إثباته.

أما المسألة الثانية مما يتضمنه جوابنا هذا على سؤال المرأة: فإن هذا الذي عملته في هذا الحجاب من تمزيقه هو من المعروف، وهو عمل طيب، بل يجب عليها إذا كانت لا تدري ما الذي فيه أن تكشف عنه، فإذا رأت فيه مثلما ذكرت أسماء الرسول ﷺ، وأسماء الخلفاء، وبعض الرسل فإنه لا يجوز تعليقه، لأن هذا شيء غير مؤكد، وإذا رأت فيه قرآنًا فإنه ينبني على الخلاف الذي ذكرناه قبل قليل، والذي نرى أيضًا أنه لا يجوز تعليقه.

فإذا كان قرآنًا فهناك طريقان: إما أن تدفنه في محل نظيف، وإما أن تحرقه وتدقه بعد إحراقه حتى يتلاشى نهائيًّا.

وبهذه المناسبة أود أن أحذر إخواننا من التردد على أولئك الناس الذين يكتبون هذه الأحراز وهذه الحجب، وحالهم لا تعلم لا من جهة الديانة ولا من جهة العلم، لأن هذه من الأمور الخطيرة، وكون الإنسان إذا فعلها يتأثر ويجد خِفَّةً قد لا يكون ذلك من جراء هذا العمل، قد يكون الله -تعالى- قد أذن بِبُرْئِهِ أو شفائه وصادف أن يكون عند هذا الشيء لا به. وأيضًا فإنه من المعلوم نفسيًّا أن الإنسان إذا شعر بشيء منه نفسيًّا فإنه يتأثر به جسمه، حتى إن الإنسان -كما هو مشاهد- إذا كان غافلًا عما به من مرض فإنه لا يحس به، فإذا التفت بفكره إليه أحس به هذا الرجل، يكون مشتغلًا بتحميل أثاثه مثلًا فيجرحه مسمار أو زجاجة، تجده لا يحس بها حين اشتغاله بالعمل، فإذا تفرغ فإنه يحس به، لأنه جعل فكره إليه.

المهم أننا ننصح إخواننا بالبعد عن هذه الطرق التي لا يعلم من سلكها، ولا يعلم ما فيها من مكتوب، والإنسان ينبغي له أن يعلق قلبه بالله -عز وجل-، ويتبع ما جاء عن النبي ﷺ في الاستشفاء بالقرآن والدعاء.

***

(٨٩) يقول السائل إدريس من السودان: يوجد في قريتنا مسجد، ولكن إمام المسجد يستعمل التراب من القبور، ويكتب التمائم والحروز، ويدعي بأنها

تعالج المرضى وتفك من السحر والعين. هل تصح الصلاة خلف هذا الإمام المذكور؟ نرجو الإفادة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن خيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وأن شَرَّ الأمور محدثاتها، كما كان النبي ﷺ يعلن ذلك في خطب الجمع، **وأخذ التراب من القبور للاستشفاء به بِدْعَةٌ**، وهو ضلال في دين الله، وسفهٌ في العقل، فإن هذا التراب لم يحدث له أي شيء يجعله سببًا في شفاء المرضى من أجل دفن الميت في القبر، بل هذه التربة كسائر تراب الأرض، وليس لها مزيةٌ على غيرها، ومن تبرك بها أو استشفى بها فقد ابتدع وضَلَّ وسَفِهَ في عقله، وعليه أن يتوب إلى الله -عز وجل- من هذا العمل، وأن يعلم أن الشفاء من الله -عز وجل-، وأنه لا شفاء بأي سببٍ من الأسباب إلا ما جعله الله سببًا، ولم يجعل الله -تعالى- أخذ التراب من القبور سببًا في شفاء المرضى.

وأما القراءة على المرضى بآياتٍ من القرآن، أو بما جاءت به السنة عن رسول الله ﷺ، فإن هذا سببٌ شرعي يحصل به الشفاء بإذن الله، وقد صح أن سَرِيَّةً في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- نزلوا على قومٍ فاستضافوهم، فأبى القوم أن يضيفوهم، فقدر الله -تعالى- على سيد القوم أن لَدَغْتُهُ حية، فأتوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: هل عندكم من راقٍ؟ قالوا: نعم. قالوا: إنه لدغ سيدنا، ونريده أن يَرْقِيَه. فقالوا: لا نرقي عليه إلا بكذا وكذا من الغنم. فأعطوهم إياها، فذهب أحد القوم من السرية إلى اللديغ، فجعل يقرأ عليه بفاتحة الكتاب، فقام هذا الملدوغ كأنما نشط من عقال، وبَرَأَ بإذن الله بقراءة الرجل عليه سورة الفاتحة.(١)

وتأثير قراءة القرآن في المرضى أمرٌ لا ينكر، قال الله -تعالى-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] والشفاء هنا شامل الشفاء من أمراض القلوب وأمراض الأجسام.

---

(١) تقدم تخريجه.

وهذا الإمام الذي ذكرت أنه يتبرك بتراب القبور ويستشفي بها يجب عليكم أن تنصحوه، وتَبَيِّنُوا له أن ذلك بدعةٌ وضلالٌ في دين الله وسفهٌ في العقول، وأن عليه أن يتوب إلى الله -عز وجل- من هذا العمل الذي كان يقوم به.

وأما قراءته على المرضى بآياتٍ من القرآن وبما جاءت به السنة فإن هذا لا بأس به، بل هو أمرٌ مطلوب.

وأما الصلاة خلفه: فالقول الراجح من أقوال أهل العلم أن الإنسان إذا لم يصل بعمله وبدعته إلى الكفر المخرج من الإسلام فإنه يُصَلَّى خلفه، وتصح الصلاة خلفه، إلا إذا كان في الصلاة خلفه فتنة، بحيث يفتتن به الناس ويتابعونه على بدعته، فحينئذٍ يحسن أن لا يصلى خلفه، لئلا يفتتن به الناس ويظنوا أنه على حق، حيث كان الناس يُصَلُّون وراءه، لا سيما إذا كان الذي يصلي وراءه ممن يشار إليهم بالفقه والعلم.

***

(٩٠) يقول السائل: يقول الله -تعالى- في سورة البقرة: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] **ما معنى هذه الآية؟ وهل يدخل فيها من يكتبون الحجب من القرآن مقابل أجر نقدي يتقاضونه؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية الكريمة أن الله -سبحانه وتعالى- توعد أولئك الذين يفترون عليه كذبًا فيكتبون بأيديهم كلامًا ثم يقولون للناس: هذا من عند الله، من أجل أن ينالوا به حظًا من الدنيا، إما جاهًا، أو رئاسة، أو مالًا أو غير ذلك، ثم بَيَّنَ الله -تعالى- أن هذا الوعيد على الفعلين جميعًا، على كتابتهم الباطلة، وعلى كسبهم المحرم الناشئ عن هذه الكتابة الباطلة.

أما الذين يكتبون الحجب -وهي: ما يعلق على المريض لشفائه من المرض، أو على الصحيح لوقايته من المرض- فإنه ينظر هل تعليق هذه الحجب جائز أم لا؟ إذا كانت هذه الحجب لا يعلم ما كتب فيها، أو كتب فيها أشياء محرمة، كأسماء الشياطين والجن وما أشبه ذلك، فإن تعليقها لا يحل بكل حال.

وأما إذا كانت هذه الحجب مكتوبة من القرآن والأحاديث النبوية ففي حِلِّهَا قولان لأهل العلم، والراجح أنه لا يحل تعليقها، وذلك لأن التعبد لله -سبحانه وتعالى- بما لم يشرعه الله بدعة، ولأن اعتقاد شيء من الأشياء سببًا لم يجعله الله سببًا نوع من الشرك.

وعلى هذا، فالقول الراجح أنه لا يجوز أن يعلق على المريض شيء، لا من القرآن ولا من غيره، ولا أن يعلق -على الصحيح- شيء، لا من القرآن ولا من غيره، وكذلك لو كتبت هذه الحجب، ووضعت تحت وسادة مريض ونحو ذلك، فإنه لا يجوز.

***

(٩١) يقول السائل س.ع. ص من اليمن، لواء تعز: نعلم أنه روي عن النبي ﷺ أنه صلى بأصحابه صلاة الصبح في الحديبية على إثر سماء نزلت في الليل، فلما سلم أقبل على أصحابه وقال لهم: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنه قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فقد أصبح وهو مؤمن بي وكافر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، فهو مؤمن بالكوكب وكافر بي»[(١)] وفي هذا الزمن يقولون: إن الأمطار تتبخر، أو هي نتيجة تبخر البحار والمحيطات إلى غير ذلك، فمن اطلع على حقيقة ذلك؟ وهل هذا الاعتقاد جائز؟ وما الدليل من الكتاب والسُّنَّة على هذا القول؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم (٨٤٦)، مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، رقم (٧١).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قول السائل: نعلم أنه روي عن النبي ﷺ، الصواب أن يقال: إنه ثبت عن النبي ﷺ، لأن قول: روي عن الرسول معناه تضعيف الحديث، والحديث ثابت، وهو أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- صلى بأصحابه صلاة الصبح على إثر مطر نزل، فلما أنهى صلاته أقبل عليهم وقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[1] من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فهو مؤمن بالله، لأنه اعترف لله بالفضل، وأن هذا المطر من آثار فضله ورحمته -تبارك وتعالى-، وهذا هو الواجب على كل مسلم أن يُضِيفَ النِّعَمَ إلى بارِئِهَا ومُسْدِيهَا وهو الله -تبارك وتعالى-، ولا حرج أن يضيفها إلى سببها الثابت شرعًا أو حِسًّا، إلا أنه إذا أضافها إلى سببها الثابت حِسًّا أو شرعًا فإنه لا يضيفها إلى السبب مقرونًا مع الله -عز وجل- بالواو، وإنما يضيفها إلى سببها مقرونًا مع الله تعالى بِثُمَّ، أو إلى سببها وحده.

فلو أن شخصًا أنقذ غريقًا من غرق فهنا لا يخلو من حالات:

الأولى: أن يقول: أنقذني الله تعالى على يد فلان، وهذا أفضل الأحوال.

الثانية: أن يقول: أنقذني الله ثم فلان، وهذه جائزة، وهي دون الأولى.

الثالثة: أن يقول: أنقذني فلان، ويعتقد أنه سبب محض، وأن الأمر كله إلى الله -عز وجل-، وهذه جائزة، ويَدُلُّ على جوازها أن النبي ﷺ لما أخبر عن عمه أبي طالب أنه كان في ضَحْضَاحٍ من نار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه -والعياذ بالله- قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم (٣٨٨٣)، مسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، رقم (٢٠٩).

الرابعة: أن يقول: أنقذني الله وفلان، وهذا لا يجوز، لأنه أشرك سببًا مع الله بحرف يقتضي التسوية وهو الواو، ودليل ذلك أن النبي ﷺ قال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «**أجعلتني والله عدلا بل ما شاء الله وحده**»(١)، فالمطر النازل لاشك أنه بفضل الله ورحمته وبتقديره -عز وجل- وقضائه، ولكن الله تعالى جعل له أسبابًا، كما أشار الله إليه بقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ [الروم: ٤٨]. قال: ﴿ يُرۡسِلُ...فَتُثِيرُ ﴾ أضاف الإثارة إلى السحاب، لأنها سبب هذه الإثارة، ﴿ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ [الروم: ٤٨]، فلا بأس بإضافة الشيء إلى سببه مع اعتقاد أنه سبب محض، وأن خالق السبب هو الله -عز وجل-.

وأما قول الرسول -عليه الصلاة والسلام- عن الله -تبارك وتعالى-: «**أن من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فهو كافر بي مؤمن بالكوكب**»، فهذا لأنهم أضافوا الشيء إلى سبب غير صحيح، لأن النوء ليس سببًا للمطر، فالنوء الذي هو الكوكب ليس هو الذي يجلب المطر، ولا علاقة له به، ولذلك أحيانًا تكثر الأمطار في نوء من الأنواء في سنة، وتقل في سنة أخرى وتعدم في سنة ثالثة، وربما يكون العكس، فالأنواء ليس لها تأثير في نزول المطر، ولهذا كانت إضافة المطر إليها نوعًا من الشرك، فإن اعتقد أن النوء يحدث المطر بنفسه بدون الله فذلك شرك في الربوبية، شرك أكبر مخرج عن الملة، فهذا وجه قوله -تبارك وتعالى- فيما رواه عنه نبيه محمد ﷺ: «**من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

وأما ما اشتهر من أن الأمطار تكون بسبب تبخر البحار ونحو ذلك: فهذا إن صح فإنه لا ينافي ما ذكره الله -تعالى- في القرآن، إذ من الجائز أن يكون هذا البخار تثيره الريح حتى يصعد في جو السماء، ثم يبسطه الله

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤).

-تعالى- في السماء كيف يشاء، ثم ينزل به المطر، وهذه مسألة ترجع إلى أهل العلم بهذا الشأن، فإذا ثبت ذلك فإنا نقول: هذا البخار الذي تصاعد من البحار الذي خلقه هو الله، والذي جعله يتصاعد في الجو حتى يمطر هو الله -عز وجل-، ولا ينافي ذلك ما جاء في القرآن إذا صح علميًّا. والله أعلم.

***

(٩٢) يقول السائل: إن بعض الناس يقومون بالذهاب إلى البئر التي تقع على طريق المدينة المنورة، ومثلها العين التي تقع في تهامة، لقصد طلب الشفاء من بعض الأمراض، والشافي هو الله -سبحانه وتعالى-، وأنه عند العودة من هناك يخبروننا بأنهم قد شُفي البعض منهم من بعض الأمراض التي بهم، مثل أمراض كثيرة والأمراض الصعبة، فما رأيكم في صحة ما يذكرون عند اعتقادهم بأن الاغتسال من ذلك الماء يشفي المرضى، والله يحفظكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رَأْيُنَا في هذا أنه إذا ثبت أن لهذا الماء تأثيرًا حسيًّا في إزالة الأمراض فإنه لا بأس من قصده والاستشفاء به، **وذلك لأن الطب على نوعين:**

أحدهما: ما ثبت به الشرع، فهذا مقبول بكل حال ولا يسأل عنه، إنَّما يسأل عن هل هذا الذي ثبت بالشرع أنه دواء هل يكون دواء لهذا المرض المعين؟ لأنه ليس كل ما كان دواء لمرض يكون دواء لكل مرض.

القسم الثاني: شيء لم يثبت به الشرع لكنه ثبت بالتجارب، وهذا كثير جدًّا من الأدوية المستعملة قديمًا وحديثًا، فإذا ثبت بالاستعمال والتجارب أن هذا له تأثير حسي في إزالة المرض فإنه لا بأس باستعماله، وكثير من الأدوية التي يتداوى بها الناس اليوم إنما عُلمت منافعها بالتجارب، لأنه لم ينزل فيها شرع.

فالمهم أن ما أشار إليه السائل من هذه المياه، إذا ثبت بالتجارب أن لها تأثيرًا في بعض الأمراض، فإنه لا بأس بالاستشفاء بها والذهاب إليها.

***

(٩٣) تقول السائلة س. ك. من الأفلاج: أرى بعض الناس عندنا عندما يريدون الاحتفاظ بطعام إلى وقت آخر يضعون تمرة على غطاء الإناء الذي فيه الطعام، يزعمون أنها تحفظه من كل سوء كالحشرات ونحوها. فهل في فعلهم هذا ما يناقض التوحيد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الفعل -وهو: وضع التمر على الطعام لئلا تصيبه الحشرات-، لا أصل له، ولا أعلم له أصلًا من الشرع، ولا من الواقع، فإن الحشرات تأتي إلى ما يلائمها، فمنها ما يلائمها التمر وتأتي حوله، بل تأكل منه أيضًا، ومنها ما يلائمها الدسم فتأتي إليه وتطعم منه، ولا أصل لهذا الذي يفعل.

وإذا لم يكن له أصل من الشرع ولا من الواقع فإنه لا ينبغي للإنسان أن يفعله، لأنه مبني على مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة لها.

***

(٩٤) يقول السائل م. ن. أ. من نجد: في أيام التشريق ونحن نذهب من منى إلى الجمرات ونعود إليها نجد بعض الأفارقة يجلسون على الطرقات، ويبيعون أكياسًا مثل الحبال، وهي من الجلد الملون، ومختومة من جميع أطرافها، وفيها شيء لا نعلمه، ويقولون: فيها شفاء من أمراض عدة وتقي الإنسان، فاللون الأسود عن الجان مثلًا، واللون الأحمر عن الجلجان، واللون الأصفر عن ذات الصفراء، واللون كذا يشفي من المرض كذا، ويقول: ضع هذا في حقيبتك أو في منزلك فيفيدك. فما حكم شراء مثل هذه الأمور؟ وما حكم بيعها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حكم شرائها لا يجوز، واعتقاد أن فيها هذا النفع الذي يقال لا يجوز أيضًا، لأن هذا لا دليل عليه.

وأما بيعها فلا يجوز أيضًا، وينبغي لكم -بل يجب عليكم- إذا رأيتم مثل هذا أن تخبروا السُّلُطَاتِ عن هذا الأمر، حتى يمنعوهم من أكل أموال الناس

بالباطل، لأن التكسب بمثل هذه الأمور من أكل أموال الناس بالباطل، والواجب منعه وتأديب فاعله.

***

(٩٥) يقول السائل ف. ج. من ينبع: نرى كثيرًا ما توضع لافتات ولوحات، سواء كانت من الورق أو القماش أو اللوحات الخشبية، ومكتوب عليها جميعًا آيات قرآنية، وتوضع على أبواب المساجد والعمائر والشوارع العامة، مما يعرض كلام الله -سبحانه وتعالى- للإهانة لا سمح الله، بسبب سقوط هذه اللوحات على الطرق والمحلات القذرة. نرجو التوجيه من فضيلتكم بشأن هذا الموضوع المهم لحماية كلام الله من التعرض للخطإ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الأمر الذي أشار إليه السائل -وهو: تعليق الآيات القرآنية على الجدران وأبواب المساجد وما أشبهها- هو من الأمور المحدثة التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح الذين هم خير القرون، كما ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)] ولو كان هذا من الأمور المحبوبة لله -عز وجل- لشرعه الله -تعالى- على لسان رسوله ﷺ، لأن كل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم فهو مشروع على لسان الرسول ﷺ، ولو كان هذا من الخير لكان أولئك السلف الصالح أسبق إليه منا.

ومع هذا فإننا نقول لهؤلاء الذين يعلقون هذه الآيات: ماذا تقصدون من هذا التعليق؟ أتقصدون بذلك احترام كلام الله -عز وجل-؟ فإن قالوا: نعم. قلنا: لسنا والله أشد احترامًا لكتاب الله -سبحانه وتعالى- من أصحاب النبي ﷺ، ومع ذلك لم يعلقوا شيئًا من آيات الله على جدرانهم أو جدران مساجدهم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥٢)، مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

وإن قالوا: نريد بذلك التذكير والموعظة. قلنا: لننظر إلى الواقع، فهل الذين يشاهدون هذه الآيات المعلقة يتعظ بها فيها؟ قد يكون ذلك ولكنه نادر جدًا، وأكثر ما يلفت النظر في هذه الآيات المكتوبة حسن الخط، أو ما يحيط بها من البراويز والزخارف، أو ما أشبه ذلك، وهو نادر جدًا أن يرفع الإنسان رأسه إليها ليقرأها فيتعظ بما فيها.

وإن قالوا: نريد التبرك بها. فيقال: ليس هذا طريق التبرك، والقرآن كله مبارك، لكنه بتلاوته وتفقد معانيه والعمل به، لا بأن يعلق على الجدران ويكون كالمتاحف.

وإن قالوا: أردنا بذلك الحماية والوِرد. قلنا: ليس هذا طريق الحماية والوِرد، فإن الأوراد التي تكون من القرآن إنما تنفع صاحبها إذا قرأها، كما في قوله ﷺ فيمن قرأ آية الكرسي في ليلة: «**لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[1] ومع هذا فإن بعض المجالس -أو كثيرًا من المجالس- التي تكتب فيها الآيات قد يكون فيها اللغو، بل قد يكون فيها الكلام المحرم، أو الأغاني المحرمة، وفي ذلك من امتهان القرآن المعنوي ما هو ظاهر.

ثم إن الامتهان الحسي الذي أشار إليه السائل -بأن هذه الأوراق قد تتساقط في الأسواق وعلى القاذورات، وتوطأ بالأقدام- هو أمر آخر أيضًا مما ينبغي أن ينزه عنه، بل مما يجب أن ينزه عنه كلام الله -عز وجل-.

والخلاصة: أن تعليق هذه الآيات إلى الإثم أقرب منه إلى الأجر، وسلوك طريق السلامة أولى بالمؤمن وأجدر. على أنني أيضًا رأيت بعض الناس يكتب هذه الآيات بحروف أشبه ما تكون مزخرفة، حتى إني رأيت من كتب بعض الآيات على صورة طائر أو حيوان، أو رَجُلٍ جالسٍ جلوس التشهد في الصلاة أو ما أشبه ذلك، فيكتبون هذه الآيات على وجه مُحَرَّمٍ، على وجه التصوير الذي لعن النبي ﷺ فاعله.

---

(١) تقدم تخريجه.

ثم إن العلماء -رحمهم الله- اختلفوا هل يجوز أن ترسم الآيات برسم على غير الرسم العثماني أو لا يجوز؟ اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال:

منهم من قال: يجوز مطلقًا أن ترسم على القاعدة المعروفة في كل زمان ومكان بحسبه، ما دامت بالحروف العربية.

ومنهم من يقول: إنه لا يجوز مطلقًا، بل الواجب أن ترسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني فقط.

ومنهم من يقول: إنه يجوز أن ترسم بالقاعدة المعروفة في كل زمان ومكان بحسبه للصِّبْيَان، لتمرينهم على أن ينطقوا بالقرآن على الوجه السليم، بخلاف رسمه للعقلاء الكبار فيكون بالرسم العثماني.

وأما أن يرسم على وجه الزركشة والنقوش، أو صور الحيوان، فلا شك في تحريمه، فعلى المؤمن أن يكون معظمًا لكتاب الله -عز وجل- محترِمًا له، وإذا أراد أن يأتي بشيء على صورة زركشة ونقوش فليأتِ بألفاظ أُخَر من الحِكم المشهورة بين الناس وما أشبه ذلك، وأما أن يجعل ذلك في كتاب الله -عز وجل-، فيتخذ الحروف القرآنية صورًا للنقوش والزخارف، أو ما هو أقبح من ذلك بأن يتخذها صورًا للحيوان أو للإنسان، فإن هذا قبيح محرم. والله المستعان.

***

(٩٦) يقول السائل: هل يجوز تعليق بعضٍ من الآيات من القرآن الكريم في المنازل، أو المكاتب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تعليق الآيات على الجدر ونحوها في المساجد والمساكن، فأني لا أرى ذلك، أي: لا أرى أن يعلق الإنسان آيات من القرآن على الجدر، سواء في المساجد أو في البيوت، لأننا لا بد أن نسأل: ما الحامل على ذلك التعليق؟ إن قال: الحامل على ذلك التبرك بكلام الله -عز وجل-. قلنا: إن التبرك بالقرآن الكريم على هذا الوجه ليس بصحيح، لأن هذا لم يرد عن

النبي ﷺ، ولا عن أصحابه أنهم كانوا يتبركون بالقرآن على هذا الوجه، وإذا لم يَرِدْ عنهم ذلك عُلِم أنه ليس من الشرع، وإذا لم يكن من الشرع فإنه لا يجوز للإنسان أن يتعبد به لله -عز وجل-، أو أن يتبرك بالقرآن على هذا الوجه بدون مستندٍ شرعي.

قد يقول: إنني أريد بذلك تذكير الجالسين بما تتضمنه هذه الآية من ترغيب أو ترهيب. فنقول: هذا التفكير وإن كان مقصودًا للواضع، لكنه في الحقيقة غير واقع وغير عملي، فما أكثر الآيات التي فيها ترغيب وترهيب، إذا وضعت فإن أكثر الحاضرين -إن لم يكن كلهم- لا ينتفع بذلك ولا يتعظ، قد يكون من المعلق قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، ويكون المجلس الذي فيه هذه الآية كله غِيبَةً وكلام في أعراض الناس، فيكون هذا من باب المضادة لكلام الله -عز وجل-.

قد يقول: إني علقتها حماية لبيتي، فأنا أُعَلِّقُ آية الكرسي لتحفظ البيت من الشياطين، لأنه ثبت عن النبي ﷺ **«أنه من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح»**(١) فنقول: هذا أيضًا من البدع، فإن السلف لم يكونوا يحفظون بيوتهم بتعليق الآيات عليها، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**من قرأ آية الكرسي في ليلة**»، والقراءة غير التعليق كما هو ظاهر، وبناء على هذه العِلَّةِ التي يتعلل بها من يعلق الآية تجد كثيرًا من الناس يعتمد على هذا التعليق ولا يقرؤها بنفسه، لأنه يقول: قد كفيت بتعليق هذه الآية، فيفوت الإنسان خيرٌ كثيرٌ بناء على هذا العمل المبني على هذا الاعتقاد الذي لا أصل له.

ونحن نقول: إن بعض الناس قد يعلقها -أي: الآيات- من باب التجميل، ولهذا تجدهم أحيانًا يعلقون آيات كتبت على غير الرسم العثماني، بل هي مخالفة له، وربما يكتبونها على الشكل الذي يوحي به معناها، وربما يكتبونها

---

(١) تقدم تخريجه.

على صورة بيت أو قصر أو أعمدة وما أشبه ذلك، مما يدل على أنهم جعلوا كلام الله -عز وجل- مجرد نقوش وزخرفة، وهذا رأيته كثيرًا.

فالذي أرى أنه لا ينبغي للإنسان أن يعلق شيئًا من كلام الله -عز وجل- على الجدر، فإن كلام الله أعلى وأسمى وأجل من أن يجعل وشيًا تُحَلَّى به الجدران، ولا يمكن أن يقاس هذا على شخص علق المصحف بوتد أو شبهه في الجدار، فإن هذا قياس مع الفارق العظيم، فالمصحف مغلف في جيبه أو بظرفه، ولم تَبْدُ حروفه ولا أسطره، ولا أحد يقول: إني علقت المصحف هنا لأتبرك به أو لأتعظ به، وإنما يقول: علقته هنا لرفعه عن الأرض، وحفظه عن الصبيان ونحو ذلك، وفرق بين البارز الظاهر المعلق أو المشمع على الجدار، وبين مصحف معلق مغلف جعل في فرجة أو علق بوتد أو شِبْهِهِ، ولا ينطلي هذا القياس على أحد، تأمل المسألة وتدبرها.

***

(٩٧) يقول السائل ج. أ. م. ع. من السودان: اعتاد بعض المزارعين عندنا حينما تثمر مزارعهم ويكثر ورود الطير عليها مما يُتْلِفُ المحصول عليهم، أن يذهبوا إلى أحد أهل القرية ليعمل لهم ويكتب ورقة تحمي زراعتهم من الطير، بشرط أن يأخذ منهم ربع جوال من المحصول. فهل هذا العمل جائز شرعًا أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا العمل ليس بجائز شرعًا، وذلك لأنه لا يمكن أن تكون هذه الورقة تطرد الطيور عن المزارع، فإن هذا ليس معلومًا بالحس، وليس معلومًا بالشرع، وكل سبب ليس معلومًا بالحس ولا بالشرع فإن اتخاذه محرم، فلا يجوز أن يعملوا هذا العمل، وإنما عليهم أن يكافحوا هذه الطيور التي تُنْقِصُ محاصيلهم، يكافحونها بالوسائل المعتادة التي يعرفها الناس، دون هذه الأمور التي لا يعلم لها سبب حسي ولا شرعي.

***

(٩٨) يقول السائل م. ي: ما المقصود بالتَّطَيُّرِ؟ وما حكمه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التطير هو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان، وأصله من الطير، وكانت العرب في الجاهلية تتشاءم يزجرون الطير، فإذا طار واتجه إلى جهةٍ ما، تَطَيَّرُوا، حتى إنه ربما كان إنسان قد ربط متاعه و أناخ راحلته يريد السفر، فيتطير، فإذا جنح الطير إلى جهةٍ ما ترك السفر وقال: هذا سفر شَرٍّ. هذا هو الأصل في معنى التطير، ولهذا يجب على الإنسان إذا حدث في قلبه التشاؤم أن يتوكل على الله وأن يعتمد عليه، وأن لا يبالي بهذه الأوهام التي يجرها الشيطان إلى العبد ليكدر عليه صفوه، فقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**»(١) وقال: «**ليس منا من تطير أو تطير له، أو سحر أو سحر له**»(٢).

***

(٩٩) يقول السائل: كيف نوفق بين قوله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**»(٣). وبين قوله: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»(٤)؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوفيق بينهما أن قوله ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة**» نفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية بأن الأمراض تعدي بنفسها، بحيث ينتقل المرض من المريض إلى السليم بنفسه حتمًا، فنفى رسول الله ﷺ ذلك، وبَيَّنَ أن العدوى لا تكون إلا باذن الله -سبحانه وتعالى-، أي: إن هذا النفي يتضمن أن العدوى لا تكون إلا من الله -عز وجل-، ولهذا أورد على النبي ﷺ لما حدث بهذا الحديث أن الرجل يأتي إبله السليمة بعير أجرب، فتجرب

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب الجذام، رقم (٥٧٠٧)، مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١١٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الإبل، فقال النبي ﷺ ردًا على هذا الإيراد: «**فمن أعدى الأول**»؟[١] أي: من جعل في الأول المرض؟ هل هناك مريض أعداه؟ والجواب: لا، ولكن الذي جعل فيه المرض هو الله، فالذي جعل المرض ابتداءً في المريض الأول هو الذي يجعل المرض ثانية في المريض الثاني بواسطة العدوى.

وعلى هذا فيكون معنى الحديث «**لا عدوى**» أي: بنفسها، ولكن ذلك بتقدير الله -عز وجل- الذي جعل لكل شيء سببًا، ومن أسباب المرض اختلاط المريض بالسليم، لأن اختلاطك به قد يكون سببًا للعدوى، فينتقل المرض من المجذوم إليك إذا اختلطت به، ولهذا قال: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**» فيكون الحديث الثاني فيه الأمر بتجنب أسباب المرض وهي مخالطة المريض، ولهذا جاء في الحديث: «**لا يورد ممرض على مصح**»[٢].

***

(١٠٠) **يقول السائل: بعض الشباب يسكنون معي، ودائمًا يمزحون ببعض الكلمات العفوية بالنسبة لهم، فيقول أحدهم للآخر مثلًا: إن المصالح اليوم كلها تعطلت في المكان الفلاني، لأنك كنت متواجدًا فيه، وهذا لشؤم وجهك. ويضحكون لمثل هذا الأمر، حتى صار هذا ديدنهم في كل كلامهم، بل ويقولون: إن فلانًا مات لأنك ذهبت تزوره، فمات من شؤم وجهك، وهذه هي الكلمات التي يقولونها، فأرجو من فضيلة الشيخ الإجابة عن حكم هذا مأجورين؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الكلام محرم، لأنه كذب ورجم بالغيب، ثم إنه قد يوجد عقيدة فاسدة بالتشاؤم من هذا الرجل، ثم إنه قد يوجد عداوة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا صفر، رقم (٥٧١٧)، مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا هامة، رقم (٥٧٧٠)، مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢١).

مستقبلًا، لأن كثرة المزاح في مثل هذه الأمور تؤثر على القلب وعلى النفس حتى يكون فيه عداوة وبغضاء، فنصيحتي لهؤلاء أن يتجنبوا مثل هذه الكلمات المبنية على الكذب، والتي تسبب ما لا ينبغي أن يكون.

***

(١٠١) تقول السائلة ع. م. ق. من السودان: نحن نسكن في منزل منذ أربع سنوات، ومنذ نزلنا هذا المنزل ونحن نمر بحالات سيئة جدًّا، من مرض لأفراد الأسرة، ولما نملكه من بهائم، فلم تعد تتكاثر، فلا نَسْلَ منها ولا لَبَنَ فيها ولا فائدة، مما جعلنا نتشاءم من هذا المنزل، فهل يجوز لنا ذلك؟ وهل لو خرجنا منه وانتقلنا إلى منزل آخر لهذا السبب، هل نأثم بذلك أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ربما يكون بعض المنازل، أو بعض المركبات، أو بعض الزوجات مشؤومًا، يجعل الله -سبحانه وتعالى- بحكمته مع مصاحبته إما ضررًا، أو فوات منفعة، أو نحو ذلك. وعلى هذا فلا بأس أن تبيعوا هذا البيت وتنتقلوا إلى بيت غيره، ولعل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل لكم الخير فيما تنتقلون إليه. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ، فَفِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ**»[(١)] فذكر منها الدار.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: ما هي الثلاث التي فيها الشؤم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هي الدار والمرأة والفرس، يعني: بعض المركبات قد يكون فيه شؤم، بعض الزوجات يكون فيها شؤم، بعض البيوت يكون فيه شؤم، فإذا رأيت ذلك فاعلم أنه بتقدير الله -عز وجل-، وأن الله -سبحانه وتعالى- بحكمته قَدَّرَ ذلك لتنتقل إلى محل آخر.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، رقم (٥٠٩٤)، مسلم: كتاب السلام، باب الطيرة والفأل، رقم (٢٢٢٥).

(١٠٢) يقول السائل: بعض الناس إذا اشترى سيارة ثم حصل لها عدة صدمات قال: هذه السيارة منحوسة، فيقوم ببيعها، فهل هذا من التشاؤم في محله؟ أرجو الإفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: صحيح أن بعض الناس يجد في بعض ماله من بركة فينتفع به كثيرًا ويُوقَى الآفات، سواء كان في السيارة أو في البيت أو في غير ذلك، وربما يجد منه خلاف هذا، ربما يكون هذا الشيء كثير الآفات مقلقًا له لا ينشرح صدره له، فإذا وجد ذلك في بعض ماله فلا حرج عليه أن يبيعه ليتخلص من آفاته، وكم من إنسان حصل له مثل هذا، أي: اشترى سيارة فصارت كثيرة الآفات من صدمات أو غيرها، فيبيعها ثم يشتري أخرى، فيجد منها الراحة والبركة وقلة الآفات، ولا يعد هذا من باب التشاؤم، بل هو من باب التخلص من آفات هذا الشيء وخسارته التي يخسرها عليه، ولا يعد هذا من باب التطير.

***

(١٠٣) يقول السائل ع. خ. م. من بلاد بني عمرو من قرية بران: يوجد أناس في بلد غير بلدنا وقريتنا يتشاءمون برجل منهم، إذا قَبّلهم يقولون: يصيبهم مصيبة. فما حكم هؤلاء وفقكم الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هؤلاء لا يجوز لهم هذا التشاؤم، لأن النبي ﷺ نهى عن الطيرة وقال: **«ليس منا من تطير أو تُطِير له، أو سَحَر أو سُحِر له»**[1] فلا يجوز لأحد أن يتشاءم بشخص، وهذا على عكس التفاؤل، فإن التفاؤل مطلوب، كون الإنسان يتفاءل يكون مطلوبًا في حقه، وأما التشاؤم الذي يُدخِل على الإنسان الحزن والهم والغم فإن ذلك ليس من أعمال المسلمين، فلا يجوز للمرء أن يتطير بأحد.

۞۞۞

(١) تقدم تخريجه.

۞ الأسماء والصفات ۞

(١٠٤) يسأل السائل عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات الصفات لله -عز وجل-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أهل السُّنَّة والجماعة -جعلنا الله منهم- أشدُّ الناس تعظيمًا لله -عز وجل-، وأشد الناس احترامًا لنصوص الكتاب والسُّنَّة، فلا يتجاوزون ما جاء به القرآن والحديث من صفات الله -عز وجل-، فيثبتون لله -تعالى- ما أثبته الله لنفسه وإن حارت العقول فيه، وينفون ما نفى الله عن نفسه وإن توهمت العقول ثبوته.

مثال ذلك: أن الله -عز وجل- فوق كل شيء أزلًا وأبدًا، وهو -سبحانه وتعالى- له العلو المطلق في كل وقت وحين، فوق سمواته، فوق مخلوقاته، مستوٍ على عرشه، ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- «**أنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**»(١)، فيأتي الشيطان للإنسان ويقول: كيف ينزل وعلوه لازم له؟ كيف ينزل؟ فنقول: هذا يحار فيه العقل، لكن يجب علينا أن نصدق ونقول: الله أعلم بكيفية هذا، نؤمن بأنه ينزل ولكن لا نعلم بالكيفية، لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

ولهذا قال بعضهم: إن القرآن والسنة أتى بما تحار فيه العقول، لا بما تحيله العقول، فالواجب علينا في أسماء الله وصفاته تصديقها والإيمان بها، وأنها حق وإن حارت عقولنا في كيفيتها، فالجادة لأهل السُّنَّة والجماعة أن كل ما سمى الله به نفسه أو وصف به نفسه، سواء في القرآن أو في السُّنَّة، فإنه يجب الإيمان به وتصديقه.

قوله -تعالى-: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] يأتي الإنسانَ الشيطانُ فيقول: كيف يجيء؟ فنقول: يجيء على الكيفية التي أراد الله، الكيف

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة آخر الليل، رقم (١١٤٥)، مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب والدعاء والذكر آخر الليل، رقم (٧٥٨).

مجهول، يجب عليك أن تؤمن بهذا حتى لو حار عقلك به، مأمور بأن تصدق على كل حال، ولذلك ضل قوم حَكَّمُوا عقولهم في أسماء الله وصفاته، فأنكروا ما أثبته الله لنفسه، وحرَّفوا به نصوص الكتاب والسُّنَّة، فقالوا: إن معنى قوله -تعالى-: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: استولى على العرش. فسبحان الله! كيف يقول -عز وجل-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أفيمكن أن نقول: إنه قبل ذلك ليس مستوليًا عليه؟ هذا أمر ينكره العامي فضلًا عن طالب العلم، لكن إذا حكم الإنسان عقله في الأمور التي تتوقف على الخبر المحض ضلَّ وزَلَّ.

ولهذا ننصح إخواننا الذين يقولون: استوى بمعنى استولى، أن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وأن يؤمنوا بأنه استوى على العرش، أي: علا عليه علوًّا خاصًّا يليق بجلاله وعظمته، وليعلموا أن الله سائلهم يوم القيامة عما اعتقدوا في ربهم -عز وجل-، وهل اعتقدوا ذلك بناء على كتاب الله وسنة رسوله، أو بناء على ما تقتضيه أهواؤهم وعقولهم؟ إن نصيحتي لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله، وأسأل الله أن يتوب عليهم ويوفقهم للحق، فليؤمنوا بما جاء في كتاب الله على مراد الله -عز وجل-.

وكذلك أنصح من قالوا: إن الله ليس عاليًا بذاته فوق المخلوقات، وقالوا: لا يجوز أن نقول: إن الله فوق، فنقول: توبوا إلى ربكم، أنتم الآن تدعون الله وتجدون قلوبكم مرتفعة إلى فوق، وتمدون أيديكم أيضًا إلى فوق، دعوكم وفطرتكم فقط، واتركوا عنكم الأوهام والأشياء التي تضلكم، وإذا أنكرتم علو الله وقلتم: إنه بذاته في كل مكان، فكيف يليق هذا؟ أيليق أن يكون الله تعالى في حجرة ضيقة؟ ألا فليتق الله هؤلاء، وليتوبوا إلى الله من هذه العقيدة الفاسدة الباطلة، أخشى أن يموتوا فيلقوا ربهم على هذه العقيدة فيخسروا.

***

(١٠٥) يقول السائل س. أ. ن من موريتانيا: **فضيلة الشيخ أريد أن أعرف الفرق بين أسماء الله وصفاته مأجورين؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الفرق بين الاسم والصفة ظاهر، فإذا قلت مثلًا: السميع، فالسميع اسم والصفة السمع، وإذا قلت: البصير فالبصير اسم والصفة البصر، وإذا قلت: العلي فالعلي اسم والعلو صفة، وإذا قلت: الحكيم فالحكيم اسم والحكمة صفة، وهلم جرًّا.

فهذا هو الفرق، فالاسم ما تسمى الله به، والصفة ما اتصف الله به، وهي المعنى القائم بالله -عز وجل-.

وهناك صفات ليست صفات معانٍ مثل اليد، فلله تعالى يدان اثنتان، قال الله -تعالى-: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. **والعين،** فلله -تعالى- عينان، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى**»[1]، وما أشبه ذلك مما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فهذه الصفات وأمثالها ليست صفات معانٍ، ولكنها صفات مسماها بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء.

***

(١٠٦) يقول السائل من جمهورية مصر العربية: ما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات؟ نرجو الإفادة جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته أنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء، وكل ما أثبته لنفسه من الصفات، على وجه ليس فيه تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

ولنضرب لهذا مثلًا: قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٣٩)، مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٦٩).

﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فيقول أهل السُّنَّة والجماعة: إن معنى الآية الكريمة أن الله استوى على العرش، أي: علا عليه، لكن كيف علا؟ الله أعلم، لا نكيف صفاته لكن نؤمن بمعناها، فنقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: علا عليه علوًّا يليق بجلاله وعظمته.

أهل السنة يجتنبون طريق أهل البدع الذين يحرفون الكلم عن مواضعه فيقولون: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: استولى. ولا شك أن هذا صرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، ولا شك أيضًا أنه يستلزم لوازم باطلة، لأننا إذا قلنا: استوى بمعنى استولى، لزم أن يكون العرش قبل خلق السماوات والأرض مِلْكًا لغير الله، وأن الله استولى عليه بعد ذلك، ولزم أيضًا أن يقال: إنه يصح أن تقول: إن الله استوى على الأرض، لأنه مستولٍ عليها، وهذا أمر باطل.

ومثال ثانٍ: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال أهل التعطيل الذين يحرفون الكلم عن مواضعه: المراد بوجه الله ثوابه، وليس المراد به وجهه الذي هو صفة من صفاته -عز وجل-، من صفاته الخبرية التي لا مدخل للعقل فيها وليست معنوية، بل هي صفة خبرية، نظيرها بالنسبة لنا بعض منا وجزء منا.

فيقال: هذا خلاف ظاهر الآية الكريمة، وخلاف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم، فوجه الله -تعالى- هو وجهه، والثواب شيء آخر، ثم أين المقارنة: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] أين المقارنة بكون المراد العمل؟ هل هذه الآيات لا تناسب ما قبلها حتى يقال: إنها من العمل، أي: لا تناسب ما قبلها من حيث تفسيرها بالثواب.

ومن ذلك أيضًا قول الله -تبارك وتعالى- لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] قالوا: المراد باليد هنا القدرة. فيقال: سبحان الله!

كل البشر خلقهم الله بقدرته، ثم هل القدرة تتبعض وتتعدد؟ القدرة صفة واحدة، يستطيع بها القادر أن يفعل بلا عجز.

وقِسْ على هذا كثيرًا، فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون: كل ما سمى الله به نفسه فالواجب علينا إثباته، وكل ما وصف الله به نفسه فالواجب علينا إثباته، لكن يجب أن يكون إثباتنا هذا منزهًا عن التمثيل وعن التكييف، بمعنى: أن نثبت لله هذه الصفة وننفي أن يكون مماثلًا للعباد في هذه الصفة، وكذلك نثبت هذه الصفة ولا نكيفها، لا نقول: كيفيتها كذا وكذا. ولهذا لما سأل الإمام مالكًا رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاءُ، ثم قال: «يا هذا الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الكيف غير معقول. يعني: لا يمكن أن ندركه بعقولنا، وإذا كنا لا ندركه بعقولنا لزم أن نعتمد في ذلك على النقل، ولم ينقل لا في القرآن ولا في السنة كيفية استواء الله -تبارك وتعالى- على عرشه، وعلى هذا فتكون كيفية الاستواء مجهولة، وليست معلومة لنا.

***

(١٠٧) يقول السائل أ. من المغرب: ما هو منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات؟ نرجو من فضيلة الشيخ الإجابة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال سؤال عظيم، ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات منهج وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل.

فأهل التمثيل قوم أكدوا لله الصفات، لكن بالغوا في إثباتها وغَلَوْا في ذلك، وجعلوها من جنس صفات المخلوقين، فانحرفوا بذلك عن الصراط المستقيم، لأن الله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول -جل ذكره-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]. ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤] ويقول -عز وجل-: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

والقسم الثاني معطلة: عطلوا الله -سبحانه وتعالى- من صفاته التي أثبتها لنفسه، ونفوها عنه، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسُّنَّة، وعطلوها من المراد بها بحجج هي شُبَه في الحقيقة وليست بحجج، حكموا في ذلك عقولهم، وجعلوا يثبتون لله ما اقتضت عقولهم إثباته، وينكرون ما لم تقضِ عقولهم إثباته، فظلموا في ذلك وصاروا هم الحاكمين على الله، وليس كتاب الله هو الحاكم بينهم، فأنكروا ما وصف الله به نفسه وقالوا: ليس لله وجه، ليس لله عين، وليس لله يد. وقالوا أيضًا: ليس لله فَرَحٌ، وليس لله غضب، وليس لله عَجَبٌ.

وقالوا أيضًا: ليس لله فعل، لا استواء على العرش، ولا نزول إلى السماء الدنيا، بل بالغوا حتى قالوا: إن الله ليس عاليًا فوق خلقه، و إنما علوه علوُّ صفة وعلو معنوي، وليس علوًّا ذاتيًّا.

وبالغ بعضهم فقالوا: إن الله -سبحانه وتعالى- لا يقال إنه فوق العالم، ولا تحت العالم، ولا يمين ولا شمال، ولا متصل ولا منفصل، وأتوا بأقوال يعجب منها المرء ويقول: كيف يكون هذا مقتضى العقول؟.

أما أهل السُّنَّة والجماعة فإنهم يثبتون لله -تعالى- ما أثبته من الأسماء والصفات إثباتًا حقيقيًّا، مع نفي المماثلة -أي: مماثلة المخلوقين- فيقولون: نثبت لله كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، أي: فيثبتون لله الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، ويثبتون لله الأفعال المتعلقة بمشيئته، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والإتيان للفصل بين العباد، ويثبتون لله الفرح والضحك والعجب، ويثبتون لله الحكمة، والرحمة، وغير

ذلك مما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، لكن من غير تحريف ولا تعطيل.

ويقولون لهؤلاء الذين أنكروا ما أثبته لله لنفسه، وحكموا على الله بعقولهم: إننا إذا سلمنا جدلًا أن ما نفيتموه لا يدل عليه العقل، فإنه قد دل عليه السمع، والسمع دليل شرعي نتفق وإياكم عليه، على أن الكتاب والسُّنَّة هما الدليلان بإثبات ما أثبته لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، وكونكم تقولون: إن إثبات شيء ما من هذه الصفات يقتضي التمثيل والتشبيه، نقول لكم: وأنتم حين أكدتموه يقتضي على قاعدتكم أنكم مشبهة ممثلة. فأي فرق بين من يقول: إن لله سمعًا وبصرًا، ومن يقول: إن لله رحمة وإن لله وجهًا، وإن الله استوى على العرش؟ إن كان ما أكدتموه لا يدخل في التمثيل فما أكدناه نحن لا يدخل في التمثيل، وإن كان ما أثبتناه يقتضي التمثيل فما أثبتموه يقتضي التمثيل، والتفريق بين هذا وهذا تَحَكُّم وتناقض، والواجب على المرء أن لا يتقدم بين يدي الله ورسوله لنفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، أو إثبات مالم يثبته الله لنفسه ولا أثبته له رسوله.

فالواجب في باب الأسماء والصفات أن يُتَلَقَّى من الكتاب والسُّنَّة، لأنه من الأمور التي لا مجال للعقل فيها، والعقل لا يدرك ما يجب لله من الأسماء والصفات أو يجوز أو يمتنع، وإن كان العقل قد يدرك من حيث الإجمال أن الله موصوف بصفات الكمال ولا بد، ولكن تفاصيل ذلك لا تعلم إلا عن طريق السمع.

وخلاصة القول: أن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفى الله عن نفسه من الصفات، والسكوت عما لم يرد به نفيٌّ ولا إثبات، لأن هذا هو مقتضى السمع ومقتضى العقل، فنسأل الله -تعالى- أن يَتوفانا على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

***

(١٠٨) **يقول السائل وهو سوداني يعمل بالرياض:** فضيلة الشيخ أريد أن أعرف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الصفات مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ قبول هذا الوصف، والإيمان به، واعتقاد أنه حق على حقيقته، إلا أنهم ينزهون الله -تعالى- عن أي نقص في هذه الصفة، أو عن مشابهة المخلوقين فيها. فيؤمنون مثلًا بقوة الله، ويؤمنون بأن هذه القوة لن يلحقها ضعف، ويؤمنون بأن هذه القوة لا تشبه قوى المخلوقين، مهما اجتمعوا وكثروا فإن قوتهم لن تكون مثل قوة الله -عز وجل-، وأن لله -تعالى- يدًا حقيقية، ويؤمنون بأن هذه اليد قوية عظيمة، قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال -تعالى-: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ويؤمنون بأن هذه اليد لا تماثل أيدي المخلوقين، لقوله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فالقاعدة إذًا فيما جاء من صفات الله -عز وجل- في القرآن أو السنة: الإيمان بذلك، وقبوله، وتنزيه الله -سبحانه وتعالى- عن أي نقص فيه، وتنزيه الله -تعالى- أن يكون مماثلًا للمخلوقين فيه، هذه هي السبيل التي درج عليها أهل السُّنَّة والجماعة من سلف هذه الأمة وأئمتها، ولهذا كانوا يقولون في آيات الصفات وأحاديثها: أمروها كما جاءت دون كيف.

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء فقيل له: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]كيف استوى؟ فأطرق رأسه حتى تصبب منه العرق، ثم قال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**». قال: الاستواء غير مجهول، لأنه معلوم في اللغة العربية أن معنى استوى على كذا أي علا. والكيف غير معقول، أي: غير مدرك بالعقل، لأنه

فوق ما تتصوره عقولنا. والإيمان به واجب، لأن النص ورد به، فقد ذكر الله استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه. والسؤال عنه بدعة، أي: السؤال عن كيفيته بدعة لا عن معناه، فإنه لا حرج على الإنسان أن يسأل عن معنى آيات الصفات وأحاديثها، لأن هذا من الأمور التي يمكن الوصول إليها، أما الكيفية فلا يجوز السؤال عنها، لأنها من الأمور التي لا يمكن الوصول إليها، ولم تكن من عادة السلف، ولهذا قال رحمه الله: السؤال عنه بدعة.

وهكذا نقول في سائر الصفات: إنها معلومة المعنى مجهولة الكيفية، وإن الإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة. فنقول مثلًا في العين: إن معناها معلوم، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

وهكذا نقول في الوجه، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسُّنَّة من صفات الله: إنه معلوم المعنى، مجهول الكيفية.

***

(١٠٩) يقول السائل من السودان: حدثونا عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات التي ذكرت في الكتاب والسُّنَّة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات التي ذكرت في الكتاب والسُّنَّة هو الكلمة المشهورة: أمروها كما جاءت بلا كيف، وأنه يجب الإيمان بها والتصديق، واعتقاد مقتضاها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز أن يحرف الكلم عن مواضعه، فيقال مثلًا: المراد باليدين القوة أو القدرة أو النعمة، ولا يجوز أيضًا أن يُحَرِّفَ الوجه عن معناه فيقال: المراد بالوجه الثواب أو ما أشبه ذلك، ولا يجوز أن يحرف استواء الله على العرش إلى استيلائه عليه فيقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: استولى، ولا يجوز أن يحرف نزول الله إلى السماء الدنيا بنزول أمره أو نزول رحمته، أو نزول ملك من ملائكته، ولا يجوز أن يُحَرَّفَ قوله -تعالى-: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾

[الأنعام: ١٥٨] إلى أن المراد إتيان شيء من آياته، ولا يجوز أن يُحَرَّفَ قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] إلى أن المراد بذلك علمنا أو ما أشبه ذلك.

المهم أن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو إبقاء النصوص على ظاهرها اللائق بالله -عز وجل-، كما أنه لا يجوز عندهم التمثيل، أي: أن تمثل هذه الصفات بصفات المخلوقين، فيقال مثلًا: إن وجه الله -تعالى- كوجوهنا، أو يده كأيدينا، أو عينه كأعيننا، أو نزوله كنزولنا، أو استواءه كاستوائنا، كل هذا محرم.

فطريقتهم ما دل الكتاب والسُّنَّة والعقل على أنها حق، وذلك بإثباتها على ظاهرها، من غير تمثيل ولا تحريف.

***

(١١٠) يقول السائل: يا فضيلة الشيخ ما مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات؟ وما معنى أمروها كما جاءت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات إثبات ما أثبته الله لنفسه في القرآن الكريم، أو صح عن النبي ﷺ في سنته المطهرة، فكل ما جاء في القرآن من أسماء الله وصفاته فهو حق، وكل ما جاء في السنة مما صح عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهو حق.

ويتبرؤون من أمورٍ أربعة: التمثيل، والتحريف، والتعطيل، والتكييف. فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا يحرفون القرآن والسنة عن ظاهرهما بتأويلٍ ليس بسائغ، ولا يعطلون الله -تعالى- من صفاته التي أثبتها لنفسه، ولا يعطلون النصوص من دلالتها التي أراد الله بها، ولا يكيفون صفات الله بصفات خلقه، بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يتعمقون في البحث عن أسماء الله وصفاته، بل يسكتون عما سكت الله عنه ورسوله، وعما سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم.

ومعنى قولهم: **أمروها كما جاءت بلا كيف**: أبقوا جلالتها على ما هي عليه، وأثبتوا ما دلت عليه من الإثبات، ولا تكيفوا صفات الله بصفات الخلق، أو تكيفوا صفات الله بصفةٍ تتخيلونها وإن خالفت صفة الخلق، لأن الله -تعالى- أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها.

***

(١١١) يقول السائل أ. إ. من دمياط، من جمهورية مصر العربية: سئل أحد السلف رضي الله عنهم عن الأسماء والصفات فقال: أَمِرُّوها كما جاءت. ما معنى ذلك؟ وهل هذا القول منسوب إلى أحد السلف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا القول منسوب إلى عموم السلف، يقولون في آيات الصفات وأحاديثها: أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كيف، فقولهم: أمروها كما جاءت يعني: لا تتعرضوا لها بتحريف، أي: بتأويل يخرجها عن ظاهرها، ويتضمن هذا القول أيضًا إثبات معانيها، وأنه ليس المراد مجرد إثبات اللفظ، لأن نصوص الصفات في كتاب الله وسُنَّة رسولهألفاظ جاءت لإثبات معناها، لا أن نُمِرَّها على ألسنتنا دون أن نفهم المعنى، فكأنهم يقولون: أمروها على معناها المراد بها لا تغيروها.

وقولهم: **بلا كيف**، أي: لا تكيفوها، وليس المعنى بلا اعتقاد كيفية لها، لأن لها كيفية ضرورة إثباتها، إذ لا يمكن إثبات شيء لا كيفية له، فيكون المعنى: بلا كيف، أي: بلا تكييف لها، لا تكيفوها، لا تقولوا: كيفية وجه الله كذا وكذا، ولا كيفية يديه كذا وكذا، ولا كيفية عينيه كذا وكذا، لأن الله -تعالى- أجَلُّ وأعظم من أن يُدْرِكَ العباد كيفية صفاته.

وفي هذا القول المشهور عن السلف رد على طائفتين منحرفتين: إحداهما: طائفة التعطيل، التي سلبت عن الله -تعالى- جميع معاني صفاته، وجعلتها ألفاظًا لا معنى لها، أو جعلت لها معاني مخالفة لظاهر اللفظ، لأن الذين لم يمروها على ما جاءت انقسموا إلى قسمين: قسم قالوا: لا معنى لها إطلاقًا،

وليس علينا إلا إمرار لفظها دون التعرض لمعناها. وقسم آخر قالوا: نتعرض للمعنى، لكن حَمَلُوا المعنى على خلاف ظاهرها، وأثبتوا لها معاني من عند أنفسهم لا دليل عليها من كتاب الله ولا من سُنَّة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولا من أقوال الخلفاء والصحابة. فالأول طائفة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم من معطلي الصفات، والثانية طريقة الأشاعرة ومن سلك سبيلهم ممن حَرَّفُوا نصوص الصفات إلى معانٍ ابتكروها من عقولهم، ولم ينزل الله بها سلطانًا، ولم يثبتوا إلا ما زعموا أن العقل يدل عليه، كالصفات السبع التي أثبتتها طائفة الأشعرية، وأنكروا من الصفات ما العقل أدل عليه من دلالة العقل على هذه الصفات التي أثبتوها.

على كل حال الجملة الأولى فيها رد على طائفتين:

الأولى: من عطلت المعاني مطلقًا، والثانية من أثبتت معاني لا دليل عليها، وربما تكون الطائفة الثانية أشد مخالفة من الطائفة الأولى، لأن الطائفة الأولى أمسكت وقالت: لا نثبت معنى، فنفت المعنى، وهذا نفي بلا علم بلا شك.

والثانية: نفت المعنى المراد وأثبتت معنى آخر لا يدل عليه اللفظ، فصار في ذلك جنايتان: الجناية الأولى: نفي المعنى الذي هو ظاهر اللفظ، والثانية: إثبات معنى لا يدل عليه اللفظ، نسأل الله الهداية للجميع.

أما قولهم: بلا كيف، فهو رد على طائفة منحرفة على ضد الطائفتين المعطلتين، وهي طائفة الممثلة الذين قالوا: نثبت لله الصفات، ولكنها على مثل ما كان من صفات المخلوقين، فوجه الله تعالى -على زعمهم، تعالى الله عن قولهم- يكون على مثل أجمل وجه بشري، وهكذا بقية صفاته -عز وجل-.

وهؤلاء أيضًا خالفوا قول الله -تعالى- خبرًا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وعصوا أمر الله -تعالى- نهيًا في قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

وخلاصة الجواب أن معنى قول السلف: أمروها كما جاءت: أثبتوا هذه الألفاظ مع معانيها التي دلت عليها، وهو ما يفهم من ظاهرها، على الوجه اللائق بالله -عز وجل-.

وقولهم: بلا كيف، رد على الممثلة، أي: لا تكيفوها، وليس المعنى لا تعتقدوا لها كيفية، لأن لها كيفية، مجرد القول بإثباتها يستلزم أن يكون لها كيفية، لكنها غير معلومة، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله في استواء الله على عرشه: **«الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»**.

***

(١١٢) يقول السائل: يا فضيلة الشيخ بعض الدعاة يقولون: إنه لا ينبغي أن نُعَلِّم الناس مسائل توحيد الأسماء والصفات، لأنها من المتشابه، ولكن إذا حصل إشكال لهم في أي شيء منها -أي: من الصفات- بَيَّنَّا لهم ذلك، فما رأي فضيلتكم بارك الله فيكم وفي علمكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: **إن الناس في باب أسماء الله وصفاته ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط.**

فطرفٌ يقول مثلما قال هذا السائل عن شخصٍ آخر أنه يقول: لا تُبَيِّنُوا أسماء الله وصفاته، لأنها من المتشابه، ولكن إذا سألوا فأجيبوهم.

وطرفٌ آخر يقول: بَيِّنُوا للناس أسماء الله وصفاته، ثم ما يتفرع على هذه الأسماء والصفات من الإشكالات أوردوه عليهم، أو تعمقوا في جانب الإثبات واذكروا كل شيء، حتى إن بعضهم يقول مثلًا: كم أصابع الله؟ كيف استوى على العرش؟ هل لله أذن؟ وما أشبه ذلك من الأمور التي يجب الإعراض عنها، لأنها لم تذكر في الكتاب ولا في السنة، ولو كان ذكرها مما تتوقف عليه العقيدة الصحيحة لكان الله يبينها لعباده إما في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

والقسم الثالث وسط يقول: عَلِّمُوا الناس ما يحتاجون إليه في هذا الباب، دون أن تتعمقوا وتتكلفوا ما لستم مكلفين به.

وهذا القول هو الصحيح، وهو الراجح، أن نعلم الناس ما يحتاجون إلى معرفته في هذا الباب، وأن لا نتكلف علم ما ليس لنا به علم، بل نعرض عنه، فمثلًا: إذا شاع في الناس مذهبٌ يخالف مذهب السلف، فلا بد أن نُبَيِّنَ للناس مذهب السلف في هذا الباب، لو شاع في الناس أن اليدين اللتين أثبتهما الله لنفسه هما النِّعَم، يجب علينا أن نبين أن هذا خطأ، وأن اليدين صفتان لله -عز وجل-، أثبتهما الله لنفسه، وبين -جل وعلا- أن يديه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وأخبر النبي ﷺ «**إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[1].

وأخبر أن «**يد الله ملأى لا تَغِيضُهَا نفقة سَحَّاءَ الليل والنهار**»[2]، وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟**»[3]، فإنه لم يَغِض ما في يمينه، وأجمع سلف الأمة على أنهما يدان حقيقيتان ثابتتان لله على وجهٍ يليق به، لكن لا تماثلان أيدي المخلوقين، حتى يزول عن الناس الاعتقاد الذي ليس بصحيح، وهو أنهما النعمتان، هذا لا بد منه.

لكن إذا كنا في قومٍ لم يطرأ على بالهم هذا الشيء، ولو دخلنا معهم في مسائل تفصيلية لحصل لهم ارتداد، أو لدخلوا في أمورٍ يتنطعون فيها، فهنا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة هود باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، رقم (٤٦٨٤)، مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة، رقم (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، رقم (٧٤١١).

نأخذ بما جاء عن السلف، وخاصةً عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**ما أنت محدث الناس حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**».[1] وقال عليٌّ رضي الله عنه: «**حدث الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله**»؟[2] أما التعمق في الصفات، وطلب ما لا يمكن العلم به، فإن هذا من التكلف والبدعة، ولهذا لما قال رجلٌ للإمام مالك: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ وكان هذا سؤالًا عظيمًا وقع موقعه في الإمام مالك رحمه الله، فأطرق برأسه وجعل يَتَصَبَّبُ عرقًا، ثم رفع رأسه وقال: «يا هذا! الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». يريد بذلك رحمه الله أن الاستواء غير مجهول، معروف استوى على كذا يعني: عَلَا عليه، قال الله -تعالى-: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] يعني: علوت عليه وركبت فيه. وقال -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] يعني: إذا علوتم عليه راكبين. فاستوى على العرش يعني: علا عليه علوًا يليق بجلاله وعظمته، هذا معنى قوله: الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول، لم يقل رحمه الله: الكيف غير موجود، بل قال: الكيف غير معقول، يعني: هناك كيفية استوى الله عليها لكن لا ندري، عقولنا لا تدرك ذلك، وشرعنا لم يأتِ بها، الكتاب والسُّنَّة ليس فيهما كيفية استواء الله على العرش، وعقولنا لا تدرك هذا، فانتفى عنها الدليلان العقلي والسمعي، فوجب السكوت، فإذا سُئِلْنَا: كيف استوى؟ قلنا: الله أعلم.

الإيمان به واجب، أي: بالاستواء واجبٌ، على ما أراده الله -عز وجل-.

---

(١) أخرجه مسلم: المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، رقم (١٢٧).

والسؤال عنه بدعة، هذا محل الشاهد من كلامنا، لماذا السؤال عن الكيفية بدعة؟ لأن الصحابة -وهم أحرص منا على معرفة الله، وأحرص منا على العلم، وإذا سألوا سَأَلُوا من هو أعلم منا بالإجابة- لم يسألوا النبي ﷺ، لم يقولوا: يا رسول الله كيف استوى؟ مع أنهم يسألون عن أشياء أدق من هذا، لكنهم يعرفون رضي الله عنهم أن مثل هذه الأمور لا يمكن العلم بها، لذلك لم يسألوا.

أيضًا السؤال عنه بدعة: من سمات أهل البدع، لأن أهل البدع هم الذين يُحْرِجون أهل السنة في ذكر الكيفية، يقولون: كيف استوى؟ كيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ يحرجونهم ليقولوا: استوى على الكيفية الفلانية، أو ينكروا الاستواء، أو يقولوا: نزل على الكيفية الفلانية، أو ينكروا النزول، فهو من سمات أهل البدع، السؤال عن كيفية الصفات من سمات أهل البدع، ثم إن السؤال عن الكيفية -كيفية الصفات- من التَّنَطُّعِ في دين الله، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[1].

وقولنا: إن الصحابة رضي الله عنهم يسألون عما دون ذلك، أستدل له بأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذكر أن الدجال يخرج ويمكث في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول كسنة كاملة، يعني: اثني عشر شهرًا، واليوم الثاني كشهر، واليوم الثالث كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا. فالصحابة رضي الله عنهم لما قال: يوم كسنة، قالوا: يا رسول الله! هذا اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاةُ يوم واحد؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**»[2]، فتجدهم سألوا عن هذا لأنهم مكلفون بالصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة، وهذا اليوم سيكون طويلًا، سيكون اثني عشر شهرًا، هل تكفي فيه خمس صلوات؟ لذلك سألوا، فإذا كانوا لم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

يسألوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما يتعلق بصفات الله فإنهم خير سلفٍ لنا نقتدي بهم، ولا نسأل عن كيفية صفات الله، ولا نسأل أيضًا عما لم يبلغنا علمه من هذه الصفات ولا من غيرها من أمور الغيب، كل أمور الغيب الأدب فيها أن يقتصر الإنسان فيها على ما بلغه، وأن يسكت عما لم يبلغه، لأنه لو كان في بيانه خيرٌ لبينه الله ورسوله.

وأما قول السائل: لا تخبروا العوام بها، لأنها من المتشابه. فنقول له: يا أخي ماذا تريد بالمتشابه؟ إذا كانت صفات الله -عز وجل- وكانت نصوصه الواردة فيها من المتشابه فماذا يبقى بيانًا؟ آيات الصفات من أَبْيَنِ الآيات، أحاديث الصفات من أبين الأحاديث، وليس فيها ولله الحمد شك، كلها معناها معلوم، كلها معناها مفهوم بمقتضى اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن، وكيف ينزل الله علينا شيئًا يتعلق بأسمائه وصفاته ونحن نجهله ولا يمكننا الوصول إليه؟ هذا مستحيل، فنقول: إن آيات الصفات وأحاديثها من المعلوم، وليست من المتشابه، فهل يشتبه على أحد قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فلا يدري ما معنى خلق؟ هل يشتبه على أحد قول الله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أن معناها نفي المماثلة وإثبات السمع والبصر؟ آيات الصفات وأحاديثها ليست من المتشابه.

إن أراد القائل بقوله: من المتشابه، يعني: من الذي يشتبه علينا إدراك كيفيته وحقيقته فهذا صحيح، نحن لا نعلم كيفية ما وصف الله به نفسه وكنهه، لكن معناه واضح، ولولا أن معناه واضح ما استطعنا أن ندعو الله بأسمائه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالمهم أن هذه الكلمة التي أطلقها بعض العلماء على آيات الصفات وأحاديثه وقال: إنها من المتشابه، نقول له: إن أردت أنها من المتشابه معنىً فلا، وإن أردت أنها من المتشابه حقيقةً وكنهًا، وأننا لا ندرك كيفيتها ولا حقيقة

كنهها فهذا حق، وليس بغريبٍ أن نعلم معنى الشيء ولا ندرك حقيقته وكيفيته، نحن نعلم معنى الروح التي بين جنبينا، والتي إذا انسلت من الجسد مات الإنسان، نعم نعلم هذا، لكن هل ندرك حقيقتها وكيفيتها؟ لا أبدًا، نحن نعلم ما ذكر الله عن الجنة بأن فيها من كل فاكهةٍ زوجين ونخلًا ورمانًا وما أشبه ذلك، ولكن هل نحن ندرك حقيقة ذلك وكنهه؟ لا، لأن الله يقول: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ويقول الله -عز وجل- في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[(١)].

المهم التنبيه على هذه العبارة المتداولة في كلمة المتشابه بالنسبة لأسماء الله وصفاته، حيث يتوصل بها أهل التعطيل إلى أن نسلك مسلكًا سيئًا في ذلك، بحيث نفوض العلم بمعنى أسماء الله وصفاته، كما زعم بعض المتأخرين أن مذهب السلف هو التفويض، أي: تفويض القول بأسماء الله وصفاته إلى الله، وألا نتكلم بشيءٍ من معناها، وهذا القول بالتفويض على هذا الوجه قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**إنه من شر أقوال أهل البدع والإلحاد**».

أما تفويض الحقيقة والكُنْهُ فهذا شيء لا بد منه، ولا يضرنا إذا كنا نعلم المعنى، ولكن لا نعلم الكنه والحقيقة التي عليها هذا المسمى والموصوف.

***

(١١٣) يقول السائل أ. م: هل من أسماء الله (الحق)؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم من أسماء الله -تعالى- الحق، قال الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦]، ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، ولكن نسمع كثيرًا من الناس إذا أراد أن يستشهد بآية قال: قال الحق كذا وكذا، والأولى أن يعبر بما كان السلف يعبرون به فيقول: قال الله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٤٢٤٤)، مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، بابٌ، رقم (٢٨٢٤).

كذا، حتى كان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا حدث عن الله -عز وجل- بحديث قال: قال الله تعالى، فالذي ينبغي لنا أن نتبع ما كان عليه سلفنا في مثل هذه الأمور، وإذا أردنا أن نستشهد بآية قلنا: قال الله -تعالى- كذا وكذا.

***

(١١٤) يقول السائل: هل الحنَّان، والمنان، والمحسن من أسماء الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الْحَنَّانُ لم يثبت أنها من أسماء الله، وأما المنَّان فثابت أنها من أسماء الله، والمحسن أيضًا من أسماء الله -تبارك وتعالى-، ولهذا ما زال الناس يسمون عبد المحسن، عبد المنان، والعلماء يعلمون بذلك ولا ينكرونها.

***

(١١٥) يقول السائل: هل الْحَفِي من أسماء الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هو في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، ولا أعلمها وردت مطلقة في أسماء الله -عز وجل-، بل هي مقيدة، وبدلًا من أن يدعو الإنسان بقوله: يا حفي احتفِ بي، يقول: يا رحيم ارحمني، وإذا كان عن ذنب يقول: يا غفور اغفر لي، وما أشبه ذلك.

***

(١١٦) تقول السائلة: إن أسماء الله وصفاته على وزن فعيل من صيغ المبالغة، فهل هذا صحيح؟ وهل يصح القول بأن أسماء الله وصفاته من صيغ المبالغة؟ نرجو النصح والتوجيه في هذا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أسماء الله -تعالى- وصفاته التي جاءت في القرآن وغير القرآن منها ما هو صفةٌ مشبهة -ويعني العلماء بالصفة المشبهة: الصفة اللازمة للموصوف التي لا ينفك عنها- وذلك مثل: العزيز، الحكيم، السميع، البصير، وما أشبهها، هذه صفةٌ مشبهة، بمعنى: أنها صفةٌ لازمة لا تنفك عن الله -عز وجل-.

ومن أسماء الله ما يكون صيغة مبالغة، ومعنى صيغة مبالغة أنها دالةٌ على الكثرة، وليس المعنى أنه مبالغٌ فيها دون إرادة الحقيقة، مثل: الرزاق، فإن الرزاق من أسماء الله -سبحانه وتعالى-، وجاء بهذه الصيغة للدلالة على كثرة من يرزقه الله -عز وجل-، فإنه ما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها، ولكثرة رزقه الذي يعطيه -سبحانه وتعالى- لمن يشاء، كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦]، ولعل الطالبة فهمت من قول الْمُدَرِّسَةِ: صيغة مبالغة، أنها صيغةٌ مبالغٌ فيها ولا تعني الحقيقة، وليس هذا هو المراد، بل مراد العلماء من قولهم: صيغة مبالغة، أنها دالة على الكثرة، وبهذا التفصيل والشرح لمعنى المبالغة يزول الإشكال.

فإذا قلنا مثلًا: إن الرزاق من أسماء الله وهو صيغة مبالغة، فليس معناه أن الله -سبحانه وتعالى- لا يرزق، بل معناه أنه كثير الرزق.

***

(١١٧) يقول السائل أ. م: فضيلة الشيخ ما المقصود من كلام الرسول ﷺ عندما قال: «إنما بعثت رحمة للعالمين»[1]؟ وهل يجوز استنادًا لهذا القول بأن محمدًا ﷺ رحيم أو كريم أو عليم أو حكيم، أو إلى ما هنالك من صفات الله -عز وجل-؟ أفيدونا بما علمكم الله، وجزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما وصف النبي ﷺ بأنه رؤوف رحيم فهذا قد جاء في القرآن الكريم، لكنه مقيد بالمؤمنين، فقال الله -عز وجل-: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وأما كونه رحمة، فقد قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لكن ليس معنى الآية أنه هو الرحمة، بل معناه

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٧)، أبوداود: كتاب السنة، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٤٦٥٩).

أن الله رحم به الخلق، يعني: ما أرسلناك إلا لنرحم الخلق بك، فإن النبي ﷺ هو الدال على الله -عز وجل-، الْمُبيِّنُ شريعته، الداعي إليها، فكان بعثه وإرساله رحمة للعالمين في الدنيا والآخرة.

وأما قول السائل: وغير ذلك من أوصاف الله وأسماء الله، فلا نقول به، لأن من أسماء الله وأوصافه ما يختص به -عز وجل-: فالله هو الجبار، والمتكبر، والقدوس وما أشبه ذلك مما لا يصح أن يوصف به أحد سوى الله -عز وجل-.

***

(١١٨) **يقول السائل م. ص. ع. من حائل: ما حكم التسمية بأسماء هي من أسماء الله أو صفاته، كمثل: رؤوف، وعزيز، وجبار، ونحو ذلك؟ هل تجوز مثل هذه التسمية، أم يجب تغييرها فيمن تسمى بها؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التسمي بأسماء الله -عز وجل- يكون على وجهين:

الوجه الأول: أن يحلى بأل، أو يقصد بالاسم ما دل عليه من صفة، ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله، كما لو سميت أحدًا بالعزيز والسيد والحكيم وما أشبه ذلك، فإن هذا لا يسمى به غير الله، لأن ال هذه تدل على لمح الأصل، وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم، وكذلك إذا قصد بالاسم وإن لم يكن محلًّى بأل، إذا قصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا يسمى به، ولهذا غير النبي ﷺ كنية أبي الحكم التي تكنى بها، لأن أصحابه يتحاكمون إليه، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: إن الله هو الحكم وإليه الحكم، ثم كناه بأكبر أبنائه شُرَيح، كناه بأبي شريح، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظًا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع، لأن هذه التسمية تكون مطابقة تمامًا لأسماء الله -سبحانه وتعالى-.

أما الوجه الثاني: فهو أن يتسمى باسم غير محلًّى بأل، ولا مقصود به معنى

الصفة، فهذا لا بأس به، مثل حكم وحكيم، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الذي قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**لا تبع ما ليس عندك**»[(١)]، وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به، لكن في مثل جَبَّار لا ينبغي أن يتسمى به وإن كان لم يلاحظ الصفة، وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى فيكون معه جبروت وعلو واستكبار على الخلق، فمثل هذه الأسماء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي للإنسان أن يتجنبها. والله أعلم.

***

(١١٩) يقول السائل أبو بسام من الجزائر: فضيلة الشيخ ما قول أهل السُّنَّة والجماعة في رؤية المسلم لربه -عز وجل- يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قول أهل السُّنَّة والجماعة في رؤية الله -سبحانه وتعالى- يوم القيامة ما قاله الله عن نفسه، وقاله عنه رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

ففي الكتاب قال الله -تعالى- في كتابه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ناضرة الأولى بمعنى حسنة، الثانية من النظر بالعين، لأنه أضاف النظر إلى الوجوه، فالوجوه محل العينين اللتين يكون بهما النظر، وهذا يدل على أن المراد نظر العين، ولو كان المراد نظر القلب وقوة اليقين لقال: قلوب يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، ولكنه قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالزيادة فسرها أعلم الخلق بمراد الله، رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بأنها النظر إلى وجه الله -عز وجل-، ومن ذلك قوله -تعالى- في الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فحجب هؤلاء الفجار عن الله يومئذ -يعني: يوم القيامة- يدل

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٢)، أبوداود: كتاب الإجارة، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَبِيعُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، رقم (٣٥٠٣).

على أن غيرهم ينظرون إلى الله -عز وجل-، ولو كان غيرهم لا ينظر إلى الله لم يكن بينهم وبين الفجار فرق، ومن ذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإن هذه الآية تدل على أن الله -تعالى- يرى بالأبصار، ودليل ذلك أنه نفى الإدراك، وهذا يدل على وجود أصل الرؤية، ولو كان أصل الرؤية غير ثابت ما صح أن ينفى الإدراك، ولا يصح أن يستدل بهذه الآية على امتناع رؤية الله -عز وجل-، لأن الآية إنما نفت ما هو أخص من الرؤية، وهو الإدراك، ونفي الأخص يستلزم وجوب الأعم، وهو الرؤية، والله -عز وجل- يرى يوم القيامة ولكن الأبصار لا تدركه، هذا بالنسبة لما جاء في القرآن.

أما السنة: فقد ثبت عن النبي ﷺ ثبوتًا متواترًا لا شك فيه إثبات رؤية الله -عز وجل- يوم القيامة، أي: إنه يرى -سبحانه وتعالى-.

فمن ذلك قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»[1] والأحاديث في هذا متواترة، كما قال بعض العلماء في نظم شيء من المتواتر:

مِمَّا تَواتر حديثُ مَنْ كذَبْ ... ومن بنى لله بيتًا واحتسَبْ
ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذي بعض

هذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة: إن الله -سبحانه وتعالى- يرى يوم القيامة بالبصر رؤية حقيقية، لكنه مع هذه الرؤية لا يمكن إدراكه -عز وجل-، لأنه أعظم من أن تدركه الحواس أو الأفهام أو الخواطر.

ولكن يبقى النظر: متى تكون هذه الرؤية؟ نقول: هذه الرؤية تكون في عرصات القيامة -أي: قبل دخول الجنة- وتكون كذلك بعد دخول الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، باب (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

يبقى **نظرٌ آخر**: هل يراه كل الناس في عرصات القيامة أم ماذا؟ نقول:

أما الكفار الخلص فإنهم لا يرون الله -عز وجل-، لقول الله -تعالى-: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

وأما المنافقون فإنهم يرون الله في عَرَصات القيامة، ثم لا يرونه بعد ذلك، وهذا أعظم وأشد حسرة عليهم.

وأما المؤمنون فإنهم يرون الله -تعالى- في عرصات القيامة، كما يرونه بعد دخول الجنة. أسأل الله تعالى أن يجعلني وإخواني السامعين ممن ينظر إلى الله -عز وجل-، إنه على كل شيء قدير.

***

(١٢٠) يقول السائل: اختلاف السلف في العقيدة في مسألة رؤية النبي ﷺ لربه أم لا؟ نريد توجيهًا سديدًا في هذه المسألة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القول الراجح في هذه المسألة أن النبي ﷺ لم ير ربه، لأنه نفسه -صلوات الله وسلامه عليه- سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أَنَّى أراه»؟[1] وفي رواية: «رأيت نورًا»[2]. والله -عز وجل- قد احتجب عن عباده بحجب النور لا يمكن اختراقها، فإذا كان النبي ﷺ نفسه نفى أن يكون رأى الله، فلا يمكن بعد ذلك أن يدعي مدع أن النبي ﷺ رأى ربه، وما ذكر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى ربه، فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن ابن عباس لم يصرح أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه يقظة، وإن قوله -أي: ابن عباس- يعني: أنه رآه بفؤاده، وهو كناية عن العلم اليقيني الذي يكون في القلب حتى كأنه رآه بالعين». وما قاله شيخ الإسلام رحمه الله هو الحق، ولن يتمكن أحد في الدنيا أن يرى ربه يقظة أبدًا. ولهذا لما قال موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله -عليه السلام-: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله -عليه السلام-: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

شوقًا إلى الله -عز وجل-، قال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فعلق الرب -عز وجل- على أمر مستحيل، لأنه يستحيل على الجبل أن يصمد على رؤية الله -عز وجل-، وهو جبل أصم، حجر غليظ قاسٍ، قال الله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] انْدَكَّ الجبل أمام موسى يشاهده بعينه، فصعق -عليه الصلاة والسلام- من هول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فشكر الله له وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فالمهم أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله -تبارك وتعالى- يقظة في الدنيا، ولن يستطيع أحد أن يَثْبُتَ لذلك.

أما في الآخرة: فقد دل القرآن، والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم أن الله تعالى يُرَى في الآخرة رؤية حقيقة بالعين، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وهذا صريح بأن الإنسان يرى ربه بعينه، إذ إن ما تحصل به الرؤية هو العين، وهي موجودة في الوجه، لكن أضاف الله -تعالى- النظر إلى الوجه، لأن هذه النظرة إلى الرب -عز وجل- يحصل بها سرور في القلب ونور في الوجه، حتى كأن الوجه كله ينظر إلى الله -عز وجل-، لتأثره بهذه النظرة التي أسأل الله -تعالى- أن لا يحرمني وإخواني منها.

ومن الأدلة على أن الله -تعالى- يرى في الآخرة قول الله -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله، كما فسرها بذلك أعلم الخلق بالله وآياته محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

واستدل العلماء بقوله -تعالى- في أهل الجنة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق: ٣٥] وقالوا: إن هذا المزيد هو الزيادة التي ذكرت في الآية التي

سقناها الآن، وهو النظر إلى وجه الله -عز وجل-. واستدلوا أيضًا بقول الله -تبارك وتعالى- في الأبرار: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] قالوا: إنهم ينظرون الله -عز وجل-، وينظرون ما أعد الله لهم من النعيم، لقوله في الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فلما حجب الفجار في حال الغضب جعل النظر للأبرار في حال الرضا، فهذه أربع آيات من كتاب الله.

أما السنة عن رسول الله ﷺ الذي هو أعلم الخلق بالله، وأشدهم تنزيهًا لله - فقد تواترت السنة عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بثبوت رؤية الله -تعالى- في الجنة، حتى إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال ذلك بوجه صريح أصرح من الشمس في رابعة النهار، حيث قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته**»[(١)]. وقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا، كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**»[(٢)].

وأما أقوال الصحابة: فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ثبوت رؤية الله -تعالى- في الآخرة، فما منهم أحد قال ولا بحرف واحد: إن الله -تعالى- لا يرى في الآخرة، وهذه أقوالهم مأثورة في كتب السنة، ما منهم أحد نفى أن يرى الله -تعالى- في الآخرة، بل كلهم مجمعون على هذا، حتى إن بعض أهل العلم قال: من أنكر رؤية الله -تعالى- في الآخرة فهو كافر، لوضوح الأدلة فيها وصراحتها، وإجماع الصحابة عليها، وإجماع الأئمة المتبوعين عليها، ولم يرد عن أحد منهم إنكارها.

أسأل الله -تبارك وتعالى- لي ولإخواني النظر إلى وجه الله الكريم، وأسأل الله الهداية لمن أنكروا هذه الرؤية العظيمة التي هي ألذ ما يجده أهل الجنة في الجنة، والله على كل شيء قدير.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

(١٢١) يقول السائل م. ط. م. أ. من الباكستان: ما هي أنواع الاستواء في لغة العرب؟ وكيف نثبت لله -سبحانه وتعالى- صفة الاستواء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الاستواء في اللغة العربية يأتي لازمًا، ويأتي متعديًا إلى المعمول بحرف الجر، ويأتي مقرونًا بواو المعية، فهذه ثلاثة وجوه للاستواء.

أما القسم الأول -وهو أن يأتي مطلقًا غير مقيد بالمعمول، ولا واو المعية-: فإنه يكون بمعنى الكمال، ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] أي: كمل، ومنه قول الناس في لغتهم العامية: استوى الطعام، أي: كمل نضجه.

والقسم الثاني أو الوجه الثاني: أن يأتي مقرونًا بواو المعية، فيكون بمعنى التساوي، كقولهم: استوى الماء والخشبة، أي: تساويا.

والقسم الثالث: يأتي معدًّى بحرف الجر، فإن عُدِّيَ بعلى صار معناه العلو والاستقرار، وإن عُدِّيَ بِإِلَى فقد اختلف المفسرون فيه، فمنهم من يقول: إنه بمعنى الارتفاع والعلو، ومنهم من يقول: إنه بمعنى القصد والإرادة. مثال ما عُدِّيَ بِعَلَى قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله ذلك في سبعة مواضع في القرآن الكريم.

ومثال المعدى بِإِلَى قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، ولذلك اختلف المفسرون في الاستواء، استوى هنا، فبعضهم قال: معناها علا إلى السماء، ومنهم من قال: معناها قصد وأراد، وعلى كل فاستواء الله على العرش من الصفات الثابتة التي يجب على المؤمن أن يؤمن بها، وهو أن الله -تعالى- استوى على عرشه، أي: علا عليه علوًّا خاصًّا ليس كعلوه على سائر المخلوقات، بل هو علو خاص

بالعرش، كما قال -تعالى-: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] ولكن هذا الاستواء ليس معلومًا لنا في كيفيته، لأن كيفيته لا يمكن الإحاطة بها، ولم يخبرنا الله عنها ولا رسوله، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق برأسه حتى علاه العرق، ثم قال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»، ونحن نعلم معنى الاستواء ونؤمن به ونُقِرُّهُ، وهو أنه -سبحانه وتعالى- علا على عرشه واستوى عليه، علوًّا واستقرارًا يليق به -سبحانه وتعالى-، ولكننا لا نعلم كيفية هذا الاستواء، فالواجب علينا أن نمسك عن الكيفية، وأن نؤمن بالمعنى.

وأما قول من قال: إن معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: استولى عليه، فهذا قول لا يصح، وهو مخالف لما كان عليه السلف، ولما تدل عليه هذه الكلمة في اللغة العربية، فلا يعوَّل عليه، بل هو باطل، ولو كان معنى استوى استولى للزم أن يكون الله -تعالى- مستوليًا على شيء دون شيء، وهو -سبحانه وتعالى- مستولٍ على كل شيء، ولَلَزِم أن يكون العرش قبل هذا ليس مِلكًا لله بل مِلكًا لغيره، ثم استولى عليه من غيره، وهذه معان باطلة لا تليق بالله -سبحانه وتعالى-.

***

(١٢٢) يقول السائل من السودان: هذا سؤالٌ يحيرني وأرجو الإفادة عليه، وهو: إن بعض الناس يقولون بأن الله فوق في السماء، وعندنا في السودان علماء التوحيد يقولون بأن الله كان ولا مكان، وهو منزهٌ عن الجهات الست، طبعًا شرق، وغرب، وشمال، وجنوب، فوق، تحت، نرجو منكم التوجيه حول هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: علو الله -عز وجل- على خلقه ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، فأدلته متنوعة، كل الأدلة الممكنة في إثبات الشيء تدل على أن الله تعالى فوق عباده.

أما من القرآن فأدلة ثبوت علو الله على خلقه كثيرةٌ جدًا متنوعة، مثل قوله -تعالى-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرةً.

وكذلك الآيات الدالة على أن الأشياء تصعد إليه، كما في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وكذلك الآيات الدالة على أن الشيء ينزل من عنده، كما قال الله -تعالى-: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، والآيات في هذا كثيرة جدًا.

وأما السنة فقد دلت بجميع أنواعها على علو الله، دلت بالقول والفعل والإقرار.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»(١)، وخطب الناس في يوم عرفة وقال: «هل بلغت؟ قالوا: نعم. فأشار إلى السماء يقول: اللهم اشهد»(٢)، وسأل جاريةً قال: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»(٣) فاجتمع من السُّنَّة القول والفعل والإقرار على علو الله -عز وجل-، وأنه فوق كل شيء.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة، وأئمة الهدى من بعدهم، على أن الله -تعالى- فوق كل شيء، ولم يرد عنهم حرفٌ واحد في نفي علو الله -عز وجل-، بل كانوا مجمعين على أن الله -تعالى- فوق كل شيء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة في منى، رقم (١٧٤١)، مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

وأما العقل: فإن كل إنسان يعلم بعقله أن العلو صفة كمال، وأن الرب -عز وجل- له صفة الكمال المطلق، فإذا كان العلو صفة كمال فإن فوات العلو صفة نقص، والله -عز وجل- منزهٌ عن النقص، فوجب أن يثبت له العلو، لأنه صفة كمال.

وأما الفطرة: فما من أحدٍ يقول: يا رب، إلا وجد من قلبه ضرورةً بطلب العلو، ولهذا يرفع يديه إلى السماء، واسألوا الذين يسألونه ويدعونه: أين يوجهون أيديهم؟ هل يوجهونها إلى الأرض أو إلى السماء؟ أو إلى اليمين أو إلى الشمال؟ إنهم يوجهونها جميعًا إلى السماء، وهذا أمرٌ فطري لا يختلف فيه اثنان، إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة، وأنكر هذا الأمر الذي فطر عليه الخلق.

وإذا كان كذلك فإننا نقول: إن الله كان -عز وجل- كان ولم يكن شيء قبله، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وكان عاليًا -عز وجل- قبل أن يخلق العرش، ولما خلق السموات والأرض استوى على العرش، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فكان استواء الله على عرشه بعد خلقه.

وهنا نقول: استواء الله على عرشه حين خلق السموات والأرض تدل الآية الكريمة أنه لم يكن، أما قبل ذلك فالله أعلم، وأما بعد ذلك -أي: بعد خلق السموات والأرض- فإن الآية تدل على أن الله استوى على عرشه. وأما قولهم: إن الله -تعالى- منزه عن الجهات الست، فهذا غاية التعطيل والعياذ بالله، لأنهم إذا قالوا: إن الله ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف، فإن هذا هو العدم المحض والتعطيل المحض، أين يكون؟

وإذا قلنا: إن الله -تعالى- في جهة العلو، العلو الذي ليس فوقه شيء، فليس في هذا من نقصٍ في حق الله -عز وجل-، لأن العلو على جميع المخلوقات ليس فيه شيء من المخلوقات يمكن أن نقول: إنه محاذٍ لله -عز وجل-، بل كل شيء من المخلوقات فإن الله -عز وجل- فوقه، ولا يحاذي الله -عز وجل- شيئًا من مخلوقاته، وعين النقص في إثبات مثل ذلك.

وأين الوجود إذا قلنا: إن الله -تعالى- خالٍ من الجهات الست؟ نعم نقول: إنه لا يمكن لجهة أن تحيط بالله، لأن الله -تعالى- محيطٌ بكل شيء، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته، فإذا كان فوق كل شيء فإن ما فوق الأشياء ليس أمرًا وجوديًا حتى نقول: إن هذا يقتضي أن يشارك المخلوق الخالق في علوه -عز وجل-، والواجب على الإنسان أن يؤمن إيمانًا قطعيًا بأن الله -تعالى- فوق كل شيء، وأنه العلي الأعلى، وأنه -سبحانه وتعالى- له العلو المطلق: علو الذات، وعلو الصفات، بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة على ذلك.

***

(١٢٣) يقول السائل ت. إ. سوداني ومقيم بالمملكة يقول: أستفسر عن الآيات الكريمة التالية، يقول -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] **والآية الأخرى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾** [طه: ٥] **يقول: من الناس مَنْ يقول إن الله موجود في السماء، والبعض يقول إن الله موجود في كل مكان. اشرحوا لنا ذلك مأجورين.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه مسألة عظيمة مهمة، وذلك أن الله -سبحانه وتعالى- وصف نفسه بأنه العلي، وأنه الأعلى، وأنه القاهر فوق عباده، وأن الأمور تتنزل من عنده وتعرج إليه، وأنه في السماء، وكل هذا يدل على علوه -جل وعلا-، وأنه فوق كل شيء. فأما قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فالمراد بذلك الألوهية، لا ذات الرب -عز وجل-، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فالمراد بذلك أن ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض، فقول القائل: فلان أمير في المدينة وفي مكة، مع أنه في إحداهما وليس فيهما جميعًا، وإنما إمرته ثابتة في المدينة وفي مكة، فالله -تعالى- إله مَنْ في السماء وإله مَنْ في الأرض، وأما هو نفسه -جل وعلا- ففوق سمواته على عرشه، وعلى هذا فلا

منافاة بين هذه الآية وبين قول الله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ومعنى قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: إنه علا على العرش، لأن استوى في اللغة العربية إذا عُدِّيَتْ بِعَلَى صار معناها العلو، كقوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي: علوت، وقوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] -أي: تعلوا على ظهوره- ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: علوتم عليه، فهو -سبحانه تعالى- مستوٍ على العرش أي: عال عليه، وهذا العلو ليس هو العلو العام لجميع المخلوقات، بل هو علو خاص مختص بالعرش، ولهذا يقال: استوى على العرش، ولا يقال: استوى على السماء، ويقال: علا على العرش وعلا على السماء، فالاستواء على العرش علو خاص ليس هو العلو العام لجميع المخلوقات.

وقد أخطأ وضل من فسر الاستواء هنا بالاستيلاء والملك من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنه مخالف لمقتضى اللغة العربية، فلم تأتِ استوى على كذا بمعنى استولى عليه في اللغة العربية، وها هو كلام العرب بين أيدينا لا نعلم أنَّ منهم من عبر عن الاستيلاء بالاستواء أبدًا، فأما ما قيل:

قد استوى بِشرٌ على العراق   من غير سيف أو دم مهراق

فإننا نطالب أولًا بصحة النقل عن شاعر عربي من العرب الخُلَّص، ولا يمكن لأحد أن يثبت ذلك، ثم على فرض أنه ثبت عن شاعر عربي من العرب الخُلَّص فإنَّ هنا قرينةً تمنع أن يكون المراد بذلك العلو على العراق، لأن الرجل لا يمكن أن يعلو على العراق علوًّا ذاتيًا، وحينئذ يكون المراد به العلو المعنوي وهو الاستيلاء، أما علو الله -تعالى- نفسه على عرشه فلا مانع منه لا عقلًا ولا سمعًا. ثانيًا: أن نقول: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء مخالف لما كان عليه

السلف الصالح وأئمة الخلف، فإنهم مجمعون على أن استوى على العرش بمعنى علا عليه، ولم يأت عن أحد منهم حرف واحد يدل على أنهم فسروا الاستواء بالاستيلاء، ومعلوم أن مخالفة السلف ضلال وخروج عن جماعة الحق.

ثالثًا: أنه يلزم على تفسير ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] استولى عليه أن يكون العرش قبل هذا ملكًا لغير الله، وأن الله -تعالى- بالمعالجة حصل عليه من غيره، وهذا لازم باطل بطلانا شديدًا.

رابعًا: أننا إذا فسرنا استوى باستولى لجاز أن نقول: إن الله استوى على الأرض، وعلى الإنسان، وعلى الجمل، وعلى السفينة، وعلى كل شيء، لأنَّ الله -تعالى- مستولٍ على كل شيء ومالكٌ له، ومعلوم أنه لا أحد يُسَوِّغ أن يقول القائل: إن الله استوى على الإنسان، أو على الأرض، أو ما أشبه ذلك.

خامسًا: إنَّ الذين فسروه بالاستيلاء مضطربون ومختلفون، واضطراب أهل القول فيه يدل على عدم رسوخه وعدم صحته، وعلى هذا فلا يحل لأحدٍ أن يفسر قول الله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أو قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بأن المعنى استولى عليه من أجل هذه الوجوه التي ذكرناها، فالاستواء على العرش يلزم منه العلو المطلق على جميع المخلوقات، وأن الله -تعالى- عال بنفسه على جميع المخلوقات، ولا يعارضه ما ذكره السائل من قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] لما ذكرنا في صدر الجواب.

ونظير هذه الآية -أعني قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]- قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] فقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وليس المعنى أنه نفسه في السموات وفي الأرض، ولكن المعنى: أن ألوهيته ثابتة في السموات وفي الأرض.

وليعلم أن اعتقاد أن الله -تعالى- نفسه في كل مكان اعتقاد باطل، لو شعر الإنسان بلوازمه الباطلة ما تفوه به، لأنه يلزم من هذا القول أن يكون الله -تعالى- في كل مكان من الأماكن الطيبة والأماكن الخبيثة، بل لَلَزِمَ منه أن يكون الله -تعالى- في أجواف الحيوانات وأجواف الناس وما أشبه ذلك، ثم يلزم من هذا أحد أمرين: إما أن يتعدد بتعدد الأمكنة، وإما أن يكون متجزئًا بعضه هنا وبعضه هناك، وكل هذه لوازم فاسدة، تصورها كاف في ردها وإفسادها.

ومَنْ قال: إن الله -تعالى- نفسه في كل مكان، فهو ضال مبتدع ما قَدَر الله حق قدره، ولا عرف عظمته -جل وعلا-، وكيف يكون في كل مكان وهو الذي قد وسع كرسيه السموات والأرض؟ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فليتق الله قائل هذا، وليتب إلى ربه قبل أن يدركه الموت على هذه العقيدة الفاسدة، ويلقى ربه على خبث العقيدة وفساد الطوية، نسأل الله السلامة.

***

(١٢٤) يقول السائل ع. أ. من بيروت لبنان: إنه سمع إجابة عن سؤال في برنامجنا هذا: أين الله؟ فأجيب: بأنه في السماء، واستشهد المجيب على ذلك بآيات من القرآن الكريم، منها قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولكن يبدو أن هذا الأخ قد استشكل هذه الإجابة، ولم تطابق مفهومه الذي كان يعتقده، فأرسل يستفسر حول ذلك، فهل توضحون له الحقيقة حول هذا الموضوع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحقيقة حول هذا الموضوع أنه يجب على المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى في السماء، كما ذكر الله ذلك عن نفسه في كتابه، حيث قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾

[الملك: ١٧] وكما شهد بذلك رسول الله ﷺ، حين أقر الجارية التي سألها: «**أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة**»[(١)]، وكما أشار إلى ذلك ﷺ في أعظم مجمع من أمته يوم عرفة، حين خطب الناس خطبته الشهيرة فقال: «**ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد**» وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس.[(٢)].

فهذا دليل من القرآن ومن السنة على أن الله في السماء. وكذلك دليل العقل أن الله في السماء، فإن السماء علو، والعلو صفة كمال، والرب -سبحانه وتعالى- قد ثبت له صفة الكمال، فكان العلو من كماله -تبارك وتعالى-، فثبت له ذلك عقلًا.

كذلك في الفطرة: فإن الناس مفطورون على أن الله -تعالى- في السماء، ولهذا يجد الإنسان من قلبه ضرورة لطلب العلو حينما يسأل الله شيئًا، حينما يقول: يا رب، لا يجد في قلبه التفاتًا يمينًا ولا يسارًا ولا أسفل، وإنما يتجه قلبه إلى العلو، بمقتضى الفطرة التي سلمت من اجتيال الشياطين، وما من أحد يصلي فيقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، إلا وهو يشعر بأن الله -تعالى- في السماء. وقد انعقد إجماع السلف على ذلك، كما ذكر ذلك الأوزاعي وغيره.

وعلى هذا فيكون الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة، كل هذه الأدلة قد تطابقت على أن الله -تعالى- في السماء، وأنه -جل وعلا- عالٍ بذاته كما أنه عالٍ بصفاته.

ولكن يجب أن يعلم أن كونه في السماء لا يعني أن السماء تظله وأنها محيطة به، فإن الله -تعالى- أعظم من أن يظله شيء من خلقه، وهو -سبحانه وتعالى- غني عما سواه، وكل شيء مفتقر إليه -سبحانه وتعالى-، وهو الذي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فلا يمكن أن تظله السماء، وعلى هذا فيزول المحظور الذي أظن أنه قد شبه على هذا السائل، بأنه إذا قلنا بأن الله في السماء لزم أن تكون السماء مظلة له -عز وجل-، وليس الأمر كذلك.

فإن قال قائل: قوله: في السماء، قد يفهم أن السماء تحيط به، لأن (في) للظرفية، والمظروف يكون الظرف محيطًا به.

فالجواب: أن ذلك ليس بصحيح، لأن السماء بمعنى العلو، وأن السماء بمعنى العلو قد ورد في القرآن، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]، والماء ينزل من السحاب، والسحاب مسخر بين السماء والأرض، فيكون معنى قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: أنزل من العلو، ويكون معنى قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: من في العلو.

وهناك وجه آخر بأن نجعل (في) بمعنى (على)، ونجعل السماء هي السماء السقف المحفوظ، ويكون معنى ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: من على السماء، وإذا كان عاليًا عليها فلا يلزمها أن تكون محيطة به، ولا يمكن أن تكون محيطة به.

(وفي) تأتي بمعنى (على)،كما في قوله -تعالى-: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [النحل: ١٥] أي: على الأرض، وكما في قوله -تعالى- عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل، بكل هذا يزول الإشكال والوهم الذي قد يعتري من لم يتدبر دلالة الكتاب والسُّنَّة في هذه المسألة العظيمة.

ولا ريب أن من أنكر أن الله في السماء فهو مكذب بالقرآن والسنة وإجماع السلف، فعليه أن يتوب إلى الله -عز وجل-، وأن يتدبر دلالة الكتاب والسُّنَّة على وجه مجرد عن الهوى، ومجرد عن التقليد، حتى يتبين له الحق، ويعرف أن الله -عز وجل- أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

أما قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإن الاستواء بمعنى العلو، كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: تعلو عليها.

وكما في قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي: علوت. فالاستواء في اللغة العربية بمعنى العلو، ولا يرد بمعنى الاستيلاء والملك أبدًا، ولو كان هذا صحيحًا لبيَّنَهُ الله -عز وجل- في القرآن ولو في موضع واحد، والاستواء على العرش ذكر في القرآن في سبعة مواضع، ما فيها موضع واحد عبر عنه بالاستيلاء أبدًا، ولو كان بمعنى الاستيلاء لعبر عنه في بعض المواضع حتى يحمل الباقي عليه.

وليس في سنة رسول الله ﷺ حرف واحد يدل على أن الاستواء -أي: إن استواء الله على عرشه- بمعنى استيلائه عليه، وليس في كلام السلف الصالح والأئمة أن استواء الله على العرش بمعنى استيلائه عليه، والمعروف عنهم أنه بمعنى العلو والاستقرار والارتفاع والصعود، هكذا نقل عن السلف، وعلى هذا فيكون المعنى الصحيح لقوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وما أشبهها من الآيات، أي: الرحمن على العرش علا علوًّا خاصًّا يليق بجلاله -تبارك وتعالى-، ولا يستلزم ذلك أن يكون الله -تعالى- محتاجًا إلى العرش، بل إنه لا يقتضي ذلك أبدًا، فإنه قد علم أن الله -تعالى- غنيٌّ عما سواه، وأن كل ما سواه محتاج إليه.

فنرجو من الأخ السامع للجواب، الأول أن يرد إليه هذا الجواب حتى يتبين له الحق، بأن يجرد نفسه قبل كل شيء من التقليد، حتى يكون قلبه سليمًا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

***

(١٢٥) **يقول السائل**: ما حكم الخوض في ذات الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يمكن الخوض في ذات الله -عز وجل-،

لأن الوصول إلى معرفة حقيقة ذات الله -عز وجل- مستحيلة، ومن رَام ذلك فقد يقع في هلاك وشقاء.

نعم يفكر ويتأمل في أسماء الله وصفاته، كما قال -عز وجل-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

***

(١٢٦) يقول السائل: لقد سمعت بيتًا لأحد السلف الصالح، ولكنه التبَس عليَّ الشطر الأخير وشككت فيه من الناحية العقائدية، فأرجو من فضيلة الشيخ أن يُبيِّنَ لي معنى هذا البيت، وهل هو صحيح من ناحية الاعتقاد أم لا؟ البيت هو:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوتُ ولكن قل علي رقيب

إلى أن قال:

ولا تحسبن الله يغفل طرفةً ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذان البيتان صحيحان، فإذا خلا الإنسان يومًا من الدهر فلا يقل: إني خلوت، لأن عليه رقيبًا من الله -عز وجل-، كما قال الله -عز وجل-: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فالإنسان مهما اختفى عن الناس فإنه لن يخفى على الله، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ولا تظن أنك إذا اختفيت فإن الله -سبحانه وتعالى- يغفل عنك أو لا يعلم بك، فإن الله -تعالى- يقول: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فهو -سبحانه وتعالى- محيطٌ بكل شيء عِلمًا، يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم ما ظهر وما بطن.

***

(١٢٧) يقول السائلان: ع. م. أ. الرياض منظور، و أ. ق. أ. ح: يوجد بطاقات مكتوب عليها أسماء الله -جل جلاله-، مثل هذه الصورة التي بجانب الرسالة -وقد ضمنوا هذه الرسالة صورة لكسوة الكعبة، وعليها آيات من كتاب الله المبين- يقول: تُرمى في الأرض من قبل ناس لا يعرفون الإسلام، يقول: هذه فقط إشارة، وما تنصحون الباعة بذلك، أو من يهمه الأمر بذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة كثرت في الناس على أوجه متعددة، منها بطاقات تحمل لفظ الجلالة الله وأخرى إلى جانبها تحمل لفظ محمد، ثم توضع البطاقتان متوازنتين على الجدار أو على لوحة أو ما أشبه ذلك، ونحن نتكلم على هذه الصورة.

أولًا: ما فائدة تعليق كلمة الله فقط ومحمد فقط؟ إذا كان الإنسان يظن أنه يستفيد من ذلك بركة فإن البركة لا تحصل بمثل هذا العمل، لأن هذا ليس بجملة مفيدة تكسب مَعْنًى يمكن أن يحمل على أنه للتبرك، ثم إن التبرك بمثل هذا لا يَسُوغُ، لأن التبرك بالله وأسمائه لا يمكن أن يستعمل إلا على الوجه الذي ورد، لأنه عبادة، والعبادة مبناها على التوقيف.

ثم إن هذا الوضع الذي أشرنا إليه سابقًا: أن توضع كلمة الله وبجانبها موازيةً لها كلمة محمد، هذا نوع من التشريك والموازنة بين الله وبين الرسول ﷺ، وهذا أمر لا يجوز، وقد قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**»[1]، ثم إن التبرك بمجرد وضع اسم النبي ﷺ لا يجوز، التبرك إنما يكون بالتزام شريعة النبي ﷺ والعمل بها.

هذه صورة مما يستعمله الناس في هذه البطاقات، وقد تبين ما فيها من مخالفة للشرع.

---

(١) تقدم تخريجه.

أما بالنسبة للصورة الثانية التي أشار إليها الأخ السائل: فجوازها محل نظر، وذلك لأن الأصل في كتابة القرآن على الأوراق والألواح الجواز، لكن تعليقه أيضًا على الجدران في المنازل لم يرد ذلك عن السلف الصالح -رحمهم الله-، لا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن التابعين، ولا أدري بالتحديد متى حصلت هذه البدعة، هذا في الحقيقة بدعة، لأن القرآن إنما نزل لِيُتْلَى لا لِيُعَلَّقَ على الجدران وغيرها، ثم إن في تعليقه على الجدران مفسدة، أضف إلى ذلك أنه لم يرد عن السلف، وتلك المفسدة هي أن يعتمد الإنسان على هذا الْمُعَلَّق، ويعتقد أنه حرز له، فيستغني به عن الحرز الصحيح، وهو التلاوة باللسان، فإنها هي الحرز النافع، كما قال النبي ﷺ في آية الكرسي: «**من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[1]، فالإنسان إذا شعر أن تعليق هذه الآيات على الجدران مما يحفظه، فإنه سيشعر باستغنائه بها عن تلاوة القرآن، ثم إن فيها نوعًا من اتخاذ آيات الله هزوًا، لأن المجالس لا تخلو غالبًا من أقوال محرمة من غيبة أو سباب وشتم، أو أفعال محرمة، وربما يكون في هذه المجالس شيء من آلات اللهو التي حرمها الشرع، فتوجد هذه الأشياء والقرآن معلق فوق رؤوس الناس، فكأنهم في الحقيقة يسخرون به، لأن هذا القرآن يحرم هذه الأشياء، سواء كانت الآية المكتوبة هي الآية التي تحرم هذه الأشياء أو آية غيرها من القرآن، فإن هذا بلا شك نوع من الاستهزاء بآيات الله.

لذلك ننصح إخواننا المسلمين بالابتعاد عن استعمال مثل هذه التعليقات، لا بالنسبة لاسم من أسماء الله أو أسماء الرسول ﷺ، أو آيات من القرآن، ويستعملوا ما استعمله سلفهم الصالح، فإن في ذلك الخير والبركة.

بالنسبة لما أشار إليه الأخ من أن هذه البطاقات التي يكتب عليها القرآن

---

(١) تقدم تخريجه.

ترمى في الأسواق، وفي الزبل وفي مواطئ الأقدام، فهذا أيضًا لا يجوز، لما فيه من امتهان القرآن الكريم، لكن المخاطب بذلك من هي في يده، إلا أن الباعة الذين يبيعونها إذا علموا أن هذا يفعل بها غالبًا يكون ذلك موجبًا لتحريم بيعها والاتجار بها، لأن القاعدة الشرعية: «**أنه إذا كان العقد وسيلة لازمة أو غالبةً إلى شيء محرم فإن ذلك العقد يكون حرامًا**»، لأنه من باب التعاون على الإثم والعدوان، وأظن أن الإجابة على السؤال انتهت.

أما بالنسبة لتعليق القرآن على المرضى، سواء كانت أمراضهم جسدية أو نفسية للاستشفاء بها، فإن هذه موضع خلاف بين السلف والخلف، فمن العلماء من يجيز ذلك، لما يشعر به المريض من راحة نفسية، حيث إنه يحمل كلام الله -عز وجل-، وشعور المريض بالشيء له تأثير على المرض زيادةً ونقصًا وزوالًا كما هو معلوم.

ومن العلماء من قال: إنه لا يجوز، وذلك لأنه لم يرد عن النبي ﷺ أن يستعمل مثل ذلك للاستشفاء، وإنما الاستشفاء بقراءة ما ورد على المريض، وإذا كان لم يرد عن الشارع أن هذا سببٌ فإن إثباته سببًا نوع من الشرك، ذلك لأنه لا يجوز أن نثبت أن هذا الشيء سبب إلا بدليل من الشرع، فإذا أثبتنا سببيته فمعنى ذلك أننا أحدثنا أمرًا لم يكن في الشرع، وهذا نوع من الشرك.

***

(١٢٨) يقول السائل م. أ. أ. من القصيم: أسأل عن قوله -تعالى- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] لأنني قرأت بعض التفاسير، وخشيت أن يكون في بعضها ما يخالف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وكذلك في قوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥] نريد الجواب الشافي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أحب أن أُنَبِّهُ على قول السائل: إنه يسأل عن

قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فإن ظاهر لفظه أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من مقول الله، والذي ينبغي إذا أراد أن يستعيذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم أن يقدمها على قول الله، فيقول مثلًا: أسأل عن هذه الآية ثم يذكرها، أو يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ما معنى قوله -تعالى- كذا وكذا.

وأما بالنسبة لسؤاله: فإن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن يوصف الله -تعالى- بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، بدون تحريف، بل يُجْرَى الكلام على ظاهره، لأن المتكلم به -وهو الله -عز وجل- أعلم بنفسه من غيره، ولأنه -تبارك وتعالى- أصدق القائلين، وكلامه أفصح الكلام وأبينه، ومراده -عز وجل- من عباده أن يهتدوا ولا يضلوا، وكذلك رسول الله ﷺ هو أعلم الناس بربه، وكلامه أصدق كلام الخلق وأفصحه، ومراده ﷺ هداية الخلق دون ضلالهم، وهذه الصفات الأربع: العلم، والصدق، والفصاحة، وإرادة الخير، إذا توافرت في كلام فقد بلغ الغاية في وجوب الأخذ بمدلوله على ظاهره، ولا يجوز أن يحرف إلى غير الظاهر.

وبناء على هذه القاعدة العظيمة نقول: إن كل ما وصف الله به نفسه من الصفات فهو حق على ظاهرها، ففي الآية الأولى التي ذكرها قال الله -تبارك وتعالى- عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] قال الله -عز وجل- ذلك ليبين أن خداعهم ومكرهم دون خداع الله -تعالى- لهم ومكره بهم، فهو كقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] والخداع ليس وصفًا مطلقًا بالنسبة لله، ولكنه وصف في مقابلة من يخادعونه، ليبين أنه -عز وجل- أقدر منهم على الخداع والمكر، وهذا لا شك يدل على القوة وعلى ضعف المقابل، وليس به أي نقص يتوجه إلى الله -عز وجل-، ولهذا نرى الناس إذا أرادوا أن يخدعوا شخصًا فعرف خَدَاعهم وخادعهم علموا أنه أقوى منهم وأشد، فالخداع في مقابلة المخادع صفة كمال وليست صفة نقص.

ويُذْكَر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بارز عمرو بن وُدٍّ وخرج إليه عمرو قال علي: إني لم أخرج لأبارز رجلين. فالتفت عمرو يظن أنه قد لحقه آخر، فلما التفت ضربه عليٌّ حتى أهلكه، فهذا من الخداع الجائز، لأن عمرو بن ود إنما خرج من أجل أن يقتل عليًّا رضي الله عنه، والحرب خدعة، فخدعه علي رضي الله عنه بهذه الكلمة حتى قضى عليه، ويعد هذا من قدرة علي رضي الله عنه وقوته في خداع خصمه.

ولهذا نقول: إن الخداع والاستهزاء والمكر والكيد الذي وصف الله به نفسه إنما يوصف الله به في مقابل من فعل ذلك، لا على سبيل الإطلاق.

ولهذا ننبه على مسألة يقولها بعض العامة، يقولون: خان الله من يخون، فيظنون أن الخيانة مثل الخداع، وهذا ليس بصحيح، لأن الخيانة خداع في غير موضعه، ومكر في غير موضعه، فلا يجوز أن يوصف الله بها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١] ولم يقل: فخانهم، لأن الخيانة وصف لا يليق بالله -تعالى- مطلقًا، لأنه مذموم على كل حال.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية كما قلنا في الآية الأولى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وكما أشرنا إلى آية ثالثة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وإلى آية رابعة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

***

(١٢٩) يقول السائل: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن كل صفة من صفات الله التي أثبتها لنفسه نثبتها له من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، فكيف نفسر الآيات الكريمات، الآية الأولى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب السلف الصالح الذي عليه الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين من بعدهم هو: أن الله -تعالى- يوصف بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم-، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تَكْيِيف، ولا تَمْثِيل. وهذا هو المذهب الحق الذي دل عليه السمع والعقل، أي: دل عليه الشرع والعقل، وذلك لأن صفات الله -سبحانه وتعالى- مجهولة لنا، لا نعلم منها إلا ما أخبرنا الله به عن نفسه، وما أخبرنا به عن نفسه فهو حق، لأنه خبر صادق ممن هو أعلم بنفسه من غيره، ولأننا لا ندرك ما يجب لله -تعالى- وما يجوز وما يستحيل عليه على وجه التفصيل إلا عن طريق الكتاب والسُّنَّة، وعلى هذا فما وصف الله به نفسه وجب علينا قبوله والإيمان به، لكننا لا نحيط به على وجه الحقيقة، بمعنى: أننا لا ندرك كيفيته، فمثلًا: استواء الله على عرشه أثبته الله -تعالى- لنفسه في سبعة مواضع من كتابه العزيز، فنحن نعلم عن الاستواء على الشيء أنه العُلُوُّ عليه، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]، ولكننا لا نعلم كيفية استواء الله -تعالى- على عرشه، يعني: لا نعلم على أي صفةٍ هو، ولهذا لما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه عن ذلك، فقال له رجل: يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى جعل يتصبب عرقًا من شدة ما سمع من السؤال وهيبته وتعظيمه لله -عز وجل-، ثم قال: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**» يعني: أن الاستواء غير مجهول في اللغة العربية، بل هو معلوم، فإن اللغة العربية تدل على أن استوى على الشيء بمعنى علا عليه، والقرآن نزل باللغة العربية، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

﴿ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] أي: صيرناه باللسان العربي من أجل أن تَعْقِلُوه وتفهموه.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستواء غير مجهول، أي: معلوم المعنى واضح المعنى.

والكيف غير معقول، أي: إن عقولنا أقصر وأحقر من أن تدرك كيفية استواء الله على عرشه، وهكذا بقية الصفات لا يمكن لعقولنا القاصرة أن تدرك كيفيتها.

والإيمان به واجب، أي: الإيمان بالاستواء على ما تقتضيه اللغة العربية واجب، لأن الله أخبر به عن نفسه، فوجب علينا قبوله والإيمان به.

والسؤال عنه -أي: عن كيفيته- بدعة، أي: إنه من دَيْدَنِ أهل البدع، وهو أيضًا بدعة لكون الصحابة لم يسألوا عنه رسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

فالقاعدة العريضة للسلف الصالح وأئمة المسلمين هي: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

واعلم أن صفات الله -تعالى- تنقسم إلى قسمين: قسم كمال مطلق بكل حال، فهو يوصف الله به وصفًا مطلقًا على كل حال، كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والكلام، وما أشبهها.

وقسم آخر لا يكون كمالًا على كل حال، لكنه كمال في موضعه، كالآيات التي ذكرها السائل، فإن الله لا يوصف بها مطلقًا، أي: على سبيل الإطلاق، وإنما يوصف بها حيث تكون كمالًا، كما سيتبين إن شاء الله من الكلام على كل آية وحدها.

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] أي: المنافقين، لأن المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] أي: مستهزئون بالمؤمنين حيث نقول لهم: إننا آمنا، وهم لم يؤمنوا، فقال الله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، فقابل استهزاءهم بالمؤمنين باستهزائه -تبارك وتعالى- بهم، وذلك حيث مَكَّن لهم وأمهلهم واستدرجهم من حيث لا يعلمون، فهذا استهزاء في مقابلة استهزاء، واستهزاء الله -تعالى- أعظم وأكبر من استهزائهم بالمؤمنين.

والآية الثانية: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وهذه أيضًا في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وفي آية أخرى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩] والمخادعة وصف محمود إذا وقع في محله، ولهذا قيل: الحرب خدعة، فهؤلاء المنافقون يخادعون الله والذين آمنوا، ويَغُرُّونَهُم، ويرونهم أنهم مؤمنون -وهم غير مؤمنين- خداعًا ومكرًا وكيدًا، فيقول الله -عز وجل-: إن الله خادعهم، وذلك بإمهاله لهم واستدراجه لهم وحقن دمائهم ومعاملتهم معاملة المسلمين، لكنه -عز وجل- سيريهم العذاب الأليم حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، وهذا لا شك خداع بهم، حيث يعاملهم -سبحانه وتعالى- معاملة الرضا وهم على العكس من ذلك.

الآية الثالثة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] إنهم يعني: المكذبين للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، يكيدون للنبي ﷺ كيدًا عظيمًا، ولكن الله تعالى يكيد بهم كيدًا أعظم.

وتأمل قوله: ﴿يَكِيدُونَ﴾ حيث أتى بصيغة الجمع ﴿وَأَكِيدُ﴾ حيث أتى بصيغة الإفراد، فإن كيد الله -تعالى- أعظم من كيدهم جميعا مهما بلغت.

والكيد والمكر متقاربان، ومعناهما: الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، يعني: أن يوقع الإنسان بخصمه من حيث لا يشعر به، وقد كاد الله تعالى لنبيه ﷺ مع هؤلاء المشركين المكذبين به كيدًا عظيمًا، كما هو معلوم من قراءة سيرة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم-.

وفي الآية الأخيرة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] هذه أيضًا كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦] يعني: أن الكفار يمكرون بأولياء الله -عز وجل-، ولكن الله تعالى يمكر بهم، فيقابلهم بما هو أعظم وأشد من مكرهم، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] أي: أعظمهم وأشدهم. والمكر -كما قلت آنفًا- هو الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، فهو دليل على القوة والعلم والقدرة، فيكون في مقابلة الفاعل صفة مدح وكمال، لكن لا يوصف الله -تعالى- بأنه ماكر على سبيل الإطلاق، أو بأنه خادع، أو بأنه كائد، أو بأنه مستهزئ على وجه الإطلاق، بل يقال: إنه -سبحانه وتعالى- ماكر بمن يمكر به، ومستهزئ بمن يستهزئ به، وهكذا.

۞۞۞

۞ الإيمان بالملائكة ۞

(١٣٠) يقول السائل إبراهيم من الرياض: ما هي أهمية الإيمان بالملائكة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان بالملائكة أهميته عظيمة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، كما قال جبريل للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

أما كيف نؤمن بهم؟ فنؤمن بأنهم عالم غيبي خلقوا من نور، وجعل الله منهم رسلًا ومنهم عبادًا، وهم على قوة عظيمة، ولا سيما جبريل عليه السلام، فقد وصفه الله بأنه ذو قوة فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١].

وهم في وظائفهم أقسام: منهم ملائكة مع الإنسان عن اليمين وعن الشمال يكتبون أعماله الحسنة والسيئة، ومنهم ملائكة يحفظون الإنسان من أمر الله -عز وجل- يتعاقبون بالليل والنهار، هؤلاء في الليل وهؤلاء في النهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ومنهم ملائكة مُوَكَّلُون بقبض الأرواح، ومنهم ملائكة مُوَكَّلُون بسؤال الأموات بعد الدفن.

المهم أنهم عالم غيبي عظيم، قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**أَطَّتِ السماء وحق لها أن تَئِطَّ، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد**»[٢]، والأطيط هو صرير الرحل، رحل البعير، إذا حُمِّل وصار البعير يمشي، يكون له أطيط، أي: صرير، وأخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن البيت المعمور الذي في السماء السابعة: أنه «**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه في اليوم الثاني، بل يأتي غيرهم، إلى يوم القيامة**»[٣] أو إلى ما بعد ذلك الله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

المهم أنهم جنود لا يعلمهم إلا الله -عز وجل-، فنؤمن بما عرفنا من أسمائهم، ونؤمن بما عرفنا من أوصافهم، ونؤمن بما عرفنا من وظائفهم، وما عدا ذلك فالله أعلم.

***

(١٣١) يقول السائل م. ل. م. من جمهورية مصر العربية: فضيلة الشيخ نود أن تعطونا نبذة عن خَلْقِ الملائكة، وهل تأتي على صورة حيوان؟ ما صحة ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الملائكة عالم غيبي خلقهم الله -سبحانه وتعالى- من نور، وكلفهم بما شاء من العبادات والأوامر، واصطفى منهم رسلًا، كما قال الله -تعالى-: ﴿ **ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٥] فمنهم الرسل الموكلون بالوحي، كجبريل -عليه الصلاة والسلام-، ومنهم الرسل الموكلون بقبض أراوح بني آدم، كما قال الله -تعالى-: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﴾ [الأنعام: ٦١]، ومنهم الْكَتَبَةُ الذين يكتبون أعمال بني آدم، ومنهم الحَفَظَةِ الذين يحفظونهم من أمر الله، ومنهم السَيَّاحُون الذين يَسِيحون في الأرض يتلمسون حِلَقَ الذكر، إلى غير ذلك مما جاء في الكتاب والسُّنَّة من أعمالهم ووظائفهم.

وأما أوصافهم: فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه رأى جبريل وله ستمائة جناح قد سد الأفق، ولكن مع هذا له قدرة بإذن الله -عز وجل- أن يكون على صورة إنسان، كما جاء جبريل إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- على صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن الساعة وأشراطها، وكما جاء إليه بصورة دحية الكلبي، وكما أخبرنا النبي -عليه الصلاة والسلام- في قصة الثلاثة من بني إسرائيل: الأبرص، والأقرع،

والأعمى، وأن الملك جاء إلى كل واحد منهم وسأله عن أحب ما يكون إليه، ثم بعد أن أنعم الله عليهم بإزالة العيوب وبالمال عاد إليهم الملك بصورة كل واحد منهم قبل أن يزول عنه العيب ويحصل له الغنى، والقصة معروفة مشهورة.[(١)]

ثم إن الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- لهم قدرة عظيمة، وسرعة عظيمة في الطيران والوصول إلى الغايات، ألم تر إلى قول سليمان -عليه الصلاة والسلام-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] أي: عرش بلقيس، وهو السرير الذي تجلس عليه، وهو عرش عظيم، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٩-٤٠]، قال أهل العلم: إن هذا الرجل دعا الله -عز وجل-، فحملت الملائكة العرش حتى وضعته عند سليمان -عليه الصلاة والسلام-.

ثم ألم تر إلى الإنسان يموت فتقبض الملائكة روحه، وتصعد بها إلى الله -عز وجل- إذا كان مؤمنًا إلى ما فوق السموات، و تعاد إليه روحه إذا دفن في قبره؟ وكل هذا يدل على أن الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- لهم قوة عظيمة وسرعة عظيمة.

ومن أراد أن يقف على شيء من أوصافهم وأحوالهم فليرجع إلى الكتب المصنفة في ذلك، منها كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير رحمه الله.

***

(١٣٢) تقول السائلة أ: إن الله -سبحانه وتعالى- قد خلق لنا كرامًا كاتبين، يكتبون كل ما نقول ونفعل. السؤال: ما الحكمة من خلقهم؟ مع العلم بأن الله -سبحانه وتعالى- يعلم ولا يخفى عليه ما نُسِرُّ وما نُعْلِنُ؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، حديث أبرص، وأعمى، وأقرع في بني إسرائيل، رقم (٣٤٦٤)، مسلم: كتاب الزهد والرقائق، بابٌ، رقم (٢٩٦٤).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: جوابنا على هذا السؤال أن نقول:

أولًا: مثل هذه الأمور قد ندرك حكمتها وقد لا ندرك، فإن كثيرًا من الأشياء لا نعرف حكمتها، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فإن هذه المخلوقات لو سألنا سائل: ما الحكمة في جعل الإبل على هذا الوجه؟ وجعل الخيل على هذا الوجه؟ وجعل الحمير على هذا الوجه؟ وجعل الآدمي على هذا الوجه؟ وما أشبه ذلك، لو سُئلنا عن الحكمة في هذه الأمور ما علمناها، ولو سُئلنا: ما الحكمة في أن الله -عز وجل- جعل صلاة الظهر أربعًا، وصلاة العصر أربعًا، وصلاة العشاء أربعًا؟ وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعرف الحكمة في ذلك، إذ قد يقول قائل: لماذا لم تجعل ثماني أو ستًّا؟ ولهذا علمنا أن كثيرًا من الأمور الكونية والأمور الشرعية تخفى علينا حكمتها، وإذا كان كذلك فإنا نقول: إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء المخلوقة أو الأشياء المشروعة إن منّ الله علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم، وإن لم نصل إليها فإن ذلك لم يُنْقِصْنَا شيئًا.

نعود إلى جواب السؤال، وهو: ما الحكمة في أن الله وكل بنا كرامًا كاتبين يعلمون ما نفعل؟ فالحكمة من ذلك بيان أن الله -سبحانه وتعالى- نظم الأشياء وقدرها، وأحكمها إحكامًا متقنًا، حتى إنه -سبحانه وتعالى- جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كرامًا كاتبين يكتبون ما يفعلون، مع أنه -سبحانه وتعالى- عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه، ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله -عز وجل- بالإنسان، وكمال حفظه -تبارك وتعالى-، وأن هذا الكون منظم أحسن نظام، ومحكم أحسن إحكام.

***

(١٣٣) تقول السائلة أ. ع. من المدينة المنورة: فضيلة الشيخ بعض الناس يقومون بوضع البخور في بيوتٍ قديمة، يَدَّعون أنهم يُبَخِّرُونها للملائكة،

ويضعون قِطعًا من القماش ويبخرونها. فما حكم الشرع في نظركم في ذلك مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: إن هؤلاء جماعة من الخرافيين السفهاء في عقولهم، الضالين في عملهم، لأن الملائكة لا يمكن أن تكون أماكنها الأماكن الخَرِبَة، الأماكن الخربة يمكن أن تكون مأوى الجن أو الشياطين، أما الملائكة فإن مأواها في الأرض هي بيوت الله -عز وجل-، كما جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فيمن أكل بصلًا أو ثومًا قال: «**فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»(١)، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات.

وأضل من ذلك أن يبخروا هذه الأماكن، وكذلك يجعلون قِطَعًا من القماش ويبخرونها، وكل هذا ضلال في الدين وسفه في العقل.

والواجب على من عَلِمَ بذلك أن ينكر على من فعلها، ويبين له أن هذا خطأ عظيم، وأن الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- أَجَلُّ وأكرم عند الله من أن يجعل مأواهم هذه البيوت الخربة.

***

(١٣٤) يقول السائل: هل هناك أدلة تدل على أفضلية الملائكة على الصالحين من بني البشر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة -وهي: المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من البشر- محل خلاف بين أهل العلم، وكُلٌّ منهم أدلى بدَلْوِهِ فيما يحتج به من النصوص، ولكن القول الراجح أن يقال: إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية، فإن الله -سبحانه وتعالى- يؤدي لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم، بل إن الملائكة في مقرهم

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، رقم (٥٦٤).

- أي: في مقر الصالحين، وهو الجنة -يدخلون عليهم من كل باب يهنئونهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل، لأنهم خلقوا من نور، وجُبِلُوا على طاعة الله -عز وجل- والقوة عليها، كما قال الله -تعالى- في الملائكة ملائكة النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقال -عز وجل-: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] هذا هو القول الفصل في هذه المسألة.

وأخيرًا: إن الخوض فيها، وطلب المفاضلة بين صالح البشر والملائكة، من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به. والله المستعان.

✪✪✪

۞ الجن والشياطين ۞

(١٣٥) يقول السائل ع. م: ما الفرق بين الجن والشياطين؟ وهل هم من فصيلة واحدة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الشياطين من الجن والإنس، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢]، بل يكون الشيطان من غير العقلاء، كما قال النبي ﷺ: **«الكلب الأسود شيطان»**(١).

وأما الجن فإنه من ذرية إبليس، كما قال الله -تعالى-: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

***

(١٣٦) يقول السائل ر. غ. أ. من الجمهورية العراقية: نحن نعرف أن إبليس هو أبو الشياطين، فكيف تتكاثر الشياطين وكيف تتناقص؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: لا شك أن إبليس هو أبو الجن، لقوله -تعالى-: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥] وقوله عن إبليس وهو يخاطب رب العزة -سبحانه وتعالى-: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] وقوله -تعالى-: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [الكهف: ٥٠] فهذه الأمور أدلتها واضحة أن الشيطان له ذرية، وأن الجن ذريته، ولكن كيف يكون ذلك؟ هذا ما لا عِلم لنا به، وهو من الأمور التي لا يَضُرُّ الجهل بها، ولا ينفع العلم بها. والله أعلم.

***

(١٣٧) يقول السائل أ. م. إ. من العراق محافظة ذي قار: كيف هي حقيقة حياة الجن؟ وهل بينهم تزاوج شرعي؟ وهل هم يعيشون ويموتون مثلنا نحن الإنس؟ وهل لهم تأثير على الإنس؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، رقم (٥١٠).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حقيقة حياة الجن الله أعلم بها، ولكننا نعلم أن الجن أجسام لها حقيقة، وأنهم خلقوا من النار، وأنهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون أيضًا، ولهم ذرية، كما قال الله -تعالى- في الشيطان: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ**﴾ [الكهف: ٥٠]، وأنهم مكلفون بالعبادات، فقد أرسل إليهم -النبي عليه الصلاة والسلام-، وحضروا واستمعوا القرآن، كما قال الله -تعالى-: ﴿**قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا**﴾ [الجن: ١-٢]، وكما قال -تعالى-: ﴿**وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٢٩] إلى آخر الآيات.

وثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال للجن الذين وفدوا إليه وسألوه الزاد، قال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، تجدونه أوفر ما يكون لحمًا**»[1]، والجن يشاركون الإنسان إذا أكل ولم يذكر اسم الله على أكله، ولهذا كانت التسمية على الأكل واجبة، وكذلك على الشرب، كما أمر بذلك النبي ﷺ وعليه.

إن الجن حقيقة واقعة، وإنكارهم تكذيب للقرآن، وكفر بالله -عز وجل-، وهم يُؤْمَرُون ويُنْهَوْن، ويدخل كافرهم النار، كما قال الله -تعالى-: ﴿**قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ**﴾ [الأعراف: ٣٨] ومؤمنهم يدخل الجنة أيضًا لقوله -تعالى-: ﴿**وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٧ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٩]، والخطاب للجن والإنس، ولقوله -تعالى-: ﴿**يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ**﴾ [الأنعام: ١٣٠]، إلى غير

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم (٤٥٠).

ذلك من الآيات والنصوص الدالة على أنهم مكلفون، يدخلون الجنة إذا آمنوا، ويدخلون النار إذا لم يؤمنوا.

يقول السائل: **فضيلة الشيخ ما تأثيرهم على الإنس؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما تأثيرهم على الإنس فإنه واقع أيضًا، فإنهم يؤثرون على الإنس: إما أن يدخلوا في جسد الإنسان فيصرع ويتألم، وإما أن يُؤَثِّرُوا عليه بالإيحاش والترويع وما أشبه ذلك.

يقول السائل: **فضيلة الشيخ**: **كيف العلاج من تأثيرهم؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاج من تأثيرهم بالأوراد الشرعية، مثل: قراءة آية الكرسي، فإن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.(1)

***

(١٣٨) تقول السائلة هـ. م: **سمعت أنه يوجد جن صالحون وجن شياطين، هل يظهرون للإنسان؟ وكيف نتجنب ظهورهم؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الجن كالإنس فيهم الصالحون، والمسلمون، والكافرون، والأولياء الذين آمنوا بالله وكانوا يتقون.

ذكر الله -تبارك وتعالى- في سورة الجن عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١] وقالوا أيضًا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥]، وفيهم -أي: في الجن- من يحب الصالحين من الإنس، وربما يخاطبهم وينتفع بهم بالنصيحة والتعليم، وفيهم -أي: في الجن- فُسَّاقٌ وكفار يحبون الفاسقين والكافرين، ويبغضون المؤمنين وأهل الاستقامة، وفي الجن من يحب العدوان على الإنس والأذية، وهم في الأصل عالم غيبي لا

---

(١) تقدم تخريجه.

يظهرون للإنس، لكن ربما يظهرون أحيانًا ويراهم الإنس، وربما يتشكلون بأشكال مؤذية مزعجة لأجل أن يروعوا الإنس، ولكن الإنسان إذا تحصن بالأوراد الثابتة عن رسول الله ﷺ كفاه الله شرهم، ومن ذلك قراءة آية الكرسي، وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فإن هذه الآية العظيمة من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، ولكن لا بد أن يكون القارئ مؤمنًا بها، وبأثرها، وأن الله تعالى يحفظه بها من كل شيطان، أما من قرأها وهو غافل، أو من قرأها مجربًا غير موقن بأثرها فإنه لا ينتفع بها.

***

(١٣٩) يقول السائل: هل الجن قد أسلموا برسالة محمد ﷺ، وآمنوا بالرسل من قبل؟ وأيضًا هل مفروض عليهم الحج؟ وإن كان كذلك فأين يحجون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على ذلك أن الجن مكلفون بلا شك، مكلفون بطاعة الله -سبحانه وتعالى-، وأن منهم المسلم والكافر، ومنهم الصالح ومنهم دون ذلك، كما ذكر الله تعالى في سورة الجن عنهم حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]، وقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥]، وقد صرف الله نفرًا من الجن إلى رسول الله ﷺ، فاستمعوا القرآن وآمنوا به، وذهبوا دعاة إلى قومهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا

أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] وهذا يدل على أن الجن كانوا يؤمنون بالرسل السابقين، وأنهم يعلمون كتبهم، لقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أكرم وفد الجن الذين وفدوا إليه بأن قال لهم: **«لكم كل عظم يذكر اسم الله عليه، تجدونه أوفر ما يكون لحمًا، وكل بَعْرَة فهي علف لدوابكم»**(1)، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الاستجمار بالعظام، وعن الاستجمار بالروث، فقال: **«لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ، وَلَا بِالْعِظَامِ، فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ»**(2).

يقول السائل: هل مفروض عليهم الحج؟ وإن كان كذلك فأين يحجون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الظاهر أنهم مكلفون بما يكلف به الإنس من العبادات، ولا سيما أصولها كالأركان الخمسة، وحجهم يكون كحج الإنس زمنًا ومكانًا، وإن كانوا قد يختلفون عن الإنس في جنس العبادات التي لا تناسب حالهم، فتكون مختلفة عن التكليف الذي يكلف به الإنس.

***

(١٤٠) تقول السائلة أ. ع. م. ن. من البيضاء من الجماهيرية العربية الليبية: هل للجن تأثيرٌ حقيقة على الإنسان؟ كما نسمع من تسلط بعض ذكور الجن على إناث الإنس، وتسلط بعض إناث الجن على رجال من الإنس؟ وكيف التخلص من هذا إن كان هذا واردًا؟ وبأي الطرق يمكن معالجة من به مثل هذه الحالة، دون الرجوع إلى وسائل محرمة ومخالفة للتوحيد؟

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الطهارة، بَابُ كَرَاهِيَةِ مَا يُسْتَنْجَى بِهِ، رقم (١٨).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لاشك أن الجن لهم تأثير على الإنس، بالأذية التي قد تصل إلى القتل، وربما يؤذونه برمي الحجارة، وربما يؤذونه بالإيحاش، أي: يُرَوِّعُونه، إلى غير ذلك من الأشياء التي ثبتت بها السنة ودل عليها الواقع.

وقد ثبت أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أذن لبعض أصحابه أن يذهب إلى أهله في إحدى الغزوات -وأظنها غزوة الخندق- وكان شابًّا حديث عهد بعرس، فلما وصل إلى بيته وإذا امرأته على الباب، فأنكر عليها ذلك فقالت له: ادخل، فدخل فإذا حية ملتوية على الفراش، فكان معه رمح فوخزها بالرمح حتى ماتت، وفي الحال وفي الزمن أو في اللحظة التي ماتت فيها الحية مات الرجل، فلا يدرى أيهما أسبق موتًا: الحية أم الرجل؟ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ «**نهى عن قتل الجنان التي تكون في البيوت، إلا الأبتر وذا الطفيتين**»(١)، وهذا دليل على أن الجن قد يعتدون على الإنس، وأنهم يؤذونهم، كما أن الواقع شاهد بذلك، فإنه قد تواترت الأخبار واستفاضت الأخبار بأن الإنسان قد يأتي إلى خربة فينال الحجارة، وهو لا يرى أحدًا من الإنس في الخربة، وقد يسمع أصواتًا، وقد يسمع حفيفًا كحفيف الأشجار، وما أشبه ذلك مما يستوحش به ويتأذى به.

وكذلك أيضًا قد يدخل الجني إلى جسد الآدمي: إما لعشق، أو لقصد الإيذاء، أو لسبب آخر من الأسباب، ويشير إلى هذا قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفي هذا النوع قد يتحدث الجني من باطن نفس الإنسي، ويخاطب من يقرأ عليه آيات من القرآن، وربما يأخذ القارئ عليه عهدًا ألا يعود، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي استفاضت بها الأخبار وانتشرت بين الناس.

وعلى هذا فإن الوقاية المانعة من شره -من شر الجن- أن يستعيذ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم (٢٢٣٣).

الإنسان، أو أن يقرأ الإنسان ما جاءت به السنة مما يتحصن به منهم، مثل: آية الكرسي، فإنها آية إذا قرأها الإنسان في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

***

(١٤١) يقول السائل: من المعلوم أن من الجن من هم صالحون، كما يثبت ذلك ويؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١]، فهل يجوز الاستعانة بهم في الأشياء التي هي فوق طاقة الإنسان وقدرته؟ أم أن ذلك يؤثر على عقيدة المسلم وتوحيده؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الجن كما ذكر السائل وعلى ما استدل به من أن فيهم الصالح وفيهم دون ذلك، كما جاء في الآية الكريمة التي ذكرها السائل، وفيهم أيضًا المسلم والكافر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥] ومن المعلوم أن الصالح منهم لا يرضى بالفسق ولا يُعِينُ عليه، وكذلك المسلم لا يرضى بالكفر ولا يعين عليه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فكافرهم يدخل النار، كما تفيده هذه الآية والآية التي في سورة الجن: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]، ومؤمنهم يدخل الجنة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧]، فأخبر أن لمن خاف مقام ربه جنتين، وخاطب بذلك الجن والإنس في قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] وقد سمى النبي -عليه الصلاة والسلام- المؤمنين منهم إخوة لنا، حين نهى عن

الاستنجاء بالعظام وقال: «إنها طعام إخوانكم أو زاد إخوانكم»[١] يعني: من الجن.

وأما الاستعانة بهم: فإني أحيل السائل على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوي جمع ابن القاسم رحمه الله صفحة ثلاثمائة وسبع مجلد أحد عشر، وما ذكره رحمه الله في كتابه (النبوات) صفحة مائتين وستين إلى مائتين وسبع وستين، ففيه كفاية.

***

(١٤٢) يقول السائل: أسمع دائمًا من الناس أن الجن يتصورون في صورة طيور وقطط وأغنام، وأنا أنكر ذلك ولم أصدق به، لأن الجن مخلوق مثلنا، ولن يستطيع تغيير الخلق إلا الله -سبحانه وتعالى-. فهل هذا صحيح أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الذي ذكرته أمرٌ مشهور بين الناس أن الجن قد يتشكلون بشكل شيء مشاهد ومرئي، وربما يشهد له الحديث الثابت في الصحيح أن رجلًا شابًا من الأنصار كان حديث عهدٍ بعرس، فجاء ذات يومٍ أو ليلة فوجد أهله على الباب، فسألهم: ما هو السبب؟ فذكرت له ما في الفراش، فذهب إلى فراشه فوجد فيه حيةً، فأخذ رمحًا فطعنها فماتت هذه الحية، ثم مات الرجل فورًا، فلا يدرى أيهما أسرع موتًا: الرجل أم الحية؟ ثم إن النبي ﷺ نهى عن قتل الحيات التي تكون في البيوت، إلا الأبتر وذا الطُّفْيَتَيْنِ.[٢]

وهذا يدل على أن هذا كان جِنًّا، وأنه قد تصور بصورة الحية، والحكايات في ذلك كثيرةٌ ومشهورة، ولكن هذا الحديث الصحيح قد يشهد لصحتها. وكما أنه يتصور الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- بأشكالٍ ليست على هيئتهم التي خلقوا عليها، فإن جبريل ﷺ كان يأتي إلى النبي ﷺ أحيانًا بصورة دحية الكلبي، وجاء إليه مرة بصورة رجل شديدِ بياضِ الثيابِ شديدِ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

سوادِ الشعرِ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحدٌ من الصحابة، وجلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه جلسة المتأدب، ثم سأل النبي ﷺ الأسئلة المشهورة في الإسلام والإيمان والإحسان، والساعة وأشراطها، ثم قال النبي ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1]. ومن المعلوم أن قدرتهم على التشكل بهذا الشكل إنما هي من الله -سبحانه وتعالى-، فهو الذي أقدرهم على ذلك، فلا يبعد أن يكون الجن هكذا يستطيعون أن يتصوروا أو يتشكلوا للناس بأشكالٍ متعددة، هذا الذي ظهر لي في هذه المسألة.

❖❖❖

(١) تقدم تخريجه.

۞ الإيمان بالكتب ۞

(١٤٣) يقول السائل: التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة هل هي منسوخة بالقرآن؟ وما هو الدليل من القرآن -إن وُجِدَ- والسنة المطهرة؟ وما حكم قراءتها بالنسبة للعالم للاطلاع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الكتب السابقة منسوخة بالقرآن الكريم، لقول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] فكلمة: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ تقتضي أن القرآن الكريم حاكم على جميع الكتب السابقة، وأن السلطة له، فهو ناسخ لجميع ما سبقه من الكتب.

وأما قراءة الكتب السابقة: فإن كان للاهتداء بها والاسترشاد فهو حرام ولا يجوز، لأن ذلك طعن في القرآن والسُّنة، حيث يعتقد هذا المسترشد أنها أكمل مما في القرآن والسنة، وإن كان للاطلاع عليها ليعرف ما فيها من حق فيرد به على من خالفوا الإسلام فهذا لا بأس به، وقد يكون واجبًا، لأن معرفة الداء هي التي يمكن بها تشخيص المرض ومحاولة شفائه، أما من ليس عالمًا ولا يريد أن يطلع ليرد فهذا لا يطالعها.

إذًا فأقسام الناس فيها ثلاثة: من طالعها للاسترشاد بها فهذا حرام ولا يجوز، لأنه طعن في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن طالعها ليعرف ما فيها من حق فيَرَدَّ به على من تمسكوا بها وتركوا الإسلام فهذا جائز، بل قد يكون واجبًا، ومن طالعها لمجرد المطالعة فقط، لا ليهتدي بها ولا ليرد بها، فهذا جائز، لكن الأَوْلَى التباعد عن ذلك، لئلا يخادعه الشيطان بها.

***

(١٤٤) تقول السائلة: ما حكم قراءة الكتب السماوية مع علمنا بتحريفها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: يجب أن نعلم أنه ليس هناك كتابٌ

سماوي يتعبد لله بقراءته، وليس هناك كتابٌ سماوي يتعبد الإنسان لله تعالى بما شرع فيه، إلا كتابًا واحدًا وهو القرآن، ولا يحل لأحد أن يطالع في كتب الإنجيل ولا في كتب التوراة، وقد روي أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة، فغضب وقال: «أفي شكٍ أنت يا ابن الخطاب»[١]؟ والحديث وإن كان في صحته نظر لكن صحيح أنه لا اهتداء إلا بالقرآن.

ثم هذه الكتب التي بأيدي النصارى الآن أو بأيدي اليهود هل هي المنزلة من السماء؟ إنهم قد حرفوا وبَدَّلُوا وغَيَّرُوا، فلا يوثق أن ما في أيديهم هي الكتب التي نزلها الله -عز وجل-، ثم إن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن، فلا حاجة لها إطلاقًا.

نعم لو فرض أن هناك طالب علم ذا غيرةٍ في دينه وبصيرةٍ في علمه طالع كتب اليهود والنصارى من أجل أن يرد عليهم منها فهذا لا بأس أن يطالعها لهذه المصلحة، وأما عامة الناس فلا، وأرى من الواجب على كل من رأى من هذه الكتب شيئًا أن يحرقه، النصارى عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة صاروا يبثون في الناس الآن ما يدعونه إنجيلًا على شكل المصحف تمامًا، مشكل على وجهٍ صحيح، وفيه فواصل كفواصل السور، والذي لا يعرف المصحف -كرجلٍ مسلم ولكنه لا يقرأ- إذا رأى هذا ظن أنه القرآن، كل هذا من خبثهم ودسهم على الإسلام، فإذا رأيت أخي المسلم مثل هذا فبادر بإحراقه يكن لك أجر، لأن هذا من باب الدفاع عن الإسلام.

***

(١٤٥) يقول السائل ع. م. ع. سوداني: عثرت على بعض الكتب المسيحية، فهل يصح إحراقها أم يجب عليّ أن أدفعها للمسيحيين لأنها تخصهم؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كأن السائل يريد أنه وجد نسخًا من الإنجيل، وأشكل عليه: هل يحرقها، أو يدفعها للنصارى الذين يدعون أنهم متبعون لعيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-؟ والذي أرى أنه يجب عليه إحراقها، وأنه لا يحل له أن يعطيها النصارى.

***

(١٤٦) يقول السائل ص. س. أبو الخير من جمهورية مصر العربية، من محافظة الدقهلية: ما هو الحكم في الذي يقرأ بالإنجيل؟ فهل هو حلال أم حرام، مع العلم أنه يتلو القرآن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تلاوة غير القرآن الكريم من الكتب السابقة تقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون التالي عالمًا بالشريعة، ويتلوها ليقيم الحجة على معتنقيها بصدق ما جاء به الإسلام، فالتلاوة هنا وسيلة إلى أمر محمود فتكون محمودة.

والقسم الثاني: أن تكون التلاوة من عامي لا يعرف الشريعة، ويقصد الاهتداء بهذه الكتب، فهذه حرام عليه، أي: هذه التلاوة حرام عليه، لأنه لا يجوز أن يسترشد بالكتب السابقة وعنده هذا القرآن الكريم الذي كان مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، ولا يجوز الاهتداء بغير ما جاء به النبي ﷺ، هذا هو خلاصة الجواب في مسألة مطالعة كتب غير المسلمين.

***

(١٤٧) يقول السائل م. أ. أ: إنني قرأت في كتاب مسيحي، وفيه مكتوب أن المسيح ابن الله تعالى، وأنا أعرف أنه خطأ وكفر بالله، هل يلحقني ذنب في هذه القراءة؟ أرشدوني جزاكم الله خيرًا، رغم أن الكتاب فيه عدة أخطاء وكفر بالله.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الكتاب الذي قرأت للمسيحي لم تبين

أنه الإنجيل أو غيره، وعلى كل حال فإن الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل قراءتها على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يقرأها للاسترشاد بها والاستفادة منها، فهذا لا يجوز، وذلك لأن في القرآن والسنة ما يغني عنها.

ثانيًا: أن يقرأها ليعرف ما فيها من حق فيلزم به متبعيها، ويبين خطأهم في مخالفة ما جاء به محمد ﷺ، فهذا لا بأس به، بل هو مطلوب إما وجوبًا وإما استحبابًا.

الثالث: أن يقرأها لمجرد المطالعة فقط ليعرف ما عندهم، وليس يريد أن يسترشد بها أو يهتدي بها عن القرآن والسنة، ولا أن يرد على متبعيها باطلهم، فالأولى هنا أن لا يفعل، لأنه يخشى أن يتأثر بها ويجعلها مصدرًا لرشاده وهدايته.

***

(١٤٨) تقول السائلتان ح. و س. من بابلة الأردن: نحن نعلم أن القرآن الكريم نزل مفرقًا، وورد بالقرآن أنه نزل في ليلة القدر، هل معنى ذلك أنه نزل في كل سنة من ليلة القدر؟ نرجو بهذا إفادة يا فضيلة الشيخ.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إنه لا يخفى علينا جميعًا أن القرآن كلام الله -عز وجل-، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] أي: حتى يسمع القرآن.

وليس المعنى أن هذا المستجير يسمع كلام الله نفسه من الله، بل إنما يسمع القرآن الذي هو كلام الله -عز وجل-، وأن هذا القرآن نزل من عند الله -تعالى-، كما قال الله -تعالى-: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] وكما قال -تعالى-: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، فالقرآن نزل من عند الله -عز وجل-، ونزوله كان مفرقًا، كما قال -تعالى-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]. وقال -تعالى-: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] ولنزوله مفرقًا فوائد كثيرة، ذكرها أهل العلم في التفسير في أصول التفسير.

فأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] فقد اختلف المفسرون فيها، فقال بعضهم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، فيكون القرآن أول ما نزل في ليلة القدر، ثم نزل متتابعًا حسب ما تقتضيه حكمة الله -عز وجل-.

وقال بعض العلماء: إنه نزل إلى بيت العزة جميعًا في ليلة القدر، ثم نزل إلى النبي ﷺ مفرقًا بعد ذلك. لكن الأول أقرب إلى الصواب، لأن قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يقتضي إنزاله إلى منتهى إنزاله، وهو قلب النبي ﷺ، ومعلوم أنه لم ينزل على قلب النبي ﷺ جميعًا في ليلة واحدة، بل نزل مفرقًا، فيكون المعنى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي: إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، ثم صار ينزل مفرقًا حسب ما تقتضيه حكمة الله -تبارك وتعالى-.

***

(١٤٩) تقول السائلة أ. ع. ن: هل نزول القرآن باللغة العربية يجعل الأعجميين لديهم عذر أو حجة، لأن القرآن ليس بلغتهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس للأعجميين حجة أو عذر لكون القرآن ليس بلغتهم، بل عليهم أن يتعلموا لغة القرآن، لأنه إذا توقف فهم كتاب الله وسُنَّةَ رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- على تَعَلُّمِ العربية كان تَعَلُّمُ العربية واجبًا، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولهذا كان من أئمة اللغة العربية قوم من العجم من فارس وغيرها، وصاروا أئمة في العربية لأنهم عرفوا قدر تعلم اللغة العربية، فتعلموها فصاروا أئمة فيها.

وأما تعصب بعض الناس للغتهم، وعدم تحولهم إلى اللغة العربية مع قدرتهم على ذلك، فهذا من حَمِيَةِ الجاهلية، والقرآن ولله الحمد الآن انتشر بين

العالم، وترجم معناه إلى لغات متعددة، لغات عالمية حية، ولغات في مناطق معينة، فلا حجة لأحد اليوم في قوله: إن لساني ليس عربيًّا فلا أفهم القرآن.

***

(١٥٠) تقول السائلة د. م.ع. من جمهورية مصر العربية، محافظة البحيرة: قرأت في كتاب أن أهل السُّنَّة والجماعة قالوا إن من قال: إن القرآن محدث فهو كافر، وإن القرآن ليس مخلوقًا. فما معنى أن القرآن ليس محدثًا وليس مخلوقًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما من قال: إن القرآن مخلوق، فهو مبتدع ضال، لأن القرآن كلام الله -عز وجل-، وكلام الله من صفاته، وصفات الخالق غير مخلوقة، وقد أنكر أئمة أهل السنة على من قال: إن القرآن مخلوق إنكارًا شديدًا، وحصلت بذلك الفتنة المشهورة التي جرت في زمن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله، حتى إن بعض الأئمة أطلق الكفر على من قال: إن القرآن مخلوق، ولا شك أن من قال: إن القرآن مخلوق، فقد أبطل الأمر والنهي، لأنه إذا كان مخلوقًا فمعناه أنه شيء خلق على هذه الصورة المعينة، فهو كالنقوش في الجدران والورق وشبهها لا يفيد شيئًا، إذ ليس أمرًا ولا نهيًا ولا خبرًا ولا استخبارًا.

وأما من قال: إن القرآن محدث، فليس بمبتدع وليس بضال، بل قد قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، نعم لو كان المخاطب لا يفهم من كلمة مُحْدَثٌ إلا أنه مخلوق فهنا لا نخاطبه بذلك، ولا نقول: إنه محدث، خشية أن يتوهم ما ليس بجائز.

تقول السائلة: فضيلة الشيخ: لماذا اعتبرت الفرق الضالة بأن القرآن مخلوق وأنه محدث؟ وما هو الغرض من ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: كما سمعت كلمة مُحْدَثٌ لا بأس بها، ما

لم نكن نخاطب من يفهم منها الخلق، وأن «محدث» في إزاء مخلوق. وأما المخلوق فإنهم إنما ذهبوا هذا المذهب لشبهات كانت عليهم، مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢] وما أشبه ذلك، فظنوا أن هذا هو الحق، لكنهم بُيِّنَ لهم هذا، وبُيِّنَ لهم الغلط، إلا أنهم أصروا وعاندوا، وصاروا يَدْعُون إلى بدعتهم هذه، وهي بدعة ضلالة.

***

(١٥١) يقول السائل ن. د. من الجمهورية العربية السورية: ما الفرق بين النبي والرسول؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المشهور عند أهل العلم أن الفرق بينهما: أن النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، هذا هو الفرق عند جمهور أهل العلم. وقيل: إن الفرق أن النبي لم يأت بشرع جديد، وإنما يكون مبلغًا بشرع من قبله، أي: إنه يحكم بشريعة من قبله بدون وحي جديد يوحى به إليه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [المائدة: ٤٤]، يحكم بها النبيون الذين أسلموا، وهم يحكمون بما في التوراة، فأما إذا أتى بشرع فحينئذٍ -ولو كان تكميلًا لشرع من قبله- يكون رسولًا، ولا يرد على هذا التعريف إلا آدم، فإن آدم كان نبيًّا وليس برسول، لأن أول رسول نوح، وآدم نبي أوحي اليه بشرع، فعمل به، فأخذت به ذريته الذين كانوا في عهده.

***

(١٥٢) يقول السائل: فضيلة الشيخ ما الفرق بين الأنبياء والرسل؟ وهل توجد كتب غير الكتب الأربعة التي نزلت أو أنزلت على الأنبياء؟ وما هي الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام؟ نرجو منكم الإجابة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: جميع من ذكروا في القرآن من النبيين رسل، حتى وإن ذكروا بوصف النبوة، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى أن قال: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، فكل نبي ذكر في القرآن فإنه رسول، لكن ذكر العلماء -رحمهم الله- أن النبي هو الذي أوحى الله إليه بالشرع ولم يلزمه بتبليغه، وإنما أوحى الله إليه بالشرع لأجل أن يتعبد به، فيُحْيِي شريعةً قبله أو يجدد شريعةً إذا لم يكن مسبوقًا بشريعةٍ من قبل.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومن الثاني -وهو: أن يكون الوحي الذي أوحي إلى النبي نبوة بلا رسالة- آدم عليه الصلاة والسلام، فإنه كان نبيًّا ولم يكن رسولًا، ومع ذلك فهو لم يجدد شريعةً قبله، وإنما تعبد لله تعالى بما أوحى إليه من الشرع، فتبعه على ذلك أولاده، فلما كثر الناس واختلفوا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب، وأول رسولٍ بعثه الله -عز وجل- هو نوح -عليه الصلاة والسلام-، ومعه كتابٌ بلا شك، وآخر الرسل والأنبياء محمدٌ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فكل رسول معه كتاب، ولكننا لا نعلم من الكتب السابقة إلا التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، وقد اختلف العلماء في صحف موسى هل هي التوراة أم غيرها؟ والله أعلم. هذا هو جواب السؤال.

۞۞۞

❁ الإيمان بالرسل ❁

(١٥٣) يقول السائل ب. م. ح. الخُبر، المملكة العربية السعودية: أرجو أن تبينوا لنا مشكورين حقيقة الأمر في مسألة عصمة الرسول الكريم ﷺ، حيث يلتبس الأمر على كثير من الناس في هذا الشأن، كثيرًا ما نسمع ما يمكن أن يفهم منه أن الرسول ﷺ كان معصومًا من الخطأ، كما يفهم من عموم قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] ولكن نرى في بعض ما ورد عنه ﷺ أنه كان يصيب ويخطئ في بعض الأمور، كالسهو في الصلاة مثلًا. فما حقيقة أمر العصمة للرسول ﷺ؟ وما هي الجوانب التي عصم منها من الخطأ تحديدًا، والجوانب التي لم يعصم من الخطأ مشكورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: فإني أسأل هذا السائل: هل يؤمن بأن محمدًا رسول الله على كل حال؟ هو يؤمن بهذا لا شك إن شاء الله، إذا كان يؤمن بمحمد رسول الله ﷺ أنه رسول الله فكفى، وما وقع منه فإنه لا ينافي الرسالة، فالسهو وقع منه في الصلاة، ولكنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون»[1] وعدم العلم وقع منه -عليه الصلاة والسلام-، فقد «صَلَّى فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَخَلَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ خَلَعْتَ فَخَلَعْنَا. قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ بِهِمَا خَبَثًا، فَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقْلِبْ نَعْلَيْهِ، فَلْيَنْظُرْ فِيهِمَا فَإِنْ رَأَى بِهَا خَبَثًا فَلْيُمِسَّهُ بِالأَرْضِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ فِيهِمَا». فهو -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- صلى في نعليه ولم يعلم أن فيهما قذرًا، وهذا أيضًا من طبيعة البشر أن الإنسان جاهل، هذا الأصل في الإنسان، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] نبي الله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم (٤٠١)، مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢).

-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد يجتهد في أفعاله ولا يكون اجتهاده مصيبًا، لكنه حين فعله للشيء الذي صدر منه عن اجتهاد هو مصيب، كما في قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١-١١]، فهذا وقع اجتهادًا من النبي ﷺ أن ينصرف إلى هؤلاء الكبراء الذين جاءوا إليه من قريش، يرجو إسلامهم وينتفع بإسلامهم قومهم والمسلمون جميعًا.

ومثل قول الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، فاجتهد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وعفا عنهم، لمحبته ﷺ للعفو، وأخذ الناس بظواهرهم، وهو حين عفا عنهم مصيب، لكن بَيَّنَ الله -عز وجل- له أن الحكمة هي الانتظار، وهذا لا يخدش بالرسالة، النسيان من طبيعة الإنسان، وعدم العلم هو أصل الإنسان أنه لا يعلم، حين وقع من الرسول ﷺ مثل هذا فإنه لا يخدش بالرسالة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] فالمعنى: أنه ﷺ لا ينطق نطقًا صادرًا عن هوى، وإنما نطقه إما عن وحي من الله وإما عن اجتهاد، فليس كغيره ممن ينطق عن الهوى ويتكلم بما يهوى، سواء كان الحق أو غير الحق. وإني أنصح هذا السائل وغيره ألا يتعمقوا في مثل هذه الأمور فيلقي الشيطان في قلوبهم شرًّا، فالإنسان غير آمن من الشيطان، أليس النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذات ليلة وهو معتكف قام يَقْلِبُ صفية رضي الله عنها، حين جلست عنده ساعة من الليل في معتكفه، أي: يمشي معها- فأبصر به رجلان من الأنصار فأسرعا، أسرعا خوفًا وخجلًا من النبي ﷺ وحياء، فقال: «على رسلكما، إنها صفية» فقالا: سبحان الله! قال: «نعم، إني

خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئًا -أو قال: شرًّا- »[1] فانظر إلى هذا: خاف أن يلقي الشيطان في قلوبهما ما لا يليق بالرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهما من الصحابة.

فالبحث في هذه الأمور والتعمق فيها قد يكون خطرًا على الإنسان وهو لا يشعر، وأنا أشكر السائل حيث سأل ليتبين له الأمر، لكني أقول: إن الأولى بالإنسان أن يدع البحث في هذه الأمور، وأن يقول: محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وهو أبعد الناس أن يقول عن هوى أو أن يحكم بالهوى، بل هو الصادق الأمين -عليه الصلاة والسلام-.

ثم إن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون من كل ما يخل بالإخلاص لله -عز وجل-، فلم يقع منهم الشرك، معصومون عن كل ما يخل بالمروءة والخلق، فلم يقع منهم ما ينافي ذلك، وأما بعض الذنوب فيقع منهم، لكن من خصائصهم أنهم معصومون من الاستمرار فيها وعدم التوبة، وإذا تاب الإنسان من الذنب كان كمن لا ذنب له، بل قد تكون حاله بعد التوبة من الذنب أكمل من حاله قبل أن يفعل الذنب.

وبهذه المناسبة أود أن أبين أن ما ذكر في الإسرائيليات عن داود -عليه الصلاة والسلام- في قصة الخصمين اللذين اختصما عنده وقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٣-٢٤]، في بعض الإسرائيليات أن داود -عليه الصلاة والسلام- كان له أحد الجنود، وكان عند هذا الجندي امرأة أعجبت داود وأرادها، فطلب من هذا الجندي أن يذهب للجهاد لعله يقتل فيأخذ زوجته، هذه قصة كذب ولا يجوز لأحد أن ينقلها إلا إذا بين أنها

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم (٢٠٣٨)، مسلم: كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، رقم (٢١٧٥).

كذب، ولا يجوز اعتقادها في نبي من أنبياء الله، هذه لا تليق ولا من عامي من الناس فكيف بنبي؟ ولا أستبعد أن هذه من دسائس اليهود التي دسوها على المسلمين ليفسدوا بذلك دينهم. والقضية هي أن هذا الرجل مع خصمه عنده نعجة واحدة، أي: أنثى من الضأن، وكان أخوه -أي: خصمه- عنده تسع وتسعون، فقال له: أنت ليس عندك إلا واحدة لا تغني شيئًا، وأنا عندي تسع وتسعون، باقٍ واحدة وتكتمل المائة، والإنسان ينظر إلى تكميل العدد، فطلب منه هذه الواحدة، وجعل يورد عليه الحجج حتى غلبه في الحجج، فاختصما إلى داود.

فإذا قال قائل: ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [ص: ٢٤]؟ فالجواب سهل: داود عليه السلام جعله الله خليفة في الأرض يحكم بين الناس، وكونه يدخل محرابه -أي: متعبده- ثم يغلق الباب خلاف لما كلف به، وهو مجتهد في ذلك لا شك، ثم إنه حكم على الخصم قبل أن يسمع حجة الآخر المحكوم عليه، فلما قال الخصم: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [ص: ٢٣-٢٤] الخ، فَحَكَمَ قبل أن يسمع حجة الخصم، ولعله من أجل التفرغ للعبادة، فلما جاءت هذه القصة وأخذ بقول الخصم وكان قد أغلق الباب ظن داود -عليه الصلاة والسلام- أن الله تعالى أرسل هذين الخصمين اختبارًا له ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

فإن قال قائل: ما تقولون في قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لهند حين شكت زوجها أبا سفيان أنه رجل شحيح لا يعطيها وولدها ما يكفيهم، فقال: «خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف»(١) فَحَكَم لها؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف، رقم (٥٣٦٤).

فالجواب: أن حكم النبي ﷺ فُتْيَا وليست قضاء بين خصمين، لأن خصمها لم يحضر، فهو أفتاها على صورة القضية بدون محاكمة ومخاصمة.

***

(١٥٤) يقول السائل من السودان: يا فضيلة الشيخ نعلم أن الرسل معصومون من الخطأ، هل هم معصومون من الخطأ في التشريع فقط، أم في كل الأمور؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- يتكلمون بوحي الله -سبحانه وتعالى-، وهم معصومون من كل خطأ يخل بصدقهم وأمانتهم، وهذا هو محل الثقة فيهم. وأما ما نتج عن اجتهادٍ منهم فإنهم قد يخطئون فيه، فإن نوحًا -عليه الصلاة والسلام- سأل ربه أن ينجي ابنه، فقال الله له: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] ورسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حرم ما أحل الله له اجتهادًا منه، فقال الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التحريم: ١-٢] وعفا عن قوم استأذنوه في الجهاد فقال الله له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، لكنهم معصومون من الإقرار على الخطأ، يعني: لو حصل منهم خطأ في اجتهادٍ اجتهدوه فإن الله تعالى لا بد أن يعصمهم من الاستمرار فيه، بخلاف غيرهم فإنهم لا يعصمون من ذلك.

***

(١٥٥) يقول السائل: يوجد في مدينة الكوفة مسجد يقال: إن جميع الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- قد زاروا هذا المسجد، ولكل نبي فيه محراب ودعاء مكتوب على المحراب، والناس يزورون هذا المسجد بكثرة ويتنقلون بين محاريبه، ويدعون عند كل محراب بما كتب عليه من الدعاء بعدد

الركعات التي يريد الزائر أن يصليها. فهل هذا صحيح؟ وهل زيارة هذا المسجد لهذا الغرض جائزة أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا باطل قطعًا، فإن سيد الأنبياء والمرسلين محمدًا ﷺ لم يزره بلا ريب، وكذلك الأنبياء قبله لا يمكن أن يكونوا قد زاروه، لأنه لو قصد بالأنبياء الأنبياء الذين لم يرسلوا فإنهم أربعة وعشرون ألفًا، وإن قصد الرسل فهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولًا، وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا قد زاروا هذا المسجد، وإنما هذا من التزوير الذي يقصد به أكل أموال الناس بالباطل وصد الناس عن سبيل الله.

إن الذهاب إلى هذا المسجد بهذه النية محرم ولا يجوز، والواجب على المسلمين أن يتحققوا في هذه الأمور، وأن ينصحوا من مارس القيام بتعظيمها واحترامها، وليس هناك مساجد تشد الرحال إليها إلا ثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى، وما عدا ذلك من المشاهد أو المساجد فإنه لا يجوز أن تشد إليها الرحال مطلقًا في أي حال من الأحوال، ثم إن غالب هذه الأمور تكون كذبًا مزوّرة، والمؤمن العاقل يعرف أن هذا من التزوير بأول نظرة.

يقول السائل: **فضيلة الشيخ: لكن ما حكم الصلاة فيه؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قلت في الجواب: إنه لا يجوز قصده للصلاة فيه، وإنه حرام، وأما الصلاة فيه كبقعة، مثل: أن يمر به الإنسان مرورًا عابرًا فيصلي فيه، فإنه لا بأس به.

يقول السائل: **فضيلة الشيخ: يعني: دون أن يعتقد فيه شيئًا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: دون أن يعتقد ما ذكره السائل، لعموم قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[1]، إلا أن يخشى أن يفتتن أحد بصلاته فيه، فإنه يتجنبه ويتقدم عنه، ويصلي في مكان آخر.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، باب، رقم (٣٣٥)، مسلم: كتاب المساجد، باب باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، رقم (٥٢١).

(١٥٦) يقول السائل م. ع. أ. من السودان: قيل: إن سيدنا محمدًا ﷺ جاءه ملك وفتح صدره وملأه نورًا، فما مدى صحة هذا الكلام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الكلام صحيح، فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بِطَسْتٍ من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا فاستخرج قلبي، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشِيَ إيمانا وحكمة**»(١)، وكان هذا في حادث الإسراء والمعراج، فاستخرج قلبه فملأه حكمة وإيمانًا وليس نورًا، والإيمان والحكمة من النور المعنوي.

***

(١٥٧) تقول السائلة أ. أ. من مصر، من محافظة أسوان: سمعت من بعض الإخوة يقول بأن محمدًا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خلق من نور، وأن آدم خلق من نور محمد، فهل هذا القول صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا القول من أبطل الباطل، وهو كذب مخالف لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣] ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، والنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من بني آدم، وهو سيد ولد آدم، وهو مخلوق من نُطْفَةِ أبيه، وأبوه مخلوق من نُطفة جده، وهكذا إلى أن يصل الخلق إلى آدم الذي خلقه الله من سلالة من طين.

والعجب أن هؤلاء الذين يأتون بهذه الأكاذيب تعظيمًا لرسول الله

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (٥٢١).

-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بعضهم عنده تهاون في دينه، واتباعه لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، ولعلهم يجهلون أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- نهى عن الغلو فيه وحذر منه.

إن نصيحتي لهؤلاء أن يتلقوا معتقدهم من كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وأن يعلموا أن محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بشر مثلنا، كما أمره الله أن يقول ذلك ويعلنه على الملأ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، فقد تميز -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بالوحي، وبما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق، وبأنه أَتْقَى الناس لله وأعبد الناس لله، لكنه بشر، وهو -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أعلم أنه بشر مثلنا ينسى كما ننسى فقال: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»[1] انظر التواضع العظيم أخبر أنه بشر ينسى، ومع ذلك قال: «إذا نسيت فذكروني»، ولن ينقص ذلك من قدره شيئًا، بل هو أكمل الخلق إيمانًا وتقوى وزهدًا وخلقًا -عليه الصلاة والسلام-، ومن أراد أن يحشر تحت لوائه يوم القيامة فليكن تحت لواء سُنَّتِهِ في الدنيا، ولا يتعدَّ حدود الله ولا يَقْصُرُ عنها، فلا غلو ولا تحريف، هذا الواجب علينا.

ولقد قال الله -تبارك وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن كان صادقًا في دعوى المحبة لله أو المحبة لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فليتبع الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وبذلك يقيم بَيِّنَةً على صدق دعواه، وأما أن يدعي أنه متبع للرسول محب للرسول، وهو يقول في الرسول ما ليس حقيقة، ويبتدع في دينه ما لم يشرع، فإن البينة تخالف دعواه.

***

(١) تقدم تخريجه.

(١٥٨) **يقول السائل**: **يوجد في القرآن الكريم سورة سميت بسورة لقمان، فمن هو هذا الشخص الذي يدعى لقمان؟ وهل أوتي النبوة؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سميت سورة لقمان لأنه ذكر فيها قصة لقمان وعظته لابنه، وتلك الوصايا التي ذكرها له، والسورة تسمى باسم ما ذكر فيها أحيانًا، كما يقال: سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة الإسراء، وما أشبه ذلك.

يقول السائل: **من هذا الشخص الذي يدعى لقمان؟ وهل أوتي النبوة أم لا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصحيح أنه ليس بنبي، وأن الله تعالى آتاه الحكمة وهي موافقة الصواب مع العلم، وقولنا: مع العلم، للتبيان، وإلا فلا صواب إلا بعلم، والصواب أنه ليس من الأنبياء، وإنما هو رجل آتاه الله الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

***

(١٥٩) **يقول السائل**: **هل الخضر عليه السلام حي إلى يومنا هذا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما كونه حيًّا فلا، ليس بحي، لأنه لو كان حيًّا لوجب عليه أن يؤمن بالرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأن يجاهد معه، ولم يكن شيء من ذلك، فالخضر كغيره من البشر مات في وقته فيما يظهر لنا، وكذلك ليس الخضر بنبي، وإنما هو رجل آتاه الله تعالى علمًا لا يعلمه موسى -عليه الصلاة والسلام-، لأن موسى -عليه الصلاة والسلام- قال: إنه لا أحد في الأرض أعلم منه، فأراه الله -عز وجل- هذه الآية أن موسى -عليه الصلاة والسلام- وإن كان لديه علم كثير من شريعة الله -فإنه قد يفوته شيء من المعلومات الأخرى.

***

(١٦٠) **يقول السائل**: **يزعم بعض الناس من المسلمين أن نبي الله الخضر عليه السلام لا يزال حيًّا يطوف على الأرض، وأنه إذا مر على إنسان وطلب منه الإحسان فقدمه له، إن كان ذلك الإنسان فقيرًا صار غنيًّا، ويأتي إلى الناس بهيئة المجانين كي لا يعرفوه، وصار كثير من الناس يقدمون الإحسان لكل من يأتيهم بمثل تلك الهيئة، ظنًّا منهم أن يكون هو الخضر عليه السلام، فهل هذا الزعم الأسطوري وارد في الحديث الشريف؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الكلام على هذا السؤال من وجهين:

أولًا: قول السائل: إن نبي الله الخضر، وجزمه بأنه نبي هذا محل خلاف بين أهل العلم، هل كان الخضر نبيًّا، أو كان وليًّا أعطاه الله -سبحانه وتعالى- من الكرامات ما علم به مآل ما جرى بينه وبين موسى -عليه الصلاة والسلام-؟ والراجح أنه ليس بنبي، وأنه ولي من أولياء الله، لأدلةٍ ليس هذا موضع بسطها.

الوجه الثاني: من حيث بقاء هذا الرجل -أعني: الخضر- إلى الآن: فإن هذا لا يصح إطلاقًا، لأنه لو كان الخضر حيًّا لكان يجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويتبعه، وعلى فرض أن يكون حيًّا لكان قد مات أيضًا، لأن النبي ﷺ حدث أصحابه في آخر حياته فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**»[1]، فلو فرض أن الخضر قد بقي إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- فلا يمكن أن يبقى بعد المائة سنة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، وعليه فإن الخضر لا وجود له وليس بموجود.

ثم إن هذا الزعم الباطل الذي يقتضي السخرية والاستهزاء به، حيث يقول: إنه يأتي إلى الناس بصورة المجنون لئلا يعرف، وإن من آتاه شيئًا وأهدى إليه شيئًا فإنه يصبح غنيًّا، فإن هذا باطل من أبطل الباطل.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب السمر بالعلم، رقم (١١٦)، مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «**لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**»، رقم (٢٥٣٧).

فالمهم يجب على المؤمن أن يعتقد بأن الخضر ليس بموجود، للدليلين اللذين أشرنا إليهما فيما سبق، فإنه لو كان موجودًا لم يسعه إلا أن يأتي للنبي -عليه الصلاة والسلام- ويؤمن به ويتبعه، وأنه لو كان موجودًا لكان يموت قبل أن تأتي المائة سنة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ.

***

(١٦١) يقول السائل: هل هناك خصائص اختصها الله -عز وجل- للرسول ﷺ، ولم تكن لغيره من أفراد أمته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم الخصائص التي اختص بها النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وليست لأمته كثيرة جدًّا، وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- في كتاب النكاح خصائص كثيرة للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فمن أحب أن يرجع إليها فليفعل، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى في القرآن حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] إلى قوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فهنا بَيَّنَ الله -عز وجل- أن النكاح بالهبة لا يحل إلا للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

كما أن هذه الأمة خصها الله تعالى بخصائص لم تكن لغيرها من الأمم، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «**أعطيت خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي**»[(١)] وذكر تمام الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، بابٌ، رقم (٣٣٥)، مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، رقم (٥٢١).

فالحاصل أن الله -سبحانه وتعالى- يختص من شاء من عباده بأحكام شرعية وغيرها مما لا يكون لغيره.

***

(١٦٢) يقول السائل م. ج. ح. من الجمهورية العراقية: هل يجوز الصلاة على الأنبياء الآخرين غير محمد ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب: نعم تجوز الصلاة على الأنبياء السابقين -عليهم الصلاة والسلام-، بل تجوز الصلاة أيضًا على غير الأنبياء من المؤمنين إن كانت تبعًا، فبالنص والإجماع، كما في قوله ﷺ حين سئل: كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمدٍ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[1] وآل النبي ﷺ في هذه الجملة هم المتبعون لشريعته من قرابته وغيرهم، هذا هو القول الراجح، وإن كان أول وأولى من يدخل في آل محمد هم المؤمنون من قرابة النبي ﷺ، لكن مع ذلك هي شاملة لكل من تبعه وآمن به، لأنه من آله وشيعته.

والصلاة على غير الأنبياء تبعًا جائزة بالنص والإجماع، لكن الصلاة على غير الأنبياء استقلالًا لا تبعًا هذه موضع خلاف بين أهل العلم هل تجوز أو لا؟ فالصحيح جوازها، فيجوز أن يقال لشخص مؤمن: صلى الله عليه، وقد قال الله -تبارك وتعالى- للنبي ﷺ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [التوبة: ١٠٣] فكان النبي ﷺ يصلي على من أتى إليه بزكاته وقال: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**»[2]، حينما جاءوا إليه بصدقاتهم إلا إذا اتخذت شعارًا لشخص معين كلما ذكر قيل: صلى الله عليه، فهذا لا يجوز لغير الأنبياء،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، رقم (٣٣٧٠)، مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم (٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام، ودعائه لصاحب الصدقة، رقم (١٤٩٧)، مسلم: كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته، رقم (١٠٧٨).

مثل: لو كنا كلما ذكرنا أبا بكر قلنا: صلى الله عليه، أو كلما ذكرنا عمر قلنا: صلى الله عليه، أو كلما ذكرنا عثمان قلنا: صلى الله عليه، أو كلما ذكرنا عليًّا قلنا: صلى الله عليه، فهذا لا يجوز أن نتخذه شعارًا لشخص معين.

***

(١٦٣) يقول السائل: كنت في سنوات بعيدة مضت أظن أن الصلاة على الرسول الكريم ﷺ هي ركعات، وقد صليت عددًا من الركعات ظنًّا مني أن هذه هي الصلاة عليه، وبدون شك لم أقصد أن أشرك بالله في العبادة -والعياذ بالله من الشرك، لا إله إلا الله- فما رأيكم جزاكم الله خيرًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أنبه أنه يجب على الإنسان ألا يعمل عملًا يتقرب به إلى الله ويتعبد به لله -عز وجل- حتى يكون على علم بأن هذا من شريعة الله، ليعبد الله -تعالى- على بصيرة، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهذا الذي فهم من الصلاة على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنها الركوع والسجود له قد فهم فهمًا مخطئًا باطلًا، لكن لكونه مستندًا على أصل يظنه صحيحًا أرجو أن لا يؤاخذه الله تعالى بما فعل، وعليه أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه مما قصر فيه من طلب العلم، ومادام علم الآن أن هذا ليس المقصود بالأمر بالصلاة عليه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وأنه تبين له أن معنى الصلاة عليه أن تقول: اللهم صل على محمد أو ما يؤدي هذا المعنى، فأرجو الله أن يتجاوز عنه وأن يغفر له.

***

(١٦٤) يقول السائل ح: فضيلة الشيخ منذ سنوات فهمت عن جهلٍ مني بأن الصلاة على النبي ﷺ هي مثل الصلاة العادية: ركوع وسجود وخلاف ذلك، وصليت عدة ركعات ظنًّا مني بأن الله -عز وجل- أمرنا بذلك، فهل علي إثمٌ في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا إثم عليك في ذلك لأنك جاهل، ولكن الواجب على المرء أن يسأل أهل العلم إذا كان لا يعلم، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فعملك الذي كنت عملته سابقًا عملٌ مردودٌ باطل، لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)]، لكنك مثابٌ إن شاء الله على نِيَّتِكَ، وقد يكون هناك تقصيرٌ منك بعدم سؤال أهل العلم عن كيفية الصلاة على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(١٦٥) يقول السائل أ. ح. من الأردن: هل محمد ﷺ **أفضل الخلق قاطبة، أم أفضل البشر فقط؟ وما الدليل على ذلك؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب الذي أعلمه من ذلك أنه ﷺ سيد ولد آدم كما ثبت ذلك عنه، وأما أنه أفضل الخلق على الإطلاق فلا يحضرني الآن دليل في ذلك، لكن بعض أهل العلم صرح بأنه أفضل الخلق على الإطلاق، كما في قول صاحب الأرجوزة:

وأفضل الخلق على الإطلاق   نبينا فمل عن الشقاق

المهم أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله تعالى إلى الثقلين الإنس والجن هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، فعلينا أن نؤمن به تصديقًا لأخباره، وامتثالًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، هذا هو الذي ينفع الإنسان في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده.

***

(١٦٦) يقول السائل وهو سوداني: فضيلة الشيخ يقولون بأن الرسول **مخلوق من نور، هل هذا كلام صحيح؟**

---

(١) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الكلام باطل، فإن محمدًا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من بني آدم، وسلسلة آبائه وأجداده معلومة، وهو نفسه -عليه الصلاة والسلام- قد صرح بما أمر الله به، فقد قال الله تعالى له: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال ﷺ هو عن نفسه: «**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون**»(١) فقد خُلِقَ -عليه الصلاة والسلام- من طين، كما هو شأن بني آدم كلهم، والذين خلقوا من نور هم الملائكة.

إن المخلوقات ثلاثة أقسام: قسم خلقوا من نار وهو إبليس وذريته، وقسم خلقوا من النور وهم الملائكة، وقسم خلقوا من طين وهم آدم وبنوه، وليس هناك قسم رابع، فهذا الحديث أو الأثر أو المقولة المشهورة أن نبينا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خلق من نور كذب لا أصل له.

***

(١٦٧) يقول السائل: فضيلة الشيخ، هناك أناس غلوا في الرسول وتجاوزوا الحد في محبته، وهناك أناس فرَّطُوا وتساهلوا في محبته، كيف نوجه مثل هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كلهم أخطؤوا: الذين فرَّطوا والذين أفرطوا، والخطر عظيم على الجميع.

أما الذين غلوا فيخشى عليهم من الإشراك به، ولهذا ادعى بعضهم أن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يعلم الغيب، وأنه يشفي المريض، وأنه يزيل الكُرُبَاتِ، فصاروا يدعونه، فالتحقوا بذلك بالمشركين وهم لا يشعرون.

وأما الطرف الثاني فيخشى عليهم من التهاون في الشريعة شيئًا فشيئًا

---

(١) تقدم تخريجه.

حتى يقضي عليها، ولهذا المحب له حقيقة هو المتبع لسنته بدون غلو ولا تفريط.

***

(١٦٨) يقول السائل: كيف تُحَقَّقُ محبة الرسول ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تحقق محبة الرسول ومحبة الله -عز وجل- باتباع الرسول ﷺ، فكل من كان أتبعَ لرسول الله كان أحرى بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وعلامة محبة الرسول أن يتحرى الإنسان سنته فيتبعها، ولا يزيد في ذلك ولا ينقص.

وعلى هذا فالذين يبتدعون بِدعًا تتعلق بالنبي ﷺ، يدَّعون أن ذلك من محبته وتعظيمه، هم في الحقيقة لم يحبوه ولم يعظموه، وذلك لأن حقيقة المحبة والتعظيم أن تتبع آثاره، وأن لا تزيد في شرعه ولا تنقص منه، وأما من أراد أن يُحْدِثَ في شرع الله ما ليس منه فإن محبته لله ورسوله قاصرة بلا شك، لأن كمال الأدب والتعظيم أن لا تتقدم بين يدي الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ١-٢].

***

(١٦٩) يقول السائل: بعض الناس يقولون: إن الرسول ﷺ وهو في قبره يسمع ويَرُدُّ، وضِّحوا لنا كيف يكون ذلك في حياته؟ والذين يقولون هذا الكلام يستندون للآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فإذا كان الشهداء أحياء فكيف لا يكون الرسول ﷺ؟ هذا قولهم، أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: أما كونه ﷺ يسمع ويرد فليس به

غرابة، فقد روى أبو داود في سننه: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ»(١) فلا غرابة أن النبي ﷺ، إذا سلم عليه المسلم يرد الله عليه روحه فيرد السلام.

وأما كونه حيًّا في قبره: فالشهداء أحياء عند الله، والله -تبارك وتعالى- لم يقل: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل أحياء في قبورهم، بل قال: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ولا شك أن النبي ﷺ دفن وصلى عليه صلاة الجنازة وخلفه من خلفه من أصحابه، وليسوا يقدمون له الأكل والشرب، وهم يعلمون أنه مات، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وكما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهذا أمر معلوم بالضرورة من الدين، ولا يُمارِي فيه أحد، وحياة الشهداء عند الله -عز وجل- ليست كحياة الدنيا، أي: ليست حياة يحتاج فيها الإنسان إلى أكل وشرب أو هواء ويعبد ويدعو، هي حياة برزخية، الله تعالى أعلم بكيفيتها.

وعلى هذا فلا يحل لأحد أن يقف على قبر النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله اشفع لي، يا رسول الله استغفر لي، لأن هذا غير ممكن، فالنبي ﷺ لا يمكن أن يستغفر لأحد بعد موته، ولا يمكن أن يشفع لأحد إلا بإذن الله، وإذا أردت أن تسأل سؤالًا صحيحًا فقل: اللهم ارزقني شفاعة نبيك، اللهم شفعه فيَّ، وما أشبه ذلك.

***

(١٧٠) يقول السائل: يقول الرسول ﷺ: إن أعمال العباد تعرض عليه وهو في قبره. هل هذا حديث صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام-

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١).

تعرض عليه الصلاة عليه، يعني: إذا صلينا على النبي ﷺ فإنها تعرض عليه وتبلغه أينما كنا، أما سائر أعمالنا فلا يحضرني الآن هل هو صحيح أو غير صحيح.

***

(١٧١) يقول السائل: إذا قام شخص بقراءة القرآن، أو وضع قدميه وهو متجه إلى بيت الرسول ﷺ، هل عليه إثم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس عليه إثم في ذلك، فإن مد الرجلين إلى اتجاه قبر النبي ﷺ لا حرج فيه، ولا يحتاج أن أقول: بشرط أن لا يكون مستهينًا برسول الله ﷺ أو محتقرًا له، لأن هذا لا يمكن أن يقع من مسلم، فمد الرجلين نحو قبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا بأس به، وهذا يقع كثيرًا، كالذين يكونون في الصف الأول في المسجد النبوي فإنهم يستندون إلى الجدار القبلي، وحينئذ تكون أرجلهم إن مدوها ممدودة نحو القبر.

***

(١٧٢) يقول السائل إ. ب. ع. من بني مالك: أسأل عن النبي ﷺ هل كان يقرأ أم كان أميًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النبي ﷺ كان أُميًّا، لقول الله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ولقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، فهو -عليه الصلاة والسلام- كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، فلما نزل عليه القرآن صار يقرأ، ولكن هل كان يكتب؟ هذا موضع خلاف بين أهل العلم، فمنهم من قال: إن النبي ﷺ بعد أن أنزل عليه الوحي صار يقرأ ويكتب، لأن الله إنما قَيَّدَ انتفاء الكتابة قبل نزول القرآن: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وأما بعد ذلك فقد كان يكتب، ومن العلماء من قال: إنه لم يزل -عليه الصلاة والسلام- غير كاتب حتى توفاه الله.

***

(١٧٣) يقول السائل: هل هناك فرق بين المعجزات وآيات الأنبياء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: آيات الأنبياء هي المعجزات، وسماها بعض المتأخرين معجزات، والصواب أنها آيات، لأنها جمعت بين أمرين: بين كون البشر لا يستطيعون مثلها وهذا إعجاز، وكونها دليلًا على نبوة هذا النبي ورسالته، وهذه آية علامة، ولهذا ينبغي أن نسمي ما تأتي به الأنبياء من المعجزات نسميها آيات كما سماها الله تعالى في كتابه.

هناك معجزات وليست بآيات، لكنها من الشياطين: فالساحر ربما يُرى طائرًا في الجو، وهذا معجز لا يستطيع البشر أن يفعلوه، لكنه من فعل الشياطين. وهناك كرامات يكرم الله بها من شاء من عباده الأولياء والصالحين، تكون معجزة لكنها آية على صحة ما كان عليه هذا الولي، وعلى صحة الشريعة التي كان يعمل بها، ولهذا نقول: كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي يتبعه هذا الولي، لأنها شاهد من الله على صدقه.

وكرامات الأولياء موجودة في الأمم السابقة وفي هذه الأمة، ولا تزال فيها إلى يوم القيامة، ففي الأمم السابقة أصحاب الكهف، اعتزلوا قومهم المشركين وأووا إلى الغار، فهيأ الله لهم غارًا، وألقى عليهم النوم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعًا، وفي هذه المدة لم يتغير منهم شيء، لم يحتاجوا لطعام ولا لشراب ولا لبول ولا لغائط، ولم تَنْمُ أظفارهم ولا شعورهم، كأنما ناموا يومًا واحدًا، ولهذا لما بعثهم الله -عز وجل- وأيقظهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] مما يدل على أنهم لم يصبهم شيء من العوارض البشرية، لا جوع ولا عطش ولا بول ولا غائط، ولا نمو شعور ولا أظفار، حتى صلحت أحوال القرية وماتت سلاطينهم التي تعينهم على الشرك.

مريم عليها السلام أجاءها المخاض إلى جذع النخلة فقيل لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] امرأة لتوها ولدت، وما أعلمك بالتعب عند

الولادة، أُمِرَتْ أن تهز جذع النخلة، جذع النخلة لو هزه أي إنسان ما يهز علوه، لكن هي قيل لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] ففعلت ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] تسقط الرطب من فوق إلى الأرض ولا تفسد، مع أنها رطب لينة اصطدامها على الأرض يوجب أن تتقطع، لكن تبقى كأنها مجنية، كأن رجلًا خرقها ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٥-٢٦]، هذه من الكرامات التي أكرم الله بها من شاء من عباده.

في هذه الأمة الكرامات موجودة: كان سارية بن زُنَيْدٍ أميرًا على سرية في العراق، وكان عمر رضي الله عنه يخطب الناس يوم الجمعة، فسمعوه يقول: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! أمير المؤمنين يخطب ثم يقول هذا الكلام، ما هذا؟ فأخبرهم أنه كشف له أن العدو محيط به، فناداه عمر: يا سارية الجبل! يعني: ارجع إلى الجبل، فسمع سارية. فهذه ثلاثة أشياء كُشِفَ لعمر فشاهدهم، ناداهم فسمعوه، لجؤوا إلى الجبل بقيادة السلطان وهو على منبر، سبحان الله! كرامة من الله -عز وجل-.

ولهذا كان من مذهب أهل السُّنَّة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، ولكن الولي من هو؟ هل كل من ادَّعى الولاية هو ولي؟ ليس كل من ادَّعى الولاية هو وليًا، قال الله -عز وجل-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

***

(١٧٤) يقول السائل ع. م. م. س: هل لكم فضيلة الشيخ أن تذكروا لنا -ولو بشيء من الإيجاز- معجزات الرسول ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معجزات النبي ﷺ وهي الآيات الدالة على رسالته ﷺ، وأنه رسول الله حقًّا- كثيرة جدًّا، وأعظم آية جاء بها هذا القرآن

الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١] فالقرآن الكريم أعظم آية جاء بها رسول الله ﷺ، وأنفع آية لمن تدبرها واهتدى بها، فإنها آية باقية إلى يوم القيامة، أما الآيات الأخرى الحسية التي مضت وانقضت فهي كثيرة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جملة صالحة منها في آخر كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، هذا الكتاب الذي ينبغي لكل طالب علم أن يقرأه، لأنه بَيَّنَ فيه عوار النصارى الذين بدلوا دين المسيح -عليه الصلاة والسلام- وخطأهم، أي: بَيَّنَ خطأهم وخطلهم وضلالهم، وأنهم ليسوا على شيء مما كانوا عليه فيما حرفوه وبدلوه وغيروه، والكتاب مطبوع وبإمكان كل إنسان أن يحصل عليه، وفيه فوائد عظيمة، منها ما أشرت إليه بيان شيء كثير من آيات النبي ﷺ، وكذلك ابن كثير رحمه الله في (البداية والنهاية)، ذكر كثيرًا من آيات النبي ﷺ، فمن أحب فليرجع إليه.

***

(١٧٥) يقول السائل إ. م. من السودان الفاشر: أحاط المسلمون بسيرة المصطفى ﷺ في بعض الخوارق والمعجزات، أسأل وأقول: ما مدى صحة هذه المعجزات؟ وهل وردت في أحاديث كثيرة؟ ثم ألا ترون أن هذه المعجزات تنزهه عن آدميته؟ نرجو منكم إفادة بارك الله فيكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعجزة عند أهل العلم هي أمر خارق للعادة، يظهره الله -سبحانه وتعالى- على يد الرسول تأييدًا له، وقد سماها أكثر أهل العلم بالمعجزات، والأولى أن تسمى بالآيات التي هي العلامات على صدق الرسول وصحة ما جاء به، كما سماها الله -عز وجل- بذلك، وهي أَبْيَنُ وأظهر من المعجزات، أي: من هذا اللفظ، فالأولى أن تسمى معجزات الأنبياء

بآيات الأنبياء. والآيات التي جاء بها النبي ﷺ آيات كثيرة: حسية ومعنوية، أرضية وأفقية، أخلاقية وعملية، فهي متنوعة، وأعظمها وأَبْيَنُها كتاب الله -عز وجل-، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

ومن آيات الرسول -عليه الصلاة والسلام- الأفقية أن رجلًا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يُغِيثَنَا. فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**»، قال أنس وهو راوي الحديث: وما والله في السماء من سحاب ولا قزعة -أي: قطعة غيم-، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار -وسلع جبل معروف في المدينة تخرج من نحوه السحب- قال أنس: فخرجت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ورعدت وبرقت ثم أمطرت، فما نزل النبي ﷺ من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته، وبقي المطر ينزل أسبوعًا كاملًا. وفي الجمعة الثانية دخل رجل أو الرجل الأول فقال: يا رسول الله! غرق المال، وتهدم البناء، فادع الله أن يمسكها عنا. فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكَامِ، والظِّرَاب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**» وجعل يشير ﷺ إلى النواحي، فما أشار إلى ناحية إلا انفرجت، فخرج الناس يمشون في الشمس.(١) ومن أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى ما كتبه الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتاب (البداية والنهاية)، وإلى ما ذكره من قبله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، وكتب غيرهما كثير من أهل العلم في هذه الناحية.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، رقم (١٠١٤)، مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

وآيات الأنبياء فيها ثلاث فوائد:

الأولى: الدلالة على ما تقتضيه صفات الله -عز وجل- من القدرة والحكمة والرحمة وغير ذلك.

الثانية: تأييد الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وبيان أنهم صادقون فيما جاءوا به.

والثالثة: رحمة الخلق، فإن الخلق لو لم يشاهدوا هذه الآيات من الأنبياء لأنكروا وكذبوا، فتأتي هذه الآيات ليزدادوا طمأنينة، ويقبلوا ما جاءت به الرسل، ويذعنوا وينقادوا له، والله عليم حكيم.

وأما قول السائل: أفلا تكون هذه الآيات مجردة له عن الأحوال البشرية؟ فإننا نقول له: لا، هذه الآيات لا تخرجه عن كونه بشرًا، ولهذا لما سها النبي ﷺ في صلاته قال لهم: «**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون**»[(١)]، فبيَّن النبي ﷺ أنه بشر، وأنه يلحقه ما يلحق البشر من النسيان وغير النسيان أيضًا، إلا أنه ﷺ تميز عن البشر بالوحي الذي أوحاه الله إليه، وبما جَبَلُه عليه الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، من الصبر، والكرم، والجود، والشجاعة، وغير ذلك مما كان به أهلًا للرسالة، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وليُعلم أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملك ذلك لغيره أيضًا، فقد قال الله له: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال الله له: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الجن: ٢١-٢٣]. وبهذا يتبين أن من دعا الرسول ﷺ واستنجد به بعد وفاته واستغاث به فإنه على ضلال مبين، قد صرف الأمر إلى غير أهله، فإن الأهل بذلك -أي: بالدعاء

---

(١) تقدم تخريجه.

والاستغاثة- هو رب العالمين -عز وجل-، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فيا أخي المسلم لا تَدْعُ غير الله، فما بك من نعمة فمن الله -عز وجل-، وإذا مسك الضر فلا تلجأ إلا الله -عز وجل-: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] لا والله، لا إله إلا الله الذي يكشف السوء ويجيب المضطر إذا دعاه ويجعل من شاء من عباده خلفاء الأرض، فاتق الله في نفسك، وضع الحق في نصابه، ولا تَغْلُ في دينك غير الحق فتكون مشابهًا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

***

(١٧٦) يقول السائل: ما الرد على من قال: هل كان سلام الرسول ﷺ ليلة المعراج على الأنبياء وردهم عليه كان بالروح، أم بالجسد، أم بهما معًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السؤال لا ينبغي أن يصاغ على هذه الصفة، بل يقال: هل العروج بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والإسراء به إلى بيت المقدس، هل هو بروحه، أو بروحه وجسده؟

والجواب: أنه بروحه وجسده، أسري به -عليه الصلاة والسلام- يقظة لا منامًا بروحه وجسده، لأن الله تعالى قال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١] ولم يقل: بروح عبده، وقال الله -سبحانه وتعالى- في سورة النجم: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١-١٠] إلى آخر الآيات، كلها تدل على أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عرج به ببدنه يقظان وليس بنائم.

ويدل لذلك من الواقع أن قريشًا لما أخبرهم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بما رأى في تلك الليلة صاحوا عليه وكذبوه، وأنكروا ذلك غاية الإنكار، ولو كانت بروحه أو رؤيا رآها لما أنكروا هذا عليه، لأن العرب لا ينكرون الرؤيا، والإنسان يرى في منامه أنه سافر إلى أبعد مكان، وأنه فعل وفعل وفعل، مع أنه لو كان يقظان ما حصل له ذلك.

فالحاصل أن القول الراجح بل المتعين أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أسري به بروحه وجسده، يقظان وليس بنائم.

***

(١٧٧) يقول السائل: أسأل عن الإسراء والمعراج بمحمد ﷺ، هل صعد إلى سدرة المنتهى بروحه وجسده أم روحه فقط؟ أفتونا جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعراج الذي حصل للرسول ﷺ كان بجسده وروحه، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١-١٠] والعبد -وكذلك الصاحب- لا يكون إلا في الروح والجسد، فالنبي ﷺ أسري به بجسده وروحه، وعرج به إلى السموات حتى بلغ مستوى بجسده وروحه -صلى الله عليه و سلم-، ولو كان ذلك بروحه فقط ما أنكرت قريش ذلك، إذ إن المنامات يقع منها شيء كثير من جنس هذا، ولكنه كان ﷺ قد أسري به بجسده وروحه، وعرج به إلى السموات كذلك.

***

(١٧٨) يقول السائل ع. م. د. ومقيم بالمملكة: نرجو من فضيلة الشيخ إلقاء الضوء على العبر والمواعظ من الإسراء والمعراج والمشاهد التي رآها الرسول ﷺ التي تؤثر في القلوب الغافلة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أحيل السائل إلى ما كتبه أهل العلم في ذلك، لأن حديث المعراج حديث طويل يحتاج إلى مجالس، ولكن ليرجع إلى ما كتبه ابن كثير رحمه الله في كتاب (البداية والنهاية) في قصة المعراج، وما كتبه العلماء في الحديث عن ذلك: كـ (فتح الباري)، وشرح النووي على صحيح مسلم، وغيرهما من الكتب، إنما نشير إشارة موجزة لقصة المعراج:

فالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أسرى به الله تعالى ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كان نائمًا في الْحِجْرِ فأسري به من هناك، والحجر هو الجزء المقتطع من الكعبة والمقوس عليه بالجدار المعروف، أسري به من هناك -عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس، وجمع له الأنبياء، وصلى بهم إمامًا، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح ففتح له، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة.

وجد في الأولى آدم، ووجد في السابعة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، ووصل إلى موضع لم يصله أحد من البشر، وصل إلى موضع سمع فيه صَرِيفَ الأقلام التي يكتب بها القدر اليومي، إلى سدرة المنتهى، ورأى من آيات الله -سبحانه وتعالى- ما لو رآه أحد سواه لزاغ بصره ولخبل عقله، لكن الله -سبحانه وتعالى- ثَبَّتَ هذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- حتى رأى من آيات ربه الكبرى.

وفرض الله عليه الصلوات خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وقيض الله موسى -عليه الصلاة والسلام- حين مر به رسول الله ﷺ أن يسأل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ماذا فرض الله عليه وعلى أمته؟ فأخبره بأن الله تعالى فرض عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فقال له: إن أمتك لا

تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فما زال نبينا -صلوات الله وسلامه عليه- يراجع الله، حتى استقرت الفريضة خمس صلوات في كل يوم وليلة بدل خمسين صلاة، لكنها بنعمة الله وفضله كانت خمس صلوات بالفعل وخمسين في الميزان، أي: إذا صلينا خمس صلوات فكأننا صلينا خمسين صلاة، والحمد لله رب العالمين.(١)

وفي قصة فرض الصلوات في هذه الليلة التي هي أعظم ليلة في حق الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وأنها خمسون صلاة، وأنها فرضت من الله إلى رسوله بدون واسطة، في هذا دليل على عناية الله تعالى بهذه الصلوات ومحبته لها، وأنها أعظم الأعمال البدنية في الإسلام، ولهذا كان تاركها كافرًا مرتدًّا خارجًا عن الإسلام.

وقد اختلف الناس في ليلة المعراج والإسراء: هل هما في ليلة واحدة، أو في ليلتين؟ وهل كان الإسراء بروحه، أو بدنه وروحه؟ والصواب: أنهما في ليلة واحدة، وأنه أسري بالرسول ﷺ بروحه وبدنه.

وانقسم الناس في ليلة المعراج: في أي ليلة هي؟ وفي أي شهر هي؟ وأقرب الأقوال أنها كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وأنها كانت في ربيع الأول، وليست في رجب.

ثم ابتدع الناس في هذه الليلة بدعًا لم تكن معروفة عند السلف، فصاروا يقيمون ليلة السابع والعشرين من رجب احتفالًا بهذه المناسبة، ولكن لم يصح أن ليلة الإسراء والمعراج كانت في رجب، ولا أنها في ليلة سبع وعشرين منه، فهذه البدعة صارت خطأً على خطأ: خطأ من الناحية التاريخية، لأنها لم تصح أنها في سبع وعشرين من رجب، وخطأ من الناحية الدينية، لأنها بدعة، فإن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لم يحتفل بها، ولا الخلفاء الراشدون، ولا الصحابة، ولا أئمة المسلمين من بعدهم.

❖❖❖

---

(١) تقدم تخريجه.

الإيمان باليوم الآخر

(١٧٩) يقول السائل: ما هو أثر الإيمان باليوم الآخر على عقيدة المسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة التي أجاب بها النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر**»[1]، وأثر الإيمان على قلب المؤمن وعمله كبير، فإن الإنسان إذا آمن باليوم الآخر عمل له، والعمل لليوم الآخر هو فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وإذا فُقِدَ الإيمان باليوم الآخر فلا إيمان، لأنه أحد أركان الإيمان، ففي فقده فقد ركن من أركان الإيمان، والإيمان لا يتبعض في أركانه، لا بد أن يؤمن الإنسان بجميع أركان الإيمان، وإلا فلا إيمان له.

إن أثر الإيمان باليوم الآخر عظيمٌ جدًّا، ولهذا يقرنه الله -تبارك وتعالى- بالإيمان به في مواضع كثيرة من القرآن، لأن الإيمان به هو الذي يحمل الإنسان على العمل، وقد قال الله تعالى مبينًا أن جَحْدَهُ كفر: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ [التغابن: ٧] فأمر الله نبيه أن يقسم على البعث، وبيَّنَ -تبارك وتعالى- أن ذلك يسيرٌ عليه فقال: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] وقال -عز وجل-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

***

(١٨٠) يقول السائل س. ع. من مصر: ما هي العلامات الصغرى المتبقية فضيلة الشيخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الظاهر أنه يريد علامات الساعة، وفيها ما وقع وفيها ما هو مستقبل، ومن علامات الساعة التي وقعت بعثة النبي ﷺ، وكونه خاتم النبيين، لأن كونه خاتم النبيين يؤذن بقرب انتهاء الدنيا، والأمر

---

(١) تقدم تخريجه.

كذلك، فإن الرسول ﷺ خطب الناس ذات يوم في آخر النهار وقال: «**إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومكم هذا**»(١) وكانت الشمس على رؤوس النخل، أي: قريبة من الغروب.

ومنها: ما أشار إليه النبي -عليه الصلاة السلام- حين سأله جبريل قال له: متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال له جبريل: أخبرني عن أماراتها؟ قال النبي ﷺ: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»(٢).

ومنها: انتشار الربا، وقد وقع وانتشر الربا كثيرًا بين الأمة الإسلامية.

ومنها: فساد أحوال الناس، فإن كثيرًا من بلاد المسلمين فيها شر كثير ومعاص معلنة، نسأل الله العافية والسلامة.

وقد صنف العلماء -رحمهم الله- في ذلك كتبًا مستقلة أحيانًا، وفي ضمن كتاب يشتمل عليها وعلى غيرها أحيانًا أخرى، فنرشد السائل إلى مراجعتها.

***

(١٨١) تقول السائلة: ما صحة قول القائل: إن أول علامات الساعة الكبرى هي طلوع الشمس من مغربها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا ليس بصحيح، طلوع الشمس من مغربها متأخر، لأن الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام كلها قبل طلوع الشمس من مغربها.

***

(١٨٢) يقول السائل: أقرأ هذا الدعاء في كل صلاةٍ قبل السلام، وهو: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال. أريد أن أعرف: من هو المسيح الدجال؟ وما هي فتنته؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩)، الترمذي: كتاب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، رقم (٢١٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الدعاء الذي أنت تدعو به في صلاتك بقي عليك شيء، وهو أنك تستعيذ من أربع، كما أمر بذلك النبي ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»(١)، هذه الأربع أمر النبي ﷺ بالاستعاذة منها بعد التشهد وقبل السلام.

أما المسيح الدجال: فإنه رجل يخرج في آخر الزمان يَدَّعي الربوبية، ويعطيه الله -تبارك وتعالى- من الآيات ما يكون سببًا للفتنة، امتحانًا من الله تعالى واختبارًا، هذا الرجل رجلٌ أعور، ولهذا سُمي المسيح لمسح إحدى عينيه، وهو معه جنةٌ ونار، فمن أطاعه أدخله الجنة، ولكنه لا يجد جنةً وإنما يجد نارًا، ومن عصاه أدخله النار التي معه، ولكنه لا يجدها نارًا وإنما يجدها ماءً عذبًا طيبًا، أو جنة كما ورد في بعض ألفاظ الحديث، ويمكث في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول بمقدار سنة، والثاني بمقدار شهر، والثالث بمقدار أسبوع، وبقية الأيام كأيامنا، وقد سأل الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ عن هذا اليوم الذي كسنة، هل تكفي فيه صلاة يوم واحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا، اقدروا له قدره**»(٢) أي: إن هذا اليوم الأول من أيام الدجال يُصلى فيه صلاة سنةٍ كاملة، لأنه عن سنةٍ كاملة، واليوم الثاني يصلى فيه صلاة شهر، واليوم الثالث يُصلى فيه صلاة أسبوع، وبقية الأيام تصلى في كل يوم خمس صلوات. ثم إن هذا الدجال مع ما يحصل من فتنته العظيمة يوفق الله -سبحانه وتعالى- المؤمنين فيعرفونه بعلامته، فإنه مكتوبٌ بين عينيه: كافر، كاف وفاء وراء يقرؤها كل مؤمن الكاتب وغير الكاتب(٣)، ويعمى عنها من ليس بمؤمن ولو كان قارئًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، مسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨)، واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب التلبية إذا انحدر في الوادي، رقم (١٥٥٥)، مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم (١٦٦).

ثم إنه يُؤتَى إليه برجل ليفتتن به، فيقول هذا الرجل: أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيقطعه الدجال قطعتين ثم يمشي بينهما، ثم يقف فيدعوه، يدعو هذا الرجل المقتول المفرق قطعتين، فيقوم هذا الرجل حيًّا والناس ينظرون إليه، فيقول له: أتشهد أني الله؟ فيقول: أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيقطعه مرةً أخرى ثم يعود فيدعوه، فيقوم ويقول: أشهد أنك أنت الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيريد أن يقتله كما قتله المرتين الأوليين، ولكنه يعجز عنه، فيأخذ به ويلقيه في النار.(١) ولكنه كما أسلفنا النار التي معه جنةٌ وماءٌ عذب، كما جاء به الحديث عن رسول الله ﷺ.

ونهاية الدجال أن عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- ينزل من السماء، لأن عيسى بن مريم قد رفعه الله تعالى إلى السماء حيًّا لم يمت، ثم ينزل في آخر الزمان فيقتل هذا المسيح الدجال وتنتهي فتنته.

***

(١٨٣) يقول السائل: قرأت في بعض الكتب عن الدجال، هل هو ابن صياد أم لا؟ فما هو الحق في ذلك؟ وكذلك في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ رأى رجلًا يطوف بالبيت وفيه صفات الدجال، فلما سأل عنه قيل: هذا هو الدجال.(٢) مع أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة. نرجو الإفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصحيح أن ابن صياد ليس هو الدجال الذي يبعث في آخر الزمان، وإنما هو دجال من الدجاجلة، يشبه الكُهَّان في تخرصه وتخمينه، ولكنه ليس هو الدجال الذي يبعث يوم تقوم الساعة، فيقتله عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم (١٨٨٢)، مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال، رقم (٢٩٣٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، رقم (١٦٩).

وأما رؤية النبي ﷺ من قيل له: إنه هو الدجال يطوف بالبيت، فإن الممتنع إنما هو دخوله في اليقظة، فإنه لا يدخل مكة ولا المدينة وهذا في اليقظة، والأحكام الشرعية تختلف في اليقظة وفي المنام.

***

(١٨٤) يقول السائل: من هم يأجوج ومأجوج الذين ذكروا في القرآن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يأجوج ومأجوج قبيلتان عظيمتان كبيرتان من بني آدم، لقول رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في الحديث الصحيح: **«إنه إذا كان يوم القيامة ينادي الله -سبحانه وتعالى-: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك! فيقول الله تعالى: أخرج من ذريتك بعثًا إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعةٌ وتسعون. -يعني: هؤلاء كلهم في النار من بني آدم-، وواحد في الجنة. فعظم ذلك على الصحابة فقالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الواحد؟ فقال ﷺ: «أبشروا! فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، منكم واحد ومنهم تسعمائة وتسعةٌ وتسعون»**[١].

فهما قبيلتان عظيمتان، لكنهما من أهل الشر والفساد، والدليل على ذلك أمران: أمرٌ سابق، وأمرٌ منتظر.

فأما الأمر السابق: فما حكاه الله -سبحانه وتعالى- عن ذي القرنين أنه لما بلغ السدين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤] إلى آخر ما ذكر الله -عز وجل-، والشاهد من هذا قولهم: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، وطلبوا من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبينهم سدًّا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

وأما الشر والفساد المنتظر: فهو ما جاء في حديث النَّوَاس بن سَمْعان الطويل « **أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون**»[1]، وهذا هو الفساد المرتقب منهم، فسيخرجون في آخر الزمان من كل حدبٍ ينسلون، ويعيثون في الأرض فسادًا، حتى يدعو عيسى بن مريم ربه عليهم، فيصبحون موتى كنفسٍ واحدة.

هؤلاء هم يأجوج ومأجوج، وأما ما يذكر في الإسرائيليات من أن بعضهم طويلٌ طولًا مفْرِطًا، وأن بعضهم قصيرٌ قصرًا مفرطًا، وأن بعضهم لديه آذانٌ يفترش إحدى الأذنين ويلتحف بالأخرى، وما أشبه ذلك: فإن كل هذا لا صحة له، بل الصحيح الذي لا شك فيه أنهم كغيرهم من بني آدم، أجسادهم وما يحسون به وما يشعرون به، فهم بشر كسائر البشر، لكنهم أهل شرٍ وفساد.

***

(١٨٥) يقول السائل: ما المقصود بيأجوج ومأجوج؟ وماذا تعرفون عنهم، كما ورد ذكرهما في القرآن الكريم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المقصود بيأجوج ومأجوج أنهما قبيلتان من بني آدم، كما جاء في ذلك الحديث عن النبي ﷺ، وما ورد في بعض الكتب من أن منهم القصير جدًا والصغير، ومنهم الكبير، ومنهم الذي يفترش أذنًا من أذنيه ويلتحف بالأخرى، وما أشبه ذلك، فكل هذه لا أصل لها، وإنما هم من بني آدم وعلى طبيعة بني آدم، لكنهم كانوا في وقت ذي القرنين، كانوا قومًا مفسدين في الأرض، فطلب جيرانهم من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبينهم سدًّا، حتى يمنعهم من الوصول إليهم وإفسادهم في أرضهم، وفعل ذلك

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

وقال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] ففعلوا، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا، فكفى الله جيرانهم شرهم.

ثم إنهم في آخر الزمان، وبعد نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- يخرجون على الناس ويبعثون بمعنى أنهم يخرجون وينتشرون في الأرض، ويحصرون عيسى بن مريم والمؤمنين معه في جبل الطور، ثم يلقي الله -تبارك وتعالى- في رقابهم دودةً تأكل رقابهم، فيصبحون فَرْسَى -يعني: جمع فريسة، يعني: موتى- كلهم ميتة رجلٍ واحد، ويقي الله -سبحانه وتعالى- عيسى وأصحابه شرهم.

***

(١٨٦) يقول السائل ش. م. م. من العراق، محافظة صلاح الدين: يقول الله -عز وجل- في سورة الكهف: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] **فمن هم يأجوج ومأجوج؟ وأين يوجدون؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يأجوج ومأجوج ذكرهم الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧] وفي قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، وهاتان قبيلتان من بني آدم، كما ثبت به الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك! فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار. فقال: يا ربي وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. فشق ذلك على الصحابة وقالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الواحد؟ يعنون: الذي ينجو من النار. فقال رسول الله ﷺ: «**أبشروا! فإنكم في أمتين -أو قال: بين**

أمتين- ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج»[1]، وهذا دليل واضح على أنهما قبيلتان من بني آدم، وهو كذلك، وهم موجودون الآن، وظاهر الآية الكريمة أنهم في شرق آسيا، لأن الله قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾ [الكهف: ٩٠-٩٤]، فظاهر سياق الآيات الكريمات أنهم كانوا في الشرق، ولكن هاتان الأمتان سيكون آخر الزمان لهم دور كبير في الخروج عن الناس، لما جاء في حديث النواس بن سمعان الذي رواه مسلم في صحيحه: **«إن الله تعالى يوحي إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، يأجوج ومأجوج، فحرِّز عبادي إلى الطور»**[2] فخروجهم الكبير المنتشر الذي يظهر به فسادهم أكثر مما هم عليه الآن سيكون في آخر الزمان، وذلك في وقت نزول عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام-.

***

(١٨٧) يقول السائل: كثيرًا ما نسمع أن الساعة لا تقوم حتى يعم الإسلام الأرض، ونسمع من جهةٍ ثانية أنها لا تقوم ويبقى من يقول: لا إله إلا الله في الأرض، فكيف نوفق بين هذين القولين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوفيق بينهما سهل، وهو: أن كل واحدٍ منهما في زمنٍ غير زمن الآخر، فالإسلام يعم الأرض كلها، ثم بعد ذلك يندثر هذا الإسلام ويموت المؤمنون، ولا يبقى إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(١٨٨) **يقول السائل**: ما مدى صحة ما يقال بأن من يموت في رمضان أو يوم الجمعة لا يعذب عذاب القبر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: عذاب القبر ثابت لكل من يستحقه، سواء مات في يوم الجمعة أو في رمضان، أو في أي وقت آخر، ولهذا كان المسلمون يقولون في صلاتهم، في كل صلاة من صلواتهم في التشهد الأخير: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.

إلا أن من مات مجاهدًا في سبيل الله فإنه لا يأتيه الملكان اللذان يسألانه عن دينه وربه ونبيه، لأن بارقة السيوف على رأسه أكبر امتحان له واختبار، وأكبر دليل على أنه مؤمن، وإلا لما عرض رقبته لأعداء الله.

***

(١٨٩) **يقول السائل ع. من المملكة الأردنية الهاشمية**: هل الميت يبصر؟ وما مدى بصيرته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الميت لا يبصر البصر المعروف في الدنيا، لأنه قد فقد الإحساس بموته، لكنه يبصر ما يراه في قبره من عالم الآخرة، ويفسح له في قبره مد البصر إن كان مؤمنًا، ويرى الملكين يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فإنه لا يبصره، لأنه قد حجب عن أمور الدنيا بموته.

***

(١٩٠) **يقول السائل**: إذا توفي الإنسان هل يذهب إلى الجنة أو إلى النار بعد وفاته، أو يبقى في القبر إلى يوم القيامة؟ نرجو توضيح ذلك مع إضافة بعض المعلومات عن ذلك وشكرًا لكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما جسم الميت فإنه يبقى في الأرض في المكان الذي دفن فيه إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم

﴿مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فهو باقٍ في الأرض.

وأما روحه فإنها تكون في الجنة أو تكون في النار، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فبين أن هذا القول يكون عند الوفاة، فمعنى ذلك أنهم يدخلون الجنة يوم وفاتهم، وهذا لا يكون إلا للروح، لا يكون للبدن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الميت في قبره إذا كان مؤمنًا «**يَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ**»[1]، ويأتيه من روحها ونعيمها، وأما الكافر فإن روحه أيضًا يذهب بها إلى العذاب، قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وفيها قراءة: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١]، فهذا دليل على أن الميت المؤمن يلقى جزاءه في الجنة من يوم موته، والكافر يلقى عذابه في النار من يوم موته، وهذا بالنسبة للروح، أما البدن فإنه يبقى في الأرض إلى يوم القيامة، وقد تتصل الروح به معذبةً أو منعمة، كما تدل على ذلك الأحاديث.

***

(١٩١) يقول السائل: بارك الله فيكم فضيلة الشيخ هل الميت يسمع السلام والكلام، ويشعر بما يفعل لديه أم لا؟

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، بابٌ، رقم (٢٤٦٠).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه مسألة اختلف فيها أهل العلم، والسنة فيها قد بينت بعض الأشياء، فقد صح عن النبي -عليه الصلاة والسلام- «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان**»[(١)] فامتحناه، فأثبت النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه يسمع قرع النعال، وأخبر النبي ﷺ أنه «**ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عَرَفَه ورد عليه السلام** »[(٢)] وهذا الحديث صححه ابن عبد البر، وذكره ابن القيم في (كتاب الروح) ولم يعقب عليه.

وربما يؤيد هذا أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان إذا خرج إلى المقابر قال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»[(٣)]، فإنه قد يشعر بأنهم يسمعون ذلك ويردون، من أجل أنه وجه هذا الدعاء إليهم بالخطاب.

وعلى كل تقدير مهما قلنا بأن الميت يسمع، فإن الميت لا يسمع غيره ولو سمعه، يعني: أنه لا يمكن أن ينفعك الميت إذا دعوت الله عند قبره، كما لا ينفعك إذا دعوته نفسه، ودعاؤك الله عند قبره معتقدًا أن في ذلك مزية بدعةٌ من البدع، ودعاؤك إياه شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة.

فإن قال قائل: إن بعض الذين يدعون الأموات قد ينتفعون بدعائهم؟ فالجواب على ذلك: أن هذا الانتفاع لم يكن بدعائهم الميت، لكن كان عند دعائهم الميت، وفرق بين حصول الانتفاع بدعاء الميت وحصول الانتفاع عند دعاء الميت، لأنك إذا قلت: حصل الانتفاع بدعاء الميت كان دعاء الميت هو السبب في ذلك الانتفاع، وإذا قلت: عنده لم يكن هو السبب ولكن كان قريبًا منه في الوقت.

فنحن نقول: إن الله قد يبتلي الإنسان الذي يدعو أصحاب القبور

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، بابٌ، رقم (٢٤٦٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/ ٢٧).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، رقم (٢٤٩).

بحصول ما يدعو به عند دعائه امتحانًا له واختبارًا له، وإلا فنحن نعلم أن كل من دعا غير الله فإنه من أضل الناس، بل قد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، ولا عجب أن يبتلي الله الإنسان بمثل هذه البلوى، فهؤلاء هم أصحاب السبت، قومٌ من بني إسرائيل من اليهود كانوا في قريةٍ على شاطئ البحر، وكان عمل صيد الحوت محرمًا عليهم يوم السبت، فابتلاهم الله -عز وجل-، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت شرعًا على سطح الماء كثيرة، وفي غير يوم السبت لا تأتي الحيتان، فطال عليهم الأمد وقالوا: كيف نُحْرَمُ من هذه الحيتان؟ وما الحيلة في الحصول عليها؟ فزين لهم الشيطان حيلةً بأن يضعوا شبكًا يوم الجمعة في الماء، فإذا أتت الحيتان يوم السبت وقعت في هذا الشبك ولم تستطع الخروج منه، فإذا كان يوم الأحد جاءوا فأخذوها، تحيلوا على محارم الله بأدنى الحيل، فماذا كانت النتيجة؟ قال الله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦]، فقلب الله هؤلاء القوم قردةً خاسئة ذليلة. والمهم من سياق هذه القصة أن الإنسان قد يبتلى بما يكون فتنةً له في دينه إن اتبعه، فهؤلاء الذين يدعون الأموات ربما يفتنون فيحصل لهم المطلوب عند دعائهم الأموات فتنةً لهم، وإلا فنحن نعلم علم اليقين أن الأموات لا ينفعون أحدًا مهما كان الأمر، لو دعاهم بالليل والنهار ما نفعوه، كيف وهم أمواتٌ جثث هامدة؟ ولكن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

***

(١٩٢) تقول السائلة أ. إ. س. من العراق، محافظة التأمين: لقد ذكر الله جل شأنه في كتابه العزيز أن أصحاب الكهف ناموا أكثر من ثلاثمائة سنة، وأن العزير أماته الله -سبحانه وتعالى- مائة، ثم بعثهم وبعثه، وقد علمنا من شأنهم بقية القصة. السؤال: هل الموتى لا يحسون بمدة موتهم إلى أن يحييهم الله يوم القيامة؟ وضحوا لنا ذلك جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-:

أولًا: هي ذكرت قصتين: قصة أصحاب الكهف، وقصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان عزيرًا، فهو رجل حصلت له هذه القصة. والعبرة لما في القصة من آيات الله -عز وجل-.

أما أصحاب الكهف فإنهم لم يموتوا ولكنهم ناموا، ألقى الله عليهم النوم هذه المدة الطويلة التي قال الله عنها: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] ولما استيقظوا تساءلوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، لأن النائم -كما هو مشاهد ومحسوس- لا يحس بالوقت، قد ينام الإنسان يومًا أو يومين وكأنه لم ينم إلا ساعة أو ساعتين، وهذا شيء مشاهد.

والظاهر أن الموت كالنُّوَّم، وهي التي صارت فيها القصة الثانية، فإن هذا الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فاستبعد أو استفهم كيف يحيي الله الأرض هذه القرية بعد موتها؟ فأراه الله -عز وجل- هذه الآية العظيمة، أماته الله مائة سنة ثم بعثه من موته، وسأله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ثم أمره -عز وجل- أن ينظر إلى طعامه وشرابه لم يتغير، مع أنه بقي مائة سنة، فلم ييبس من شمس ولا رياح، والطعام لم ينتن، بل هو باق كما كان، أما الحمار فإنه قد مات و ذهب جلده ولحمه ولم يبق إلا عظامه، فقال الله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فشاهد العظام ينشز الله بعضها ببعض بواسطة العصب، فلما تكاملت كساها الله لحمًا فكان حمارًا كاملًا، وهذا من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته، وأنه على كل شيء قدير.

والخلاصة أن في هاتين القصتين من آيات الله العظيمة ما هو ظاهر للمعتبر، وأن الجواب على سؤال السائلة -وهو: أن الميت لا يدري عن المدة التي تمر عليه-: أن الظاهر أن الميت كالنائم، ينطوي عليه الوقت، ولا يدري عن سرعته.

***

(١٩٣) يقول السائل: فضيلة الشيخ إمام وخطيب المسجد الجامع الكبير بعنيزة السلام عليكم، سؤالي ما يلي: كيف يتأذى الميت بدخول إنسان لا يصلى معه في القبر؟ ألم يكن كل واحد ذهب إلى مقعده، إن كان في الجنة فهو في الجنة، والثاني في النار فهو في النار؟ أم كيف يكون التأذي؟ أرجو من فضيلة الشيخ إجابة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإجابة على هذا السؤال أن نقول: إنه لا يحل أن يدفن شخص لا يصلى مع شخص مسلم، بل ولا يحل أن يدفن وحده في مقابر المسلمين، والواجب أن يدفن من مات لا يصلى في مكان غير مقابر المسلمين، لأنه ليس منهم.

هذا القول الراجح الذي رجحناه بأدلة من كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وقد سبق لنا مرارًا من هذا البرنامج ذكر الأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة كفرًا مخرجًا عن الملة، سواء كان مُقِرًّا بفرضيتها أم كان جاحدًا بل إذا كان جاحدًا كفر وإن صلى، إلا أن يكون جاهلًا بأحكام الإسلام، كحديث عهد بالإسلام، فإنه يعرف ويبين له، فإن أقر بالوجوب و إلا كان كافرًا.

المهم أنه لا يجوز أن يدفن من لا يصلى مع شخص مسلم، ولا في مقابر المسلمين، بل إن المشروع ألا يدفن مسلم مع آخر في قبر واحد، وإنما يدفن كل واحد وحده في قبره.

واختلف العلماء -رحمهم الله-: هل دفن الميت مع ميت آخر محرم لا

يجوز إلا للضرورة، أو مكروه يجوز عند الحاجة إليه ولو بدون الضرورة، مع اتفاقهم على أن المشروع أن يدفن كل ميت وحده؟

وأما قول السائل: إنه يتأذى به، فهذا الأمر يحتاج إلى توقيف وإلى نص من الشرع أن الميت يتأذى بمن دفن معه إذا كان ممن يعذب في قبره، وهذا أمر لا أعلم عنه شيئًا من السنة، وإن كان بعض العلماء -رحمهم الله- يقولون: إن الميت قد يتأذى بجاره إذا كان يعذب، وقد يتأذى بفعل منكر عنده، ولكن لم أجد دليلًا من السنة يؤيد هذا. والله أعلم.

***

(١٩٤) يقول السائل ع. م. أ. مصري: هل عذاب القبر يختص بالروح أم بالبدن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: عذاب القبر ثابت بكتاب الله وسنة رسوله.

أما في كتاب الله فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وفي قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وأما الأحاديث التي فيها عذاب القبر فهي كثيرة، ومنها الحديث الذي يعرفه الخاص والعام من المسلمين، وهو قول المصلي: «**أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[1]، وعذاب القبر في الأصل على الروح، وربما يتصل بالبدن أحيانًا، ولا سيما حين سؤال الإنسان عن ربه ودينه ونبيه حين دفنه، فإن روحه تعاد إلى جسده، لكنها إعادة برزخية لا تتعلق بالبدن تعلقها به في الدنيا، ويُسْأَل الميت عن ربه ونبيه ودينه، فإذا كان كافرًا أو منافقًا قال: هاه هاه لا أدري، سمعت

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، رقم (٢٤٩).

الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق.[1]

***

(١٩٥) يقول السائل: إن موت الإنسان يعني خروج الروح من الجسد، وعندما يدفن في القبر هل ترد الروح إلى جسده أم أين تذهب؟ وإذا كانت ترد الروح إلى الجسد في القبر فكيف يكون ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ثبت عن رسول الله ﷺ أن الميت إذا مات فإنها تعاد روحه إليه في قبره، ويسأل عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما الكافر أو المنافق فإنه إذا سئل يقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.[2] وإعادة الروح إلى البدن في القبر ليست كحصول روح الإنسان في بدنه في الدنيا، لأنها حياة برزخية ولا نعلم كنهها، إذ إننا لم نخبر عن كنه هذه الحياة، وكل الأمور الغيبية التي لم نُخْبَرْ عنها فإن واجبنا نحوها التوقف، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

***

(١٩٦) يقول السائل: تنقسم حياة الإنسان إلى ثلاث: حياة الدنيا وهي التي نعيشها، ثانيًا: حياة الآخرة معروفة، ثالثًا: بين الحياة الدنيا وبين الآخرة حياة البرزخ، فما هي حياة البرزخ؟ وهل الإنسان يكون بجسده وروحه فيها؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حياة البرزخ حياةٌ بين حياتين، وهذه الأنواع

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

الثلاثة للحياة تكون من أدنى إلى أعلى: فحياة البرزخ أكمل من الحياة الدنيا بالنسبة للمتقين، لأن الإنسان ينعم في قبره، ويفتح له بابٌ إلى الجنة، ويوسع له مد البصر.

وحياة الآخرة -وهي الجنة التي هي مأوى المتقين- أكمل وأكمل بكثيرٍ من حياة البرزخ. وكذلك يقال بالنسبة للكافر، يقال: إن حياته في قبره أشد عذابًا مما يحصل له من عذاب الدنيا، وعذابه في النار التي هي مأوى الكافرين أشد وأشد، فحياة البرزخ في الواقع حياةٌ بين حياتين في الزمن وفي الحال، فحال الإنسان فيها بين حالين: دنيا وعليا، وكذلك الزمن كما هو معروف.

أما سؤاله: هل تكون الحياة البرزخية بالروح والبدن؟ فهي قطعًا بالروح بلا شك، ثم قد تتصل بالبدن أحيانًا إن بقي ولم تأكله الأرض، ولم يحترق ويتطاير في الهواء، وقد لا تتصل.

هذا هو القول الراجح في نعيم القبر أو عذابه: أنه في الأصل على الروح، وقد تتصل بالبدن، لكن ما يكون عند الدفن فالظاهر أنه يكون على الروح والبدن جميعًا، لأنه جاء في الأحاديث ما يدل على ذلك، من أن الميت يجلس في قبره ويُسْأل، ويوسع له في قبره، ويضيق عليه حتى تختلف أضلاعه، وكل هذا يدل على أن النعيم أو العذاب عند الدفن يكون على البدن والروح.

***

(١٩٧) يقول السائل: **ما هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية أن الإنسان إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأجلساه، وسألاه عن ثلاثة أشياء: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة -جعلنا الله وإخواننا المسلمين منهم- فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما المنافق فإنه

يقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. ثم يبقى المؤمن مُنَعَّمًا في قبره، والمنافق معذبًا في قبره.

والعذاب يكون في الأصل على الروح، ولهذا يحس بالعذاب ولو تمزق بدنه وأكلته السباع، وربما تتصل الروح بالبدن ويكون العذاب على الروح والبدن جميعًا.

ومسائل الآخرة كلها أمور غيب لا نطلع على شيء منها إلا عن طريق الوحي، ولهذا لا ينبغي لنا أن نتعمق في السؤال عنها، لأننا سنصل إلى باب مسدود، ولن نصل إلى شيء من التفاصيل إلا عن طريق الكتاب والسُّنَّة.

وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير**»[1] يعني: أنهما لا يعذبان في أمر شاق عليهما، بل هو أمر سهل، «**بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**» يعني: بنقل الكلام كلام الناس بعضهم في بعض، ليفسد بينهم ويفرق بينهم. فأمر بجريدة رطبة فشقها نصفين، فجعل على كل قبر واحدة، فقالوا: لِمَ صنعت هذا يا رسول الله؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» ففي هذا الحديث دليل واضح على ثبوت عذاب القبر، وأنه قد ينقطع وقد يخفف.

أخذ بعض أهل العلم -رحمهم الله- من هذا أنه ينبغي أن يوضع على القبر جريدة رطبة، كما فعل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بهذين القبرين، لكن هذا مأخذ ضعيف جدًّا، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ما كان يضع الجريدتين أو الجريدة الواحدة في كل من قُبر، لكن وَضَعها على هذين القبرين اللذين يعذبان، فوضع شيء من هذا على القبر يبرهن على إساءة الظن بصاحب القبر، وأنه الآن يعذب، وثُم هو بدعة، لأن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

النبي ﷺ إذا فعل شيئًا لسبب فإنه لا يقتضي أن يكون عامًّا في كل شيء، بل فيما ثبت في هذا السبب، ثم هذا السبب ليس أمرًا معلومًا، بحيث نعلم أن هذا الرجل يعذب في قبره فنضع له الجريدة، بل هو مجهول، وهو عذاب القبر، فلهذا ينهى أن يوضع على القبر شيء من الزهور أو شيء من الأغصان أو شيء من الجريد، لأن ذلك كله من البدع، ومتى قصد به التخفيف من العذاب عن هذا القبر صار إساءة ظن بصاحبه.

***

(١٩٨) يقول السائل إ. من الرياض: ما هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: عقيدتهم في الحياة البرزخية ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الأدلة على أن الإنسان يعذب في قبره وينعم بحسب حاله، قال الله -تبارك وتعالى- في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الله -تبارك تعالى-: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦] وهذه الحياة التي يكون فيها النعيم أو العذاب حياة برزخية ليست كحياة الدنيا، فلا يحتاج فيها الحي إلى ماء ولا طعام ولا هواء، ولا وقاية من برد ولا وقاية من حر، حياة لا نعلم كيفيتها، بل هي من أمور الغيب التي لا يعلمها

إلا الله -عز وجل-، أو من وصل إليها وحصل له بها حق اليقين. ونحن نقرأ في صلواتنا: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمهات، ومن فتنة المسيح الدجال.(١)

***

(١٩٩) تقول السائلة: أرجو التحدث عن الحياة البرزخية كما جاء في سورة المؤمنون: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحياة البرزخية هي الحياة التي تكون بين موت الإنسان وقيام الساعة، والإنسان قد يُقْبَرُ فيدفن في الأرض، وقد يلقى في البحر فتأكله الحيتان، وقد يلقى في البر فتأكله الطيور والوحوش، ومع ذلك فإن كل واحد من هؤلاء يناله من الحياة البرزخية ما يناله. والحياة البرزخية من عالم الغيب، فلولا أن الله ورسوله أخبرانا بما يكون فيها ما علمنا عنها، ولكن الله تعالى أخبرنا في كتابه ورسوله ﷺ أخبرنا في سنته بما لا نعلمه عن هذا الأمر، فالحياة البرزخية يكون فيها العذاب ويكون فيها النعيم، إما على الروح وحدها أو تتصل بالبدن أحيانًا، لكن هذا العذاب ليس من عالم الشهادة، ولهذا يعذب الإنسان في قبره، ويُضَيَّق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، أو يفسح له في القبر وينعم فيه، ويفتح له باب من الجنة يأتيه من روحها ونعيمها، ولو أننا كشفنا القبر لوجدنا الميت كما دفناه بالأمس لم تختلف أضلاعه، ولم نجد رائحة من روائح الجنة ولا شيئًا من هذا، لأن هذه الحياة حياة برزخية غير معلومة لنا وليست من عالم الشهادة.

وأضرب مثلًا يقرب ذلك: إن الإنسان النائم نائم عندك، وهو يرى في منامه أنه يذهب ويجيء، ويبيع ويشتري، ويصلي، ويزور قريبًا له ويعود مريضًا، وهو في منامه مضطجع عندك كأنه لم ير شيئًا من ذلك، ومع ذلك هو يرى، هكذا أيضًا الحياة البرزخية، الميت يرى فيها ما يرى، وينعم فيها ويعذب،

---

(١) تقدم تخريجه.

لكن في جانب الحس لا يشاهد شيئًا من هذا، وذلك أن النوم أخو الموت في الواقع، لكن الموت أشد وأعظم عمقًا في مثل هذه الأمور.

والنفس لها تعلق بالبدن على وجوه أربعة:

الأول: تعلقها بالبدن في حال الحمل.

والثاني: تعلقها في حال الحياة الدنيا، وتعلقها في حال الحياة الدنيا يكون في حال اليقظة وفي حال النوم، ويختلف هذا عن هذا.

والثالث: تعلقها بالبدن في البرزخ.

والرابع: تعلقها بالبدن بعد البعث، وهذا الأخير هو أكمل التعلقات، ولهذا لا تفارق الروح البدن لا بنوم ولا بموت، إذ لا موت بعد البعث ولا نوم، وإنما هي حياة دائمة، حياة يقظة، لكن إما في نعيم دائم -أسأل الله أن يجعلني والمستمعين من هؤلاء- وإما في جحيم دائم والعياذ بالله: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٥]، وأما أهل النعيم فهم في نعيم دائم، فهذه أنواع تعلق الروح بالبدن، ولكل منها خاصية ليست في الأخرى.

***

(٢٠٠) يقول السائل: كيف السؤال في القبر بعد ممات الإنسان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السؤال أنه يأتيه ملكان فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد. وأما المرتاب أو المنافق فهذا يقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بِمِرْزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين.[1]

***

(٢٠١) يقول السائل م.ع: ما حقيقة عالم البرزخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أحيلك على نفسك: إذا كنت في البرزخ

(١) تقدم تخريجه.

فسوف تعرف ما حال الإنسان! ولكن الذي بلغنا من ذلك أن الإنسان إذا دُفِنَ وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فسألاه عن ربه ودينه ونبيه، فأما المؤمن -نسأل الله أن يجعلنا منهم- فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، وأما المنافق المرتاب -والعياذ بالله- فإنه إذا سئل قال: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته -أعاذنا الله وإياكم منهم- فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه والعياذ بالله، أي: يدخل بعضها بعضًا من الضيق، ويفتح له بابٌ إلى النار -أجارنا الله وإياكم منها- ثم يبقى الإنسان على أمرٍ لا ندري عنه بالتفصيل، لكننا نؤمن بعذاب القبر ونعيم القبر.

***

(٢٠٢) تقول السائلة ن.ع.ع. جدة: أرجو أن تُبَيِّنُوا لنا عذاب القبر وأسباب النجاة منه، وهل عندما يدفنون الميت ثم يقولون له بعد الفراغ من دفنه: إذا سألك الملكان: من ربك؟ فقل: ربي الله. ومن نبيك؟ وما دينك؟ هل صحيح أن الميت يسمعهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا دفن الميت وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم فقد تم توديعه، وحينئذ يأتيه الملكان فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فإن أجاب بالصواب فُسِحَ له في قبره، وفتح له باب إلى الجنة، ونادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدي. وإن توقف وقال: لا أدري، فإنه يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي. ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها.

والأسباب المنجية من عذاب القبر كثيرة، وهي القيام بطاعة الله، فيفعل ما أمر الله به ويترك ما نهى الله عنه.

ومنها: التعوذ بالله من عذاب القبر، ولهذا أمرنا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن نتعوذ من عذاب القبر أمرًا عامًّا فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»(١)، وأمرنا أن نتعوذ بالله من عذاب القبر أمرًا خاصًّا بعد التشهد الأخير، حيث قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، فيقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»(٢).

ومن أسباب عذاب القبر: عدم التنزه من البول، والمشي بين الناس بالنميمة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول -أو قال: لا يستنزه من البول-، وأما الثاني فكان يمشي بالنميمة**» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، وغرز في كل قبر واحدة، قالوا: لِمَ صنعت هذا يا رسول الله؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم يَيْبَسَا**»(٣) فبين النبي ﷺ سبب عذابهما بأن أحدهما لا يستنـزه من البول، وأن الثاني كان يمشي بالنميمة، والنميمة هي نقل كلام الناس فيما بينهم على سبيل الإفساد، فيأتي للشخص ويقول: قال فلان فيك كذا، قال فلان فيك كذا، ليلقي العداوة بينهما.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه على شيء يفعله بعض الناس وهو إذا فُرِغَ من دفن الميت وُضِعَ عليه غصن أخضر من جريد النخل أو غيره، اقتداء برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حيث وضع الجريدة التي شقها نصفين على كل قبر واحدة، فإن هذا الذي يفعله بعض الناس بدعة، لأن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٢٨٦٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

رسول الله ﷺ ما كان يفعله على قبر كل ميت، وأيضًا فإن الرسول ﷺ فعله لسبب، وهو أن أصحاب القبرين يعذبان، فما يدري هذا الرجل أن صاحبه يعذب حتى يضع عليه هذا الغصن الأخضر؟ وأيضًا فإن وضع هذا الغصن الأخضر شهادة بالفعل على أن صاحب القبر يعذب، فيكون في ذلك إساءة ظن بصاحب القبر، لكن بعض الناس لا يتأملون ماذا يتفرع على أفعالهم من المفاسد، فتجدهم يأخذون بظاهر الحال ولا يتأملون حق التأمل، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

***

(٢٠٣) يقول السائل: يقال: إن الكافر عندما يوضع في القبر ويأتيه منكر ونكير، يأتيانه في صورٍ مخيفة ومرعبة، فهل المؤمن يرى منكرًا ونكيرًا بنفس الصورة التي يراهما فيها الكافر؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: من المعلوم أنه لا يستوي المؤمن والكافر فيما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه، وأن المؤمن ينعم في قبره، ويوسع له فيه، وينور له فيه، ويفتح له فيه بابٌ إلى الجنة، وأما الكافر فإنه يعذب في قبره، ويضيق عليه فيه حتى تختلف أضلاعه والعياذ بالله، ويفتح له بابٌ إلى النار.

وأما المساءلة حين السؤال: فإن الميت يأتيه ملكان يسألانه عن ثلاثة أشياء: عن ربه ودينه ونبيه، فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، وأما المرتاب فيقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. هذا هو ما عندي الآن حول الإجابة على هذا السؤال.

***

(٢٠٤) يقول السائل م.ع.م. من المدينة المنورة: ورد في الحديث الصحيح أن الميت عندما يوضع في قبره يسأل عن ثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟[1] بينما ورد عن الرسول ﷺ بأن ينتظر عند الميت بعد دفنه مقدار ما

---

(١) تقدم تخريجه.

تنحر الجزور.[1] السؤال: الأسئلة المذكورة أعلاه الثلاثة لا تستغرق سوى دقيقتين أو ثلاث دقائق، فهل هناك أسئلة أخرى تستغرق مقدار نحر الجزور؟ آمل إفادتي مشكورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لم يرد عن النبي ﷺ أن الناس يمكثون عند القبر بمقدار ما تنحر الجزور، وإنما جاء ذلك عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أما الوارد عن النبي ﷺ فإنه كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت**»[2]، فالذي أمر به النبي -عليه الصلاة والسلام- أن نقف بعد دفن الميت إذا فرغنا من دفنه، أن نقف عليه وأن نقول: اللهم اغفر له، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم ثبته، ثلاث مرات ثم ننصرف، هذا هو الوارد فليقتصر عليه.

***

(٢٠٥) يقول السائل وهو مصري يعمل بالعراق: قرأت في كتاب يسمى (دقائق الأخبار) ما يفيد أن الإنسان بعد الموت يدخل عليه في القبر ملك اسمه دومان، فيقول له: اكتب عملك. فيقول: أين قلمي وحبري وورقي؟ فيمسك سبابة يده اليمنى ويقول: هذا قلمك، ويشير إلى فمه من هنا حبرك، ويقطع قطعة من جلد يده ويقول: هذا ورقك. وروى الكثير مما يحدث بعد الموت، مثل استئذان الروح من ربها بعد أسبوع وتعود إلى البيت الذي كانت تعيش فيه. هل هذا صحيح؟ وهل هناك ما يثبت ذلك من القرآن والسنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا غير صحيح بل هو باطل، والأمور الغيبية لا يجوز الاعتماد فيها على شيء لم يثبت فيها عن الله ورسوله، لأن الأمور الغيبية لا يطلع عليها إلا الله -عز وجل-، أو من أطلعه الله عليه ممن اصطفاه من الرسل، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، رقم (٣٢٢١).

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وما ذكره مما يكون للإنسان بعد موته فهو باطل لا أصل له.

وإني أُحذر أخي السائل من قراءة مثل هذه الكتب، وما أكثر أنواعها في الوعظ والترغيب والترهيب، فإن كثيرًا من الكتب المصنفة في الوعظ والترغيب والترهيب فيها أحاديث لا زمام لها، وإنما يقصد واضعوها أن يقووا رغبة الناس أو رهبتهم، وهذا خطأ، أرجو الله أن يعفو عنهم إذا كان صادرًا عن حسن النية، فالحذر الحذر من مثل هذه الكتب، وما صح من سنة رسول الله ﷺ فيه كفايتنا عن هذه.

***

(٢٠٦) يقول السائل: كيف النجاة من فتنة القبر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النجاة من فتنة القبر أن يموت الإنسان على الإسلام، فإنه إذا مات على الإسلام أنجاه الله، لأنه إذا سئل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فسيجيب بالصواب، وحينئذ ينجو، فإن مات على نفاق -نسأل الله أن يعيذنا وإخواننا من النفاق- فإنه لن يجيب إذا سئل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ قال: ها. ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. فهذا لا ينجو من الفتنة، ويعذب في قبره والعياذ بالله.

***

(٢٠٧) يقول السائل: يقال: إنه إذا قامت القيامة فإن المسلمين الذين هم مؤدون للشريعة الإسلامية والمؤمنون بوجود الله ويوم القيامة فستأتيهم ريحٌ فيموتون، إلا الكفار فهم يرون أهوال يوم القيامة والأشياء التي تحصل حين قيام الساعة. ما مدى صحة ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هذا بصحيح، بل إذا قامت الساعة فإن جميع الناس مسلمهم وكافرهم يشاهدون هذا اليوم العظيم، وينالهم ما ينالهم من شدائده وهمومه وكروبه وغمومه، ولكن الله تعالى ييسره على المسلم، كما

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] فاليوم عسير وشديد، وعسره وشدته على الجميع، ولكن هذا العسر والشدة ييسر على المؤمنين، ويكون غير شاقٍ عليهم، بخلاف الكافرين.

***

(٢٠٨) يقول السائل: كيف يقوم الناس من قبورهم يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقوم الناس من قبورهم حفاةً عراةً غرلًا بُهمًا.

أما حفاةً فمعناه: أنه ليس في أقدامهم نعالٌ ولا خفاف ولا جوارب، وأما عراة فمعناه: أنه ليس عليهم ثياب، العورات بَادِيَة، كما خرجوا من بطون أمهاتهم يخرجون من بطون الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، غرلًا أي: غير مختونين، أي: إن القلفة التي تقطع في الختان في الدنيا -وهي الجلدة التي على رأس الذكر- تعاد يوم القيامة، حتى يخرج الناس من قبورهم كما خرجوا من بطون أمهاتهم غير مختونين، وأما بُهمًا فمعناه: أنه ليس معهم مال يعرفون به، فلا درهم ولا دينار ولا متاع ولا شيء، ما هي إلا الأعمال الصالحة، هكذا يخرج الناس من قبورهم لرب العالمين -جل وعلا-.

***

(٢٠٩) يقول السائل: هل صحيح أن يوم القيامة يخفف على المؤمن حتى يصير كأنه وقت قصير جدًّا؟ أرجو بهذا إفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن المؤمن يخفف عنه ذلك اليوم حتى يكون يسيرًا جدًّا، ودليل ذلك في كتاب الله -عز وجل-، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] وقال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

[القمر: ٨]، وكل هذا يدل أن هذا اليوم يكون يسيرًا على المؤمنين، وبقدر ما يكون الإيمان عند العبد يكون اليسر في ذلك اليوم، لأن الجزاء من جنس العمل، نسأل الله أن ييسر علينا وعلى إخواننا المسلمين أهوال ذلك اليوم.

***

(٢١٠) تقول السائلة من محافظة واسط العزيزية العراق: إنها فتاة مؤمنة بالله تعالى، تحاول جاهدة أن تلتزم بتعاليم الإسلام السمحة، تقول: كثيرًا ما يراودني أفكار كثيرة عن مصيري والحساب يوم القيامة، حيث يبعث الله الخلائق ويحاسب الإنسان بما عمل. سؤال يا فضيلة الشيخ وهو الذي يحيرني هو: أن يوم القيامة الذي يتم فيه الحساب هل هو يوم واحد أخير لا غير، يتم فيه حساب كافة الخلائق أم ماذا؟ أو لا يجوز لنا التفكير في ذلك؟ نرجو بهذا إفادة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال المقدم من هذه المرأة فيه إشكال يحتاج إلى الجواب كما قالت، وفيه أن المرأة أثنت على نفسها خيرًا بكونها مؤمنة بالله تعالى، وتحاول جاهدة تصديق الشريعة الإسلامية، وهذا الثناء على النفس إن أراد به الإنسان أن يتحدث بنعمة الله -عز وجل-، أو أن يتأسى به غيره من أقرانه ونظرائه فهذا لا بأس به، وإن أراد به الإنسان تزكية نفسه وإدلاله بعمله على ربه -عز وجل- فإن هذا فيه شيء من المنّة، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وأما إذا كان المراد به مجرد الخبر فلا بأس به، لكن الْأَوْلَى تركه، فالأحوال إذًا في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع:

الحال الأولى: أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه من نعمة الإيمان والثبات.

الثانية: أنه يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه على مثل ما كان عليه، فهاتان الحالان محمودتان، لما تشتملان عليه من هذه النية الطيبة.

الحال الثالثة: أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله -عز وجل- بما هو عليه من الإيمان والثبات، وهذا غير محمود، لما ذكرناه من الآية.

الحال الرابعة: أن يريد بذلك مجرد خبر عن نفسه لما هو عليه من الإيمان والثبات، فهذا جائز ولكن الأولى تركه.

أما المشكلة التي ذكرت في سؤالها وتريد الجواب عنها، وهي أن يوم الحساب يوم واحد أو أكثر؟ فجوابها: أن يوم الحساب يوم واحد، ولكنه يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ١-٤] أي: إن هذا العذاب يقع للكافرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب ذهب و لافضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى به جبينه وجنبه و ظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد**»[1]. وهذا يوم طويل، وهو يوم عسير على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٦] وقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ [المدثر: ١٠].

ومفهوم هاتين الآيتين أنه على المؤمن يسير، وهو كذلك، فهذا اليوم الطويل بما فيه من الأهوال والأشياء العظيمة ييسره الله تعالى على المؤمن، ويكون عسيرًا على الكافر، أسأل الله أن يجعلني وإخواني المسلمين ممن ييسره الله عليهم يوم القيامة.

والتفكير والتعمق في مثل هذه الأمور الغيبية هو من التنطع الذي قال النبي ﷺ فيه: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون)[2]،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

(٢) تقدم تخريجه.

ووظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التسليم، وأخذ الأمور على ظاهر معناها، دون أن يتعمق أو يحاول المقارنة بينها وبين الأمور في الدنيا، فإن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا، وإن كانت تشبهها في أصل المعنى وتشاركها في ذلك، لكن بينهما فرق عظيم.

وأضرب لك مثلًا بما ذكره الله -سبحانه وتعالى- في الجنة من النخل، والرمان، والفاكهة، ولحم الطير، والعسل، والماء، واللبن، والخمر وما أشبه ذلك، مع قوله -عز وجل-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وقوله في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(١)، فهذه الأسماء التي لها مسميات في هذه الدنيا لا تعنى أن المسمى كالمسمى، وإن اشترك في الاسم وفي أصل المعنى، فكل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى لا تكون مماثلة له في الحقيقة، فينبغي للإنسان أن ينتبه لهذه القاعدة، وأن يأخذ أمور الغيب بالتسليم على ما يقتضيه ظاهرها من المعنى، وأن لا يحاول شيئًا وراء ذلك.

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحض -أي: العرق- وصار يتصبب عرقًا، وذلك لعظم السؤال في نفسه، ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التي كانت ميزانًا لجميع ما وصف الله به نفسه، قال رحمه الله: «**الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**».

فالسؤال المتعمق في مثل هذه الأمور بدعة، لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أشد منا حرصًا على العلم والخير لم يسألوا النبي ﷺ مثل هذه الأسئلة، وكفى بهم قدوة.

---

(١) تقدم تخريجه.

وما قلته الآن بالنسبة لليوم الآخر يجري بالنسبة لصفات الله -عز وجل- التي وصف الله بها نفسه، من العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك، فإن مسميات هذه الألفاظ بالنسبة لله -عز وجل- لا يماثلها شيء مما يشاركها في هذا الاسم بالنسبة للإنسان، فكل صفة فإنها تابعة لموصوفها، كما أن الله -سبحانه وتعالى- لا مثيل له في ذاته فلا مثيل له في صفاته.

وخلاصة الجواب: أن اليوم الآخر يوم واحد، وأنه عسير على الكافرين، ويسير على المؤمنين، وأن ما ورد فيه أنواع الثواب والعقاب أمر لا يدرك كنهه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان أصل المعنى فيه معلومًا لنا في هذه الحياة الدنيا.

***

(٢١١) يقول السائل م. ع. م. من بغداد العراق: ما حكم الشرع في نظركم يا فضيلة الشيخ في حكم الطفل الذي يُولَدُ متخلفًا عقليًّا؟ وهل ورد في أحاديث الرسول ﷺ ما يشير إلى ذلك؟ وهل هناك تفسير لآياتٍ قرآنية كريمة تتعلق بذلك؟ وهل يحاسب يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المولود وهو متخلفٌ عقليًّا حكمه حكم المجنون ليس عليه تكليف، فلا يحاسب يوم القيامة، ولكنه إذا كان من أبوين مسلمين أو أحدهما مسلم فإن له حكم الوالد المسلم، أي: إن هذا الطفل يكون مسلمًا فيدخل الجنة، وأما إذا كان من أبوين كافرين، فإن أرجح الأقوال أنه يمتحن يوم القيامة بما أراد الله -عز وجل-، فإن أجاب وامتثل أدخل الجنة، وإن عصى أدخل النار، هذا هو القول الراجح في هؤلاء، وهذا القول منطبق على من لم تبلغهم دعوة الرسول ﷺ، كأناسٍ في أماكن بعيدة عن بلاد الإسلام، ولا يسمعون عن الإسلام شيئًا، فهؤلاء إذا كان يوم القيامة امتحنهم الله -سبحانه وتعالى- بما شاء، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

قد يقول قائل: كيف يمتحنون وهم في دار الجزاء، وليسوا في دار التكليف؟ فجوابنا على هذا:

أولًا: إن الله -سبحانه وتعالى- يفعل ما يشاء، فله أن يكلف عباده في الآخرة كما كلفهم في الدنيا، ولسنا نحن نحجر على الله -عز وجل-.

ثانيًا: إن التكليف في الآخرة ثابت بنص القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣]، فدلت هذه الآية على أن التكليف قد يقع في الآخرة.

فالذي وُلِدَ متخلفًا عقليًّا حكمه حكم المجانين، وليس عليه تكليف، وحكمه حكم أبويه إن كانا كافرين، وإن كانا مسلمين أو أحدهما فهو مسلم.

وبهذا الجواب يتبين حكم هذا المولود المتخلف عقليًّا، وما ذكرناه فإنه مقتضى دلالة الكتاب والسُّنَّة، فإن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن الصغير حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ.(١)

يقول السائل: **هل هناك تفسير لآيات قرآنية كريمة تتعلق بذلك؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كما قلت قبل قليل القرآن والسنة، كلٌّ منهما يدل على أن المجنون ومن في حكمه ليس عليه تكليف.

يقول السائل: **وهل وجود طفل متخلف في العائلة هو عقوبة للوالدين؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المصائب التي تصيب الإنسان تارةً تكون عقوبة، وتارةً تكون امتحانًا، تارةً تكون عقوبة إذا فعل الإنسان محرمًا أو ترك واجبًا، فقد يعجل الله له العقوبة في الدنيا، ويصيبه بما شاء من مصيبة، وقد يصاب الإنسان بمصيبة لا عقوبة على ترك واجبٍ أو فعل محرم، ولكن من باب الامتحان يمتحن الله بها الإنسان، ليعلم -عز وجل- أيصبر أو لا يصبر؟ وإذا صبر كانت هذه المصيبة منحة لا محنة، يرتقي بها هذا الإنسان إلى المراتب العالية وهي مرتبة الصابرين، لأن الصبر لا يحصل إلا بشيءٍ يصبر عليه، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، تعليقا.

كان رسول الله ﷺ يوعك -يعني: يمرض- كما يوعك الرجلان منا، أي: يشدد عليه في الوعك، لأجل أن ينال بذلك أعلى درجات الصابرين -عليه الصلاة والسلام-.

***

(٢١٢) يقول السائل: ما مصير الأطفال الذين يموتون دون البلوغ والتكليف، سواءٌ كانوا مسلمين أو غير مسلمين، في الآخرة؟ وهل الحديث الذي معناه: «كل مولودٍ يولد على الفطرة»[(١)] ينطبق حتى على أطفال غير المسلمين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مصير أطفال المؤمنين الجنة، لأنهم تبعٌ لآبائهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وأما أطفال غير المؤمنين، يعني: الطفل الذي نشأ من أبوين غير مسلمين، فأصح الأقوال فيهم أن نقول: الله أعلم بما كانوا عاملين، فهم في أحكام الدنيا بمنزلة آبائهم، أما في أحكام الآخرة فإن الله أعلم بما كانوا عاملين، كما قال النبي ﷺ: **«والله أعلم بما كانوا عاملين»**[(٢)] هذا ما نقوله، وهو في الحقيقة أمرٌ لا يعنينا كثيرًا، إنما الذي يعنينا هو حكمهم في الدنيا، وأحكامهم في الدنيا أنهم كالمشركين، بمعنى: أنهم لا يغسلون، ولا يكفنون، ولا يصلى عليهم، ولا يدفنون في مقابرنا.

***

(٢١٣) يقول السائل: ما مصير أطفال المشركين أو الكفار الذين يموتون؟ هل هم في النار أم في الجنة؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥)، مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٤)، مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أطفال المشركين والكفار: إذا كان الأم والأب كلاهما كافرًا فإن هؤلاء الأولاد لهم حكم الكفار في الدنيا، فلا يغسلون، ولا يكفنون، ولا يصلى عليهم، ولا يدفنون في مقابر المسلمين.

أما في الآخرة فأصح أقوال أهل العلم في ذلك أنهم لا يعلم مصيرهم، وأن علمهم إلى الله -عز وجل-، لأنهم ممتحنون يوم القيامة بما أراده الله، فإن امتثلوا وأطاعوا دخلوا الجنة، وإلا فهم في النار.

***

(٢١٤) يقول السائل: هل التائب من الذنوب لا يحاسب على ذنوبه الماضية إذا تاب توبة صادقة؟ وهل مرتكبوا الكبائر إذا تابوا تقبل منهم توبتهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم إذا تاب الإنسان توبة نصوحًا فإن الله تعالى يقبل منه مهما عظم الذنب، دليل ذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه عامة ليس فيها تفصيل، أن مَنْ تاب من أي ذنب فإن الله يتوب عليه، وقال تعالى في التفصيل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فالذنب مهما عظم إذا تاب الإنسان منه توبة نصوحًا غفره الله -عز وجل-، فهنا تجد أن الله تعالى ذكر الشرك وقتل النفس بغير حق والزنى، وكلها عدوان عظيم، الأول: عدوان في حق الخالق -عز وجل-، والثاني: عدوان على النفس في حق المخلوق، والثالث: عدوان على العرض في حق المخلوق، ومع ذلك إذا تاب الإنسان وآمن وعمل عملًا صالحًا بدَّل الله سيئاته حسنات.

ألم تر إلى قوم كانوا مشركين مضادين لدعوة الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فهداهم الله، وتابوا، وصاروا من قادة الأمة الإسلامية؟

لكن إذا كانت المعصية في حق مخلوق فلا بد من إيصال الحق إلى أهله، فلو سرق الإنسان مال شخص وتاب من السرقة تاب الله عليه، لكن لا بد أن يعيد المال إلى مالكه، لأنها لا تتم التوبة فيما يتعلق بحق المخلوق إلا برد الحق إلى أهله.

***

(٢١٥) يقول السائل: ما الفرق بين الكوثر والحوض؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الفرق بينهما أن الكوثر نهرٌ في الجنة أعطاه الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وأما الحوض فإنه في عرصات القيامة، يصب عليه ميزابان من الكوثر، هذا الحوض عظيم، طوله شهرٌ، وعرضه شهر، يرِدُه المؤمنون من أمة محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، جعلنا الله وإياكم ممن يرده ويشرب منه، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، وريحه أطيب من ريح المسك، وآنيته كنجوم السماء في حسنها وكثرتها.

***

(٢١٦) يقول السائل:ما هو الحوض المورود ما هو؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحوض المورود حوض يكون في عرصات القيامة للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، طوله شهر وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء في الكثرة والجمال، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، يصب عليه ميزابان من الكوثر الذي في الجنة الذي أعطيه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

أما أثره: فمن شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبدًا، اللهم اجعلنا ممن يشرب منه، اللهم اجعلنا ممن يشرب منه، اللهم اجعلنا ممن يشرب منه يا رب العالمين.

***

(٢١٧) يقول السائل: بالنسبة لحديث الحوض والذي يَرِدِ فيه الناس والذي يكون الرسول ﷺ قائمًا عليه، من هم هؤلاء الناس الممنوعون من الشرب؟ أهم أصحاب البدع؟ وهل للبدع أنواع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الممنوع من الشرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة كل من أحدث في دين الله ما ليس منه، لأن النبي ﷺ يقال له: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. وكلما كان الإنسان أقوى في اتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان وروده أضمن، ولهذا قيل: من ورد على شريعته فشرب ورد على حوضه فشرب، ومن لا فلا، ولكلٍ درجات مما عملوا.

وأما قول السائل: هل البدع أنواعٌ؟ نعم البدع أنواع متعددة كثيرة، منها ما يوصل إلى الكفر، ومنها ما دون ذلك.

***

(٢١٨) يقول السائل م. ع. ح، يمني مقيم بمكة المكرمة: نعرف أن الصراط حق لا ريب، وأنه لا بد من العبور عليه، ولكننا سمعنا حديثًا عن صفته يقول بأن طوله مسيرة مائة عام في الاستواء، ومائة عام في الطلوع، ومائة عام في الهبوط، وأنه على متن جهنم. فهل هذا الحديث صحيح؟ وإن لم يكن كذلك فما هي حقيقته؟ ومتى يؤذن لمن تجاوزه بدخول الجنة؟ وما حكم من أنكر وجوده؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصراط كما ذكر السائل حق، واعتقاد وجوده واجب، وهو مما يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة.

والصراط عبارة عن جسر ممدود على متن جهنم أَدَقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف، وأما كون طوله كما ذكر السائل فإني لا أعلم في ذلك حديثًا صحيحًا عن النبي ﷺ، وهذا الصراط يعبر الناس عليه على قدر أعمالهم: منهم السريع، ومنهم البطيء، على حسب سيرهم على صراط الله المستقيم في هذه الدنيا، فمن كان مستقيمًا على الصراط في هذه الدنيا مسابقًا إلى الخيرات كان

مستقيمًا على صراط الآخرة سابقًا فيه، ومن كان دون ذلك كان دون ذلك، وربما يمر بعض الناس به فيلقى في جهنم ويعذب فيها بقدر عمله ثم ينجو، وأما الكافرون فإنهم لا يعبرون على هذا الصراط، وإنما يحشرون إلى جهنم وردًا، كما قال الله -عز وجل-، بدون أن يعبروا على ذلك الصراط، لأنهم لم يكونوا عابرين على الصراط في هذه الدنيا، فيكون جزاؤهم أن يحشروا إلى النار بدون أن يعبروا على هذا الصراط.

وأول من يجوز بأمته محمد ﷺ، ثم بعد هذا الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ويقتص لبعضهم من بعض، ثم يدخلون الجنة بعد أن يشفع النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى ربه في فتح أبواب الجنة، فيشفع إلى الله -عز وجل- أن تفتح أبواب الجنة فتفتح، ويكون أول من يدخلها محمدٌ ﷺ.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: ما حكم من أنكر وجوده؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حكم من أنكر وجوده: إن كان جاهلًا فإنه يعلَّم حتى يتبين له، فإذا بلغ بالأحاديث الواردة في ذلك فإنه يجب عليه أن يعتقده، فإن أنكره -مع علمه أن النبي ﷺ أخبر به- كان مرتدًّا كافرًا، لتكذيبه رسول الله ﷺ.

***

(٢١٩) يقول السائل: ما صفة الصراط عند المرور عليه؟ وهل ورد له صفة معينة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصراط هو جسر يوضع على النار، يعبر منه المؤمنون إلى الجنة -جعلنا الله وإياكم منهم- يمر الناس به على قدر أعمالهم، إما كلمح البصر، أو كالبرق، أو كالريح، أو كالفرس الجواد، أو كالإبل، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُكَرْدَسُ في نار جهنم ويعذب بقدر ذنوبه.

أما صفته فقد ورد أنه أَحَدُّ من السيف وأدق من الشعر، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه طريقٌ واسع، واستدلوا بقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله

وسلم-: «**إنه دحض ومزلة**»(١)، وهذا لا بد أن يكون واسعًا يسلكه الناس، وليس المهم أن نعرف هل هو واسع أو ضيق، المهم أن نعرف كيف يسير الناس عليه، ولماذا اختلف سير الناس عليه، فبعضهم كلمح البصر، وبعضهم كالبرق، وبعضهم يزحف، وبعضهم يلقى في النار.

والجواب: أن هذا على حسب أعمالهم في الدنيا وتلقيهم لشريعة الله، فمن كان مسرعًا لتلقي شريعة الله مسارعًا في الخيرات كان عبوره على الصراط يسيرًا خفيفًا سريعًا، ومن كان متباطئًا في شريعة الله وقبولها صار سيره على الصراط كعمله جزاءً وفاقًا.

***

(٢٢٠) يقول السائل: ذكر بعض المتحدثين بأن الصراط طوله ثلاثة آلاف سنة، فهل هذا ثابت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا ليس بثابت.

***

(٢٢١) يقول السائل: من صلى في المسجد النبوي ثمانين صلاة متتابعة، مع **الحضور قبل الصلاة ليلحق تكبيرة الإحرام، ويشفع له الرسول ﷺ يوم القيامة، فهل هذا صحيح؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا أعرف عن صحة هذا شيئًا، ولكن شفاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- لها أسبابٌ أخرى كثيرة:

منها: أن من أجاب المؤذن، ثم بعد فراغه صلى على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وسأل الله له الوسيلة، فإنها تحل له، أو تجب له شفاعة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩).

(٢٢٢) يقول السائل أ. م. من السودان: هل الأطفال الذين يموتون وهم صغار يشفعون لوالديهم يوم القيامة؟ أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا مات للإنسان أطفال فصبر واحتسب، فإنهم يكونون له حجابًا من النار وسترًا من النار، ويدخل بهم الجنة، أما إذا لم يصبر ولم يحتسب فإنه سيفوته من الأجر بقدر ما فاته من الصبر.

***

(٢٢٣) يقول السائل: هل يشفع الابن الصالح والولد الصالح لوالديه في الآخرة؟ وكيف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الأولاد الصغار الذين ماتوا وهم صغار: فإنه قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنهم يكونون سترًا وحجابًا من النار لوالديهم، وأما البالغون فيشفعون لآبائهم في الحال التي يُؤْذَنَ لهم فيها، ومن الشفاعة الدعاء للميت، فإن الدعاء للميت شفاعةٌ له، لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**ما من رجلٍ مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه**»[1] وهذا يدل على أن الدعاء للغير شفاعةٌ له، ومن ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[2] فذكر الدعاء، لأن الدعاء شفاعةٌ للمدعو له.

فأنا أحث إخواننا على كثرة الدعاء لوالديهم أحياءً أم أمواتًا، لأن ذلك طريق الأولاد الصالحين الذين امتثلوا قول الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

(٢٢٤) تقول السائلة أ. إ. س. من العراق، محافظة التأمين: وضعت طفلًا ميتًا بعد رمضان العام الماضي، وقد صمت الشهر كله ولله الحمد. والسؤال هو: هل يأتي يوم القيامة كبيرًا، كما سمعت من بعض النساء؟ هل لي أجر حمله تسعة أشهر وساعات ولادته العسيرة؟ وضحوا لنا ذلك بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الطفل الذي ذكرته السائلة أنه مات، وتسأل: كيف يأتي يوم القيامة؟ جوابي على هذا: إننا لا نعلم كيف يأتي هذا الطفل يوم القيامة، ولكن قد ثبت أن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فالحفاة ليس عليهم نعال ولا خفاف، والعراة ليس عليهم ثياب، والغرل جمع أغرل، وهو الذي لم يختن، أي: إن جلدة الختان تعود يوم القيامة.

وأما سؤالها: هل لها أجر على ما حصل لها من المشقة على حمله والتعب في وضعه؟ فجوابه أن نقول: إن لها أجرًا في ذلك، فإنه لا يصيب المرأة، بل لا يصيب الإنسان، من هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله عنه، حتى الشوكة إذا أصابته وحصل فيها ألم فإنه يكفر به عنه من سيئاته، وإذا صبر واحتسب الأجر من الله كان له مع تكفير السيئات زيادة في حسناته على صبره، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فالمصائب التي تصيب الإنسان تكفير، ومع الصبر عليها و احتساب الأجر تكون مع التكفير زيادة في الحسنات.

***

(٢٢٥) تقول السائلة ح. م. أ. الرياض: كما نعلم يا فضيلة الشيخ من القرآن الكريم والسنة المطهرة مآل المشركين في الآخرة، سؤالي هو عن أطفالهم الصغار إذا ما ماتوا، ما حكم ذلك يا فضيلة الشيخ؟ أرجو إفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا مات أطفال الكفار وهم لم يبلغوا سن

التمييز فيُسلموا، وكان أبوه وأمه كافرين، فإن حكمه حكم الكفار في الدنيا، أي: لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين، لأنه كافر بأبويه، هذا في الدنيا.

أما في الآخرة: فالله أعلم بما كانوا عاملين، وأصح الأقوال فيهم أن الله -سبحانه وتعالى- يختبرهم يوم القيامة بما يشاء من تكليف، فإن امتثلوا أدخلهم الله الجنة، وإن أبوا أدخلهم النار. وهكذا نقول في أهل الفترة ومن لم تبلغهم الرسالات: إنهم إذا كانوا لا يدينون بالإسلام حكمهم في الدنيا حكم الكفار، وأما في الآخرة فالله أعلم بما كانوا عاملين، يختبرون ويكلفون بما يشاء الله -عز وجل- وما تقتضيه حكمته، فإن أطاعوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار.

***

(٢٢٦) يقول السائل: جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يشفع للعبد[1]، يقول: يا رب إلى آخره، فكيف الجمع بين ذلك وبين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، والحديث فيه أن القرآن يقول: يا رب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث إذا صح -لأن بعض أهل العلم ضعفه- فإن الله -سبحانه وتعالى- قادر على أن يكون هذا القرآن الكريم يُمَثَّل جزاؤه وأجره بشيء يتكلم فيتكلم، كما أن الموت -وهو معنى من المعاني- يمثل يوم القيامة على صورة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، يشهده أهل الجنة وأهل النار.

فالمعنى -الذي هو عمل الإنسان، وهو قراءته، وثواب الإنسان على هذه القراءة- قد يجعله الله شيئًا ينطق ويتكلم ويقول: يا رب، هذا إن صح الحديث.

***

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤).

(٢٢٧) يقول السائل: هل صحيح أن الإنسان الذي يموت يكون إما في سجين وإما في عليين، جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هكذا جاءت به السنة أن الله -سبحانه وتعالى- يقول في الرجل الفاجر: «**اكتبوا كتاب عبدي في سجين، في الأرض السفلى**» وإذا كان من الأبرار قال: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين**»(1) وهكذا في الآخرة الناس إما في سجين وإما في عليين، إما في الجنة وإما في النار، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٤-١٦] وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

وإنني بهذه المناسبة أنبه على مسألة يقولها بعض الناس وهم لا يشعرون، وهي أنهم إذا تحدثوا عن شخص مات قالوا: ثم انتقل إلى مثواه الأخير، يعنون بذلك القبر، وهذا غلط واضح، لأن القبر ليس هو المثوى الأخير، بل المثوى الأخير إما الجنة وإما النار، أما القبر فإن الإنسان يأتيه ثم ينتقل عنه، وما مجيئه في القبر إلا كزائر بقي مدة ثم ارتحل.

وقد ذكر أن بعض الأعراب سمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١-٢] فقال هذا الأعرابي: والله لنُبعثَنَّ، لأن الزائر ليس بمقيم.

ولهذا يجب الحذر من إطلاق هذه الكلمة -أعني: القول بأنه انتقل إلى مثواه الأخير- لأن مضمونها إنكار البعث وأنه لا بعث، ونحن نعلم أن المسلم إذا قالها لا يريد هذا المضمون، لكنها تجري على لسانه تقليدًا لمن قالها من حيث لا يشعر، فالواجب الحذر منها والتحذير منها.

***

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧).

(**٢٢٨) يقول السائل ح. أ. من اليمن**: لدينا طلاب متفقهون في الشرع، ويقولون بأن الله -عز وجل- سيرى يوم القيامة، فهل هذا صحيح؟ أرجو الإفادة مع الدليل من الكتاب والسُّنَّة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رؤية الله تعالى يوم القيامة صحيح ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة ذلك في كتاب الله قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فناضرة الأولى بمعنى حسنة، وناظرة الثانية من النظر بالعين، ولهذا أضيف النظر إلى الوجوه التي هي محل الأعين.

ومن ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فقد فسر النبي ﷺ الحسنى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله -عز وجل-.

ومن ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يعني في ذلك الفجار، وهذا دليل على أن الأبرار يرون الله -عز وجل-، لأن الله تعالى لما حجب هؤلاء في حال سخط كان المفهوم أن الله تعالى لا يحجب هؤلاء في حال الرضا، أعني: الأبرار.

ومن ذلك قول الله -تبارك وتعالى-، وهي الآية الرابعة: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فإن المزيد ينبغي أن يفسر بما فسرت به الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والذي فسر الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله هو النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، ولا شك أن النبي ﷺ أعلم الناس بمراد الله تعالى في كلامه.

وأما السنة: فالأحاديث في ذلك متواترة عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فقد تواتر عن النبي ﷺ أن الله يرى بالعين يوم القيامة، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل**

غروبها فافعلوا»[١] والصلاة التي قبل طلوع الشمس هي صلاة الفجر، والتي قبل غروبها هي صلاة العصر، وهاتان الصلاتان أفضل الصلوات، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**من صلى البردين دخل الجنة**»[٢] وقد صرح النبي ﷺ في أحاديث أخرى تصريحًا بالغًا من أقوى التصريحات فقال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة عيانًا بأبصاركم، كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**»[٣].

وأمَّا إجماع السلف: فهو أمر مشهور لا يخفى على أحد، ولهذا صرح بعض العلماء بأن من أنكر رؤية الله في الجنة فهو كافر، لأنه كَذَّبَ القرآن والسنة، وخالف إجماع السلف، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥] ولولا أننا نفضل الدعاء للمنكرين على الدعاء عليهم لقلنا: نسأل الله تعالى أن يحتجب عمَّن أنكروا رؤيته في الآخرة، ولكننا لا نفضل ذلك، بل نقول: نسأل الله تعالى الهداية لمن التبس عليه الأمر، وأن يقر ويؤمن بما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

والعجب أن من الناس من ينكر رؤية الله في الآخرة بشبه يأتي بها من القرآن والسنة، أو بشبه عقلية لا أساس لها من الصحة، فمنهم من قال: إن رؤية الله تعالى غير ممكنة في الآخرة، لأن موسى -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ** ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقرروا دليلهم ذلك بأنّ (لن) تفيد التأبيد، والتأبيد يقتضي أن يكون هذا عامًّا في الدنيا والآخرة، فيكون قوله: لن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم (٥٧٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الفجر والعصر، رقم (٦٣٥).

(٣) تقدم تخريجه.

تراني، أي في الدنيا وفي الآخرة. ولا شك أن هذا لبس وتلبيس وتخبيط، لأن موسى إنما سأل الله الرؤية في تلك الساعة، بدليل أن الله تعالى قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وسؤال موسى الرؤية يدل على إمكانها، إذ لو لم تكن ممكنة عقلًا ما سألها موسى -عليه الصلاة والسلام-، لكن الإنسان في الدنيا لا يستطيع أن يرى الله -عز وجل-، وذلك لقصوره وضعفه، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»(١)، ويدل لهذا أن الله تعالى لما تجلى للجبل اندك الجبل وهو الحجر الأصم، فكيف يمكن لجسم ابن آدم الضعيف أن يثبت لرؤية الله -عز وجل- في هذه الدنيا؟

أما في الآخرة فشأنها غير شأن الدنيا، وفي الآخرة من الأمور ما لا يمكن إطلاقًا في الدنيا: دنو الشمس قدر ميل يوم القيامة، لو حدث ذلك في الدنيا لاحترقت الأرض ومن عليها، كون الناس في الموقف يختلفون، يعرقون فيختلفون في العرق، منهم من يصل إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حِقْوَيْه، هذا أمر لا يمكن في الدنيا، لكنه في الآخرة ممكن، كون الناس يمشون على الصراط، وهو كما جاء في مسلم بلاغًا «**أدق من الشعر وأحد من السيف**»(٢) أمر لا يمكن في الدنيا، ويمكن في الآخرة، كون الناس يقفون خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون، حفاة عراة غرلًا، هذا لا يمكن في الدنيا وأمكن في الآخرة.

فإذا كانت رؤية الله في الدنيا لا تمكن فإنه لا يلزم من ذلك ألا تمكن في الآخرة، وأما دعواهم أن (لن) تفيد التأبيد فدعوى غير صحيحة، فإن الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

تعالى قال في أهل النار: إنهم لن يتمنوا الموت أبدًا بما قدمت أيديهم، قال ذلك في اليهود، وقال عن أهل النار يوم القيامة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] أي: ليهلكنا ويمتنا حتى نستريح، فهنا تمنوا الموت وسألوا الله تعالى أن يقضي عليهم، ولكن لا يتسنى لهم ذلك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ولهذا قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

المهم أن من العقيدة عند السلف الواجبة أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى يرى يوم القيامة، ولكن متى يُرَى؟ يُرى في الجنة إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، فإن الله تعالى يكشف لهم كما شاء ومتى شاء وكيف شاء، فيرونه في عرصات القيامة، لا يراه الكافرون، يراه المؤمنون والمنافقون، ثم يحتجب الله تعالى عن المنافقين.

والخلاصة: أنه يجب علينا أن نؤمن بأن الله تعالى يُرَى يوم القيامة رؤية حق بالعين، فإن قال قائل: وإذا رُئِيَ هل يدرك كما يدرك الرائي وجه مرئيه؟ قلنا: لا، لا يمكن أن يدرك، لأن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والعجب أن المنكرين لرؤية الله في الآخرة استدلوا بهذه الآية على أنه لا يرى، وهو استدلال غريب، فإن الآية تدل على أنه يُرى أكثر مما تدل على أنه لا يرى، بل إنه ليس فيها دلالة إطلاقًا على أنه لا يُرى، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك أخص من الرؤية، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، بل إنما يقتضي وجود الأعم، فنفي الإدراك دليل على وجود أصل الرؤية، ولهذا جعل السلف هذه الآية من الأدلة على ثبوت رؤية الله -عز وجل- في الآخرة، وهو استدلال صحيح واضح.

***

(٢٢٩) يقول السائل وهو سوداني مقيم بالمملكة منطقة الباحة: يذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى القول بأن مصير الموحدين إلى الجنة في نهاية المطاف، وجاء في الحديث: «أنه لا يدخل الجنة قاطع رحم»[1]، وأيضًا جاء: «لا يدخل الجنة نمام»[2]، فهل الموحدون من هاتين الفئتين لا يدخلون الجنة كما هو ظاهر هذه النصوص؟ أم كيف يكون الجمع بينهما؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه النصوص وأمثالها من أحاديث أو من نصوص الوعيد هي التي جعلت طائفة الخوارج والمعتزلة أن يقولوا بخلود أهل الكبائر في النار، لأنهم أخذوا نصوص الوعيد ونسوا نصوصًا أخرى تعارضها، وهي ما ثبت في أدلة كثيرة من أن الموحدين، أو من في قلبه إيمان ولو مثقال حبة من خردل فإنه لا يخلد في النار، كما أن عمومات الأدلة الدالة على الرجاء، وأن المؤمن يدخل الجنة، حملت المرجئة على ألا يعتبروا بنصوص الوعيد، وقالوا: إن المؤمن ولو كان فاسقًا لا يدخل النار، فهؤلاء أخذوا بعمومات هذه الأدلة، وأولئك أخذوا بعمومات أدلة الوعيد، فهدى الله أهل السُّنَّة والجماعة إلى القول الوسط الذي تجتمع فيه الأدلة، وهو: أن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان، وأنه مُستحق للعقوبة، ولكن قد يعفو الله عنه فلا يدخله النار، وقد يدعى له فيعفى عن عقوبته، وقد تكفر هذه العقوبة بأسباب أخرى، وإذا قُدِّرَ أنه لم يُحَصِّلْ شيئًا يكون سببًا لتكفيرها فإنه يعذب في النار على قدر عمله، ثم يكون في الجنة، هذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

وعلى هذا: فأحاديث الوعيد المطلقة أو العامة كما في الحديثين اللذين أشار إليهما السائل: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»،«**لا يدخل الجنة نمام**» تحمل على أن المعنى لا يدخلها دخولًا مطلقًا، أي: دخولًا كاملًا بدون تعذيب، بل لا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم قاطع الرحم، رقم (٥٩٨٤)، مسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم (١٠٥).

بد أن يتقدم ذلك التعذيب، إن لم يوجد ما يمحو ذلك الإثم من عفو الله أو غيره، فيكون معنى «**لا يدخلون الجنة**» أي: الدخول المطلق الكامل الذي لم يسبق بعذاب، وبهذا تجتمع الأدلة.

يقول هذا السائل: هل السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة هؤلاء إيمانهم يكون كاملًا، ومن هم الذين يعذبون في النار ويدخلون الجنة؟ والذين يبقون في النار خالدين فيها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الناس الذين يبقون في النار خالدين فيها فهؤلاء الكفار الذين ليس لهم حسنات، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وقد ذكر الله تعالى خلود الكافرين الأبدي في القرآن في ثلاثة مواضع:

الأول: في النساء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٩].

والثاني: في الأحزاب في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

والثالث: في سورة الجن في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣]، وأما أهل المعاصي من المؤمنين فهؤلاء مستحقون لدخول النار والعذاب فيها بقدر ذنوبهم، ولكن قد يغفر الله لهم فلا يدخلون النار، وقد يشفع لهم فلا يدخلون النار.

وهناك أناس يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهم الذين وصفهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بقوله: «**لا يَسْتَرْقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[1].

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، رقم (٥٧٠٥)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٨).

(٢٣٠) يقول السائل: فضيلة الشيخ، ما الدليل من الكتاب والسُّنَّة على دخول الرجل المسلم العاصي النار، ومن ثم خروجه إلى الجنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الدليل على هذا أحاديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- وردت كثيرًا بأن عصاة المؤمنين يدخلون النار، يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، ومنهم من يخرج بالشفاعة قبل أن يستوفي ما يستحقه من عقوبة، ومنهم من يغفر الله له بفضله ورحمته فلا يدخل النار.

عصاة المسلمين ثلاثة أقسام: قسم يغفر الله له ولا يدخل النار أصلًا، وقسم آخر يدخل النار ويعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج، وقسم ثالث يدخل النار ويعذب، ولكن يكون له الشفاعة، فيخرج من النار قبل أن يستكمل ما يستحقه من العذاب.

***

(٢٣١) يقول السائل: هل يخلد صاحب الشرك الأصغر في النار؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يخلد صاحب الشرك الأصغر في النار، لأن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، والذي يخلد به الإنسان في النار -أعاذنا الله منها- هو الشرك الأكبر، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، ولكن هل يكون الشرك الأصغر داخلًا تحت المشيئة كسائر الذنوب، أو لا بد فيه من توبة؟ هذا يحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] عامًّا للشرك الأصغر والأكبر، أي: إنه لا يغفر، لكن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار.

ويحتمل أن يقال: إن المراد بالشرك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] الشرك الأكبر، فيكون الشرك الأصغر داخلًا تحت قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفضل الله -سبحانه وتعالى- أوسع مما نتصور، فنرجو أن يكون الشرك الأصغر داخلًا تحت المشيئة.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه إلى مسألة حول هذه الآية، أعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فإن بعض المتهاونين بالمعاصي إذا نُهُوا عن المعصية قال: إن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فجميع المعاصي داخلة تحت مشيئته، فيتهاون بالمعصية من أجل هذا الذي ذكره الله تعالى فيما دون الشرك.

فنقول له: أنت على كل حال مخاطر، فهل تعلم أن الله تعالى يشاء أن يغفر لك؟ إنك لا تدري، فربما تكون من الذين لا يشاء الله أن يغفر لهم، فأنت مخاطر، والخطر أمر منهي عنه.

ثم إن هناك أدلة أخرى محكمة ليس فيها اشتباه، وهي: وجوب التوبة إلى الله -عز وجل-، فقد قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

***

(٢٣٢) يقول السائل ع. أ. الطائف، الحوية: فضيلة الشيخ هل أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ يخلدون في النار أم لا؟ وهل تَحِلُّ لهم الشفاعة أم لا؟ وكيف يكون ذلك؟ أرجو منكم الإفادة مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أهل الكبائر التي دون الكفر لا يخلدون في النار، لقول الله تبارك تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وهم من أهل الشفاعة الذين يشفع فيهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وهذا لا يعني أن الإنسان يتهاون بالكبائر، فإن الكبائر ربما توجب انْطِمَاسَ القلب حتى تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله، كما قال الله -تبارك وتعالى- في سورة المطففين: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٠-١٤]، فهذا يشير إلى أن القلوب قد يُرَانُ عليها فترى الحق باطلًا، كما ترى الباطل حقًّا.

فعلى الإنسان أن يستعتب من كبائر ذنوبه قبل ألا يتمكن من ذلك، وأن يتوب إلى الله -عز وجل-.

***

(٢٣٣) تقول السائلة من الرياض: هل المسلم إذا دخل الجنة يتعرف على أقاربه الذين في الجنة؟ وهل يذكر أهله بعد موته ويعرف أحوالهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الشق الأول من السؤال، وهو: إذا دخل أحد الجنة هل يتعرف على أقاربه؟

فجوابه: نعم يتعرف على أقاربه وغيرهم من كل ما يأتيه سرور قلبه، لقول الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] بل إن الإنسان يجتمع بذريته في منزلةٍ واحدة إذا كانت الذرية دون منزلته، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وأما الشق الثاني من السؤال، وهو: معرفة الميت ما يصنعه أهله في الدنيا؟ فإنني لا أعلم في ذلك أثرًا صحيحًا يعتمد عليه، ولكن بعض الوقائع تدل على أن الإنسان قد يعرف ما يجري على أهله، فقد حدثني شخص أنه بعد موت أبيه أضاع وثيقةً له، وصار يطلبها ويسأل عنها، فرأى في المنام أن أباه يكلمه من نافذة المجلس ويقول له: إن الوثيقة مكتوبة في أول صفحة من الدفتر الفلاني، لكن الورقة لاصقةٌ بجلدةٍ في الدفتر، فافتح الورقة تجد الوثيقة في ذلك المكان، ففعل الرجل ورآها كما ذكر أبوه، وهذا يدل على أن الإنسان قد يكون له علم بما يصنعه أهله من بعده.

***

(٢٣٤) يقول السائل ع. ع. من السودان: هل الرجل يتعرف على أولاده في يوم القيامة إذا كانوا سعداء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان الأولاد سعداء والأب من السعداء

فإن الله -تبارك وتعالى- يقول في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] يعني: أن الإنسان إذا كان له ذُرِّيَّةٌ، وكانوا من أهل الجنة، فإنهم يتبعون آباءهم وإن نزلت درجتهم عن الآباء، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ أي: ما نقصنا الآباء ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ بل الآباء بقي ثوابهم موفرًا، ورفعت الذُّرِّية إلى مكان آبائها، هذا ما لم يخرج الأبناء عن الذرية بحيث ينفردون بأزواجهم وأهليهم، فيكون هؤلاء لهم فضلهم الخاص ولا يلحقون بآبائهم، لأننا لو قلنا: كل واحد يلحق بأبيه ولو كان له أزواج أوكان منفردًا بنفسه، لكان أهل الجنة كلهم في مرتبة واحدة، لأن كل واحد من ذريته من فوقه، لكن المراد بالذرية الذين كانوا معه ولم ينفردوا بأنفسهم وأزواجهم وأولادهم، هؤلاء يرفعون إلى منزلة آبائهم ولا ينقص الآباء من عملهم من شيء.

***

(٢٣٥) يقول السائل: في حالة دخول الزوجين الجنة هل يلتقيان مرة ثانية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، إذا دخل الرجل وزوجته الجنة فهي زوجته لا تتعداه، وهو أيضًا لا يتعداها إلا فيما أعطاه الله تعالى من الحور العين، أو من نساء الجنة اللاتي ليس لهن أزواج في الدنيا.

وإذا كان للمرأة زوجان ودخلا الجنة فإنها تخير بينهما، فمن اختارت فهو زوجها، وفي الحديث أنها تختار أحسنهما خلقًا.

***

(٢٣٦) يقول المستمع ح. م. ص. من جدة، في سؤاله الأول: هل صحيحٌ أن الزوجين إذا كانا صالحين وتوفيا وكانا من أهل الجنة أنهما يكونان زوجين حتى في الجنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هذا صحيح، إذا مات رجل وزوجته

وكانا من أهل الجنة فإنها تبقى زوجةً له، قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] والذُّرِّيَّةُ شاملة لذرية الزوج والزوجة، فإذا كان الله يلحق بالمؤمنين ذرياتهم فمعنى ذلك أن الزوج والزوجة يكونان سواءً، ويلحق الله بهما ذريتهما، وهذا من كمال النعيم الذي في الجنة، فإنها فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهذا من كمال النعيم كما قلت.

***

(٢٣٧) يقول السائل إ. م. ش: لقد عرفنا مصير الرجال في الجنة أن لهم زوجات من الحور العين، ويقصد الرجال من المسلمين، ولكن ما مصير النساء في الجنة؟ ألهن أزواجٌ أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله -تبارك وتعالى- في نعيم أهل الجنة: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣١-٣٢] ويقول تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١]، ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس، فهو حاصلٌ في الجنة لأهل الجنة ذكورًا كانوا أم إناثًا، فالمرأة يزوجها الله -تبارك وتعالى- في الجنة، يزوجها بزوجها الذي كان زوجًا لها في الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨]، وإذا كانت لها زوجان في الدنيا فإنها تخير بينهما يوم القيامة في الجنة، وإذا لم تتزوج في الدنيا فإن الله تعالى يُزَوِّجُهَا ما تَقَرُّ به عينها في الجنة، فالنعيم في الجنة ليس قاصرًا على الذكور، وإنما هو للذكور وللإناث، ومن جملة النعيم الزواج.

ولكن قد يقول قائل: إن الله تعالى ذكر الحور العين وهن زوجات، ولم يذكر للنساء أزواجًا؟ فنقول: إنما ذكر الزوجات للأزواج، لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة، فلذلك ذكرت الأزواج للرجال في الجنة، وسكت عن الأزواج للنساء، ولكن ليس معنى ذلك أنه ليس لهن أزواج، بل لهن أزاج من بني آدم.

***

(٢٣٨) يقول السائل أ. ص: هل المرأة الصالحة في الدنيا تكون من الحور العين في الآخرة؟ أرجو منكم الإفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المرأة الصالحة في الدنيا تكون خيرًا من الحور العين في الآخرة، وأطيب وأرغب لزوجها، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أخبر أن أول زُمْرَة تدخل الجنة على مثل صورة القمر ليلة البدر.

***

(٢٣٩) يقول السائل: فضيلة الشيخ هل الأوصاف التي ذُكِرَتْ للحور العين تشمل نساء الدنيا في القرآن؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي يظهر لي أن نساء الدنيا يكن خيرًا من الحور العين حتى في الصفات الظاهرة والله أعلم.

ونقول للسائل: هذه أسئلة لا وجه لها، أنت إذا كنت من أهل الجنة ودخلت الجنة فستجد فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ستجد فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بَشَر، وهذه التساؤلات في أمور الغيب هي من التَّنَطُّعِ في دين الله، وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[1]، اصبر يا أخي حتى تدخل الجنة، فستجد ما لا يخطر لك على بال.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢٤٠) تقول السائلة ر. ق. ع: ما منزلة المرأة في الجنة مع وجود الحور العين؟ وماذا بالنسبة لزوجها؟ وهل المرأة تصبح زوجة للشهداء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الزوجات يكن مع أزواجهن في الآخرة، يقول الله -عز وجل- في دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ولا شك أن الزوجة مع زوجها في الجنة لها مقام عظيم عالٍ، حتى إن بعض العلماء قال في دعاء الميت: «**وأبدلها زوجًا خيرًا من زوجها**» أن المعنى: أبدلها زوجًا خيرًا من زوجها، أي: اجعل زوجها لها في الجنة خيرًا مما هو عليه في الحياة الدنيا.

ثم إن قول الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] شامل لكل ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين، فليس فيها كَدَر ولا نَصَبٌ، ولا هَمٌّ ولا غَمٌّ، فلتبشر النساء بالخير، ولتعلم أن الجنة ليس فيها ما في الدنيا من الغيرة والتأذي.

***

(٢٤١) يقول السائل: وعد الله -عز وجل- الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم الجنة والحور العين، أرجو أن تعرفونا هل هذا خاص للرجال فقط بالنسبة للحور العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين للرجال والنساء، وليقرأ السائل قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، إلى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله تعالى:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فما ثبت للرجال من الأُجور على الأعمال الصالحة فهو ثابت للنساء، وما ثبت من الأَوْزَارِ على الرجال فهو ثابت للنساء، لكن هناك أحكام تختص بالرجال وأحكام تختص بالنساء بدليل من الكتاب والسُّنَّة، فإذا كان هناك دليل يدل على اختصاص الرجال بحكم أو اختصاص النساء بالحكم فليكن هذا على مقتضى الدليل.

***

(٢٤٢) يقول السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نحن نعلم أن الله -سبحانه وتعالى- قد أعد الحور العين لعباده المؤمنين يوم القيامة في الجنة، فإذا كانت هنالك امرأة مؤمنة وأدخلها الله -سبحانه وتعالى- الجنة برحمته، أما زوجها فلسوء سعيه في الدنيا لم يدخل الجنة، فمن يكون زوجها يومئذٍ؟ أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: وعلى السائل السلام ورحمة الله وبركاته.

والجواب على سؤاله هذا يؤخذ من عموم قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١-٣٢] ومن قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج، أو كان زوجها ليس من أهل الجنة، فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال، وهم لهم زوجات من الحور، ولهم زوجات من أهل الدنيا إذا شاءوا وشغل ذلك أنفسهم.

وكذلك نقول، بالنسبة للمرأة إذا لم تكن ذات زوج، أو كانت ذات زوج في الدنيا ولكن زوجها لم يدخل مع أهل الجنة إنها إذا اشتهت أن تتزوج فلا بد أن يكون لها ما تشتهيه، لعموم هذه الآيات، ولا يحضرني الآن نص خاص في هذه المسألة. والعلم عند الله تعالى.

***

(٢٤٣) يقول السائل س. غ. ع. من العراق، الموصل: قرأت في كتاب للشيخ الإمام الغزالي حديثًا عن النبي ﷺ عن الشفاعة، فيمن أخرجهم الله من النار بشفاعته ﷺ، حين يقول الله تعالى: فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي، فيخرج من النار أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط، فيدخلون الجنة فيكون في أعناقهم سمات، ويسمون عتقاء الله -عز وجل-.(١) فما مدى صحة هذا الحديث؟ وما معناه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث متفق عليه بمعناه، يعني: روى البخاري ومسلم معنى هذا الحديث، إلا أن فيه كلمة منكرة في هذا السياق الذي ذكره الأخ، وهي قوله: (فتبقى شفاعتي)، فإن هذه اللفظة منكرة، واللفظ الذي ورد في الصحيحين: «**ولم يبق إلا أرحم الراحمين**».

وإنما كانت اللفظة التي ذكرها السائل منكرة لأن قوله: (وتبقى شفاعتي) عند من يشفع؟ فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي يشفع إليه، وليس يشفع إلى أحد -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

ومعنى هذا الحديث: أن الله -سبحانه وتعالى- يأذن للرسل والملائكة والنبيين، وكذلك لصالح الخلق، أن يشفعوا في إخراج من شاء من أهل النار، فيخرج من أهل النار من شاء الله، حتى إذا لم يبق أحد تبلغه شفاعة هؤلاء، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، أخرج الله -سبحانه وتعالى- بهذه الرحمة من شاء، وجعل في رقابهم خواتم على أنهم عتقاء الله -سبحانه وتعالى-، فيدخلون الجنة.

ومعنى قوله: «**لم يعملوا خيرًا قط**» أنهم ما عملوا أعمالًا صالحة، لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكن من العمل، آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل، وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرًا قط، وإما أن يكون هذا الحديث مقيدًا بمثل الأحاديث الدالة

(١) تقدم تخريجه.

على أن بعض الأعمال الصالحة تركها كفر كالصلاة مثلًا، فإن من لم يصل فهو كافر ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، وهو مخلد في النار أبد الآبدين والعياذ بالله.

فالمهم أن هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا ولم يتمكنوا من العمل، فماتوا فور إيمانهم، فما عملوا خيرًا قط، وإما أن يكون هذا عامًّا، ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية على أنه لا بد أن يعمل كالصلاة، فإنه لا بد أن يصلي الإنسان، فمن لم يصل فهو كافر، لا تنفعه الشفاعة ولا يخرج من النار.

***

(٢٤٤) يقول السائل: الشياطين مخلوقة من نار، أي: نار السموم، وعدهم الله بنار الحميم، فكيف يكون عذابهم وهم خلقوا من نار؟ هل النار التي سيعذبون بها غير التي نعرفها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النار التي يعذب بها الشياطين هي النار التي يعذب بها الكفار من بني آدم، ولا فرق بينهما، والإنسان إذا خلق من الشيء لا يلزم أن يكون هو الشيء، أرأيت نفسك أيها السائل: خلقت من طين، فهل أنت طين؟ من المعلوم أن الجواب: لا، ليس الإنسان بطين، هكذا الشياطين خلقت من نار ولكنها ليست نارًا، وإذا لم تكن نارًا فإنها أجسام لها خصائصها التي خصها الله بها، وإذا كان يوم القيامة فإنها تعذب بالنار.

***

(٢٤٥) يقول السائل إ. أ. ح: هل القضاء والقدر بمعنى واحد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القضاء والقدر إذا اجتمعا فلكل واحد معناه، وأما إذا أُفِرد أحدهما فإنه يشمل الآخر، فإذا قيل: قضاء وقدر. فالقضاء: ما قضاه الله تعالى في الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ. أما القدر فهو ما قدره الله تعالى فوقع، فأما إذا قيل: قضاء. فقط فإنه يشمل الأمرين جميعًا، وأما إذا قيل: قدر. فقط فإنه يشمل الأمرين جميعًا.

***

(٢٤٦) يقول السائل: هل القضاء والقدر بمعنى واحد؟ وما معناهما؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، القضاء والقدر بمعنى واحد إذا أُفْرِد أحدهما عن الآخر، فيقال مثلًا: يؤمن بقدر الله. أو: يؤمن بقضاء الله. وأما إذا جُمِعا فالقضاء: ما كتبه الله في الأزل، والقدر: ما قدَّر الله وجوده، أو بالعكس، أعني: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

***

(٢٤٧) يقول السائل: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هاتان الكلمتان مترادفتان إن افترقتا، ومتباينتان إن اجتمعتا. فإذا قيل: القضاء. بدون أن يقترن به القدر كان شاملًا للقضاء والقدر، وإذا قيل: القدر. دون أن يقترن به القضاء كان شاملًا للقضاء والقدر أيضًا.

وهذا كثير في اللغة العربية؛ أن تكون الكلمة لها معنى عامٌّ عند الانفراد، ومعنى خاص عند الاقتران. فإذا قيل: القضاء والقدر. جميعًا صار معنى القضاء: ما يقضي به الله -عز وجل- من أفعاله، أو أفعال الخلق. ومعنى القدر: ما قدر الله تعالى في الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ ذلك لأن المقدور سبقه تقدير في الأزل، أي: كتابةٌ بأنه سيقع، وقضاءٌ من الله تعالى بوقوعه فعلًا.

وإن شئت فقل: الكتابة قدر، والمشيئة قضاء، والله تعالى يكتب الشيء، بل كتب الشيء في اللوح المحفوظ، ثم يشاؤه -سبحانه وتعالى- في الوقت الذي تقتضي فيه حكمته وجوده فيه. الثاني قضاء والأول قدر.

***

(٢٤٨) تقول السائلة أ. م. من القاهرة: ماذا يعني القضاء والقدر بالتفصيل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القضاء هو القدر إذا ذكر وحده، والقدر هو القضاء إذا ذكر وحده. فإن اجتمعا وقيل: القضاء والقدر. صار معنى القضاء:

ما يفعله الله -عز وجل-. ومعنى القدر: ما كتبه في الأزل. وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أن الإيمان بالقدر له مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله -عز وجل-؛ بأن يؤمن العبد بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه عالمٌ بما كان وما يكون، وأنه ما وقع شيء إلا بعلمه.

المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة، أي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١). ودليل هاتين المرتبتين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله العامة، وأن كل شيءٍ واقع بمشيئته -سبحانه وتعالى-، لا فرق في ذلك بين ما يحصل من فعله جل وعلا، ودليله قول الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وما يحصل من أفعال مخلوقاته، ودليله قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فكل شيء يقع في السماوات أو في الأرض فإنه واقعٌ بمشيئته -تبارك وتعالى-.

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله، وأن كل كائن مخلوق لله -عز وجل-، لا خالق غيره، ولا رب سواه. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧/ ٣٧٨، رقم ٢٢٧٠٥).

هذه المراتب الأربع هي مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيقها جميعًا. ومن المعلوم أن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، التي أجاب بها نبي الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

***

(٢٤٩) يقول السائل ع. من جدة: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القضاء والقدر اسمان مترادفان إن تفرقا، أعني: أنهما إذا تفرقا فهما بمعنى واحد، وإن اجتمعا فالقضاء معناه: ما يقضي به الله، أي يحكم بوقوعه. والقدر معناه: ما كتبه الله تعالى في الأزل. وليُعلم أن القضاء ينقسم إلى قسمين:

١- **قضاء شرعي**: يتعلق بما أحبه الله ورضيه؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا**﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢- **قضاء كوني**: يتعلق بما قدره الله، سواء كان مما يرضاه، أم مما لا يرضاه. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٤].

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، التي بينها رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2]. فحقيقته: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنْ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»[3]. فما قدره الله عليك لا بد أن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم (٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسند أحمد (٣٥/ ٤٦٥، رقم ٢١٥٨٩). وأبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم=

يقع مهما عملت من الأسباب، وما دفع الله عنك لا يمكن أن يقع مهما كانت الأسباب. ولهذا كان المؤمنون يقولون: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**»(١).

***

(٢٥٠) يقول السائل م. أ: ما حكم الإيمان بالقضاء والقدر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة، كما قال ذلك النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جوابًا لجبريل، عندما قال: أخبرني عن الإيمان. فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢). ولا يتم الإيمان بالقدر إلا إذا آمن الإنسان بأمورٍ أربعة:

الأول: الإيمان بعلم الله تعالى، وأنه -سبحانه وتعالى- محيطٌ بكل شيءٍ علمًا، ولا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة. ودليل هذين الأمرين قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثالث: أن تؤمن بأن كل ما في الكون فهو كائن بمشيئة الله، لا يخرج عن مشيئته شيء، حتى أفعال العباد قد شاءها الله -عز وجل-. قال الله تعالى:

=(٤٦٩٩). وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر، رقم (٧٧).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم (٥٩٣).

(٢) تقدم تخريجه.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الرابع: أن تؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيءٍ في السماوات والأرض، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، حتى أعمال العبد مخلوقة لله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ووجه كون فعل العبد مخلوقًا لله: أن فعل العبد واقعٌ بإرادة العبد وقدرة العبد، وإرادة العبد وقدرة العبد مخلوقتان لله -عز وجل-، وخالق السبب التام خالقٌ للمسبب، فإذا كان فعل الإنسان ناتجًا عن إرادةٍ وقدرة وهما مخلوقتان لله؛ صار فعل العبد مخلوقًا لله -عز وجل-. فلا بد في الإيمان بالقدر من الإيمان بهذه الأمور الأربعة: علم الله، وكتابة كل شيء كائن إلى يوم القيامة في لوحٍ محفوظ، ومشيئة الله، وخلق الله. وفي هذا يقول الناظم:

عِلْمٌ كِتابَةُ مَوْلانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ وَهْوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينُ

***

(٢٥١) يقول السائل إ. أ. ح. من الرياض: ما حكم الإيمان بالقدر؟ وكيف يكون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان بالقدر واجب، ومنزلته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ لأن جبريل عليه السلام سأل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

---

(١) تقدم تخريجه.

والقدر هو: تقدير الله -تبارك وتعالى- في الأزل، أي تقديره -تبارك وتعالى- ما كان وما يكون، كما قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[1].

فكل ما يقع في السماء والأرض من أفعال الله -كالمطر والنبات والحياة والموت- أو من أفعال العباد -كالاستقامة والانحراف- فإنه مكتوب في الأزل عند الله -تبارك وتعالى-. فيجب علينا أن نؤمن بذلك؛ أن الله كتب مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، وأن هذا المكتوب شامل لما يفعله -تبارك وتعالى- هو بنفسه، وما يفعله عباده.

قال العلماء: وللإيمان بالقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: أن تؤمن بعلم الله تعالى الشامل العام للحاضر والمستقبل والماضي، وأن كل ذلك معلوم عند الله بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يضل الرب -عز وجل- ولا ينسى. فإن موسى -عليه الصلاة والسلام- لما سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] أجاب قائلًا: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] -سبحانه وتعالى-.

فيجب أن نؤمن بعلم الله -عز وجل-، وأنه عالم بكل شيء جملة وتفصيلًا، فالجملة مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، والتفصيل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧/ ٣٧٨، رقم ٢٢٧٠٥).

﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والأمثلة على هذا كثيرة.

المرتبة الثانية: أن تؤمن بأن الله -تبارك وتعالى- كتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، فكل شيءٍ مكتوبٌ عند الله في لوح محفوظ لا يتبدل ولا يتغير. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]. والحديث الذي ذكرناه آنفًا: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

المرتبة الثالثة: أن تؤمن بأنه ليس في الكون من حركةٍ ولا سكون ولا إيجاد ولا إعدام إلا بمشيئة الله، أي: إلا وقد شاءه الله، سواء كان من فعله -تبارك وتعالى- أم من أفعال خلقه. فحركات الإنسان وسكناته، وطوله وقصره، وبياضه وسواده، ورضاه وغضبه، واستقامته وانحرافه، كل ذلك بمشيئة الله، لا يشذ عن مشيئة الله شيء، حتى الهدى والصلاح بمشيئة الله.

ودليل ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وأجمع المسلمون على هذه الكلمة العظيمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: أن تؤمن بأن الله -تبارك وتعالى- خالق كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]. وقد ذكر الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه.

الخلق عامًّا كما في هاتين الآيتين، وذكره خاصًّا في مثل قوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥-٦]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فكل شيء سوى الله فهو مخلوق، خلقه الله -عز وجل-، سواء في الأعيان، أم في الأفعال، أم في الأوصاف. فالآدمي له جسد، مَن خَلَقه؟ إنه الله -عز وجل-، الآدمي طويل وقصير، وأبيض وأسود، مَن قدَّر هذا؟ إنه الله -عز وجل-، الآدمي له عمل وحركة، ويكون صالحًا أو غير صالح، فمَن خلق هذا العمل؟ هو الله -عز وجل-؛ لأن عمل الإنسان من صفات الإنسان، والإنسان مخلوق، فصفاته مخلوقة. ودليل ذلك ما ذكرته الآن: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فيجب علينا أن نؤمن بالقدر على هذه المراتب الأربع: علم الله، وكتابته في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، ومشيئة الله لكل موجود ومعدوم وحركة وسكون، وخَلْقُ الله لكل موجود ومعدوم، وحركة وسكون. فالمعدوم يوجده الله، والموجود يعدمه الله. وقد اختلف بنو آدم في القدر، وتنازعوا فيه، واختلفوا فيه، فمنهم الغالي، ومنهم الجافي، ومنهم الوسط.

فالغالي في إثبات القدر يقول: إن الإنسان مجبور على عمله، وليس له فيه اختيار، إن عمل صالحًا فهو مُكرَهٌ عليه، وإن عمل سيئًا فهو مكره عليه، وإن قام أو قعد فهو مكره مُجبَر؛ لأن الله تعالى شاء ذلك، فيجب أن يكون.

والجافي فيه يقول: إن الله يشاء كل شيء، ويخلق كل شيء، إلا أفعال الإنسان، فليس له فيها تصرف. وهؤلاء قصروا في الربوبية.

والمتوسط فيه يقول: الإنسان يفعل باختياره، ويفرق بين الفعل الذي يكره عليه، والفعل الذي يختاره. وهذا هو الواقع؛ فأنت تخرج إلى السوق باختيارك، وترجع منه باختيارك، وتدخل المدرسة الفلانية باختيارك، وتتركها

باختيارك، وتسافر باختيارك، وتبقى في بلدك باختيارك. فهذا أمر لا ينكر، ولا يشعر أحدٌ أبدًا أنه أكره على هذا الفعل. ولهذا فإنه لو أكره حقيقةً سقط عنه الإثم، أو أكره على محرم، أو على تَرْك واجب. فالله قد أسقط حكم الكفر عند الإكراه، فقال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

ولو قلنا: إن الإنسان مُكرَه. لبطلت الشريعة كلها، وصار لا يُحمد على فعل الخير، ولا يُذم على فعل الشر، فنحن نرد على هؤلاء القائلين بالجبر بهذا. أما الذين قالوا: إنه مستقل. فنقول: سبحان الله! الإنسان في ملك الله، فكيف يكون في ملك الله ما لا يريد؟ الإنسان مخلوق لله، فكيف تكون أفعاله غير مخلوقة لله؟ هي مخلوقة لله، وهي في ملك الله.

لكن قد يحتج العاصي بالقدر على المعصية، فإذا زنى، أو سرق، أو شرب الخمر قال: هذا بقدر الله. فنقول له: هل أجبرك الله على ذلك؟ هل تعلم أن الله قدر عليك أن تزني، أو تسرق، أو تشرب الخمر؟ أنت لا تعلم هذا، ونحن لا نعلم أن الله قدر أفعالنا أو أقوالنا حتى تقع، فإذا وقعت علمنا أنه أرادها، أما قبل أن تقع فليس عندنا علم بما قدر الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

فالعاصي حين أقدم على الفعل أقدم عليه باختياره، ولم يعلم أن الله قد كتبه له أو عليه إلا إذا وقع. ولهذا لا ترى مضروبا يعذر ضاربا عندما يسأله: لمَ ضربتني؟ فيقول: هذا بقدر الله. لا تجد أحدًا يقبل هذه الحجة. ويذكر عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه رُفع إليه سارق، فأمر بقطع يده، فقال له: مهلًا يا أمير المؤمنين، والله ما سرقت هذا إلا بقدر الله. قال: ونحن لا نقطع يدك إلا بقدر الله.

المهم أنه لا يمكن أن يحتجَّ الإنسان بالقدر على ظلم الناس وعدوانه

عليهم. وإنك لتعجب من هذا العاصي الذي يعصي الله، ومعصيته لله ظلم لنفسه، ثم يحتج بقدر الله على ظلم نفسه، مع أنه لو ظلمه ظالم، واحتج على ظلمه بأنه قدَر الله، ما قبل منه، لذلك لا عذر للعاصي بقدر الله على معصيته، ولهذا أبطل الله حُجة الذين احتجوا بالقدر فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وكونهم يذوقون بأس الله يدل على أنه لا حُجة لهم؛ لأنه لو كان لهم حُجة ما ذاقوا بأس الله.

والحاصل أن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بالقدر، وأن كل شيء هو من الله، وأنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله. ولما حدَّث النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أصحابه فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ:** «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». إذًا نحن مأمورون بالعمل، وإذا عملنا ما يرضي الله يَسَّر الله لنا، **ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فنقول: آمِنْ بالقدر، واعمل بالشرع، حتى يتم إيمانك.

ومن الإيمان بالقدر: الإيمان بما جاء مكروهًا للعبد، كالمصائب في بدنه، وفي أهله، وفي ماله، وفي أصحابه، وفي مجتمعه. فلا يخلو إنسان من المصيبة؛ لأن الله تعالى يبتلي بالنعم، ويبتلي بالنقم. وهذه المصائب إذا حصلت فارضَ بها، وارضَ بقضاء الله، فإن الله -سبحانه وتعالى- أعلم بمصالحك.

فكم من إنسان أصيب بمصيبة فكانت المصيبة سببًا لاهتدائه، فالمصائب صقل للقلوب إذا أراد الله -سبحانه وتعالى- هداية الإنسان، كما أنها بالعكس

---

(١) تقدم تخريجه.

في أناس آخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]. أي: إذا أُوذِيَ في دينه، وضُيِّق عليه في دينه، جعلها كالعذاب، فارتدَّ ونكص على عقبيه، والعياذ بالله.

المهم أن الإيمان بالقدر يُهوِّن عليك المصائب؛ لأنك تعلم أنها من عند الله، وأن الله مالك كل شيء، وأنت من جملة من يملكه الله -عز وجل-، فأنت عبدٌ لله، يفعل بك ما شاء، فلا تجزع. قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة في معنى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]. قال: «إنه يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم».

فلو أن رجلًا أصابك بأذى دافَعْتَ عن نفسك، ولم ترض بذلك، لكن إذا كان الذي أصابك من المصائب من عند الله فعليك أن ترضى؛ لأنه ربك مالكك، يفعل بك ما شاء، فإذا صبرتَ، واحتسبت الأجر من الله، صارت تلك المصيبة رِفعة في درجاتك، وأجرًا وثوابًا: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

***

(٢٥٢) يقول السائل أ. هـ. من دمياط، من جمهورية مصر العربية: ما الحكم الشرعي في سخط الإنسان من المصائب والكوارث؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن من أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالقدر خيره وشره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأمر كله يرجع إلى الله -عز وجل-، وأن لله الحكمة البالغة فيما أصاب العبد من خير أو شر.

والمصائب على نوعين:

النوع الأول: أن تكون تكفيرًا لسيئات وقعت من المرء، وإصلاحًا لحاله، كما في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

﴿أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

النوع الثاني: ألَّا تكون المصائب عقوبة لسيئات وقعت من المرء، ولكنها لزيادة درجاته، وليحصل على وصف الصبر الذي أثنى الله على القائمين به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ومن ذلك ما يقع للرسول ﷺ من المصائب التي تصيبه -عليه الصلاة والسلام-، حتى إنه ليوعك كما يوعك الرجلان منا -أي: في المرض- من أجل أن ينال أعلى مقامات الصبر -صلوات الله وسلامه عليه-، وقد نال ذلك؛ فهو أعلى الناس صبرًا على طاعة الله، وأعلى الناس صبرًا عن محارم الله، وأعلى الناس صبرًا على أقدار الله المؤلمة.

وبناء على هذه المقدمة يجب على المرء أن يصبر على قضاء الله وقدره، وألَّا يسخط؛ لأن السخط من قضاء الله وقدره نقصٌ في الإيمان بربوبيته -تبارك وتعالى-؛ إذ مقتضى الربوبية المطلقة أن يفعل ما شاء.

وانظر إلى الكرم والفضل، فالله -عز وجل- يفعل في عبده ما يشاء، ومع ذلك يثيبه على ما حصل من هذه المصائب إذا صبر واحتسب. قال بعض أهل العلم: وللناس في المصائب مقامات أربعة: التسخط، والصبر، والرضا، والشكر.

١- **مقام التسخط:** وهو حرام، سواء كان في القلب، أم في اللسان، أم في الجوارح.

فالتسخط في القلب: أن يرى أن الله تعالى ظلمه في هذه المصيبة، وأنه ليس أهلًا لأن يصاب، وهذا على خطر عظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وأما التسخط بالقول: فهو أن يدعو بدعوى الجاهلية؛ مثل: واثبوراه، واانقطاع ظهراه. وما أشبه ذلك من الكلمات النابية، التي تنبئ عن سخط العبد، وعدم رضاه بقضاء الله.

وأما التسخط بالأفعال: فَكَنَتْفِ الشعور، ولطم الخدود، وشق الجيوب. وقد تبرأ النبي ﷺ من فاعل هذا فقال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»(١).

فهذا التسخط حرام، ومن كبائر الذنوب، والتسخط القلبي أعظم أنواعه، وأخطر أنواعه.

٢- **مقام الصبر:** وهو حبس النفس عن التسخط، وهو ثقيل على النفس، لكنه واجب؛ لأنه إذا لم يصبر تسخط، والتسخط من كبائر الذنوب، فيكون الصبر واجبًا. ولقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لابنته التي كان عندها طفل يجود بنفسه، وقد حضره الموت، فأرسلت إلى النبي ﷺ رسولًا تدعوه للحضور، فقال النبي ﷺ: «**فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»(٢).

٣- **مقام الرضا:** يعني: أن يرضى العبد بما قدر له من هذه المصيبة رضًا تامًّا. وقد اختلف العلماء في وجوبه، والصواب أنه ليس بواجب، ولكنه سنة؛ لأنه متضمن للصبر وزيادة، والفرق بين الصبر والرضا هو أن المرء يكون في الصبر كارهًا لما وقع، أي لا يحب أنه وقع، لكنه قد حبس نفسه عن التسخط.

وأما الراضي فهو غير كاره لما وقع، بل المصيبة وعدمها عنده سواء بالنسبة لفعل الله؛ لأنه راضٍ رضًا تامًّا عن فعل الله، فهو يقول: أنا عبده وهو ربي، إن فعل بي ما يسرني فأنا عبده، وله مني الشكر، وإن كانت الأخرى فأنا عبده، وله مني الرضا والصبر. فالأحوال عنده متساوية، وربما ينظر إلى ذلك

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، رقم (١٢٩٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، رقم (٦٦٠٢).

من منظار آخر، وهو أن هذه المصيبة إذا صبر عليها، وكفَّر اللهُ بها عنه، وأثابه عليها صارت ثوابًا لا عقابًا، فيتساوى عنده الألم والثواب.

وفي هذا يذكر عن رابعة العدوية -فيما أظن- أن أصبعها أصيبت، ولم تتأثر بشيء، فقيل لها في ذلك فقالت: «إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها».

٤- **مقام الشكر**: وهو أن يشكر الإنسان الله -عز وجل- على هذه المصيبة. وهذا المقام -أو الحال- لا يحصل للإنسان عند أول صدمة؛ لأن مقتضى الطبيعة ينافي ذلك، لكن بالتأمل والتأني قد يشكر الإنسان ربه على هذه المصيبة، وذلك بأن يرى مصيبة أعظم من مصيبته، فيشكر الله تعالى أن أصيب بهذه التي هي أهون، أو يقدر أن ألم المصيبة ألمٌ يزول بزوال الحياة إن بَقِي إلى الموت، أو يزول قبل الممات، والأجر والثواب الحاصل يبقى، فيشكر الله تعالى على ذلك.

مثاله: رجل أصيب بحادث في سيارة، فانكسرت رجله، فهذه مصيبة، فيتأمل وينظر ويقول: أرأيت لو كان الانكسار في الظهر لكانت المصيبة أعظم. فهو يشكر الله -عز وجل- أن كانت المصيبة في الفخذ دون الظهر، ولو كانت في الساق لكانت أهون مما إذا كانت في الفخذ، وهلم جرًّا. ثم يقول أيضًا: هذه مصيبة؛ إمَّا أن أشفى منها وأعود كما كنت في الدنيا قبل الموت، وإما أن أموت، فلها أجل محتوم مقدر، لكن الأجر الحاصل عليها هو ثواب الآخرة الباقي أبد الآبدين. فيشكر الله -عز وجل- على هذه المصيبة، التي كانت سببًا لما هو أبقى وأفضل وأخير.

إذًا فهمنا الآن أن لحال الإنسان عند المصائب أربعة مقامات:

الأول: التسخط: وهو حرام ومن كبائر الذنوب.

الثاني: الصبر: وهو واجب.

الثالث: الرضا: وهو سُنة مستحبة.

الرابع: الشكر: وهو أعلى المقامات.

***

(٢٥٣) يقول السائل: بعض المرضى يتذمَّر ويكثر من الشكوى، ويتسخَّط مما فيه من مرض، فما نصيحتكم لأمثال هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتي لإخواني -هؤلاء المرضى، ومن أصابتهم مصائب في أموالهم وأهليهم- أن يصبروا ويحتسبوا، ويعلموا أن هـذه المصائب ابتلاءٌ من الله -سبحانه وتعالى- واختبار، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وإذا كان الله تعالى يبتلي العبد بالنعم ليختبره أيشكر أم يكفر، فكذلك يبتلي عبده بما يضاد ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع ويتسخط. ويعين المرء على الصبر على هذه الأمور أشياء:

الأول: الإيمان بأن الله -سبحانه وتعالى- رب كل شيء ومليكه، وأن الخلق كلهم خلقه وعبيده، يتصرف فيهم كيف يشاء، لحكمةٍ قد نعلمها وقد لا نعلمها، فلا اعتراض عليه -سبحانه وتعالى- فيما فعل في ملكه، قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

الثاني: أن يؤمن بأن هذه المصائب التي تصيبه تكفير لسيئاته، تحط عنه الخطايا، ويغفر له بها الذنوب، كما جاء ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. ولقد أصيبت امرأةٌ من العابدات في أصبعها، ولكنها لم تتسخط، ولم يظهر عليها أثر التشكي، فقيل لها في ذلك، فقالت: «إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها». ومن المعلوم أن الصبر درجة عالية، لا تنال إلا بوجود شيء يصبر الإنسان عليه؛ حتى يكون من الصابرين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

الثالث: أن يتسلى بما يصيب الناس سواه، فإنه ليس وحده الذي يصاب

بهذه المصائب، بل مِن الناس مَن يصاب بأكثر من مصيبته. ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله سلم، وهو أشرف الخلق عند الله- يصاب بالمصائب العظيمة، حتى إنه يوعك كما يوعك الرجلان منا، ومع ذلك يصبر ويحتسب. وفي التسلي بالغير تهوينٌ عن المصاعب.

الرابع: أن يحتسب الأجر على الله -عز وجل- بالصبر على هذه المصيبة، فإنه إذا احتسب الأجر على الله -عز وجل- بالصبر على هذه المصيبة فإنه -مع تكفير السيئات به- يرفع الله له بذلك الدرجات، بناءً على احتسابه الأجر على الله -سبحانه وتعالى-.

ومن المعلوم أن كثيرًا من الناس منغمرٌ في سيئاته، فإذا جاءت مثل هذه المصائب، كالمرض، أو فقدان الأهل، أو المال، أو الأصدقاء، أو ما أشبه ذلك، هان عليه الشيء بالنظر إلى ما له من الأجر والثواب على الصبر عليه، واحتساب الأجر من الله، وكلما عظم المصاب كثر الثواب.

الخامس: أن يعلم الإنسان أن هذه المصائب من الأمراض وغيرها لن تدوم، فإن دوام الحال من المحال، بل ستزول، إنْ عاجلًا أو آجلًا، لكن كلَّما امتدت ازداد الأجر والثواب. وينبغي في هذه الحال أن نتذكر قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، وأن نتذكر قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **«وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأَنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأَنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا»**(١).

السادس: أن يكون لديه أمل قوي في زوال هذه المصيبة، فإنَّ فتح الآمال يوجب نشاط النفس، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، فالإنسان كلما مضى عليه ساعة، ورأى أنه أقرب إلى الفرج وإلى زوال هذه المصائب، كان في ذلك منشطًا لنفسه حتى ينسى ما حلَّ به.

---

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

ولا شك أن الإنسان الذي ينسى ما حل به، أو يتناساه، لا يحس به، فإن هذا أمرٌ مشاهد، إذا غفل الإنسان عما في نفسه من مرضٍ أو جرح أو غيره يجد نفسه نشيطة، وينسى ما به من ألم، ولا يحس به، بخلاف ما إذا ركز شعوره على هذا المرض، أو على هذا الألم، فإنه سوف يزداد.

وأضرب لذلك مثلًا بالعمال؛ فإنك تجد العامل في حال عمله ربما يسقط عليه حجرٌ يجرح قدمه، أو تصيبه زجاجة تجرح يده، أو ما أشبه ذلك، وهو مستمرٌّ في عمله، ولا يحس بما أصابه، لكن إذا فرغ من عمله، ثم توجهت نفسه إلى هذا الذي أصابه، حينئذٍ يحس به.

ولهذا لما شُكي إلى الرسول ﷺ الوساوس التي يجدها الإنسان في نفسه قال -عليه الصلاة والسلام-: «**فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ**»(١). يعني: ليعرض عن هذا، ويتغافل عنه، فإنه يزول، وهذا شيء مشاهد ومجرب. ففي هذه الأمور الستة يحصل للمريض الطمأنينة والخير الكثير.

السابع: أن يؤمن بأن الجزع والتسخط لا يزيل الشيء، بل يزيده شدة وحسرة في القلب، كما أنه ألمٌ في الجسد.

وبهذه المناسبة أود أن أُبين أن الناس تجاه المصائب التي تقع بهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: مَن جزع وتسخط ولم يصبر، بل دعا بالويل والثبور، وشق الجيوب، ولطم الخدود، ونتف الشعور، وصار قلبه مملوءًا غيظًا على ربه -عز وجل-، فهذا خاسرٌ في الدنيا والآخرة؛ لأن فعله هذا حرام، والألم لا يزول به، فيكون بذلك خسر الدنيا والآخرة، وربما يؤدي ذلك إلى الكفر بالله -عز وجل-، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

القسم الثاني: مَن صبر، بمعنى أنه لا يحب أن تقع المصيبة، بل يكرهها ويحزن لها، لكنه يصبر، فيمنع قلبه عن التسخط، ولسانه عن الكلام، وجوارحه عن الفِعال، ولكنه يتجرع مرارة الصبر، ولم يحب وقوع ذلك، فهذا أتى بالواجب، وسلم ونجا.

القسم الثالث: من قابل هذه المصيبة بالرضا، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، حتى كأنه لم يصب بها؛ لقوة رضاه بالله -عز وجل-. والفرق بينه وبين الأول الذي قبله: أن الأول عنده كراهة لما وقع، ويتجرع مرارة الصبر عليه، أما هذا فلا، ليس عنده كراهة، ولا في نفسه مرارة، يقول: أنا عبد والرب رب، ولم يقدر لي هذا إلا لحكمة. فيرضى تمامًا.

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في هذا الرضا: هل هو واجب أم مستحب؟ والصحيح أنه مستحب؛ لأنه صبرٌ وزيادة، والصبر سبق أنه واجب، وأما ما زاد على الصبر فإنه مستحب، فالراضي أكمل من الصابر.

القسم الرابع: من شكر الله -عز وجل- على ما حصل، فهو يشكر الله -سبحانه وتعالى- على هذه المصيبة. ولكن قد يقول قائل: إن هذا أمرٌ لا يمكن -بحسب الفطرة والطبيعة- أن يشكر الإنسان ربه على مصيبة تقع عليه. فيقال: نعم، لو نظرنا إلى مطلق المصيبة لكانت الفطرة تأبى أن يشكر الله على ذلك، ولكن إذا نظر الإنسان إلى ما يترتب على هذه المصيبة؛ من مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، ورفعة الدرجات، شكر الله -سبحانه وتعالى- أن ادخر له من الأجر والثواب خيرًا مما جرى عليه من هذه المصيبة، فيكون بذلك شاكرًا لله -سبحانه وتعالى-.

وقد كان من هدي النبي ﷺ أنه إذا أصابه ما يسره قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»[1]. وهذا هو الذي ينبغي أن يقوله الإنسان.

أما ما اشتهر على لسان كثيرٍ من الناس؛ حيث يقول إذا أصيب بمصيبة: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهٍ سواه. فهي عبارةٌ بشعة، ولا ينبغي للإنسان أن يقولها؛ لأن هذا يعلن إعلانًا صريحًا بأنه كارهٌ لما قدَّر الله عليه، وفيه شيء من التسخط، وإن كان غير صريح، ولهذا نقول: ينبغي لك أن تقول ما كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول، وهو: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**».

وفي النهاية أوصي إخواني المرضى، ومن أصيبوا بمصيبة، أن يصبروا على ذلك، وأن يحتسبوا الأجر من الله -عز وجل-، والله تعالى مع الصابرين، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

***

(٢٥٤) تقول السائلة من حفر الباطن: هل يجوز للمسلم أن يتمنى الموت بعد أن يصطدم بأشياء وأمور لا تجوز في هذه الدنيا الفانية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يجوز هذا، لا يجوز للإنسان أن يتمنى الموت لضرٍّ نزل به، بل الواجب عليه أن يصبر ويحتسب ويكابد، ويستعين بالله -عز وجل- في درء هذه المحظورات، أو المحرمات، بنصح إخوانه وإرشادهم.

ولعل بقاءه من أجل النصح والإرشاد والدعوة إلى الله خيرٌ من أن يموت وينقطع عمله، فإن الإنسان إذا مات انقطع عمله، وإذا بقي في الدنيا وهو مؤمن فإن أمره كله خير، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم (٣٨٠٣).

(٢) تقدم تخريجه.

وعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب، ويرضى بقضاء الله -سبحانه وتعالى-، ويعلم أن دوام الحال من المحال، وأن الأمور لا بد أن تنفرج، كما قال رسول الله ﷺ: **«وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا»**[(١)].

***

(٢٥٥) تقول السائلة: واجهت في حياتي عدة مشكلات جعلتني أكره الحياة، فكنت كلما تضجرت توجهت إلى الله تعالى بأن يأخذ عمري في أقرب وقت، وهذه أمنيتي حتى الآن؛ لأنني لم أر حلًّا لمشكلاتي سوى الموت، فهو وحده الذي سيخلصني من هذا العذاب، فهل هذا حرام عليَّ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن تمني الإنسان الموت لضر نزل به وقوع فيما نهى عنه رسول الله ﷺ حيث قال -عليه الصلاة والسلام-: **«لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي»**[(٢)]. فلا يحل لأحد نزل به ضر، أو ضائقة، أو مشكلة، أن يتمنى الموت، بل عليه أن يصبر، ويحتسب الأجر من الله -سبحانه وتعالى-، وينتظر الفرج منه؛ لقول النبي ﷺ: **«وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا»**[(٣)].

وليعلم المصاب بأي مصيبة أن هذه المصائب كفارة لما حصل له من

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، رقم (٦٣٥١). أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، رقم (٢٦٨٠).

(٣) أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

الذنوب، فإنه لا يصيب المرء المؤمن هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله به عنه، حتى الشوكة يشاكها.

ومع الصبر والاحتساب ينال منزلة الصابرين، تلك المنزلة العالية التي قال الله تعالى في أهلها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٦]. وكون هذه المرأة لا ترى حلًّا لمشكلاتها إلا بالموت فذلك رأي مخطئ، فإن الموت لا تنحل به المشكلات، بل ربما تزداد به المصائب، فكم من إنسان مات وهو مصاب بالمشكلات والأذايا، ولكنه كان مسرفًا على نفسه، لم يستعتب من ذنبه، ولم يتب إلى الله -عز وجل-، فكان في موته إسراع لعقوبته، ولو أنه بقي على الحياة، ووفقه الله تعالى للتوبة والاستغفار، والصبر وتحمل المشاق وانتظار الفرج، لَكان في ذلك خيرٌ كثير له.

فعليكِ -أيتها السائلة- أن تصبري وتحتسبي، وتنتظري الفرج من الله -عز وجل-، فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾[الشرح: ٥-٦]. والنبي ﷺ يقول فيما صح عنه: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا**»[1]. والله المستعان.

***

(٢٥٦) يقول السائل ن. خ. أ. من الخرج: هل الإنسان مسير أم مخير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لو أردت أن أقول لهذا السائل: هل أنت مسير حين ألقيت هذا السؤال، أو ألقيته باختيارك؟ أعلم أنه سيقول: ألقيته باختياري. إذًا فالإنسان يفعل ما يفعله باختياره لا شك؛ فالإنسان يذهب ويرجع، ويصلي ويتوضأ، ويصوم ويزكي ويحج، ويبيع ويشتري، ويتزوج ويُزوج، وكل ذلك باختياره، لا أحد يجبره على ذلك، ولهذا تجده يختار أحد شيئين على الآخر؛ فقد يختار مثلًا أن يدرس في كلية الشريعة، ولا يدرس في

---

(١)أخرجه الطبراني (١١/ ١٢٣، رقم ١١٢٤٣). وأحمد (١/ ٣٠٧، رقم ٢٨٠٤)، والضياء (١٠/ ٢٣، رقم ١٣).

كلية الهندسة، والجامعة واحدة، فمن الذي أجبره على هذا؟ هل أجبره أحد؟ لا، فذلك باختياره في الواقع.

ولولا أن فعل الإنسان باختياره لكانت عقوبته على الذنوب ظلمًا، والله -سبحانه وتعالى- منزه عن الظلم، وما أكثر الآيات التي يضيف فيها الله تعالى الأعمال إلى الإنسان؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. والآيات في هذا كثيرة.

والعقل شاهد بهذا، ولا يمكن أن تستقيم قدم عاقل على القول بأن الإنسان مجبر أبدًا؛ لأن هذا يكذبه الحس فضلًا عن الشرع. ولكن يبقى النظر: هل هذا الاختيار مستقل عن إرادة الله؟ والجواب: لا، إنك ما أردت شيئًا إلا علمنا بأن الله قد أراده من قبل؛ لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

فإذا أراد الإنسان أن يأكل فأكل علمنا أن الله تعالى قد أراد قبل إرادته أن يريد الأكل فيأكل، وإذا أراد الإنسان أن يبيع ويشتري فاشترى وباع علمنا أن الله تعالى قد أراد ذلك، أي: أراد منه أن يريد أن يبيع ويشتري، وهلم جرًّا.

فإرادة الله سابقة، وإرادة المخلوق هي اللاحقة المباشرة، ونحن لا نعلم أن الله قد أراد بنا شيئًا إلا حين يقع، ولهذا لا يكون في هذا القول الذي قلته الآن حجة على العاصي الذي يعصي الله ويقول: إن الله قد أراد ذلك. لأننا نقول له: ما الذي أعلمك أن الله أراد؟ أنت لا يمكن أن تعلم أن الله أراد إلا إذا فعلت، وفعلك واقع باختيارك لا شك.

ولهذا لم نجد هذه الكلمة «مسير» أو «مخير» في كلام السابقين الأولين أبدًا، لكن قالها بعض المحدثين، فانتشرت بين الناس؛ لأنها كلمة رنانة، وإلا

فمن المعلوم أن الإنسان مخير، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. وكفر الإنسان باختياره، وإيمانه باختياره، وليس معنى بالاختيار أنك إن شئت فآمِن وإن شئت فاكفر، لا، المعنى: أن وقوع الكفر باختيارك، ووقوع الإيمان باختيارك.

وعلى هذا نقول: الإنسان مخير. بمعنى: أنه يفعل الشيء باختياره، لكننا نعلم أنه إذا اختار شيئًا وفعَلَه فهو بإرادة الله السابقة عليه. وهناك أشياء ليست باختيار الإنسان، فلو سافر الإنسان -مثلًا- وأصابه حادث، فهذا بغير اختياره، ولو أن الإنسان عَمِل عملًا ناسيًا فهذا بغير اختياره، ولهذا لا يؤاخذ الله على النسيان، ولا على الخطأ، ولا على فعل النائم؛ لأنه غير مختار.

***

(٢٥٧) يقول السائل ع. أ. من الجزائر: كان بيني وبين صديق لي نقاش حول مسألة: هل الإنسان مخير أم مسير؟ ولكن لم نصل إلى إجابة شافية، فأفيدونا في ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإفادة في ذلك أن نقول للإنسان: ارجع إلى نفسك، ولا تسأل أحدًا غيرك: هل تفعل ما تفعله مكرهًا عليه، أم تفعل ما تفعله باختيارك؟ وإذا توضأت في بيتك، وخرجت إلى الصلاة، وصليت مع الجماعة، هل أنت مكره على هذا أم فعلته باختيارك؟ وإذا خرجتَ إلى سوقك، وفتحتَ متجرك، وبعتَ واشتريت، هل أنت مجبر على ذلك أم أنك تفعله باختيارك؟ وإذا أردت أن تدرس في مدرسة معينة ابتدائية، أو متوسطة، أو ثانوية، أو جامعية، أو في الدراسات العليا، هل تفعل ذلك باختيارك أم تفعله مجبرًا على هذا؟

إني أتعجب أن يَرِد هذا السؤال من شخص يعلم ما في نفسه، ويعلم تصرفه، ثم يقول: هل هو مسير أم مخير؟ كلٌّ يعلم الفرق بين ما يفعله الإنسان باختياره وإرادته وطوعه، وبين ما يكره عليه. والمكره على الفعل لا ينسب إليه

الفعل، ولا يلحقه به إثم، كما قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦].

فلو كان الإنسان مكرهًا على عمله لكانت عقوبة العاصي ظلمًا؛ لأنه يقول: يا رب أنا مكره ليس لي اختيار. ولو كان الإنسان مجبرًا على عمله لكانت كتابة حسناته عبثًا؛ لأنه يثاب على شيء ليس من فعله، ولا من اختياره.

فعلى أخي السائل وغيره من المسلمين أن يفكروا في هذا الأمر، وأن يعلموا أنهم غير مجبرين على الفعل، بل هم يفعلون الشيء باختيارهم، من غير أن يكرهوا عليه. ولكن فليعلم أن ما يقع منا مِن فعل فإنه بقضاء وقدر سابق من الله -عز وجل-، وبمشيئة الله -سبحانه وتعالى- واقع، فالقدر قدر الله ومشيئته، لا يُعلَم تحققهما إلا بعد فعل العبد.

وقد ذكر علماء أهل السنة أن للقدر مراتب:

أولها: العلم: أن تؤمن بأن الله -سبحانه وتعالى- عالم بكل شي جملة وتفصيلًا أزلًا وأبدًا، فلا يضل ربي ولا ينسى، ولا يخفى عليه شي في الأرض ولا في السماء.

ثانيها: الكتابة: أن تؤمن بأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة.

ثالثها: المشيئة: أن تؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما من شيء واقع في السماء والأرض إلا بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

رابعها: الخلق: أن تؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا وقد خلقه الله جل وعلا.

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، التي أجاب بها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- جبريل حين سأله عن الإيمان، فقال النبي

-صلى الله عليه وآله وسلم-: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

***

(٢٥٨) يقول السائل من السودان: ورد لفظ الهدى في القرآن الكريم كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣]**. والسؤال: هل الإنسان مخير أم مسير؟ وهل للإنسان إرادة أن يكون طيبًا أو خبيثًا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال مهم جدًّا؛ وذلك لأنه سأل عن الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. وسأل: هل الإنسان مخير أم مسير؟ وهل له إرادة أن يفعل، أو لا يفعل؟

والجواب على الأول: أن الهداية المذكورة في القرآن تنقسم إلى قسمين:

١- هداية دلالة وبيان:

هي مثل الآية التي ساقها السائل، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣]. يعني: إنا بينا للإنسان السبيل والطريق، سواءٌ كان شاكرًا أم كان كفورًا، فالكل بين له الحق، لكن من الناس من منَّ الله عليه، فشكر والتزم بالحق، ومن الناس من كان على خلاف ذلك.

ومن أمثلة الهداية التي يراد بها الدلالة قوله -تبارك وتعالى- عن نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، أي: لتدل إلى الصراط المستقيم؛ لأن النبي ﷺ قد بيّن وعلَّم أمته الصراط المستقيم، وترك أمته على محجةٍ بيضاء، ليلُها كنهارها.

٢- هداية توفيق وإرشاد:

من أمثلتها قوله -تبارك وتعالى- لنبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم (٨).

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]. فالمراد بهذه الهداية هداية التوفيق، فالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يملك أن يهدي أحدًا هداية توفيق، يوفقه بها إلى الإيمان والعمل الصالح. وهذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي دعاه النبي ﷺ إلى الهدى، ولكنه لم يوفق لذلك، فأنزل الله هذه الآية تسليةً لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقد يراد بالهداية الهدايتان جميعًا، أي: هداية العلم والبيان، وهداية التوفيق والإرشاد، ومن ذلك قوله -تبارك وتعالى- في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]. فإن هذه الآية تشمل هداية العلم والبيان، وهداية التوفيق والإرشاد. والقارئ إذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] يريد بذلك المعنيين جميعًا؛ يريد أن يعلمه الله -عز وجل-، ويريد أن يوفقه الله تعالى لسلوك الحق. هذا هو الجواب عن الجزء الأول في سؤاله.

أما الجزء الثاني، وهو: هل الإنسان مسير أم مخير؟ وهل له إرادة أم ليس له إرادة؟ فنقول: الإنسان مخير، إن شاء آمن، وإن شاء كفر. بمعنى: أن له الاختيار، وإن لم يكن سواء؛ فلا يستوي الكفر والإيمان، لكن له اختيار أن يختار الإيمان، أو أن يختار الكفر، وهذا أمرٌ مشاهدٌ معلوم؛ فليس هناك أحدٌ أجبر الكافر على أن يكفر، وليس هناك أحدٌ أجبر المؤمن على أن يؤمن، بل الكافر كفر باختياره، والمؤمن آمن باختياره.

كما أن الإنسان يخرج من بيته باختياره، ويرجع إليه باختياره، ويدخل المدرسة الفلانية باختياره، ويدخل الجامعة الفلانية باختياره، ويسافر باختياره إلى مكة، أو إلى المدينة أو ما أشبه ذلك. وهذا أمرٌ لا إشكال فيه، ولا جدال فيه، ولا يمكن أن يجادل فيه إلا مكابر.

هناك أشياء لا يمكن أن تكون باختيار الإنسان؛ كالحوادث التي تحدث

للإنسان: من انقلاب سيارة، أو صدام، أو سقوط بيتٍ عليه، أو احتراق، أو ما أشبه هذا. هذا لا شك أنه لا اختيار للإنسان فيه، بل هو قضاءٌ وقدر ممن له الأمر.

ولهذا عاقب الله -سبحانه وتعالى- الكافرين على كفرهم؛ لأنهم كفروا باختيارهم، ولو كان بغير اختيارٍ منهم ما عوقبوا. ألا ترى أن الإنسان إذا أكره على الفعل ولو كان كفرًا، أو على القول ولو كان كفرًا، فإنه لا يعاقب عليه؛ لأنه بغير اختيارٍ منه؟ ألا ترى أن النائم قد يتكلم وهو نائم بالكفر، وقد يرى نفسه ساجدًا لصنم وهو نائم ولا يؤاخذ بهذا؛ لأن ذلك بغير اختياره؟ فالشيء الذي لا اختيار للإنسان فيه لا يعاقب عليه، فإذا عاقب الله الإنسان على فعله السيئ دلَّ ذلك على أنه عُوقب بحقٍّ وعدل؛ لأنه فعل السيئ باختياره.

وأما توهم بعض الناس أن الإنسان مسير لا مخير؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- قد قضى ما أراد في علمه الأزلي بأن هذا الإنسان من أهل الشقاء، وهذا الإنسان من أهل السعادة، فإن هذا لا حجة فيه؛ وذلك لأن الإنسان ليس عنده علمٌ بما قدَّر الله -سبحانه وتعالى-؛ إذ إن هذا سرٌّ مكتوم لا يعلمه الخلق، فلا تعلم نفسٌ ماذا تكسب غدًا، وهو حين يقدم على المخالفة بترك الواجب، أو فعل المحرم، يقدم على غير أساس، وعلى غير علم؛ لأنه لا يعلم ماذا كتب عليه إلا إذا وقع منه فعلًا، فالإنسان الذي يصلي لا يعلم أن الله كتب له أن يصلي إلا إذا صلى، والإنسان السارق لا يعلم أن الله كتب عليه أن يسرق إلا إذا سرق، وهو لم يُجبَر على السرقة، ولم يُجبَر المصلي على الصلاة، بل صلى باختياره، والسارق سرق باختياره.

ولما حدَّث النبي ﷺ أصحابه بأنه «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»[1]. فأمر بالعمل، والعمل اختياري وليس اضطراريًّا ولا إجباريًّا،

(١) تقدم تخريجه.

فإذا كان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». نقول للإنسان: اعمل يا أخي صالحًا حتى يتبين أنك ميسر لعمل أهل السعادة، وكلٌّ بلا شك إن شاء عمل عملًا صالحًا، وإن شاء عمل عملًا سيئًا.

ولا يجوز للإنسان أن يحتج بالقدر على الشرع، فيعصي الله ويقول: هذا أمرٌ مكتوب عليَّ. ويترك الصلاة مع الجماعة ويقول: هذا أمر مكتوب عليَّ. ويشرب الخمر ويقول: هذا أمر مكتوب عليَّ. ويطلق نظره في النساء الأجنبيات ويقول: هذا أمرٌ مكتوبٌ عليَّ. ما الذي أعلمك أنه مكتوبٌ عليك فعملته أنت؟ لم تعلم أنه كتب إلا بعد أن تعمل، لماذا لم تقدر أن الله كتبك من أهل السعادة فتعمل بعمل أهل السعادة؟

وأما قول السائل: هل للإنسان إرادة؟ نقول: نعم له إرادة بلا شك، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. والآيات في هذا معروفة، وكذلك الأحاديث معروفة في أن الإنسان يعمل باختيار وإرادة.

ولهذا إذا وقع العمل الذي فيه المخالفة من غير إرادة ولا اختيار عُفِي عنه، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فقال الله: قد فعلت. وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وهذا أمرٌ -ولله الحمد- ظاهر، ولا إشكال فيه، إلا على سبيل المنازعة والمخاصمة، والمنازعة والمخاصمة منهيٌّ عنهما إذا لم يكن المقصود بذلك الوصول إلى الحق.

وقد خرج النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذات يوم على أصحابه، وهم يتنازعون في القدر، فتأثر من ذلك -عليه الصلاة والسلام-؛

لأن هذا النزاع لا يؤدي إلى شيء إلا إلى الخصومة والتطاول في الكلام، وغير ذلك، فالأمر واضح ولله الحمد.

***

(٢٥٩) يقول السائل وهو طالب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وقع بيني وبين أخي خلافٌ عقائدي؛ حيث قلت له: إن الإنسان مسير، وليس مخيرًا. فقال: هذا ليس بصحيح، بل الإنسان مسير ومخير أيضًا. وطال الجدال، فما القول الفصل في هذه المسألة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القول الفصل في هذه المسألة أن الإنسان مخير، وأن له اختيارًا كما يريد، كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥]. وقال -عز وجل-: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]. وهذا أمرٌ معلوم بالضرورة؛ فأنت الآن عندما قدمت لنا هذا الكتاب هل قدمته على وجه الإكراه، أو تشعر بأن أحدًا أكرهك على تقديمه، أو أنك قدمته على سبيل الاختيار، فأخذت الورقة وكتبت، وأرسلت الخطاب، أو أرسلت الكتاب؟ لا شك في أن هذا هو الواقع. ولكننا نقول: كل ما نقوم به من الأفعال فإنه مكتوبٌ عند الله -عز وجل-، ومعلومٌ عنده.

أما بالنسبة لنا فإننا لا نعلم ما كتب عند الله إلا بعد أن يقع، ولكننا مأمورون بأن نسعى إلى فعل الخير، وأن نهرب من فعل الشر، وليس في هذا إشكالٌ أبدًا؛ فنحن نجد الطلبة يتجهون إلى الكلية مثلًا أو إلى الجامعة، فمنهم من يختار كلية الشريعة، ومنهم من يختار كلية أصول الدين، ومنهم من يختار كلية السُّنة، ومنهم من يختار كلية اللغة، ومنهم من يختار كلية الطب. المهم أن كلًّا منهم يختار شيئًا، ولا يرى أن أحدًا يكرهه على هذا الاختيار.

فكيف نقول: مسير ومخير؟ لو كان الإنسان مجبرًا على عمله لفاتت الحكمة من الشرائع، ولكان تعذيب الإنسان على معصيته ظلمًا، والله -عز

وجل- منزهٌ عن الظلم بلا شك، فالإنسان يفعل باختياره بلا شك، لكن إذا فعل فإنه يجب عليه أن يؤمن بأن هذا الشيء مقدَّر عليه من قبل، لكنه لم يعلم بأنه مقدر إلا بعد وقوعه.

ولهذا لما قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»**. فأثبت لهم عملًا مرادًا بقوله: **«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»**. أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، **ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فالصواب مع أخيك أن الإنسان مسيرٌ ومخير، ومعنى مخير: أن له الاختيار فيما يفعل ويذر، لكن هذا الذي اختاره أمرٌ مكتوبٌ عند الله، وهو لا يعلم ما كتبه الله عليه إلا بعد أن يقع، فيعرف أن هذا مكتوب، وإذا ترك الشيء علم أنه ليس بمكتوب.

***

(٢٦٠) يقول السائل م. من مكة المكرمة: هل الإنسان مسير أم مخير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول له: اسأل نفسك: هل أنت حينما كتبت هذه الورقة، وفيها السؤال، هل فعلتَ ذلك باختيارك، أم أن أحدًا أجبرك؟ إنني أجزم جزمًا أنه سيقول: كتبتها باختياري. ولكن ليعلم أن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي خلق في الإنسان الإرادة، الله تعالى خلق الإنسان، وأودع فيه أمرين، كلاهما سبب الوجود:

الأمر الأول: الإرادة: فالله تعالى جعل الإنسان مريدًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

الأمر الثاني: القدرة: فالله جعله قادرًا. فإذا فعل شيئًا فإنما يفعله بإرادته وقدرته، والذي خلق فيه الإرادة هو الله -عز وجل-، وكذلك الذي خلق فيه القدرة هو الله -عز وجل-.

وهذه الكلمة: «مخير» أو «مسير». هي كلمة حادثة لا أعلمها في كلام السابقين، وعلى هذا فنقول: إن الإنسان مخير يفعل الشيء باختياره وإرادته، ولكن هذا الاختيار والإرادة كلاهما مخلوقان لله -عز وجل-.

***

(٢٦١) تقول مجموعة من الطالبات بالمدرسة الثانوية بجدة: هل يؤاخذ الإنسان ويعاقب على الأخطاء والمعاصي، وقد قدرها الله -عز وجل- عليه في اللوح المحفوظ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، المعاصي يعاقب عليها الإنسان، إلا إذا كانت دون الشرك، فإنها داخلةٌ تحت مشيئة الله -عز وجل-. وهذه المعاصي لا شك أنها واقعة بعلم الله ومشيئة الله، وأنها مكتوبة على العبد في اللوح المحفوظ، ومكتوبة على العبد وهو في بطن أمه، ولكن هذه الكتابة ليست معلومة حتى يبني الإنسان عمله عليها، لو كان يعلمها فبنى عمله عليها لقلنا: إن له حجة. لكنه لم يعلمها، فمَن يعلم أن الله تعالى قدر له أن يعصي الله وهو لم يعصه حتى الآن؟ قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

ولهذا يكون إقدام العاصي على المعصية إقدامًا بلا علمٍ أن الله قدرها عليه حتى تقع منه، والحجة لا تكون حجة حتى تكون سابقةً على العمل الذي احتج بها عليه. ولهذا قال بعض العلماء: إن القدر سرٌ مكتوم، لا يعلم حتى يقع. وهذا صحيح؛ فمن يعلم أن الله قدر أن ينزل المطر غدًا، حتى ينزل غدًا فنعلم أن الله قدره؟ من يعلم أن فلانًا يعصي الله غدًا، حتى يعصي اللهَ هذا الرجل فنعلم أن الله قدره؟

ولهذا لا حجة للإنسان العاصي بقدر الله على شرع الله، فالشرع لا يحتج عليه بالقدر أبدًا، ولهذا قال الله تعالى مبطلًا دعوى القدر: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. ولو كانت الحجة صحيحة لم يستحقوا أن يذوقوا بأس الله.

وقال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. ولو كان القدر حجة لم يرفعها إرسال الرسل.

ولما أخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

فنحن نقول للإنسان: القدر علمه عند الله -عز وجل-، وهو سرٌّ مكتوم، وأنت مأمورٌ بأن تعمل العمل الصالح، وأن تتجنب العمل السيئ، فقم بما أمرت به؛ اعمل عملًا صالحًا، واجتنب العمل السيئ، وهذا هو المطلوب منك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

***

(٢٦٢) يقول السائل: هل يكتب الله -عز وجل- طريقة الموت على الإنسان، إذا كان بمرض أو بحادث؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، يكتب الله ذلك كله، وما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا وهو مكتوب عند الله، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ

---

(١) تقدم تخريجه.

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وكل شيءٍ مكتوبٌ عند الله -عز وجل-، حتى الشوكة تصيب الإنسان هي مكتوبة عند الله.

***

(٢٦٣) يقول السائل ع. م. ع. من أريتيريا: دخلتُ في عدة طرق من الطرق المتعددة، وخرجتُ منها، فهل ما ضاع من عمري في هذه الفترة، والسيئات التي وقعت فيها، محسوبة عليَّ أم تُنفَى عني بتوبتي؟ وهل كل ما حصل لي في هذه الطرق الباطلة قبل هذا كان مكتوبًا عليَّ منذ الأزل، وكان الله عالمًا به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة عن هذا السؤال أحب أن أهنئ الأخ الذي منَّ الله عليه بالاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، بعد أن كان منحرفًا في متاهات البدع والضلال، فإن هذا من نعم الله، بل هو أكبر نعمة ينعم الله بها على العبد؛ أن يتوب الله عليه فيتوب إلى ربه، ويقلع عن غيه إلى رشده، يقول الله -عز وجل- ممتنًّا على المؤمنين بمثل ذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]. ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ويقول جل وعلا: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالهداية للإيمان من أكبر النعم، بل هي أكبر نعمة أنعم الله بها على العبد، فأسأل الله أن يثبتني وإخواني المسلمين على دينه المستقيم، إنه جواد كريم.

أما بالنسبة للجواب عن سؤاله فإني أقول له: إذا تاب الإنسان من أي ذنبٍ كان فإن الله يتوب عليه، ويمحو عنه سيئاته؛ لأن الإسلام يهدم ما قبله،

والتوبة تجُب ما قبلها. قال الله -عز وجل-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

والنصوص في هذا كثيرة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ كلها تدل على أن الله إذا منَّ على العبد بالتوبة النصوح فإن الله يتوب عليه، ويبدل سيئاته حسناتٍ، إذا تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا. فكل ما جرى عليك من اعتناق الطرق والمذاهب الهدامة والزيغ والضلال فإنه يُمحى برجوعك إلى الحق.

وأما الفقرة الثانية في السؤال، وهي: أن هذا الذي عمله هل كان مكتوبًا عليه في الأزل، وبعلمٍ من الله -عز وجل-؟ فنقول: نعم، هو مكتوب عليه في الأزل، مكتوب عليه العمل السيئ السابق، ومكتوب له التوبة الأخيرة التي منَّ الله بها عليه، وكل ذلك بعلم من الله -سبحانه وتعالى-، يقول الله -عز وجل-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. ويقول جل ذكره: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فعلم الله -سبحانه وتعالى- محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، وهذا أمر متفق عليه بين علماء المسلمين والحمد لله، وهو إحدى مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، فإن الإيمان بالقضاء والقدر مراتب أربع:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، بمعنى: أن تؤمن بأن الله تعالى عالم بكل شيء جملة وتفصيلًا، ما كان وما لم يكن.

الثانية: أن تؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، فإن الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

الثالثة: الإيمان بعموم مشيئة الله، وهي أن تؤمن بأن كل ما في الكون فهو واقع بمشيئة الله، لا يخرج عن مشيئته شيء، لا من فعله، ولا من فعل عباده، والنصوص في هذا كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. فبين الله -عز وجل- أن اقتتال هؤلاء المختلفين كان بمشيئته.

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وأجمع المسلمون على هذه الكلمة العظيمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فما في الكون شيء يحدث عدمًا أو وجودًا إلا وهو بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

الرابعة: الإيمان بعموم خلق الله، أي: أن تؤمن بأن كل ما في الكون مخلوقٌ لله -عز وجل- في أعيانه وفي أوصافه، كما قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

حتى العبد فإنه مخلوق لله تعالى بعينه وشخصه، وبأوصافه وقواه الظاهرة والباطنة، وبما ينشأ عن تلك القوى، فأفعال العبد مثلًا مخلوقة لله، باعتبار أن هذه الأفعال ناشئة عن قدرة في العبد وإرادة، والقدرة والإرادة من

(١) تقدم تخريجه.

صفات العبد، والعبد مخلوق لله، فأوصافه كذلك مخلوقة له أي لله. فكما أن الأوصاف الخَلْقية الظاهرة مخلوقة لله، فكذلك الأوصاف الخُلُقية والفكرية الباطنة مخلوقة لله كذلك.

وهذه المراتب الأربع يؤمن بها أهل السنة والجماعة جميعها، فعلينا أن نؤمن بها ونصدق، لكن مع ذلك نعلم علم اليقين أن للإنسان إرادة وقدرة، فهو يريد الشيء فعلًا وتركًا، أي: يريد أن يفعل فيفعل إذا كان له قدرة، ويريد أن يترك فيترك، ولكن خالق القدرة وخالق الإرادة هو الله -عز وجل-، فهو يُنْسَبْ -أي: فعل العبد- إلى الله تعالى خلقًا وإرادة، وإلى العبد فعلًا وكسبًا، مع أنه داخل تحت إرادة العبد وقدرته، فلولا أن الله تعالى أقدر العبد على الفعل ما فعل؛ لعجزه عنه، ولولا أن الله خلق فيه الإرادة ما فعل؛ لعدم وجود الإرادة.

***

(٢٦٤) يقول السائل: هل الكفار مكتوب عليهم من الأزل أن يكونوا كفارًا؟ ولماذا يعذبون على المكتوب قديمًا إذا كان كل شيء يجري على ما سبق في الأزل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: نعم، الكفار كذلك مكتوب عملهم في الأزل، ويكتب كذلك عمل الإنسان عند تكوينه في بطن أمه، كما دل على ذلك الحديث الصحيح لابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»**[١].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢). ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

فأعمال الكفار مكتوبة عند الله -عز وجل-، والشقي شقي عند الله -عز وجل- في الأزل، والسعيد سعيد عند الله في الأزل. ولكن قد يقول قائل -كما أورد هذا السائل-: كيف يعذبون وقد كتب الله عليهم ذلك في الأزل؟ فنقول: إنهم يعذبون؛ لأنهم قد قامت عليهم الحجة، وبُيِّن لهم الطريق: فأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبُين الهدى من الضلال، ورُغبوا في سلوك طريق الهدى، وحُذروا من سلوك طريق الضلال، ولهم عقول، ولهم إرادات، ولهم اختيارات.

ولهذا نجد هؤلاء الكفار وغيرهم أيضًا يسعون إلى مصالح الدنيا بإرادة واختيار، ولا تجد أحدًا منهم يسعى إلى شيء يضره في دنياه ويقول: إن هذا مكتوب عليَّ. أبدًا، كلٌّ يسعى إلى ما فيه المنفعة، فكان عليهم أن يسعوا أيضًا لما فيه منفعتهم في أمور دينهم، كما يسعون لما فيه المنفعة في أمور دنياهم، ولا فرق بينهما، بل إن بيان الخير والشر في أمور الدين في الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام أكثر وأعظم من بيان الأمور الضارة في أمور الدنيا، فكان عليهم أن يسلكوا الطرق التي فيها نجاتهم والتي فيها سعادتهم، دون أن يسلكوا الطرق التي فيها هلاكهم وشقاؤهم.

نقول: إن هذا الكافر حين أقدم على الكفر لا يشعر أن أحدًا أكرهه، وإنه فعل ذلك بإرادته واختياره، فهل كان حين إقدامه على هذا الكفر هل كان عالمًا بما كتب الله له؟ الجواب: لا؛ لأنَّنا لا نعلم بأن الشيء قد كتب إلا بعد أن يقع، أما قبل أن يقع فإننا لا نعلم ماذا كتب؛ لأنه من علم الغيب.

فنقول لهذا الكافر: لماذا لم تقدر أن الله -سبحانه وتعالى- كتب لك السعادة فتؤمن؟ فأنت الآن قبل أن تقع في الكفر أمامك شيئان: هداية وضلال، فلماذا لا تسلك طريق الهداية مقدرًا أن الله تعالى كتبه لك؟ لماذا تسلك طريق الضلال، ثم بعد أن تسلكه تحتج بأن الله تعالى كتبه؟ نقول لك قبل أن تدخل في هذا الطريق: هل عندك علم أنه مكتوب عليك؟ ستقول: لا.

ولا يمكن أن تقول: نعم. فإذا قلت: لا. قلنا: إذًا لماذا لم تسلك طريق الهداية وتقدر أن الله تعالى كتب لك ذلك؟

ولهذا يقول الله -عز وجل-: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، ويقول -عز وجل-: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]. ولما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أصحابه بأنه **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ». ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][(١)].

هذا جوابنا عن هذا السؤال الذي أورده هذا السائل، وما أكثر من يحتج به من أهل الضلال، وهو عجب منهم؛ لأنهم لا يحتجون بمثل هذه الحجة على مسائل الدنيا أبدًا، بل تجدهم يسوقون في مسائل الدنيا ما هو أنفع لهم، ولا يمكن لأحد أن يقال له: هذا الطريق الذي أمامك طريق وعر صعب، فيه لصوص، وفيه سباع، وهذا الطريق الثاني طريق سهل آمن. لا يمكن لأحد أن يسلك الطريق الأول ويدع الطريق الثاني، مع أن هذا نظير الطريقين: طريق النار وطريق الجنة، فالرسول بين طريق الجنة، وقال: هو هذا. وبين طريق النار، وقال: هو هذا. وحذر من الثاني، ورغَّب في الأول، ومع ذلك فإن هؤلاء العصاة يحتجون بقضاء الله وقدره -وهم لا يعلمونه- على معاصيهم.

***

(٢٦٥) يقول السائل ع. ع.: هل الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ؟ وهل مكتوب مثلًا أني أتزوج فلانة بعينها مسبقًا؟ وهل الرزق محدد مهما كدَّ الشخص وتعب؟ وما الدليل على ذلك؟

---

(١) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كل شيء يجري منذ أن خلق الله القلم إلى يوم القيامة فإنه مكتوب، مكتوب في اللوح المحفوظ؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- -كما في الحديث-: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١). وثبت عن النبي ﷺ **أن الجنين في بطن أمه إذا مضت أربعة أشهر بعث الله إليه ملكًا ينفخ فيه الروح، ويكتب رزقه وأجله وعمله، وهل هو شقي أم سعيد**(٢). والرزق أيضًا مكتوب لا يزيد ولا ينقص، ولكن الله -سبحانه وتعالى- قد جعل له أسبابًا يزيد بها وينقص، فمن الأسباب:

١- أن يعمل الإنسان بطلب الرزق، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

٢- صلة الرحم من بر الوالدين وصلة القرابات، فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

٣- تقوى الله -عز وجل-، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. ولا تقل: إن الرزق مكتوب ومحدود، ولن أفعل الأسباب التي توصل إليه. فإن هذا من العجز، ومن الكياسة والحزم أن تسعى لرزقك، ولما ينفعك في دينك ودنياك. قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**»(٤).

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الحوض، رقم (٢٤٥٩).

(٢٦٦) يقول السائل: إذا كان قضاء الله وقدره سابقًا على الإنسان بالسعادة أو الشقاوة فما حكم ترك الأخذ بالأسباب والعمل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ترك الأسباب والعمل سفه؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يقدر الأشياء بأسبابها، فلحكمته جل وعلا صار لكل شيء سببٌ، كل شيء يكون فلا بد له من سبب؛ إما معلوم لنا وإما مجهول لنا.

وقد بين الله لنا أسباب السعادة وأسباب الشقاوة، وأمرنا بأن نعمل في أسباب السعادة، فقال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

ولما أخبر النبي -عليه الصلاة- والسلام أصحابه أنه «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ**: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». **ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى**: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][(١)].

فهذا ما دل عليه الشرع: أنه لا بد من الأخذ بالأسباب، وكذلك دل عليه العقل؛ فإن الإنسان لو قال: أنا لا أتزوج، ولكن إن كان الله قد كتب لي أولادًا فسيأتون. لعدَّه الناس من أسفه السفهاء. وكذلك لو قال: أنا لن أسعى إلى طلب الرزق، ولو قدر الله -سبحانه وتعالى- لي أن أشبع، وأن أروى فسأشبع وأروى. لعد ذلك من أسفه السفه. فلا بد من فعل الأسباب، ولا يتم التوكل ولا الاعتماد إلا بامتثال أمر الله -عز وجل-، بفعل الأسباب النافعة التي تؤدي إلى المقصود.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢٦٧) يقول السائل -يسمي نفسه الباحث عن الحقيقة- من الجمهورية العراقية من مدينة كركوك: هناك نوعان من الحياة: الحياة السعيدة، ولا أقصد السعادة بالمال والجاه، وإنما أقصد تلك السعادة التي تأتي من النفس، أي أن يكون الإنسان مرتاحًا من الناحية النفسية. ثانيًا: الحياة الذليلة، وأقصد بها الذل النفسي، أي أن يكون الإنسان ذليلًا من الناحية النفسية. والسؤال: لماذا يخلق الإنسان ذليلًا في أمة الإسلام؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وذكر عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] وعدة آيات، وهل نستطيع أن نعتبر أن الذين خلقهم الله أذلاء من الناحية النفسية لم تشملهم هذه الرحمة الواسعة، ولا تزال قلوبهم ونفوسهم تعيش في الظلمات ولم تر النور، ونعتبر هذا ظلمًا لهم من الله -سبحانه وتعالى-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال الذي سأل عنه الأخ يتعلق بمسألة عظيمة؛ وهي مسألة القضاء والقدر، التي ينقسم الناس فيها إلى قسمين: منهم من وُفِّق للاستقامة، ومنهم من وُفق للضلالة.

وهذا هو محطُّ الإشكال عند كثير من الناس: كيف يكون هذا ضالًّا وكيف يكون هذا مهتديًا؟ ولكننا ننبه على نقطة مهمة في هذا الباب، وهي: أن مَن كان ضالًّا فإن سبب ضلاله هو نفسه؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، ولقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

ولقول النبي ﷺ حين حدث أصحابه: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ**: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». **ثم تلا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قوله تعالى:**

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

وعلى هذا نقول: هؤلاء الذين وصفهم السائل بأنهم أذلاء إنما أذلتهم المعصية، ولم يكتب لهم الهدى، بسبب أنهم هم الذين تسببوا للضلالة؛ حيث لم تكن إرادتهم صادقة في طلب الحق، والوصول إليه، وفي العمل به بعد وضوحه وبيانه، ولو أنهم كانوا أحسنوا النية، وصدقوا العزيمة لوفقوا للحق؛ لأن الحق بَين مُيَّسر: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-٧].

والذي أنصح به هذا الأخ، ومن على شاكلته، وممن أشكل عليهم هذا الأمر أن يرجعوا إلى أنفسهم أولًا، ويحسنوا نيتهم، ويصححوا عزيمتهم، حتى تكون النية سليمة، والعزيمة صادقة، في طلب الحق، وحينئذ فأنا ضامن أن يوفقوا له؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي وعد بذلك: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٧].

وتأمل أن الآية جاءت بالسين الدالة على قرب مدخولها، وعلى تحقق مدخولها أيضًا؛ لأن السين -كما هو معلوم- تدل على هذين المعنيين: قرب مدخولها، وتحققه. ولكن البلاء من أنفسنا.

وأتلو الآن أيضًا قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣]، فإن هذا النسيان يشمل الذهول الذي هو ذهول القلب عن المعلوم، فالنسيان هو: ذهول القلب عن المعلوم، وكذلك النسيان الذي بمعنى الترك، فهم تسلب علومهم، ولا يوفقون إلى العمل الصالح بسبب نقض الميثاق.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فأما من أعطى واتقى)، رقم (٤٩٤٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٧).

يقول السائل: لكن هؤلاء أذلتهم المعصية، وأيضًا ذكرتم الآية الأخيرة، التي نزلت -فيما أعتقد- في بني يهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]. نجد الآن بعض الذين ينتسبون إلى الأمة الإسلامية أذل من الذين جاهروا بالكفر، وانتهجوا هذا المنهج، فما رأيكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، هذا صحيح، وذلك أن الحق عليهم في الاستقامة أوكد من الحق على أولئك، ومعلوم أن من تدنَّس بالأرجاس، وهو من أهل الولاية، أشد ممن تدنس بها، وليس من أهل الولاية، فإن حقَّ الله على المسلمين أعظم من حقه على أولئك الكافرين، ولهذا يُلزمون بشرائع الإسلام، فإنه إذا تمرد كان أشد وأعظم، ولهذا إذا تمت النعمة على العبد صارت مخالفته أشد وأعظم.

ومن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ في **الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ومنهم: العجوز الزاني**[(١)]؛ لأنه لا داعي له للزنى، وهو إلى الاتعاظ والبعد عن هذا أولى، فلذلك عظم إثمه. فهؤلاء الأذلة من المسلمين؛ لأنهم يجب عليهم من حق الله -سبحانه وتعالى- والاستقامة أكثر مما يجب على أولئك، ولهذا كانت مخالفتهم أعظم من مخالفة أولئك، وكان الذل إليهم أقرب.

وقد مثل بعض العلماء شبيه هذه المسألة بحاشية الملك والبعيدين عنه، فقال: إن مخالفة حاشية الملك للملك أشد وأعظم وقعًا من مخالفة الأباعد، هكذا المسلمون؛ مخالفاتهم تكون أعظم من غيرهم، فلذلك كان جزاؤهم أشد من غيرهم.

***

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رقم (١٠٧).

(٢٦٨) يقول السائل: هل الإصابة بالعين حقيقة؟ وكيف نعالج هذه الإصابة بالآيات القرآنية؟ وما هذه الآيات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإصابة بالعين حقيقة دل عليها القرآن والسُّنة:

أما **القرآن** فإن بعض المفسرين قد ذهبوا إلى أن معنى قول الله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ [القلم: ٥١] أن المراد بها العين، وكذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]. ذهب كثير من أهل العلم أن المراد بها العين.

وأما **السنة** فقد ثبت ذلك عن النبي ﷺ حينما قال: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ**»(١). وهذا نص صريح.

ثم إن الواقع يشهد لذلك أيضًا، ولا حاجة إلى سرد الوقائع المعلومة لنا في هذا المقام، لكنها معلومة عند جميع الناس. وخير وقاية منها نوعان:

أحدهما: وقاية دافعة.

ومنها: أن يستعمل الإنسان الأوراد الواقية من العين وغيرها؛ مثل آية الكرسي؛ فقد جاء في فضلها: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ**»(٢). ومنها أيضًا ألا يظهر لمن اتُهم بالعين بمظهر يُخشى منه أن يثير هذا العائن.

ثانيها: وقاية رافعة.

ومنها: أن يؤمر العائن بالاغتسال، ويؤخذ ما تناثر من الأعضاء، أو

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، رقم (٢٣١١).

بالوضوء، ويؤخذ ما تناثر من أعضائه، فيُصب على رأس المصاب، وعلى ظهره، ويشرب منه، وحينئذ تزول العين، بإذن الله -تبارك وتعالى-.

***

(٢٦٩) يقول السائل: هل هناك آيات قرآنية خاصة يُرقى بها من أصابته العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا أعرف عن هذا شيئًا، ولكن كما قلت: آية الكرسي واقية، وقبل أن نختم الجواب ينبغي لمن عرف من نفسه أنه عائن أن يكثر التبريك إذا رأى ما يسره، فيقول إذا رأى ما يسره: تبارك الله ما شاء الله، وما أشبه هذا؛ لأن ذلك من أسباب الوقاية.

***

(٢٧٠) يقول السائل: العين حق، فكيف يتقي الإنسان من العين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العين حق، ولا شك فيها، ولكن للعين أشياء تقي، منها: دافعة ورافعة.

أما الأشياء الدافعة: فأن يكثر الإنسان من الأوراد التي جاءت بها السنة؛ مثل قراءة آية الكرسي، والآيتين من آخر سورة البقرة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١]. ومنها: إذا رأى أحدًا يخاف عينه فليقل: اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. ومنها: إذا كان الإنسان من الذين يؤذون الناس بعينهم، أي: إذا كان عائنًا، فإنه إذا رأى ما يعجبه يبرك عليه فيقول: بارك الله فيك، وما أشبه ذلك.

أما معالجة العين بعد وقوعها -وهو دفعها- فله أسباب، منها: القراءة على الشخص المصاب بالعين، ومنها: أن يؤمر العائن بأن يتوضأ، ويؤخذ مما يتناثر من وضوئه، فيصب على المصاب، ويشرب منه، فإن هذا من أسباب ارتفاع أثر العين عن المصاب.

***

(٢٧١) يقول السائل: ما العلاج الشرعي للمصاب بالعين؟ وبعض الناس يكون عنده وسواس، ويخشى الإصابة بالعين، ويطلب من الناس دائمًا أن يذكروا الله، فهل عمله هذا صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: من الواضح جدًّا في عهدنا القريب أن الناس كثرت فيهم الأوهام والوساوس، فإذا أصيبوا بشيءٍ عادي قالوا: هذا جن. أو: هذه عين. أو: هذا سحر. ونحن لا ننكر أن الجن قد يُسلَّط على الإنسي، ويتلبس به، ولا ننكر أن الإنسان قد يصاب بالعين، ولا ننكر أن الإنسان يسحر.

ولكننا نريد ألَّا يكون هذا وهمًا بين الناس، فإذا قدر أن أحدًا أصيب بذلك -نسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين العافية- فإنه يبحث عن العلاج.

وعلاج السحر أن ينقض: بأن يعثر عليه، ثم يتلف. وعلاج العين أن يطلب من العائن أن يغتسل، ويؤخذ الماء الذي يتناثر من غسله، ويعطى المريض شربًا ورشًا على بدنه، وهذا من العلاج.

وعلاج الجن قراءة الآيات التي يطرد بها الجن؛ مثل آية الكرسي، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[الفلق: ١]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ١]، ومثل بعض آيات سورة الجن، مع الاستعانة بالله -عز وجل-، والتوكل عليه، والاعتماد عليه، والاعتقاد أن كلامه -جل وعلا- شفاء لما في الصدور. نسأل الله لنا ولإخواننا السلامة من شر أنفسنا ومن شر ما خلق.

***

(٢٧٢) يقول السائل: هل هناك رقية شرعية لمن أصيب بالعين؟ وهل يجوز التداوي من العين بطرق أخرى يعملها بعض الناس، وهم يزعمون بأنها تشفي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإصابة بالعين دواؤها أن يؤمر العائن بأن يغتسل، وما تناقط من الماء الذي اغتسل به يستشفي به المصاب، أو يتوضأ

ويغسل مغابنه، وما تناثر منه يؤخذ إلى المصاب بالعين ويستشفي به. هذا هو المعروف، فإذا فعله الإنسان فإنه -بإذن الله- يبرأ من إصابة العين.

***

(٢٧٣) يقول السائل: ما العلاج الشرعي لمن أصيب بالعين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاج الشرعي: كثرة القراءة على المصاب؛ قراءة القرآن والآيات التي فيها ذكر الشفاء بالقرآن، فيقرأ مثلًا الفاتحة وآية الكرسي، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ويقرأ مثل قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، إلى غير ذلك من الأدعية المناسبة.

هذا إذا كان لا يعرف الذي أصابه بالعين، أما إذا كان يعرفه فليفعل ما أمر به النبي ﷺ العائن؛ أن يغتسل، أو يتوضأ، ويؤخذ الماء الذي يتناثر منه، ويسقى المريض، أو يصب على رأسه وعلى ظهره حتى يشفى.

وقد كان بعض الناس يتهم بأنه أصاب أخاه بالعين إما لكلمةٍ قالها أو قرينةٍ تدل على ذلك، فيأتي إليه المصاب، أو أهله يطلبون منه أن يغتسل بالوضوء أو بالغسل، فينفر منهم، ويسبهم ويشتمهم، ويأبى أن يطيع، وهذا خطأ؛ لأنه ربما يكون الأمر واقعًا، فإن كان واقعًا حصل دفع الأذية التي حصلت منه بفعله بنفسه، وإن لم يكن واقعًا فإنه لا يضره؛ لأنه إذا لم يشف المريض بذلك علم أنه لم يصبه بالعين، وإذا شفي بذلك علم أنه أصابه، وسلم من أذية أخيه. ومن العقوبة التي تترتب على ذلك إذا كان هو الذي أصابه، وهذا لا يضره.

لكن بعض الناس -والعياذ بالله- تأخذه العزة بالإثم، ويأبى يقول: أنا عائن؟! أنا نحوت؟! كما باللغة العامية وما أشبه ذلك، وهذا خطأ، انفع أخاك؛

إن كانت العين منك تكون قد تخلصت منها، وشفى الله صاحبك، وإن لم تكن منك فإنه لا يضرك، أعني: إذا لم تكن منك لم ينفعه ما أخذ منك، وحينئذٍ يعرف أنك بريء من العين.

***

(٢٧٤) يقول السائل: ما صحة الحديث: «العَيْنُ حَقٌّ»[1]؟ وإن كان كذلك فما العلاج الذي يسلكه المؤمن لاتقاء العين؟ وكيف تصيب العين الإنسان؟ وإن كان هناك علاج فما الطريقة في نظركم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم الحديث صحيح، والعين حق، والواقع يشهد بذلك، والعين عبارة عن صدور شيء من نفس حاسد يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، فهو -أي: العائن- شرير، لا يريد من الناس أن يتمتعوا بنعم الله، فإذا رأى في شخص نعمة من نعم الله عليه فإن هذا الحسد الكامن في نفسه ينطلق، حتى يصيب ذلك المتنعم بنعم الله -عز وجل-.

والطريق إلى الخلاص من العين بالنسبة للعائن: أن يبرك على من رآه متنعمًا الله، فيقول: اللهم بارك على فلان. وما أشبهها من الكلمات التي تطمئن نفسه، وتكبت ما فيها من حسد.

وأما بالنسبة للرجل الخائف من العين فإن العلاج لذلك: أن يكثر من قراءة الأوراد صباحًا ومساء، كآية الكرسي، وسورة الإخلاص، وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وغيرها مما جاءت به السنة.

هذا علاج للوقاية منها قبل الإصابة، أما بعد أن يصاب بها فإنه يؤخذ من وضوء العائن، أو مما يغتسل به من الماء، فيصب على المصاب بالعين، أو

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب العين حق، رقم (٥٧٤٠). ومسلم: كتاب الآداب، باب الطب والمرض والرقى (٢١٨٧).

يحثو منه، فإذا فعل ذلك فإنه يبرأ منها بإذن الله. فيؤمر العائن بأن يتوضأ أو يغتسل، ويؤخذ ما تناثر من مائه، ويصب على المصاب، أو يحثو منه، أو يجمع بين الأمرين، وبذلك يزول أثر العين.

***

(٢٧٥) يقول السائل: هل تدخل الغبطة في الحسد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الغبطة لا تدخل في الحسد؛ لأن الحاسد يتمنى زوال نعمة الله على غيره، والغابط يغبط هذا الرجل بنعمة الله عليه، ولكنه لا يتمنى زوالها.

***

(٢٧٦) يقول السائل: ما السر في قول: ما شاء الله، تبارك الله. عند رؤية ما يعجبك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السر في ذلك ألَّا يقع من هذا المشاهد عين تصيب المشهود؛ لأن النفوس قد يقع منها ما لا يجوز، فإذا رأى الإنسان ما يعجبه وخاف من حسد العين فإنه يقول: ما شاء الله، تبارك الله. حتى لا يصاب المشهود بالعين، وكذلك إذا رأى الإنسان ما يعجبه في ماله فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. لِئَلَّا يعجب بنفسه، وتزهو به نفسه، في هذا المال الذي أعجبه، فإذا قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. فقد وكل الأمر إلى الله -تبارك وتعالى-.

❁❁❁

۞ الكفر والتكفير ۞

(٢٧٧) يقول السائل: ما نواقض الإسلام، سواء كانت قولية، أم عملية، أم اعتقادية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كل ما خالف الإسلام فهو مناقض له، لكن المناقضة تنقسم إلى قسمين: مناقضة جزئية، ومناقضة كلية.

فما أطلق الشارع عليه الكفر نظرنا: إن كان هذا يناقض الإسلام مناقضة كلية، حسب القرائن المقترنة بهذا الإطلاق فهو كفر أكبر مخرج عن الملة، وإن كان يناقض الإسلام في هذه المسألة الجزئية فليس مناقضًا على وجه الإطلاق.

فقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١). إذا نظرنا إلى قوله: «**قتاله كفر**» فيقول قائل: من قاتل المسلم فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة. لكننا عند التأمل نجد أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «**قتاله كفر**» أي: إن القتال من الكفر، وليس هو الكفر الأكبر.

ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ**﴾ [الحجرات: ٩-١٠]. فجعل الله الطوائف الثلاث كلها إخوة: المقاتلة الباغية، والأخرى المدافعة، وكذلك المصلحة، كما قال: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ**﴾ [الحجرات: ١٠]. فيكون هذا الناقض ليس ناقضًا بالكلية، بل في الإنسان خصلة من خصال الكفر، وليس هو الكفر المطلق.

وإذا نظرنا إلى قول النبي ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(٢). وقوله: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم (٤٨). ومسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، رقم (٦٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢).

كَفَرَ»[1]. علمنا بأن الكفر هنا الكفر الأكبر المناقض للإسلام مناقضة كلية، وذلك لجملة: بين الرجل وبين الشرك والكفر، والبينية تقتضي أن يكون كل طرف منفصلًا بائنًا عن الطرف الآخر، لا يجتمع معه في شيء؛ لوجود الحد الفاصل الذي دلت عليه البينية: بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.

وكذلك قوله: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**». يعني: العهد الذي بين المسلمين والكفار هو الصلاة، فمن صلى فهو مؤمن، ومن لم يصل فهو كافر، والبينية تقتضي الانفصال التام.

فالحاصل: أن نواقض الإسلام تنقسم إلى قسمين:

نواقض كبرى: وهي التي يخرج بها الإنسان من الإسلام.

نواقض صغرى: وهي التي لا تخرجه من الإسلام، ولكنها تكون خصلة من خصال الكفر.

***

(٢٧٨) يقول السائل: أرجو من فضيلتكم أن تذكروا لي بعض الأمور التي تخرج من الملة، سواء كانت هذه أقوالًا، أم أعمالًا، أم اعتقادًا؛ بحيث أعبد الله على بصيرة. كما أرجو من فضيلتكم أن تذكروا لي بعض الكتب المتخصصة في أمور التوحيد.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يمكن أن نحصر الأشياء التي تخرج من الملة؛ لأنها كثيرة الأفراد، لكن يمكن أن نذكر قاعدة، وهي: أن الذي يخرج من الملة هو يدور على أمرين: إما الإنكار، وإما الاستكبار.

أعني: إما أن ينكر الإنسان شيئًا أخبر الله به ورسوله فيكذبه، أو ينكر حكمًا من أحكام الشريعة الظاهرة التي أجمع المسلمون عليها.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٢٠، رقم ٢٢٩٣٧)، والترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩).

أو الاستكبار، وهو: أن يقر بذلك، لكن لا يعبد الله. فتارك الصلاة -مثلًا- كافر مع أنه يؤمن بالله، ويؤمن بالشريعة، ولا يكذب بها، ولكنه استكبر فلم يصل، ولا يلزم أن يكون تارك الصلاة مستكبرًا، ليس بلازم، بل إذا تركها متهاونًا بلا عذر، ولا جهل منه، إذا كان بعيدًا عن المدن الإسلامية، فإنه في الحقيقة مستكبر.

فجميع أنواع الردة تعود إلى هذا: إلى الإنكار أو الاستكبار، لكن التفاصيل كثيرة جدًّا، ويمكن أن ترجع إلى ما ذكره الفقهاء -رحمهم الله- في باب أحكام المرتد.

أما أحسن كتاب في التوحيد فهو كتاب «التوحيد» لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كتاب جامع بين الدلائل والمسائل. ومن أحسن الكتب في العقيدة: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم إذا ترقى الإنسان شيئًا فالعقيدة التدمرية، ثم إذا ترقى الإنسان أكثر فالكتب المطولة؛ مثل مختصر الصواعق المرسلة، الذي أصله لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغير ذلك. والمرجع الأصل والأول هو كتاب الله -عز وجل-، وما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(٢٧٩) يقول السائل: ما نواقض الإسلام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما بالنسبة لسؤاله عن نواقض الإسلام فنواقض الإسلام بمعناها الإجمالي: كل ما أوجب الردة فهو ناقضٌ للإسلام، أعني: كل شيء من قولٍ أو فعل أو عقيدة يكون به الإنسان مرتدًّا فهو ناقضٌ للإسلام، وأفراده لا تحصر في الواقع، لا بعشرة، ولا بعشرين، ولا بأكثر، لكن الضابط: أن كل ما كان مقتضيًا للردة فهو من نواقض الإسلام.

فمثلًا: كفر الجحود: وهو أن يجحد ما يجب الإيمان به؛ مثل أن يجحد -والعياذ بالله- وجود الله، أو الملائكة، أو الرسل، أو الكتب، أو اليوم الآخر، أو القدر خيره وشره، فقد أتى ناقضًا من نواقض الإسلام.

ولو جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو وجوب الصيام، أو وجوب الحج، أو أنكر تحريم الزنى، أو تحريم الخمر، أو ما أشبه ذلك من المحرمات الظاهرة المجمع عليها، فهذا ناقضٌ من نواقض الإسلام.

كذلك من نواقض الإسلام الاستهزاء؛ فلو استهزأ بالله، أو آياته، أو رسوله، فهذا ناقضٌ من نواقض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥-٦٦].

كذلك لو استكبر عما يكون الاستكبار عنه ردة، كما لو ترك الصلاة، وصار لا يصلي، لا في بيته، ولا مع الجماعة، فهذا ناقضٌ من نواقض الإسلام، كذلك لو اعتقد في الله ما لا يليق بالله فهو مرتد.

والحاصل: أن نواقض الإسلام لا تحصر بعدد، وإنما تذكر بحد، وهو: كل ما أوجب الردة -أي: كل ما كان ردة- فهو ناقضٌ من نواقض الإسلام، سواءٌ كان ذلك في العقيدة أم في القول أم الفعل.

***

(٢٨٠) يقول السائل ع. ع. من المدينة المنورة: ما الأشياء التي تحبط العمل؟ وهل تحبط جميع الأعمال منذ التكليف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: محبطات الأعمال تنقسم إلى قسمين:

١- قسمٌ عام:

القسم العام المبطل لجميع الأعمال هو الردة، فإذا ارتد الإنسان -والعياذ بالله- عن دين الله، ومات على الكفر يحبط جميع عمله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٢١٧]. أما إذا ارتد، ثم منَّ الله عليه، فرجع إلى الإسلام، فإن عمله لا يحبط.

ولهذا فإن هناك من الناس من يقول عن نفسه: إنه حج الفريضة، وهو

يصلي كما يصلي الناس، وقائمٌ بشعائر الإسلام، ثم أتاه وقت ارتد فيه عن الإسلام، فترك الصلاة، ثم منَّ الله عليه برجوعه إلى الإسلام، فأقام الصلاة، وقام بشعائر الإسلام. فيسأل: هل بطل حجه الذي كان قبل ردته، فوجب عليه أن يعيده، أم لا؟ فنقول: لا، لم يبطل حجك، وليس عليك إعادته؛ لأن الله تعالى اشترط لحبوط العمل بالردة أن يموت الإنسان على الردة، هذا المبطل العام الذي يبطل جميع العبادات.

٢- قسمٌ خاص يبطل كل عملٍ بعينه:

أما المبطلات الخاصة فهي تختص في كل عملٍ بحسبه؛ فالوضوء -مثلًا- يبطله الحدث، والصلاة يبطلها ما تبطل به، كالضحك والكلام وشبهه، والصدقة يبطلها المن والأذى، والصوم يبطله الأكل والشرب، والحج يفسده الجماع قبل التحلل الأول. فالمهم: أن محبط الأعمال الخاص كثيرٌ لا حصر له، ويختلف باختلاف العبادات التي أبطلها.

يقول السائل: هل ينطبق على هذا المرتد بعد توبته قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، **وقوله:** ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[التوبة: ١١]، **وقوله:** ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. **وقوله:** ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤] **إلى آخر الآيات التي تتحدث عن التوبة؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، ينطبق عليه ذلك، فإذا تاب ورجع إلى الله -عز وجل- فإنه يكون مؤمنًا ومع المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

***

(٢٨١) يقول السائل: هل الكافر تنطبق عليه أحكام التشريع الإسلامي نفسها من حيث المعاملات -وأقصد المرتد بترك الصلاة وسب الدين- أم أنه يعاد أولًا إلى الطريق المستقيم؛ حتى يخضع كيانه لتشريعه السامي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المرتد ليس كالكافر الأصلي، ولا يُعامَل معاملة الكافر الأصلي، بل هو أشد منه؛ لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١). فالمرتد بأي نوع من أنواع الردة لا يعامل كما يعامل الكافر الأصلي، بل إنه يلزم بالرجوع إلى الإسلام، فإن أسلم فذاك، وإن لم يسلم فإنه يقتل كفرًا، ولا يدفن مع المسلمين، ولا يُصلَّى عليه. وعلى هذا نقول: إن هذا المرتد لا يمكن أن يعيش، بل إنه إما أن يعيش مسلمًا، وإما أن يقتل.

***

(٢٨٢) يقول السائل: ماذا تعني كلمة الإلحاد؟ وهل هناك فرق بين الملحد والكافر الذي كان مسلمًا، أو هو كافر بأصله كاليهودي والنصراني؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كلمة الإلحاد لها معنيان:

١- لغوي:

معناها اللغوي هو الميل عن طاعة الله -سبحانه وتعالى- بمعصيته؛ إما بترك الواجب، وإما بفعل محرم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥]. وعلى هذا فكل عاصٍ لله -سبحانه وتعالى- يكون ملحدًا، ولكن الإلحاد ينقسم إلى قسمين:

- قسم مخرج عن الملة، وهو: ما أوجب الكفر.
- وقسم لا يخرج من الملة، وهو: ما أوجب الفسوق.

٢- عرفي:

المعنى العرفي للإلحاد هو: إنكار الألوهية، أعني: إنكار وجود الله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧).

-والعياذ بالله- أو ارتداد المسلم. هذا هو الذي أعرفه من معنى الإلحاد في العرف، وعلى هذا فاليهود والنصارى في العرف لا يعتبرون ملحدين، ولكن هذا العرف ليس بصحيح؛ لأن العرف إذا خالف الشرع وجب إلغاؤه وطرحه.

والصواب: أن كل من خالف الإسلام، ولم يكن مسلمًا، فهو ملحد، سواء انتسب إلى دين أم لم ينتسب، وسواء أقر بوجود الخالق أم لم يقر به، فكل من كان كافرًا كفرًا أصليًّا، أو كان مرتدًّا فإنه يكون ملحدًا؛ لأن الكفر -والعياذ بالله، وإن كان دركات بعضها أسفل من بعض- ملة واحدة باعتبار أنه خروج عن الإسلام.

***

(٢٨٣) يقول السائل: ما معنى الإلحاد؟ وكيف يكون الشخص ملحدًا في أسماء الله وصفاته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإلحاد في اللغة هو الميل، ومنه سمي الحفر في طرف القبر لحدًا؛ لأنه مائل إلى جهة منه.

أما في الاصطلاح فهو: الميل عن ما يجب اعتقاده أو عمله. وهذا تعريف عام: كل مَن مال عن ما يجب اعتقاده وعمله فهو ملحد، لكن الإلحاد نوعان:

١- إلحاد أكبر:

فالإلحاد التام الذي هو الميل عن الإسلام كله إلحاد أكبر مخرج عن الملة، كإلحاد الشيوعيين والمشركين ومن ضاهاهم.

٢- إلحاد أصغر:

وهو لا يخرج من الملة، كالإلحاد في بعض الأعمال، كقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥] أي بمعصية صغرى، والكبرى أشد وأعظم.

أما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن ينكرها إنكارًا كليًّا، فينكر الأسماء والصفات، ويدعي أن هذه الأسماء والصفات للمخلوقات وليست للخالق، كما يفعله غلاة المعطلة من القرامطة والباطنية ونحوهم.

القسم الثاني: إلحاد في الأسماء فقط، بأن يثبتها لله -عز وجل-، لكن ينفي ما دلت عليه من الصفات؛ مثل أن يقول: إن الله سميع ولا سمع له، بصير ولا بصر له، عليم ولا علم له. وما أشبه ذلك، فهذا أثبت الأسماء، ولكن لم يثبت ما دلت عليه من الصفات.

ومن الإلحاد في الأسماء أن يثبت الأسماء، لكن يجعلها دالة على التمثيل، فيقول: إن لله تعالى أسماء يثبت ما دلت عليه من الصفات على وجه المماثلة. ويقول: إن لله تعالى علمًا، لكن علمه مماثل لعلم المخلوق. وكذلك من يمثل في الصفات وهو ملحد فيها، كالذي يقول: إن لله تعالى وجهًا، لكنه مماثل لأوجه المخلوقين. وما أشبه ذلك. فالتمثيل في الأسماء والصفات هذا من الإلحاد.

ومن الإلحاد أيضًا أن نسمي الله بما لم يسمِّ به نفسه، فيسميه الصانع والساخر وما أشبه ذلك، فيثبت لله تعالى أسماء من عنده فإن هذا إلحاد؛ وذلك لأن الواجب في أسماء الله أن يقتصر فيها على ما ورد.

ومن الإلحاد أن يثبت لله تعالى بعض الصفات دون بعض، بأن يثبت لله تعالى من الصفات ما يزعم أن العقل دل عليها، وينفي من الصفات ما يزعم أن العقل لا يدل عليها، فإنَّ هذا من الإلحاد والتعطيل، والإيمان ببعض الكتاب دون بعض.

من الناس من يؤمن بأن الله تعالى حي عليم قادر سميع بصير مريد متكلم، لكنه لا يثبت بقية الصفات، فلا يثبت أنه حكيم، ولا يثبت أنه رحيم، ويقول: إن الله تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد بدون حكمة. ويقول أيضًا: إن الله تعالى ليس له رحمة، لكن رحمته هي إحسانه إلى الخلق، أو إرادة إحسانه إليهم. وما أشبه ذلك، هذا نوع من الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

ومن الإلحاد في أسماء الله أن يسمي بها الأصنام، ويشتق للأصنام أسماء من أسماء الله، كقولهم: اللات والعزى. أخذوا الأول من الله، وهو اسم من أسماء الله جل وعلا، وأخذوا الثاني من العزيز، وهو اسم من أسماء الله تعالى.

***

(٢٨٤) يقول السائل: إ. أ. ح: ما حكم من كذب بالبعث بعد الموت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هو كافر، إذا كذب إنسان بالبعث بعد الموت فإنه كافر خارج عن الإسلام؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

ولأن المكذب بالبعث مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين، ورجل هذا شأنه لا شك في كفره، فإذا رأينا أحدًا يكذب بالبعث فالواجب علينا نصيحته بقدر الإمكان، إن من قال هذا فلا شك في كفره وارتداده، ويُنصح، فإن لم يتب وجب رفعه إلى الجهات المسئولة، والجهات المسئولة تنفذ فيه أحكام الردة، حتى لو سولت له نفسه أنه يتدين بدين مقبول فإنه خاسر.

هذا كلام ربنا الخالق المنزل للشرائع؛ لأن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على النبيين عمومًا أن يؤمنوا بمحمد -عليه الصلاة والسلام-، كما قال -عز وجل-: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ [آل عمران: ٨١]. يعني: عهدي. وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، فاستشهد بعضهم على بعض، وشهد جلَّ وعلا بأنه إذا جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه، ومَن الرسول المصدق لما معهم؟ هو محمد -عليه الصلاة والسلام-.

فإذا كان هذا مأخوذًا على رسلهم فإنهم إن كانوا مؤمنين برسلهم حقًا أخذوا به تبعًا لرسلهم، وها هو عيسى -عليه الصلاة والسلام- آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين محمد رسول، قال لبني إسرائيل: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [الصف: ٦]. فهذا الرسول السابق، ثم قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي﴾ [الصف: ٦]. وهذا الرسول اللاحق، ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. والتبشير بالرسول ووجوب اتباعه؛ لأنه لو لم يجب اتباعه؛ لم يكن في بشارته به فائدة، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم﴾ [الصف: ٦]. أي هذا الرسول المبشر به لما جاءهم، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

ولقد شهد علماء اليهود والنصارى على أن محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- هو الذي بشرت به الأنبياء، وهو: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فإن النجاشي لما ذكروا له قصة الوحي، ورآهم يفعلون تلك الأفعال آمن، وشهد بأن الرسول حق، وهو من أئمة النصارى.

وعبد الله بن سلام رضي الله عنه من أحبار اليهود، شهد للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بأنه رسول الله حقًّا، لكن أهل الكتاب كما قال الله عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالخلاصة: أنني أنصح وأحذر إخواني المسلمين من هذا الرأي القبيح المنكر، وهو ما يسمى بتوحيد الأديان، فإن هذا أمر لا يمكن إطلاقًا، كيف توحد الأديان ودين منها حق ودين منها منسوخ؟ هذا غير ممكن، إلا أن يمكن الجمع بين النار والماء، فلا ينخدع المسلمون بهذه الدعوى الباطلة المنكرة القبيحة المنافية للإسلام.

***

(٢٨٥) يقول السائل هـ. ن: أنكر ذوو العقول الضعيفة قضية البعث فما ردكم عليهم؟ وهل يجوز أن نهجرهم بعد أن بينا لهم الحكم والأدلة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إنكار البعث كفر مخرجٌ عن الملة؛ لأنه تكذيبٌ لله ورسوله وإجماع المسلمين، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ ﴾ [التغابن: ٧-٩]. يعني: تبعثون. ثم قال: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ [التغابن: ٩].

فمن أنكر البعث فهو كافر خارجٌ عن الدين الإسلامي بإجماع المسلمين، فيستتاب، فإن تاب وأقر بالبعث إقرارًا صادقًا يقر به ظاهرًا وباطنًا -أعني: ظاهرًا مع الناس، وباطنًا فيما بينه وبين نفسه ومع أهله- فهو من نعمة الله عليه، ويكون رجوعًا للإسلام بعد الكفر، وإن أبى وأصر على إنكاره وجب قتله، وإذا قتل في هذه الحال فإنه لا يغسل، ولا يكفن، ولا يُصلَّى عليه ولا يدفن مع المسلمين، ولا يدعى له بالرحمة، فهذا حكم من أنكر البعث.

ثم إن إنكار البعث -مع كونه كفرًا وتكذيبًا لله ورسوله وإجماع المسلمين- هو نقصٌ في العقل؛ إذ كيف يخلق الله هذه الخليقة، ويرسل إليها الرسل، وينزل من أجلها الكتب، ويأمر بجهاد من عارض شرعه، ثم تكون النتيجة أن تكون هذه الخليقة ترابًا، لا يبعثون، ولا يحاسبون، ولا يجازون؟ لو وقع هذا لكان من أسفه السفه، فكيف ينسب هذا إلى رب العالمين الذي هو أحكم الحاكمين؟ فالكتاب والسنة وإجماع المسلمين والعقل السليم كلها توجب أن يكون للناس بعثٌ يجازون فيه على أعمالهم، ولهذا نقول: من أنكر البعث فهو كافر، وهو ضالٌّ في دينه، سفيهٌ في عقله، والواجب على ولي الأمر أن يقتله إذا لم يتب ويقر بالبعث.

***

(٢٨٦) يقول السائل: م. أ. من البحرين: **أسأل عن رجلٍ إذا ذكَّرتَه بأمور الآخرة؛ مثل البعث والجنة والنار، يكذب بها، ويقول: نحن إذا متنا نصير ترابًا ولا نبعث. وأنا لا أدري هل يقول هذا الكلام اعتقادًا منه أم مزاحًا، علمًا بأنه يصلِّي.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، إذا قال هذا فإنه كافر، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]. وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أن من تكلم بكلمة الكفر فهو كافر، سواءٌ كان جادًّا أم مازحًا.

فعلى هذا الرجل أن يتوب إلى الله، وأن يؤمن بالبعث، وأن يسأل الله تعالى الثبات على ذلك، وأن يسأل الله تعالى ألَّا يزيغ قلبه بعد إذ هداه، فإن القلوب بيد الله، بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. نسأل الله للجميع الثبات على الحق والوفاة عليه، إنه على كل شيءٍ قدير.

***

(٢٨٧) يقول السائل: بماذا نحكم على من أنكر المعراج، أو أوَّل في تفسيره له؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نحكم على من أنكر المعراج بأنه إن كان قد تبين له الحق، وعلم ما جاء به من النصوص؛ من السنة الصريحة، ومن ظاهر القرآن الكريم، فإنه يكون بذلك كافرًا؛ لأنه يكون مكذبًا لله ورسوله.

وإن كان لديه شبهات في هذا الأمر فإنه يجب أن ترفع عنه الشبهة؛ حتى يتبين له الحق، ثم إذا أصر بعد زوال الشبهة حكم بكفره أيضًا؛ لأن المعراج حق ثابت، أشار الله تعالى إليه في قوله: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم: ١-٨]. إلى أن قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨].

وأما الإسراء فهو أيضًا ثابت بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. وقد تضافرت الأحاديث الكثيرة في قصة المعراج، وأنه حق ثابت، ولهذا أدخله كثير من أهل العلم في كتب العقائد، وجعله من عقيدة أهل السنة والجماعة.

ولكن بهذه المناسبة أود أن أبين أن المعراج دخل فيه أشياء كذب وموضوعة على الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ مثل الكتاب الذي ينسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما في روايته، وهو كتاب متداول عند بعض الناس، فيه أشياء منكرة موضوعة، لا تصح عن النبي ﷺ فعلى الإنسان أن يكون محترزًا منه، مبتعدًا عنه.

***

(٢٨٨) يقول السائل: هل يعد الذي لا يُصلِّي ولا يزكي كافرًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن كان مراد السائل الذي لا يصلي ولا يزكي، أي أنه جمع بين ترك الصلاة، وترك الزكاة، فهو كافر، فإن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم قد دلت على أن تارك الصلاة كافر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة. وإن كان مراده لا يصلي، ولا يزكي، أي أنه يترك الصلاة مع كونه يزكي، أو يترك الزكاة مع كونه يصلي، فهذا فيه تفصيل:

فإن كان مراده أنه يترك الصلاة ويزكي نقول له: إنه إذا ترك الصلاة وزكى فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، ولا ينفعه إيتاء الزكاة؛ لأنه كافر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وإن كان قصده أنه ترك الزكاة مع الصلاة، أي إنه يصلي، ولكنه لا يزكي فالصحيح أنه لا يخرج من الإسلام، لكنه قد فعل كبيرة من كبائر الذنوب، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ»(١). وأخبر ﷺ أنه: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»(٢).

وهذا أيضًا وعيد شديد عظيم، لكنه لا يكفر؛ لقوله في هذا الحديث: «فَيَرَى سَبِيلَهُ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»؛ وذلك لأنه لو كان كافرًا لم يكن له سبيل إلى الجنة، ولأن عبد الله بن شقيق رحمه الله وهو من التابعين المعروفين قال: كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

والخلاصة في الجواب على سؤال الرجل: أن من لا يصلي ولا يزكي كافر مرتد عن الإسلام؛ لأنه لا يصلي، وعدم زكاته يكون ظلمًا على ظلم، وإن كان لا يزكي، ولكنه يصلي، فقد أتى كبيرة عظيمة، لكنه ليس بكافر.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (١٤٠٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

(٢٨٩) **يقول السائل**: إننا نرى إذا أقبل شهر رمضان المبارك بعض الناس يهرعون إلى الصلاة؛ حتى يصوموا شهر رمضان، وإذا انقضى رمضان نراهم يتركون الصلاة، ولا يصلون إلا في شهر رمضان، ويعللون ذلك بقولهم: نحن نصلي في هذا الشهر؛ حتى يقبل صومنا. فهل يقبل منهم مثل هذا الصيام؟ وهل تقبل الصلاة في هذا الشهر، مع العلم بأنهم لا يقضون ما فاتهم من صلاة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما إذا كانوا يفعلون ذلك معتقدين أنه لا صلاة واجبة إلا في رمضان فهؤلاء كفار كفرَ اعتقاد؛ كفرًا مخرجًا عن الملة؛ لأن من أنكر وجوب شيء من الصلوات الخمس، وهو في بلاد المسلمين، فإنه يكون كافرًا؛ لأن الأمة كلها مجمعة على وجوب الصلوات الخمس، فلا عذر لأحد في تركها لتأويل أو غير تأويل. وأما إذا كان فعلهم هذا ليس عن اعتقاد، أي: أنهم يعتقدون وجوب الصلوات الخمس، لكنهم يتهاونون بها، ولا يفعلون ذلك إلا في رمضان، فأنا أتوقف في كفر هؤلاء.

***

(٢٩٠) **تقول السائلة أ. ف. ي. د. من محافظة بابل بالعراق**: يزورنا في البيت من الأقارب مَن لا يصلون، ولا يؤدون الواجبات، ويشركون بالله -والعياذ بالله- ومنهم من يقول لي: ندعو الأولياء والصالحين. وعجزت عن نصحهم، فهل تجوز مجالستهم؟ وعندما أتحدث عن الدين يضحكون مني ويسخرون ويهزءون ويقولون لي: هذه عبادة اتركوها. وعندما يقولون هذا أتضايق كثيرًا، وأقول: سامحهم الله. وعندما أقول لوالدتي: يا أماه، لا تشركي بالله. لا تعيرني أي اهتمام، وإذا استمعت إلى برنامجكم نور على الدرب تقول: إنك لن تدخلي الجنة على عملك هذا، وإذا استمررت على سماع هذا البرنامج، أو غيره من البرامج الدينية، فسوف تصابين بالجنون. فأقول لها: إنني لست مجنونة، ولكن الله هداني. ماذا أفعل لكي أرضي الله -سبحانه وتعالى- ثم أرضي أمي والناس؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتنا أولًا نوجهها إلى هذه الجماعة الذين وصفتهم بأنهم لا يصلون، وبأنهم يشركون بالله، ويسخرون من الدين، ومن يتمسك به، فإن نصيحتي لهؤلاء أن يتقوا الله -عز وجل- في أنفسهم، وأن يعلموا أن دين الله حق، وهو الذي بعث به محمد ﷺ، وأن أركانه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فعليهم أن يتوبوا إلى الله -عز وجل- من هذا الكفر والشرك البالغ غايته، وعليك أيضًا أن تحرصي على مناصحتهم ما أمكن، ولا تيأسي من صلاحهم، فإن الله -سبحانه وتعالى- مقلب القلوب، فربما مع كثرة البيان والنصح والإرشاد يهديهم الله -عز وجل-. وإذا تعذر إصلاحهم فإن الواجب هجرهم، والبعد عنهم، وعدم الجلوس إليهم؛ لأنهم حينئذ مرتدون عن دين الإسلام والعياذ بالله.

وأما قول بعضهم لك: إنك إذا استمعت إلى برنامج نور على الدرب، أو غيره من الكلمات النافعة، تصابين بالجنون، فإن هذا منهم خطأ عظيم، وهو كقول المكذبين للرسل: إنهم -أي الرسل- مجانين وكهان وشعراء، وما أشبه ذلك من الكلمات المشوهة التي يقصد بها التنفير عن الحق وأهل الحق، فاستمري أنتِ على هداية الله -عز وجل-، وعلى الاستماع لكل ما ينفع، وعلى القيام بطاعة الله -سبحانه وتعالى-، واعلمي أن العاقبة للمتقين.

***

(٢٩١) يقول السائل: هل يعتبر التحاكم إلى غير شرع الله كفرًا، مع العلم بأنه يعتقد اعتقادًا منافيًا للشك بأن أحكام الشريعة الإسلامية هي أفضل من الأحكام الوضعية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على هذا السؤال يتبين بالآتي:

أولًا: أن الله -سبحانه وتعالى- إنما خلق الخلق لعبادته، خلق الجن

والإنس ليعبدوه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وعبادة الله -سبحانه وتعالى- هي التذلل له حبًّا وتعظيمًا بإقامة شرائعه القلبية واللفظية والعملية.

ثانيًا: يقول الله -عز وجل-: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]. فلا حاكم بين العباد إلا الله -سبحانه وتعالى-، ولا يحل لأحد أن يفصل هذه القضية عما وجهنا الله فيه نحوها: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله لا إلى غيره.

ثالثًا: يقول الله -عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]. فتأمل هذه الآية الكريمة تجد أن طاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله ورسوله، وليست مستقلة، ولهذا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [النساء: ٥٩]. ولم يقل: أطيعوا أولي الأمر، وهذا يدل دلالة ظاهرة على أن طاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله، ولا يمكن أن تكون مستقلة.

كما أن الله تعالى يقول: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ﴾ [النساء: ٥٩]. فلم يقل: ردوه إلى القانون الفلاني، أو القانون الفلاني، أو الرأي الفلاني، أو النظرية الفلانية، أو ما أشبه ذلك، بل لا مرد إلا إلى الله ورسوله، إلى الله إلى كتابه، وإلى رسوله وسنته ﷺ فإن كان حيًّا فإليه نفسه، وإن كان ميتًا فإلى ما حفظ من سنته ﷺ.

رابعًا: قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥]. فأقسم الله -سبحانه وتعالى- بربوبيته لرسوله محمد ﷺ وهي ربوبيةٌ خاصة، لا تساويها أي ربوبية بالنسبة للعباد؛ لأنه كلما كان الإنسان أعبد لله كانت ربوبية الله له أخص.

ومن المعلوم أن نبينا محمدًا ﷺ أعبد الناس لله، وعلى هذا فإن الله أقسم بهذه الربوبية الخاصة المضافة إلى رسول الله ﷺ أنه لا يؤمن أحد إلا بهذه الشروط:

الشرط الأول: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. أي: لا يحكموا غيرك.

الشرط الثاني: قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: ٦٥]. أي: بل تتسع صدورهم لذلك وتنشرح صدورهم به، فلا يجدوا حرجًا وضيقًا مما قضيت.

الشرط الثالث: قال تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. أي: ينقادوا انقيادًا تامًّا، وبهذا أكد الفعل بالمصدر بقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

إذا عرفت هذه الأمور الأربعة تبين لك أن خروج الإنسان عن التحاكم إلى الله ورسوله خلاف ما خلق الله العباد من أجله، وخلاف ما أرشد الله أن يكون التحاكم إليه، وخلاف ما جعل الله تعالى لولاة الأمور من الطاعة، وخلاف تحكيم الرسول -عليه الصلاة والسلام-. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

***

(٢٩٢) يقول السائل: أسأل عن الآية الكريمة في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] على من تنطبق هذه الآية الكريمة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية قيل: إنها نزلت في اليهود. واستدل هؤلاء بأنها كانت في سياق توبيخ اليهود، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقيل: إنها عامة لليهود وغيرهم. وهو الصحيح؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولكن ما نوع هذا الكفر؟

قال بعضهم: إنه كفر دون كفر. ويروى هذا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، وهو كقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[1]. وهذا كفر دون كفر، بدليل قول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فجعل الله تعالى الطائفتين المقتتلتين إخوة للطائفة الثالثة المصلحة، وهذا قتال مؤمن لمؤمن، فهو كفر، لكنه كفر دون كفر.

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. ينطبق على رجل حكم بغير ما أنزل الله بدون تأويل، مع علمه بحكم الله -عز وجل-، لكنه حكم بغير ما أنزل الله، معتقدًا أنه مثل ما أنزل الله، أو خير منه، وهذا كفر؛ لأنه استبدل بدين الله غيره.

***

(٢٩٣) يقول السائل: ما حكم سب الدين الإسلامي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سب الدين الإسلامي كفر؛ لأن سب الدين الإسلامي سب للرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولله -سبحانه وتعالى-؛ إذ إن الدين الإسلامي هو الدين الذي بعث الله به رسوله، وهو الذي رضيه لعباده دينًا، فإذا سبه المرء فقد سب الله -سبحانه وتعالى-، وطعن في حكمته واختياره، وكذلك سبَّ الرسول ﷺ؛ لأنه صاحب الرسالة، وصاحب هذا الدين، فهو كفر، والعياذ بالله.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢٩٤) يقول السائل ح. س. سوداني مقيم بالعراق: ما حكم الشرع في رجل سب الدين في حالة غضب؟ وهل عليه كفارة؟ وما شرط التوبة من هذا العمل؟ حيث إنني سمعت من أهل العلم من يقول: إنك خرجت عن الإسلام بقولك هذا. ويقول أيضًا: إن زوجتك حرمت عليك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحكم فيمن سب الدين -الدين الإسلامي- أنه يكفر، فإن سب الدين والاستهزاء به ردة عن الإسلام، وكفر بالله -عز وجل- وبدينه، وقد حكى الله تعالى عن قوم استهزءوا بدين الإسلام أنهم كانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]. فبين الله -عز وجل- أن خوضهم هذا ولعبهم استهزاء بالله وآياته ورسوله، وأنهم كفروا به، فقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فالاستهزاء بدين الله، أو سب دين الله، أو سب الله ورسوله، أو الاستهزاء بهما، كفر مخرج عن الملة، ومع ذلك فإن هناك مجالًا للتوبة منه؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. فإذا تاب الإنسان من أي ردةٍ توبة نصوحًا استوفت شروط التوبة الخمسة فإن الله تعالى يقبل توبته. وشروط التوبة الخمسة هي:

١- **الإخلاص لله بتوبته:** بأن لا يكون الحامل له على التوبة رياء، أو سمعة، أو خوفًا من المخلوق، أو رجاء لأمر يناله من الدنيا، فإذا أخلص توبته لله، وصار الحامل له عليها تقوى الله -عز وجل-، والخوف من عقابه، ورجاء ثوابه، فقد أخلص لله تعالى فيها.

٢- **الندم على ما فعل من الذنب:** بحيث يجد في نفسه حسرة وحزنًا على ما مضى، ويراه أمرًا كبيرًا يوجب عليه أن يتخلص منه.

٣- الإقلاع عن الذنب: وذلك بعدم الإصرار عليه، فإن كان ذنبه تركَ واجبٍ فعله وتداركه إن أمكن، وإن كان ذنبه بفعل محرم أقلع عنه وابتعد عنه، ومن ذلك إذا كان الذنب يتعلق بمخلوقين فإنه يؤدي إليهم حقوقهم، أو يستحلهم منها.

٤- العزم على ألَّا يعود في المستقبل: بأن يكون في قلبه عزم مؤكد ألَّا يعود إلى هذه المعصية التي تاب منها.

٥- أن تكون التوبة في وقت القبول: فإن كانت بعد فوات وقت القبول لم تقبل. وفوات وقت القبول: عام وخاص:

أما العام فإنه عند طلوع الشمس من مغربها، فالتوبة بعده -أي بعد طلوع الشمس من- مغربها لا تقبل؛ لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وأما الخاص فهو حضور الأجل، فإذا حضر الأجل فإن التوبة لا تنفع؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

فأقول: إن الإنسان إذا تاب من أي ذنب، ولو كان ذلك سب الدين، فإن توبته تقبل إذا استوفت الشروط التي ذكرناها، ولكن ليعلم أن الكلمة قد تكون كفرًا وردة، ولكن المتكلم بها قد لا يكفر بها؛ لوجود مانع يمنع من الحكم بكفره.

فهذا الرجل الذي ذكر عن نفسه أنه سب الدين في حال غضب نقول له: إن كان غضبك شديدًا، بحيث لا تدري ما تقول، ولا تدري حينئذ أأنت في سماء أم في أرض، وتكلمت بكلام لا تستحضره، ولا تعرفه، فإن هذا الكلام لا حكم له، ولا يحكم عليك بالردة؛ لأنه كلام حصل عن غير إرادة وقصد، وكل كلام حصل عن غير إرادة وقصد فإن الله -سبحانه وتعالى- لا يؤاخذ

به، يقول الله تعالى في الأيمان: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥]. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[المائدة: ٨٩].

فإذا كان هذا المتكلم بكلمة الكفر في غضب شديد، لا يدري ما يقول، ولا يعلم ماذا خرج منه، فإنه لا حكم لكلامه، ولا يحكم بردته حينئذ، وإذا لم يحكم بالردة فإن الزوجة لا ينفسخ نكاحها منه، بل هي باقية في عصمته.

ولكن ينبغي للإنسان إذا أحس بالغضب أن يحرص على مداواة هذا الغضب بما أوصى به النبي ﷺ حين سأله رجل **فقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»**[1]. فليُحكِم الضبط على نفسه، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وإذا كان قائمًا فليجلس، وإذا كان جالسًا فليضطجع، وإذا اشتد به الغضب فليتوضأ، فإن هذه الأمور تذهب عنه غضبه، وما أكثر الذين ندموا ندمًا عظيمًا على تنفيذ ما اقتضاه غضبهم، ولكن بعد فوات الأوان.

***

(٢٩٥) يقول السائل: إذا صدر من المسلم سبٌّ للدين ليس عامدًا، بل سبق لسان، ومن قبيل ما يسمى باللغو، فهل يؤاخذ على ذلك، أم يدخل تحت قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥]؟ وإن لم يكن داخلًا فما معنى هذه الآية إذًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: من سب دين الإسلام فهو كافر، سواءٌ كان جادًّا، أم مازحًا، حتى وإن كان يزعم أنه مؤمن فليس بمؤمن، وكيف يكون مؤمنًا بالله -عز وجل- وبكتابه وبدينه وبرسوله وهو يسب الدين؟ كيف يكون مؤمنًا وهو يسب دينًا قال الله فيه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٦).

دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣]؟ وقال الله تعالى فيه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]؟ وقال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]؟

كيف يكون مؤمنًا من سب هذا الدين ولو كان مازحًا؟ إذا كان قد قصد الكلام فإن من سب دين الإسلام جادًّا أو مازحًا فإنه كافرٌ كفرًا مخرجًا عن الملة، عليه أن يتوب إلى الله -عز وجل-. وسب الدين مزاحًا أشد من سبه جادًّا وأعظم؛ ذلك لأن من سب شيئًا جادًّا، وكان هذا السب واقعًا على هذا الشيء، فإنه قد لا يكون عند الناس مثل الذي سبه مازحًا مستهزئًا، وإن كان فيه هذا الشيء.

والدين الإسلامي -والحمد لله- دينٌ كامل، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]. وهو أعظم منةٍ منَّ الله بها على عباده، كما قال: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة: ٣]. فإذا سبه أحد ولو مازحًا فإنه يكفر، فعليه أن يتوب إلى الله ويقلع عما صنع، وأن يعظم دين الله -عز وجل- في قلبه؛ حتى يدين الله به، وينقاد لله بالعمل بما جاء في هذا الدين.

أما شيءٌ سبق على لسانه، بأن كان يريد أن يمدح الدين، فقال كلمة سبٍّ بدون قصد، بل سبقًا على اللسان فهذا لا يكفر؛ لأنه لم يقصد السب، بخلاف الذي يقصده وهو يمزح، فإن هنا قصدًا وقع في قلبه، فصار له حكم الجاد، أما هذا الذي لم يقصد، ولكن سبق على اللسان، فإن هذا لا يضر.

ولهذا ثبت في الصحيح في قصة «**كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، رقم (٢٧٤٧).

فلم يؤاخذ؛ لأن هذا القول الذي صدر منه غير مقصودٍ له، بل سبق على لسانه فأخطأ من شدة الفرح، فمثل هذا لا يضر الإنسان، لا يضر الإنسان لأنه لم يقصده.

فيجب أن نعرف الفرق بين قصد الكلام وعدم قصد الكلام، ليس بين قصد السب وعدم قصده؛ لأن هنا ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أن يقصد الكلام والسب، وهذا فعل الجاد، كما يصنع أعداء الإسلام بسب الإسلام.

المرتبة الثانية: أن يقصد الكلام دون السب، بمعنى: يقصد ما يدل على السب لكنه مازحٌ غير جاد، فهذا حكمه كالأول: يكون كافرًا؛ لأنه استهزاء وسخرية.

المرتبة الثالثة: أن لا يقصد الكلام ولا السب، وإنما يسبق لسانه، فيتكلم بما يدل على السب دون قصدٍ إطلاقًا، لا قصد الكلام، ولا قصد السب، فهذا هو الذي لا يؤاخذ به، وعليه يتنزل قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. فإنه هو قول الرجل في عرض حديثه: لا والله، وبلى والله. أي لم يقصد، فهذا لا يعتبر له حكم اليمين المنعقدة، فكل شيء يجري على لسان الإنسان بدون قصد فإنه لا يعتبر له حكم.

وقد يقال: إن الإنسان قد قال في حديثه: لا والله، وبلى والله. إنه قصد اللفظ، لكنه لم يقصد عقد اليمين، فإذا كان هذا فإنه يفرق بين حكم اليمين وبين الكفر، فالكفر ولو كان غير قاصدٍ للسب يكفر ما دام قصد الكلام واللفظ.

***

(٢٩٦) يقول السائل: ما حكم من يسب الدين، أي يشتم الإنسان بلعن دينه؟ وماذا عليه إن كان متزوجًا؟ وإذا سألته عن ذلك يقول: هذا لغو ولم أقصد سب الدين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم سب الدين كفر، ولعن الدين كفرٌ أيضًا؛ لأن سب الشيء ولعنه يدل على بغضه وكراهته، وقد قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[محمد: ٩]. وإحباط الأعمال لا يكون إلا بالردة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٢١٧].

فالمهم أن هذا الذي يسب الدين لا شك في كفره، وكونه يدعي أنه مستهزئ، وأنه لاعب، وأنه ما قصد هذا، لا ينفي كفره، كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. ثم نقول له: إذا كنت صادقًا في أنك تمزح، أو أنك هازل لست بجاد، فارجع الآن، وتب إلى الله، فإذا تبت قبلنا توبتك، فتب إلى الله وقل: أستغفر الله مما جرى. وارجع إلى ربك، وإذا تبت -ولو من الردة- فإنك مقبول التوبة.

***

(٢٩٧) تقول السائلة من الجزائر: هل سب الدين في حالة الغضب من الكفر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان الغضب شديدًا، بحيث لا يملك الإنسان نفسه، فإنه لا يخرج بذلك من الدين؛ لأنه لا يعي ما يقول، وأما إذا كان يملك نفسه فسب الدين كفر وردة، فيجب عليه أن يتوب إلى الله -عز وجل-، وأن يجدد إسلامه.

***

(٢٩٨) يقول السائل: هناك مِن الشباب مَن يمزح، ويقول كلامًا على الله وعلى رسوله؛ من أجل أن يضحك زملاءه، وحينما ننصحه يقول: أنا أمزح.

فبماذا تردون عليه؟ وهل إذا كان مازحًا يجوز له أن يمزح بكلام عن الدين، أو الله، أو الرسول، أو المؤمنين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن هذا العمل، وهو الاستهزاء بالله، أو برسوله، أو كتابه، أو دينه، ولو كان على سبيل المزاح، ولو كان على سبيل إضحاك القوم، نقول فيه: إن هذا كفر ونفاق، وهو مثل الذي وقع في عهد النبي ﷺ في الذين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]. لأنهم جاءوا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- يقولون: يا رسول الله، إنما كنا نتحدث حديثًا لنقطع به عناء الطريق. فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمره الله به: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فجانب الربوبية والرسالة والوحي والدين جانب محترم، لا يجوز لأحد أن يعبث فيه، لا باستهزاء، ولا بإضحاك ولا بسخرية، فإن فعل فإنه كافر؛ لأنه يدل على استهانته بالله -عز وجل-، وكتبه ورسله وشرعه، وعلى هذا الرجل أن يتوب إلى الله -عز وجل- مما صنع؛ لأن هذا من النفاق، فعليه أن يتوب إلى الله، ويستغفر ويصلح عمله، ويجعل في قلبه خشية الله -عز وجل-، وتعظيمه وخوفه ومحبته.

***

(٢٩٩) يقول السائل: ما حكم من يستهزئ بالحجاب، ولا يأمر أهله به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحجاب عبارة عن ستر الوجه، وما تكون به الفتنة من بقية الأعضاء، هذا هو الحجاب الشرعي، خلافًا لما يظنه بعض الناس من أن الحجاب الشرعي أن تستر المرأة كل بدنها إلا الوجه والكفين، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أنه لا يجوز للمرأة أن تكشف وجهها

لغير زوجها ومحارمها، ولنا في ذلك رسالة أسميناها الحجاب، ولغيرنا في ذلك أيضًا رسائل، وقد ألفت في هذا مؤلفات كثيرة، والحمد لله.

فمن استهزأ بالحجاب فإن كان قصده الاستهزاء به بوصفه شريعةً، وسنةً من سنن الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فإنه على خطرٍ عظيم، ويخشى أن يكون هذا ردةً عن دين الله؛ لأن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وأما إن كان يستهزئ به لا على أنه شريعة، لكن على أنه قول اختاره من يفعله ويتحجب فهذا لا يكفر، لكنه أخطأ خطأً عظيمًا؛ لأن الاستهزاء بقول غيرك من أهل العلم وإن كنت عالمًا لا يحل، ما دامت المسألة مبنية على الاجتهاد، فإنه ليس اجتهادك أولى بالصواب من اجتهاد الآخر، وليس اجتهاده أولى بالصواب من اجتهادك، والصواب من اجتهاديكما ما وافق الكتاب والسنة. ونحن نعلم أن الخير كل الخير بستر الوجه عن الرجال الأجانب، بقطع النظر عن دلالة الكتاب والسنة، والنظر الصحيح على وجوب ستر الوجه، لكنه من الناحية العقلية -لا شك- أحفظ للمرأة، وأبعد للفتنة.

والإنسان العاقل إذا رأى ما وقعت فيه المجتمعات، التي لا تستر الوجه، من الشر يعرف أن الخير كل الخير في ستر الوجه، وأنه واجبٌ عقلًا، وإن قدر أنه ليس فيه أدلةٌ شرعيةٌ تدل على الوجوب، مع أن فيه أدلةً شرعيةً تدل على الوجوب لا شك عندنا في ذلك.

وانظر إلى تلك المجتمعات؛ هل اقتصر نساؤها على كشف الوجه فقط والكفين فقط؟ لا، بل كشفوا الوجوه والنحور والشعور والأذرعة والأقدام والسيقان، وحصل بذلك شرٌّ كثير، لكن انظر إلى المرأة المختمرة المغطية وجهها

تجد أنها في سلامة، وفي أمان، وفي حشمة ووقار، لا يطمع فيها الطامعون، ولا يحوم حولها السافلون، واختر لنفسك ما شئت.

ونصيحتي لهذا الرجل أن يتوب إلى الله -عز وجل- مما صنع، وأن يلزم أهله من بنات وأخوات وزوجات بما تدل عليه الأدلة الشرعية من ستر الوجه؛ حتى تسلم نساؤه، ويسلم دينه، ويكون قد رعاهن حق الرعاية، فإن الإنسان مسئولٌ عن أهله يوم القيامة، كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[1].

***

(٣٠٠) يقول السائل: ما حكم الاستهزاء بالملتزمين؟ وهل هو كفر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن كان هذا الاستهزاء بما التزموا به فهذا كفر، أعني: لو استهزأ بالصلاة التي التزموا بها، أو الشرائع التي التزموا بها، فهذا كفر لا شك فيه، وأما إذا استهزأ بالرجل نفسه فهذا لا يصل إلى حد الكفر، لكنه لا شك أنه آثم باستهزائه برجل ممن تمسكوا بدينهم.

***

(٣٠١) يقول السائل: ما حكم من يستعمل ألفاظًا غير لائقة في القرآن أو عبارات أو جملًا، وهذا من باب المزاح، كذكر كلمة من القرآن، وربطها بكلمةٍ عامية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الكفر لا فرق فيه بين المازح والجاد، فمتى أتى الإنسان بما يوجب الكفر فهو كافر والعياذ بالله، ومن أعظم ذلك أن يأتي بشيء يفيد السخرية بالقرآن، أو الاستهزاء بالقرآن، فإن هذا كفر نسأل الله العافية منه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (٨٩٣). ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم (١٨٢٩).

كما قال الله -عز وجل- في المنافقين الذين كانوا يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأصحابه، فأنزل الله فيهم: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

فمن أتى بكلمة الكفر فهو كافر، سواءٌ أتى بها جادًّا، أم لاعبًا مازحًا، أم غير مازح، فعلى من فعل ذلك أن يتوب لله -عز وجل-، وأن يعتبر نفسه داخلًا في دين الإسلام بعد أن خرج منه، ويجب على المؤمن أن يعظم كلام الله -عز وجل-، وأن يعظم كلام رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما عليه أن يعظم الله -سبحانه وتعالى-، وأن يعظم رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بما يليق به، ولا يكون غلوًّا فيه.

وأما السخرية بالقرآن، وربط الكلمات القرآنية -وهي كلام رب العالمين- بكلامٍ عاميٍّ مبتذل فهذا أمرٌ خطيرٌ جدًّا، قد يخرج به الإنسان من الإسلام وهو لا يشعر.

***

(٣٠٢) يقول السائل س. س. من شمال سيناء: عندنا جماعة يقولون بأن الله في كل مكان بذاته. ونقول لهم: إن الأمر ليس كذلك، إن الله في السماء. ونقول لهم: الرحمن على العرش استوى. فلم يقتنعوا بقولنا، ويصرون على ما هم عليه. فهل هم كفار؟ وهل يلحق بهم من اتبعهم وهم على جهل؟ وماذا يقال عنهم؟ أنا قرأت في بعض الكتب بأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: أنا لو قلت بمقالتكم كنت كافرًا، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال. فما القول الصحيح في هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القول الصحيح في هذا ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله: إذا كانوا جهالًا فإنهم لا يكفرون، وأما إذا كانوا عالمين بأن الله في السماء، ولكنهم استكبروا، وأبوا إلا أن يقولوا: إنه في الأرض. فهم كفار، ولا يخفى أنه يلزم على هذا القول لوازم باطلة جدًّا جدًّا؛ لأنك إذا قلت: إن الله في كل مكان. لزم من هذا أن يكون في المراحيض -والعياذ بالله- والحشوش والمواضع والأماكن القذرة، ومن يصف ربه بهذا؟ لا يمكن لمؤمن أن يصف ربه بهذا أبدًا.

وأما ما يوجد من بعض الناس في هذه المسألة فالواجب أن يجادل بالتي هي أحسن، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

***

(٣٠٣) يقول السائل إ. أ. ح: ما خطر النفاق على العبد المسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: النفاق نفاقان:

١- نفاق أكبر مخرج عن الملة:

هو: إظهار الإيمان وإبطان الكفر -والعياذ بالله- كالذي حصل في عهد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأشار الله إليه في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]. فهؤلاء يظهرون أنهم مسلمون؛ فيصلون مع الناس، وربما يتصدقون، ويذكرون الله، ولكنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا، ويقرون بالرسالة ولكنهم كاذبون، يقول الله -تبارك وتعالى- فيهم: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١-٢]. هذا النفاق -والعياذ بالله- نفاق أكبر صاحبه في الدرك الأسفل من النار.

واختلف العلماء -رحمهم الله-: هل يكون له توبة أم لا؟ فمن العلماء من

قال: إنه لا توبة له؛ وذلك لأنه لو قلنا بأنه يتوب فإنه لا يبدو من إيمانه إلا ما أظهره لسانه، وهو يظهر الإيمان من قبل. ولكن الصحيح أن إيمانه مقبول، إذا تبين من تصرفاته أنه غيَّر منهجه الأول، وأنه تاب توبة نصوحًا، ويدل على ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

٢- نفاق أصغر لا يخرج من الملة:

هو مثل قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١). وقال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا**»(٢). فهذا نفاق أصغر لا يخرج من الملة، لكنه يخشى أن يتدرج بصاحبه حتى يصل إلى النفاق الأكبر.

وإنني بهذه المناسبة أحث إخواني على الصدق في المقال، والوفاء بالوعد، وأداء الأمانة على الوجه الأكمل. أما الأول -وهو الصدق في المقال- فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حث عليه، ورغب فيه، وحذر من الكذب، فقال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٨).

يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

وأما الوفاء بالوعد فإن الله -سبحانه وتعالى- مدح الموفين بعهدهم إذا عاهدوا.

وأما أداء الأمانة فإن النصوص دلت على وجوب أداء الأمانة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

وكذلك أوصيهم بالقيام بما أوجب الله عليهم من أداء الواجبات، سواء كان ذلك بين الزوجين، أم بين المتعاملين، أم بين العامل المستأجر ومن استأجره، أم غير ذلك من المعاملات، حتى يسلم الإنسان من أن يتصف بشيء من صفات النفاق.

***

(٣٠٤) يقول السائل: هل الفاسق هو صاحب كبائر الذنوب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول العلماء -رحمهم الله-: إن الفاسق هو من أتى كبيرة ولم يتب منها، أو أصر على صغيرة. وعللوا ذلك بأن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، ولعل دليلهم في ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤-٥]. فحَكَم الله بفسق القذفة، مع أنهم لم يفعلوا مكفرًا، ولكنهم فعلوا كبيرة من كبائر الذنوب.

***

(٣٠٥) يقول السائل: من الفاسق في الشريعة الإسلامية؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم (٢٦٠٧).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الفاسق هو: الخارج عن طاعة الله ورسوله. وهو نوعان:

١- فسق أكبر وهو الكفر:

مثاله قول الله -تبارك وتعالى- في سورة السجدة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠]. هذا الفسق بمعنى الكفر.

٢- فسق دون ذلك:

وهذا لا يصل إلى الكفر، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]. فذكر الكفر وحده، والفسوق وحده، والعصيان الذي هو دون الفسوق وحده. وقول الفقهاء -رحمهم الله- في كتبهم: لا تقبل شهادة الفاسق. يعنون بذلك الفسق الذي دون الكفر.

***

(٣٠٦) يقول السائل: سمعت وقرأت قصيدة البردة، والذي أعرفه أن مؤلف هذه القصيدة عالم، فهل تضر في عقيدته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سأتلو من هذه البردة ما يتبين به حال ناظمها؛ كان يقول مادحًا للنبي ﷺ:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلًا وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ
يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ أَلوذُ به ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمِمِ
فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

هل يمكن لمؤمن أن يقول موجهًا الخطاب إلى رسول الله ﷺ: ما لي من ألوذ به سواك إذا حلت الحوادث؟ لا يمكن لمؤمن أن يقول هذا، ورسول الله ﷺ لا يمكن أن يرضى بهذا أبدًا، إذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله سلم-

أنكر على الرجل الذي قال له: ما شاء الله وشئت. فقال: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[(١)]. فكيف يمكن أن يقال: إنه يرضى أن يوجه إليه الخطاب بأنه ما لأحد سواه عند حلول الحوادث العامة، فضلًا عن الخاصة؟

هل يمكن لمؤمن أن يقول موجهًا الخطاب للرسول ﷺ:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي   فَضْلًا وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

ويجعل العفو والانتقام بيد الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟ هل يمكن لمؤمن أن يقول هذا؟ إن هذا لا يملكه إلا الله رب العالمين.

هل يمكن لمؤمن أن يقول:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها

الدنيا ما نعيش فيه، وضرتها الآخرة، فإذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول -عليه الصلاة والسلام- -وليست كل جوده، بل هي من جوده- فما الذي بقي لله؟ إن مضمون هذا القول: لم يبقَ لله شيء لا دنيا ولا أخرى. فهل يرضى مؤمن بذلك أن يقول: إن الدنيا والآخرة من جود الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وإن الله جل وعلا ليس له فيها شيء؟ وهل يمكن لعاقل أن يتصور أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- الذي جاء بتحقيق التوحيد يرضى أن يوصف بأن من جوده الدنيا وضرتها؟

هل يمكن لمؤمن أن يقول وهو يخاطب النبي ﷺ:

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

من علومه -وليست كل علومه-: علم اللوح والقلم؟ هل يمكن لمؤمن أن يقول ذلك والله تعالى يقول لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٩، رقم ١٨٣٩).

فأمر الله -عز وجل- أن يعلن للملأ إلى يوم القيامة أنه ليس عنده خزائن الله، ولا يعلم الغيب، ولا يدعي أنه ملك، وأنه ﷺ عابد لله، تابع لما أوحى الله إليه، كما قال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فهل يمكن لمن قرأ هذه الآية وأمثالها أن يقول: إن الرسول يعلم الغيب، وإن من علومه علم اللوح والقلم؟

كل هذه القضايا كفر مخرج عن الملة، وإن كنا لا نقول عن الرجل نفسه إنه كافر -أعني البوصيري- لأننا لا نعلم ما الذي حمله على هذا، لكنا نقول: هذه المقالات كفر، ومن اعتقدها فهو كافر، نقول ذلك على سبيل العموم.

ولهذا نحن نرى أنه يجب على المؤمنين تجنب قراءة هذه المنظومة؛ لما فيها من الأمور الشركية العظيمة، وإن كان فيها أبيات معانيها جيدة وصحيحة، فالحق مقبول ممن جاء به أيًّا كان، والباطل مردود ممن جاء به أيًّا كان.

***

(٣٠٧) يقول السائل ف. من السودان: ما حكم من يطوف بالقبة أو الضريح، وهو جاهل بالحكم؟ وهل يكون مشركًا شركًا أكبر يخلد في النار؟ وماذا يجب عليه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الطواف بالقبور والأبنية المبنية عليها ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يطوف، لا لعبادة صاحب القبر، ولا لدعائه والاستغاثة به، ولكن عادة اعتادها، فصار يفعلها، أو كان يظن أن هذا مما يقرب إلى الله -عز وجل-، فهذا ليس بمشرك ولكنه مبتدع، ويمكن أن نسمي بدعته هذه شركًا أصغر؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر.

القسم الثاني: أن يطوف بالقبر، أو بالبناية عليه، تعبدًا وتقربًا وتعظيمًا لصاحب القبر، أو يطوف به، ويدعو صاحب القبر، ويستغيث به، فإن هذا مشرك شركًا أكبر مخرجًا عن الملة، يستحق عليه قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

***

(٣٠٨) يقول السائل: **من كان ينطبق عليه حكم الكفر هل يجوز مناداته بالكفر؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأَولى أن لا ينادى بالكفر؛ لأن هذا يوجب الفتنة والشر، لكن يقال: أنت إذا لم تتب إلى الله فإنك كافر. يبين له هذا الكلام، وأما مناداته بـ: يا كافر. وما أشبه ذلك، مما يثير الفتنة، فهذا لا أراه. والحمد لله ما دمنا في غنًى عن هذا الأمر، وبإمكاننا أن نمسكه، ونقول له: إن هذا الأمر كفر، وارجع إلى ربك، وارجع إلى دينك. وننصحه.

***

(٣٠٩) يقول السائل: **قلت لأخي: يا كافر؛ لأنه لا يصلي، أثناء شجارٍ وقع بيني وبينه، فما حكم ذلك؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي لا يصلي كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، فإذا مات مات على الكفر، وإذا كان يوم القيامة صار مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف. ولكن لا يقال للشخص المعين: يا كافر. حتى تقام عليه الحجة، ويتبين له أن فعله كفر، وهذا الذي حصل بينه وبين أخيه شجار وقال له: يا كافر. لأنه لا يصلي، نقول له: إن هذا لا ينبغي منك، ولكن عندما تحادثه، وتتكلم معه كلامًا عاديًّا، بيِّن له أن ترك الصلاة كفر، وأنه إن أصر على ذلك فهو كافر، وأما أن تصفه بالكفر حين المنابزة والمخاصمة فهذا أمرٌ لا ينبغي منك.

وخلاصة القول: أن تارك الصلاة كافرٌ كفرًا مخرجًا عن الملة، وأنه إن مات على ذلك فإنه ليس من المؤمنين، ويحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف، ولكن لا ينبغي لنا عند المنابزة أن نصفه بالكفر فنقول: يا كافر، بل نبين له في الكلام العادي أن ترك الصلاة كفر، وأنه إذا أصر على تركها فهو كافر، لعل الله يهديه، فيرجع إلى دينه.

***

(٣١٠) **يقول السائل ع. أ. وهو مصري ومقيم في الرياض: هل المسيحي يعد في عداد الكفرة، علمًا بأنه من أهل الكتاب، ومن أهل الكتاب؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أهل الكتاب هم اليهود، والنصارى الذين تسموا بالمسيحيين، فهؤلاء هم أهل الكتاب، وإنما سموا أهل كتاب لأن الله تعالى أنزل كتبًا على رسله: فأنزل على موسى -عليه الصلاة والسلام- التوارة التي يدين بها اليهود، وأنزل على عيسى -عليه الصلاة والسلام- الإنجيل الذي يدين به النصارى، الذين يسمون أنفسهم الآن بالمسيحيين.

ودين اليهود منسوخ بدين النصارى، أي: يجب على اليهود أن يتبعوا النصارى في دينهم، حين كان دين النصارى قائمًا، ودين النصارى وغيره من الأديان نُسخ بدين الإسلام، الذي بُعث به النبي ﷺ فكان دين الإسلام ناسخًا لجميع الأديان، فلا دين مقبول عند الله إلا الإسلام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وهذه الصيغة تقتضي الحصر، وأنه لا دين عند الله سوى الإسلام. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهذا دليل على أن جميع الأديان غير الإسلام غير مقبولة عند الله، وأن أصحابها في الآخرة خاسرون، ولا حظ لهم فيها في الآخرة، وهذا لا يكون إلا للكافرين.

وعلى هذا فإن النصارى واليهود كلهم ليسوا على دين مقبول عند الله، وإذا كانوا ليسوا على دين مقبول عند الله كانوا كفارًا، ويزول كفرهم بالإيمان بالنبي ﷺ واتباعه، وهم إذا آمنوا بالنبي ﷺ فإن هذا هو مقتضى ما تدل عليه كتبهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

فدلت هاتان الآيتان على أن النبي ﷺ معروف في التوراة والإنجيل، وأنه يجب عليهم الإيمان به واتباعه، وقد قال عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- لقومه: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦]. فبشارة عيسى -عليه الصلاة والسلام- بالنبي محمد ﷺ تدل على أنه يجب على أتباعه أن يتبعوه، ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان لبشارته به فائدة، بل إن الإنسان لا يبشر إلا بما يعود إليه بالخير، فكل من كفر بالنبي محمد ﷺ من اليهود والنصارى وغيرهم فإنه كافر بالله؛ لأن الله تعالى أمر جميع العباد أن يؤمنوا به، وبرسوله النبي الأمي، وبين أن هذا هو سبيل الفلاح والهدى والرشاد، وأن ما سوى ذلك فإنه ضلال، نسأل الله العافية والهداية.

***

(٣١١) يقول السائل ع. م. ج. أ. من العراق من منطقة خريسان بمحافظة ديالا بهز أو قرية أبو خميس: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، **وقال:** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. **فهل معظم سكان البشرية غير المسلمين هم في الآخرة مطرودون من رحمة الله، حتى ولو كانوا ينتمون إلى أديان سماوية أخرى؛ مثل الديانة اليهودية أو المسيحية؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن خير الكلام وأصدقه وأحكمه كلام الله -عز وجل-، والسائل قد صدر سؤاله بكلام محكم صدق، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فهذه الآية فيها

عموم في قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾. فإن مَن شرطية، وأسماء الشرط للعموم، وكذلك قوله: ﴿دِينًا﴾. نكرة في سياق الشرط، فتفيد العموم، أعني: أي دين، فأي إنسانٍ يبتغي أي دينٍ من الأديان غير الإسلام فإنه لا يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

والإسلام هو ما بعث الله به محمدًا ﷺ لأن الإسلام عند الله ما بعث به رسله، ومن المعلوم أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل كلهم، وأنه هو الذي جاء بالإسلام، وأن ما سوى ذلك فهو كفر، وعلى هذا فكل من دان بغير الإسلام -سواءٌ دان بكتابٍ سماويٍّ نسخ، أم اتبع رسولًا نسخت رسالته، كاليهود والنصارى، أم لم يكن على دينٍ سماوي- فكل هؤلاء أعمالهم حابطة، وسعيهم ضائع، وهم في الآخرة من الخاسرين.

ولا تستغرب أيها السائل أن يكون عامة البشر من أهل هذا الوصف، فإنه قد ثبت في الصحيح: «**أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»(١). يعني في الألف واحد من أهل الجنة والباقون كلهم من أهل النار، فعلى هذا فلا يبقى في المسألة شكٌّ ولا ارتياب بأن كل من ليس على دين الإسلام، الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فإنهم خاسرون، خاسرون دنياهم وآخرتهم، وأنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدون.

ثم إنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، رقم (٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ=

يقول السائل: لكن هل هذا الواحد الذي يؤخذ من الألف في كل يوم، وفي كل أسبوع، وفي كل سنة، أم أنه يزيد وينقص تبعًا للعصور وتبعًا لقوة المسلمين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هو بالنسبة لأمة محمدٍ فقط، بل هو بالنسبة لكل بني آدم، كل بني آدم من أولهم إلى آخرهم لا يدخل الجنة منهم إلا واحدٌ في الألف، هذا الواحد قد يكون غالبهم من هذه الأمة وهو الأظهر؛ لأن أكثر الأمم اتباعًا هم أمة محمد ﷺ فهم أكثر الأمم اتباعًا للوحي وقبولًا له، فعلى هذا تكون هذه النسبة -واحدٌ من الألف- أكثرها من هذه الأمة، ولله الحمد.

***

(٣١٢) يقول السائل: يوجد عندنا بعض الناس يزعمون أنهم فقهاء، وليسوا فقهاء علمًا، بل يزعمون أنهم يضرون وينفعون من يشاءون، بحجة أن لهم شرهة يصيبون بها من يريدون، ويكررون هذا القول في كثير من المناسبات. فهل ذلك صحيح، أم خرافات جاهلية؟ وكيف نتخلص من ذلك، علمًا بأن بعض الناس يصدقونهم فيما يقولون؛ مثل كبار السِّن والجُهَّال؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هؤلاء الذين يدعون أنهم ينفعون أو يضرون كذبة، لا يجوز لأحد أن يصدقهم، ولا أن يسألهم عن هذه الأشياء، ويجب على من علم بهم أن يبلغ أمرهم إلى ولاة الأمور ليتخذوا اللازم، فلا أحد يملك النفع والضرر إلا الله وحده لا شريك له، حتى النبي ﷺ قال الله له: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢]. وأمره الله أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ومن زعم أن أحدًا يملك الضرر أو النفع بغير أسباب

=الملل بملته، رقم (١٥٣).

حسية معلومة فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ.

وإني أقول لهؤلاء الذين يتوهمون صدق ما قاله هؤلاء الدجاجلة: اثبتوا على إيمانكم ودينكم، واعلموا أنه لا يملك أحد الضرر والنفع إلا الله وحده لا شريك له. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: **«وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»**[1]. وفي القرآن الكريم لما ذكر الله السحرة قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالمهم أن هؤلاء كذبة فيما يدعون من كونهم يملكون النفع والضرر، فإن ذلك إلى الله وحده لا شريك له، وعليهم أن يتوبوا إلى الله من هذا العمل، وأن يعترفوا بقصورهم وبتقصيرهم، وأنهم ضعفاء أمام قدرة الله، وأنهم لا يملكون دفع الضرر عن أنفسهم هم، فضلًا عن غيرهم، كما لا يملكون لأنفسهم جلب نفع، فضلًا عن جلبه لغيرهم، إلا ما شاء الله -سبحانه وتعالى-، وعلى من حولهم، ممن يتوهمون صدقهم، أن يتوبوا إلى الله تعالى في تصديقهم، وأن يعلموا أنهم كذبة، ولا حق لهم، ولا حظ لهم أيضًا، في مثل هذه الأمور.

***

(٣١٣) يقول السائل: لقد خاب وتاه الكثير من الشباب في مسألة العذر بالجهل، فمتى يعذر الجاهل بجهله؟ ودلونا على مراجع في هذه المسألة التي أثيرت، وهل وقع خلاف قديم بين السلف؟ وهل هو معتبر أم لا؟

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩، رقم ٢٦٦٩)، والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم (٢٥١٦).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العذر للجهل ثابت بالقرآن، وثابت بالسنة أيضًا، وهو مقتضى حكمة الله -عز وجل- ورحمته، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]. ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ [النساء: ١٦٣]. إلَى قوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾ [النساء: ١٦٥]. ويقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]. ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥].

والآيات في هذا عديدة، كلها تدل على أنه لا كفر إلا بعد علم، وهذا مقتضى حكمة الله ورحمته؛ إذ إن الجاهل معذور، وكيف يؤاخذه الله -عز وجل- -وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بالعبد من الوالدة بولدها- على شيء لم يعلمه؟ فمن شرط التكفير بما يكفر من قول أو عمل أن يكون عن علم، وأن يكون عن قصد أيضًا، فلو لم يقصده الإنسان، بل سبق لسانه إليه لشدة غضب، أو لشدة فرح، أو لتأويل تأوله، فإنه لا يكون كافرًا عند الله -عز وجل-.

ويدل لهذا أن النبي ﷺ قال: «**كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»(١). وهذا خطأ عظيم، هو في نفسه كفر، لكن الرجل ما قصده، لكن لشدة الفرح سبق لسانه إلى هذا، ولم يكن بذلك كافرًا؛ لأنه لم يقصد ما يقول.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ يَقْدِرْ عَلَيَّ لَمْ يَغْفِرْ لِي، قَالَ: فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ فَتَلَقَّتْ رُوحَهُ، قَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، مَا فَعَلْتُ إِلَّا مِنْ مَخَافَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ»(١). مع أنه كان شاكًّا في قدرة الله، والشك في قدرة الله كفر، لكنه متأول وجاهل فعفا الله عنه.

وليعلم أن مسألة التكفير لها أصلها وشروطها، ولا يأخذها الإنسان من عقله وفكره وذوقه، فيكفر من شاء، ويعصم من شاء، فالأمر في التكفير وعدم التكفير إلى الله -عز وجل-، كما أن الحكم بالوجوب، أو التحريم، أو التحليل، إلى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل: ١١٦].

فالأمر في التكفير والعصمة إلى الله -تبارك وتعالى-، وأعني بالعصمة: الإسلام الذي يعصم الإنسان به دمه وماله هو إلى الله، إلى الله وحده، فلا يجوز إطلاق الكفر على شخص لم تثبت في حقه شروط التكفير. وقد ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»(٢). يكون هو الكافر، وهو عدو الله.

فليحذر الإنسان من إطلاق التكفير على من لم يكفره الله ورسوله، وليحذر من إطلاق عداوة الله على من لم يكن عدوًّا لله ورسوله، وليحبس لسانه فإن اللسان آفة الآفات. ولهذا لما حدث النبي ﷺ معاذ بن جبل بما حدثه به عن الإسلام قال له -عليه الصلاة والسلام-: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». يعني:

---

(١) أخرجه أحمد (١٣/ ٤٠٨، رقم ٨٠٤٠)، والنسائي: كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، رقم (٢٠٨٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (٦١).

لا تطلقه، احبسه وقيده. **فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟** يعني: هل نحن مؤاخذون بما نتكلم به؟ **فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»**(١).

ولهذا يجب على الإنسان أن يكف لسانه عن ما حرم الله، وألَّا يقول إلا خيرًا؛ لقول النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**(٢).

والخلاصة: أن مسألة التكفير والعصمة ليست إلينا، بل هي إلى الله ورسوله، فمن كفره الله ورسوله فهو كافر، ومن لم يكفره الله ورسوله فليس بكافر، حتى وإن عظمت ذنوبه في مفهومنا وفي أذواقنا، الأمر ليس إلينا، الأمر في هذه الأمور إلى الله ورسوله. ولا بد للتكفير من شروط معلومة عند أهل العلم، ومن أوسع ما قرأت في هذا ما كتبه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في فتاويه وفي كتبه المستقلة.

فأنصح السائل وغيره أن يرجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه -وأقولها شهادة عند الله- أوفى ما رأيتُ كلامًا في هذه المسألة العظيمة.

***

(٣١٤) يقول السائل: متى يعذر الإنسان بالجهل ومتى لا يعذر به، من ناحية العقيدة والأحكام الفقهية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال سؤال مهم، وسؤال عظيم، لا يتسع المقام لذكر الإجابة عنه بالتفصيل؛ لأنه يحتاج إلى كلام كثير، قد

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٤٥، رقم ٢٢٠١٦)، والترمذي أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٦١٦)، وابن ماجه كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم (٦٤٧٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، رقم (٤٧).

يستوعب هذه الحلقة كلها وزيادة، ولكن على سبيل الإجمال لدينا آيات من القرآن، وأحاديث عن رسول الله ﷺ تدل على أن الإنسان معذور بالجهل في كل شيء، لكن قد يكون مقصرًا في طلب العلم فلا يعذر، وقد تبلغه الحجة، ولكنه يستكبر ويستنكر، فلا يعذر في هذه الحال.

ومن الآيات الدالة علي أن الإنسان معذور بالجهل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فقال الله تعالى: قد فعلت. وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وقال الله تبارك تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

والآيات في هذا المعنى عديدة، وكذلك في السنة، فقد روي عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[1]. ولكن قد يكون الإنسان مقصرًا بطلب العلم، بحيث يتيسر له العلم، ولكنه لا يهتم به، ولا يلتفت إليه، وقد يكون الإنسان مستكبرًا عما بلغه من الحق، فيبين له الحق، ولكنه يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]. كما يوجد من كثير من العامة المعظمين لكبرائهم من أمراء أو علماء أو غير ذلك، يستنكفون عن

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم (٢٠٤٣). والبيهقي (١٠/ ٦٠، رقم ١٩٧٩٨).

الحق إذا دعوا إليه، وهؤلاء ليسوا بمعذورين، فالمسألة مسألة خطيرة عظيمة يجب التأني فيها والتريث.

وربما نقول: لا يقضى فيها قضاءً عامًّا، بل ينظر إلى كل قضية بعينها، فقد نحكم على شخص بكفره مع جهله، وقد لا نحكم عليه، والناس يختلفون في مدى غايتهم في الجهل؛ فمنهم الجاهل مطلقًا جهلًا مطبقًا لا يدري عن شيء كأنه بهيمة، ومنهم من عنده فطنة وحركة فكر لكنه مستكبر عن الحق، ومنهم من هو بين ذلك. فعلى كل حال الجواب على وجهٍ عام فيه نظر، ولكن تذكر قواعد وتطبق كل حال على ما تقتضيه هذه الحال.

***

(٣١٥) يقول السائل: أنا أعتقد بأن عليَّ إثمًا في هذا السؤال، وهو: أن لدينا ناسًا يقولون: إن عبد الله أبا محمد ﷺ هو في النار، وناس يقولون: لا بل هو في الجنة؛ لأنه أبو نبي، أفيدونا في هذا الأمر، وهل عليَّ إثم في هذا السؤال، وإذا كان علي إثم فهل له كفارة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا ليس عليك إثم في هذا السؤال، لكن هذا السؤال ليس من الأسئلة التي يستحسن أن يسأل عنها؛ لأنه لا فائدة منها إطلاقًا، ولكن بعد السؤال عنها لا بد من الجواب، فيقال:

إن أبا النبي ﷺ مات على الكفر، وهو في النار، كما ثبت في الصحيح: **«أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ». فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»**(١). وهَذا نص في الحديث عن النبي ﷺ.

وعلى هذا يكون أبو النبي ﷺ كغيره من الكفار في النار، والأخ السائل يقول: إن بعض الناس يقولون: ليس في النار؛ لأنه أبو نبي. وهذا لا يمنع إذا

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين، رقم (٢٠٣).

كان أبا نبي أن يكون في النار، فهذا آزر أبو إبراهيم كان كافرًا، وكان في النار، ولهذا لما استغفر إبراهيم لأبيه قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

۞۞۞

❁ السحر ❁

(٣١٦) يقول السائل: ما حكم فعل السحر وتعلمه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السحر نوعان:

١- **نوع يكون كفرًا**: فالسحر الذي يكون بالاستعانة بالشياطين والأرواح الخبيثة هذا كفر؛ لقول الله تبارك و تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢- **نوع يكون فسقًا**: وهو السحر بالأعشاب ونحوها، مما يضر المسحور، فهذا عدوان وفسق، لكن لا يصل بصاحبه إلى حد الكفر.

وأيًا كان الساحر فإنه يجب قتله؛ لقول النبي ﷺ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»(١). ولأن عدوانه وضرره عظيم على الأمة. ثم إن كان كافرًا -أي: إن كان سحره مكفرًا- فإنه لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلي عليه، ولا يدفن مع المسلمين، وإن كان غير مكفر فإنه يغسل، ويكفن، ويصلي عليه، ويدفن مع المسلمين.

***

(٣١٧) يقول السائل: حصل خلافٌ حول وجود السحر حقيقةً، وأن الرسول ﷺ قد سحر، فهم ينكرون ذلك محتجين بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. فما الحق في هذا؟ وكيف نفسر هذه الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحق في هذا أن السحر ثابتٌ، لا مرية فيه، وهو حقيقة، وذلك بدلالة القرآن والسنة.

أما القرآن: فإن الله ذكر عن سحرة فرعون، الذين ألقوا حبالهم وعصيهم، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم، حتى إن موسى -عليه الصلاة والسلام- كان يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، وحتى أوجس في نفسه

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر، رقم (١٤٦٠).

خيفة، فأمره الله تعالى أن يلقي بعصاه، فألقاها فإذا هي ثعبانٌ مبين، تلقف ما يأفكون، وهذا أمرٌ لا إشكال فيه.

وأما أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- سحر فإنه حق، فقد ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه سحر من حديث عائشة وغيرها، وأنه كان يخيل إليه أنه أتى الشيء وهو لم يأته، ولكن الله تعالى أنزل عليه سورتي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فشفاه الله تعالى بهما.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧] فلا ينافي هذا، هذا إن كانت الآية لم تنزل بعد، وأنا الآن ما يحضرني هل هذه الآية قبل سحره أو بعده، والظاهر لي أنها بعد السحر، وإذا كانت بعد السحر فلا إشكال فيها.

***

(٣١٨) يقول السائل: ما حكم الذهاب للسحرة والدجالين والكهنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذهاب إلى هؤلاء محرم، ولا يحل الذهاب إليهم، ولا خير فيهم، وقد قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩]. والكهنة كذابون؛ لأنهم لهم عملاء من الجن يسترقون السمع ويخبرونهم، ثم يكذبون مع ما أخبروا به من أخبار السماء، يكذبون كذبات كثيرة؛ مائة كذبة أو أكثر أو أقل، فهم كذبة لا يجوز الذهاب إليهم. وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»(١). وإنما كان ذلك كفرًا؛ لأنه تكذيب لقول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

***

(١) أخرجه أحمد (١٥/ ٣٣١، رقم ٩٥٣٦). وأبو داود: كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم (٣٩٠٤). والترمذي: أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم (١٣٥). وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان الحائض، رقم (٦٣٩).

(٣١٩) تقول السائلة م. ع. من سوريا: هل يؤثر السحر لدرجة أنه يوقف مشروع الزواج؟ وإذا كان هذا التأثير صحيحًا فهل له علاج من الكتاب والسنة، دون الذهاب للدجالين والمشعوذين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن السحر -بلا شك- يؤثر تأثيرًا مباشرًا بدليل القرآن والواقع:

أما القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقوله تعالى في قصة موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وأما الواقع فشاهدٌ بذلك، فإن السحر يؤثر في المسحور، يؤثر في عقله، وفي بدنه، وفي فكره، وفي اتجاهه.

والسحر من كبائر الذنوب، بل شعبةٌ منه، تكون من الكفر المخرج من الملة، وعلى هذا فالواجب على المسلمين البعد عن السحر والحذر منه؛ اتقاءً لعقاب الله، ورحمةً بعباد الله.

وأما علاج المسحور فيكون بقراءة القرآن؛ فيقرأ على المصاب بآيات الحماية؛ مثل: آية الكرسي، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وغيرها من الآيات التي فيها الحماية من شر الخلق.

أو يؤتى بماء، فتدق سبع ورقات من ورق السدر، وتوضع في هذا الماء، ويقرأ فيه، أو ينفث فيه، بمثل قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١]. وغيرها من الآيات التي تفيد بطلان السحر، ويسقى المريض المصاب بالسحر.

وكذلك يمكن أن يعالج المريض بالسحر بالأدوية المباحة المتخذة من الأشجار أو غيرها. وكذلك يعالج السحر بحل السحر، بأن يوصل إلى المكان الذي فيه السحر، وتؤخذ الوسيلة التي جعل فيها السحر، فتنقض وتحرق، وما أشبه ذلك من أنواع الحلول المباحة.

وأما الذهاب إلى السحرة لحل السحر؛ فإن كان ذلك لضرورة فقد اختلف العلماء في جوازه، فمنهم من أجاز ذلك وقال: إن الضرورة تبيح المحرم. ولا شك أن المصاب بالسحر إذا نقض سحره يزول ضرره، فما كان وسيلة لأمرٍ نافع بدون أن يتضمن ضررًا في الدين فإنه لا بأس به؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقد ذهب إلى هذا بعض التابعين.

ومنهم من منع الذهاب إلى السحرة لحل السحر، واستدل بأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»(١). وبأنه إذا فتح الباب للناس صار وسيلةً لإغراء السحرة، واتفاقهم على هذا العمل، فأحدهم يسحر، والثاني يحل السحر، وما يحصل من المكاسب تكون بينهما؛ لأنه من المعلوم أن المصاب بالسحر سوف يبذل الشيء الكثير لأجل التخلص منه، وفي هذا مفسدةٌ عظيمة.

والحقيقة أننا إذا نظرنا إلى الضرورة الشخصية المعينة مِلْنا إلى الإباحة، أي: إباحة حل السحر بالسحر للضرورة، كما ذهب إلى ذلك من ذهب من السلف والخلف. وإذا نظرنا إلى المصلحة العامة مِلْنا إلى القول بالمنع، لا سيما وأنه مؤيدٌ بالحديث الذي أشرنا إليه، وهو أن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»(٢). والمسألة عندي فيها توقف. والعلم عند الله.

***

(٣٢٠) يقول السائلة: إن لها ابنة متزوجة، وهذه الابنة تكره زوجها، وزوجها يحبها، وهي الآن حامل وعند أهلها، وهي تكره أن ترى هذا الزوج، ويقال بأن هناك كاتبًا يكتب كتابًا يسمى بالعطف، يجعل الزوجة تحب زوجها، فهل هذا العمل جائز؟

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢/ ٤٠، رقم ١٤١٣٥). وأبو داود: كتاب الطب، باب في النشرة، رقم (٣٨٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يجوز للمرأة أن تعمل عملًا يكون به عطف الزوج عليها، ولا يجوز للزوج أن يعمل عملًا يكون به عطف الزوجة عليه؛ لأن هذا نوع من السحر، ولكن الطريق إلى ذلك أن تسأل الله -عز وجل- دائمًا أن يحبب زوجها إليها، وأن يؤلف بينهما، وتقرأ من القرآن ما يعينها على التحول من الكراهية إلى المحبة، وتستعين بأهل الخير والصلاح ليقرءوا عليها لتحويل بغضها إلى محبة.

هذا ما أراه واجبًا عليها، ونسأل الله تعالى أن يؤلف بينها وبين زوجها، وأن يبارك لهما وعليهما، وأن يجمع بينهما في الخير.

***

(٣٢١) يقول السائل: ما حكم الإسلام في الشخص الذي يستخدم شيئًا من السحر؛ لكي يوفق بين زوجين أو اثنين متنافرين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا أيضًا محرم، ولا يجوز، وهذا يسمى بالعقد، وما يحصل به التفريق يسمى بالصرف، وهو أيضًا محرم، وقد يكون كفرًا وشركًا.

***

(٣٢٢) يقول السائل: هل الساحر كافر؟ وما الدليل؟ وهل تجوز الصلاة خلفه؟ وماذا علي أن أفعل إذا صليت خلف مثل هذا الإمام، في الوقت الذي لا أعلم أنه ساحر؟ وهل صلاتي السابقة تكون باطلة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السحر نوعان:

١- نوع كفر:

أما الكفر فهو الذي يكون متلقًى من الشياطين، فالذي يتلقى من الشياطين هذا كفر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ

﴿يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢]. وهذا النوع من السحر كفر، مخرج عن الملة، يقتل متعاطيه.

واختلف العلماء -رحمهم الله- لو تاب هذا الساحر هل تقبل توبته؟ فقال بعض أهل العلم: إنها تقبل توبته؛ لعموم قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[الزمر: ٥٣]. فإذا تاب هذا الساحر، وأقلع عن تعاطي السحر، فما الذي يمنع من قبول توبته، والله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[الزمر: ٥٣]؟ لكن إذا كان قد تسبب بسحره في قتل أحد من الناس، أو عدوانٍ عليه فيما دون القتل، فإنه يضمن لحق الآدمي، فإن كان بقتل قتل قصاصًا، وإن كان بتمريض نظر في أمره، وإن كان بإفساد مال ضمن هذا المال.

٢- نوع عدوان وظلم:

وهو سحر لا يكون بأمر الشياطين، لكنه بأدوية وعقاقير وأشياء حسية، فهذا النوع لا يُكفِّر، ولكن يجب أن يقتل فاعله؛ درءًا لفساده وإفساده.

***

(٣٢٣) يقول السائل: ما الحصون والوقاية من السحر ليتقي الإنسان شرها؟ وما حكم عمل السحر؟ وحكم الذين يذهبون إلى السحرة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال يتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الوقاية من السحر، والوقاية من السحر تكون بقراءة الأوراد التي وردت عن النبي ﷺ مثل: آية الكرسي، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١]. فيقرؤها الإنسان، وهو موقن بأنها حماية له، فإن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح. ومن قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ١] فيهما الاستعاذة من السحرة: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق: ٤].

فينبغي للإنسان أن يستعمل هذه الأوراد الواردة عن النبي ﷺ في كل يوم وليلة؛ لتقيه من شر أهل الحسد، ومن شر السحر.

المسألة الثانية: عمل السحر، وعمل السحر إن كان بواسطة الاستعانة بالشياطين فإنه كفر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ١٠٢]. أما إذا كان السحر بالأدوية وما أشبهها، مما لا يكون استعاذة بالشياطين، فإنه لا يصل إلى حد الكفر، ولكن يجب على ولي الأمر أن يقوم بما يجب عليه من الحيلولة دون هؤلاء.

المسألة الثالثة: الذهاب إلى السحرة، ونقول في الجواب عنها: إنه لا يجوز للإنسان أن يذهب إلى الساحر من أجل أن ينقض السحر؛ لأن هذا يؤدي إلى مفاسد كثيرة، منها إعزاز هؤلاء السحرة وكثرتهم؛ لأنه من المعلوم أن النفوس مجبولة على حب المال، وأن الإنسان إذا كان يأخذ أموالًا -وربما تكون أموالًا طائلة- على نقض السحر فإن ذلك إغراء للناس بتعلم السحر من أجل نقضه، فيحصل في هذا ضرر كبير، وابتزاز لأموال الناس، وهنا نقول: إن في الأدوية المباحة والأدعية الواردة عن النبي ﷺ والآيات القرآنية ما يغني عن هذا بإذن الله.

***

(٣٢٤) **يقول السائل**: سمعت في برنامجكم أنه يمكن التداوي من السحر بتلاوة الآيات القرآنية وبعض الأدوية الحلال، فهل هناك آيات خاصة تقرأ لمثل هذه الحالة أو هناك أدعية خاصة لهذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، الآيات الخاصة بهذا مثل: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]؛ لأنه ما تعوذ أحد بمثلهما. والأدعية الخاصة بأن يدعو الإنسان ربه بالشفاء: اللهم اشفني من هذا الداء. وكذلك يدعو له من يقرأ عليه بمثل هذا الدعاء المناسب.

***

(٣٢٥) **يقول السائل**: بالنسبة للسحر، هناك من يربط بين الزوج، أي يمتنع عن الاجتماع مع زوجته، فكيف يصرف الإنسان هذا السحر، دون أن يذهب إلى ساحر، أو دجال، أو مشعوذ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يصرف هذا السحر باللجوء إلى الله -عز وجل-، ودعائه، وقراءة سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس، فإنه ما تعوذ متعوذ بمثلهما، أي: بمثل سورتي الفلق والناس، ويكرر هذا، ولا حرج أن يذهب إلى رجل صالح يقرأ عليه، ويدعو له.

***

(٣٢٦) **تقول السائلة**: إنها قيل لها: إنك معمول لك سحر، ويحتاج إلى فكه، ولكن ادفعي مبلغ أربعة آلاف ريال، وأنا أفك لك هذا السحر، فما الحل في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحل في هذا أن نقول: إن حل السحر ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون بوسائل محرمة، كأن يُحل بالسحر؛ مثلما يستعمله بعض البادية من صب الرصاص في الماء على رأس المسحور؛ حتى يعلم بذلك من سحره، فهذا لا يجوز. فإذا كان حل السحر بوسائل محرمة فإن ذلك حرامٌ

ولا يجوز؛ لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[(١)]. رواه أبو داود بسندٍ جيد.

ثانيهما: أن يكون حل السحر بالطرق المباحة، كالأدعية، والقراءة على المريض، والأدوية المباحة، فهذا لا بأس به، ولا حرج.

***

(٣٢٧) يقول السائل م. ع. ي. من العراق من محافظة ذي قار: **السؤال حول موضوع أو ظاهرة تعرف بالدروشة، يقوم بها بعض الناس الذين يدعون بأن نسلهم يرجع إلى الرسول ﷺ حيث يقوم هؤلاء بإيذاء أنفسهم، وضربها بالأسلحة النارية والجارحة أمام جمعٍ من الناس، دون أن يصيبهم أي أذى، أو خروج دم من أجسامهم. فهل هذه كرامةٌ أم سحرٌ؟ وهل هناك حديث قدسي شريف أو نص قرآني يثبت ذلك؟ وهل هذه الظاهرة موجودةٌ في الأقطار الإسلامية الأخرى؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال حقيقة هو نفسه دروشة. وهؤلاء الدراويش الذين يعنيهم أولًا لا تقبل دعواهم بأنهم ينتسبون إلى النبي ﷺ إلا ببينة تاريخية تثبت ذلك، ولو قبلنا هذه الدعوى لادعاها رجالٌ كثير، فدعواهم أنهم من نسل الرسول -عليه الصلاة والسلام- غير مقبولة، حتى يثبتوا ذلك بالطرق الصحيحة التي يثبت بها مثل هذا الأمر.

وأما كونهم يضربون أنفسهم بالحديد، أو غير الحديد، ولا يتأثرون بذلك، فإن هذا لا يدل على صدقهم، ولا على أنهم من أولياء الله، ولا على أن هذا كرامةٌ لهم، وإنما هذا من أنواع السحر الذي يسحرون به أعين الناس، والسحر يكون في مثل هذا وغيره، فإن موسى -عليه الصلاة والسلام- لما ألقى سحرة فرعون حبالهم وعصيهم صارت من سحرهم يخيل إليه أنها

---

(١) تقدم تخريجه.

تسعى، وأنها حياتٌ وأفاعٍ، وكما قال الله -عز وجل-: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

فهذا الذي يفعلونه لا شك أنه نوعٌ من أنواع السحر، وأنه ليس بكرامة. واعلم أيها السائل أن الكرامة لا تكون إلا لأولياء الله -عز وجل-، وأولياؤه هم الذين استقاموا على دينه، وهم من وصفهم الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وليس كل من ادعى الولاية يكون وليًّا، وإلا لكان كل أحدٍ يدعيها، ولكن يوزن هذا المدعي للولاية بعمله، فإن كان عمله مبنيًّا على الإيمان والتقوى فإنه ولي، لكن مجرد ادعائه أنه من أولياء الله فهذا ليس من تقوى الله -عز وجل-؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. فإذا ادعى أنه من أولياء الله فقد زكى نفسه، وحينئذٍ يكون واقعًا في معصية الله، فيما نهى الله عنه، وهذا ينافي التقوى، وعلى هذا فإن أولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة، وإنما هم يؤمنون بالله ويتقونه، ويقومون بطاعته على الوجه الأكمل، ولا يغرون الناس، ويخدعونهم بهذه الدعوى، حتى يضلوهم عن سبيل الله.

***

(٣٢٨) يقول السائل: ماذا يعمل الإنسان الذي قد كتب له سحر وهو متضرر منه؟ وما العمل بالتفصيل للذي قد عمل له عقدة أيضًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السحر من كبائر الذنوب، ومنه ما يكون كفرًا، قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]. لم يكن له خلاق أي نصيب في الآخرة، فهذا هو الكافر، بل في الآية السابقة يقول الملكان: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فلا يحل لأحد أن يتعاطى السحر؛ لأنه إما كبيرة، وإما كفر على حسب التفصيل الذي ذكره أهل العلم.

وأما النشرة -وهي حل السحر عن المسحور- فإن كانت من القرآن والأدوية المباحة فإن هذا لا بأس به، وإن كانت بسحر فقد اختلف فيه أهل العلم، فمنهم من جوز حل السحر بسحر للضرورة، ومنهم من منع ذلك، والأقرب المنع، وأنه لا يحل حل السحر بالسحر؛ لأننا لو قلنا بذلك لانفتح علينا باب تعلم السحر، وصار كثير من الناس يتعلمون بحجة أنهم يريدون أن يحلوا السحر من المسحور، وهذا باب يفتح شرًّا كبيرًا على المسلمين، وفي الأدعية المشروعة، والقراءات المشروعة، والأدوية المباحة، ما يغني عن ذلك، لو اعتمد على الله -عز وجل-، وتوكل عليه.

***

(٣٢٩) تقول السائلة ع. أ. م. من الأردن: ما العلاج الشرعي للسحر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاج الشرعي للسحر هو الرقية بكتاب الله -عز وجل-، بأن يقرأ على المصاب: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. وكذلك الآيات التي فيها بيان أن الله تعالى يبطل السحر مثل: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، ومثل قوله: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. وكذلك ما جاءت به السنة من الأدعية التي يستشفى بها من المرض. هذا إذا لم يمكن الاطلاع على محل السحر، فإن أمكن فإنه إذا اطلع عليه ينقض. ونسأل الله السلامة.

***

(٣٣٠) يقول السائل: ما العلاج الشرعي للسحر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاج الشرعي يكون بالآيات القرآنية، كالفاتحة والمعوذتين، وما جاءت به السنة من الأدعية، وكذلك بالأدعية المباحة التي يدعو بها الإنسان ربه، هذا هو العلاج الشرعي للسحر.

***

(٣٣١) يقول السائل: أنا شاب مسلم، وعلى علم اليقين أن السحر حرام، ومع هذا فإني أجد في هذه الأيام أناسًا كثيرين يتعرضون لنوبات مرضية، ويترددون على عدة أطباء، ولم يفدهم أي علاج، ثم يذهبون في النهاية إلى أحد المنجمين السحرة، فيتبين أنهم مسحورون من قبل أناس آخرين، فيشفيهم من آلامهم بطريقته الخاصة، أي: باستعمال بعض الكتب. فأفيدونا في ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ما ذكره السائل معناه النُشرة، وهي حل السحر عن المسحور، والأصح فيها أنها تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن تكون بالقرآن، والأدعية الشرعية، والأدوية المباحة، فهذه لا بأس بها؛ لما فيها من مصلحة وعدم المفسدة، بل ربما تكون مطلوبة؛ لأنها مصلحةٌ بلا مضرة.

ثانيهما: أن تكون بشيءٍ محرم، كنقض السحر بسحرٍ مثله، فهذا موضع خلافٍ بين أهل العلم، فمن العلماء من أجازه للضرورة، ومنهم من منعه؛ لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[(١)]. رواه أبو داود بإسناد جيد.

وعلى هذا يكون حل السحر بالسحر محرمًا، وعلى المرء أن يلجأ إلى الله -سبحانه وتعالى- بالدعاء والتضرع لإزالة ضرره، والله سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ويقول تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

***

(٣٣٢) يقول السائل ز. ل. م. ع. من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية: عندي صديق سحر أعداءٌ له ولأهله زوجتَه، فحاول أن يعالجها

---

(١) تقدم تخريجه.

بشتى الطرق؛ مثل الكي وغيره، ولكن دون فائدة، فدلنا رجل على إنسان يعالج السحر بالسحر، فهل عليه إثم؛ لأنه يستخدم السحر في نفع الناس من السحرة الآخرين، ولم يضر به أحدًا؟ وهل على صديقي هذا إثم؛ لأنه ذهب إلى هذا الساحر لعلاج زوجته مما أصابها من السحر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أبين أن السحر من أكبر المحرمات، بل هو من الكفر، إذا كان الساحر يستعين بالأحوال الشيطانية على سحره، أو يتوصل به إلى الشرك، وقد قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فهذا دليل على أن تعلم السحر كفر، السحر متلقى من الشياطين، وعلى هذا فيجب الحذر منه والبعد عنه، حتى لا يقع الإنسان في الكفر المخرج عن الملة والعياذ بالله.

وأما حل السحر عن المسحور فإنه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون بالأدعية والأدوية المباحة وبالقرآن، فهذا جائز لا بأس به، ومن أحسن ما يقرأ به على المسحور: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فإنه ما تعوذ متعوذ بمثلهما.

ثانيهما: أن يكون بسحر مثله، وهذا مختلف فيه سلفًا وخلفًا، فمن العلماء من رخص فيه؛ لما فيه من إزالة الشر عن هذا المسحور، ومنهم من منعه وقال: إنه لا يحل السحر إلا ساحر. وهذا أحسن؛ لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[(١)]. وعمل الشيطان هو ما كان بالسحر، أما ما كان بالقرآن، أو بالأدعية المباحة، فإن هذا لا بأس به، ولا حرج فيه. وعلى من

---

(١) تقدم تخريجه.

ابتلي بهذا الأمر أن يصبر، وأن يكثر من القراءة، والأدعية المباحة؛ حتى يشفيه الله تعالى من ذلك.

***

(٣٣٣) يقول السائل: ما حكم الشخص الذي يستخدم السحر أو يزاول السحر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سبق أن قلنا: إذا كان سحره بواسطة الشياطين، أو لا يتوصل إليه إلا بالشرك، فإن هذا شرك مخرج عن الملة.

يقول السائل: وما حكم التصديق به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التصديق بالسحر نوعان:

أحدهما: أن يصدق بأثره، أي أن له تأثيرًا، وهذا لا بأس به؛ لأن هذا هو الواقع.

ثانيهما: أن يصدق به إقرارًا، أي: مقرًّا له، وراضيًا به، فهذا محرم، ولا يجوز.

***

(٣٣٤) يقول السائل: إنني أعلم أن الذهاب إلى الكهنة والسحرة حرام شرعًا، فماذا يفعل من ابتلي بالسحر، أي عمل له سحر، وسبب له تعبًا وإعياءً؟ وهل يجوز له أن يذهب إلى السحرة لفك السحر؟ أم أن هناك آيات معينة في فك السحر، أو التحصن من السحرة؟ وماذا يفعل هذا الشخص تجاه هذا الساحر خاصةً إذا كان يسكن بجواره؟ فهل يتركه أم ينتقم منه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حل السحر يكون بأمرين:

الأمر الأول: القراءات والتعوذات الشرعية، واللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى-، وكثرة الدعاء والإلحاح فيه، وهذا لا شك أنه جائز، ومن أحسن ما يستعاذ به سورة الفلق وسورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ

﴿ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢] الآيات. فإذا داوم الإنسان على هذا فإنه يشفى بإذن الله -عز وجل-.

النوع الثاني: هو أن يحل بسحرٍ مثله، وهذا فيه خلافٌ بين أهل العلم، فمن أهل العلم من أجازه، ومنهم من لم يجزه، والأقرب أنه لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»(١). وإذا كانت من عمل الشيطان فإنه لا يجوز لنا أن نفعلها؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

وأما ما ذكره عن جاره الذي يقول: إنه ساحر. فعليه أن يقوم بنصيحته، ويخوفه من الله -عز وجل-، ويبين له أن السحر كفرٌ وردة، وأن فيه أذيةً للمسلمين، فإن انتهى، ومنَّ الله عليه بالهداية، فهذا هو المطلوب، وإلا وجب أن يرفع إلى ولاة الأمور، ليقوموا بما يلزم نحو هذا الساحر.

***

(٣٣٥) يقول السائل: هل يجوز الذهاب إلى السحرة لفك السحر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سئل النبي ﷺ عن النشرة فقال عنها: «**مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»(٢). وقسم العلماء رحمهم الله النشرة إلى قسمين:

القسم الأول: أن تكون نشرة بالأدعية، أو بالرقى من القرآن والسنة، أو باستعمال مأكول، أو مشروب مباح، فهذه جائزة ولا بأس بها.

القسم الثاني: أن تكون بالسحر، بمعنى: أن نفك السحر بسحر، فهذه هي التي أرادها النبي -عليه الصلاة والسلام- في قوله: «**هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**».

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣٣٦) يقول السائل أ. هـ. من المغرب: اضطر شخص إلى أن يذهب إلى أحد السحرة ليفك عن ابنه سحرًا، فهل يجوز له ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السحر لا شك أنه داء عضال، وأنه جناية من الساحر عظيمة، والساحر الذي يستعين بالأرواح الشيطانية، أو بالشياطين، أو بالجن، كافر -والعياذ بالله- كفرًا مخرجًا عن الملة، وإن صام وصلى؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فالساحر الذي يستعين بالشياطين والأرواح الشيطانية والجن كافر، عليه أن يتوب إلى الله، وأن يرجع إليه، وأن يقلع عن ما يفعل.

أما المسحور فقد ابتلي ببلية ابتلاه الله بها على يد هذا الساحر، وله أن يسعى بقدر ما يستطيع لفك السحر عنه، وأحسن ما يكون في فك السحر كتاب الله -عز وجل-، والآيات القرآنية التي جاءت بفك السحر؛ مثل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وآية الكرسي، والآيتين في آخر سورة البقرة. فإذا قرأها قارئ مخلص مؤمن بها، وكان المصاب بالسحر متقبلًا لها، معتقدًا نفعها، فإنها تنفعه بإذن الله -عز وجل-، ويوجد -ولله الحمد- من يقوم بهذا بكثرة، وفي هذا غنى عن الذهاب إلى السحرة. نسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين السلامة من الآفات، وأن يقينا شر عباده.

***

(٣٣٧) يقول السائل: إذا سحر أحدهم يذهب إلى شيخ كما يسمي نفسه، ويكتب لهم ورقة فيها آيات من القرآن، ثم يحرقها في النار، ويجعلها تحت الشخص المسحور، حتى إذا اشتم رائحة الدخان نطق باسم من سحره، فيقول: سحرني فلان بن فلان. ويذكر السبب الذي سحره من أجله. وقد أحدثت هذه الحالة الكثير من المشكلات حتى وصل بعضها إلى السلطات، فما الحكم في هذا العمل مِن الفاعل والمفعول له؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحكم أن هذا لا يجوز، لو كان هذا الرجل الشيخ يكتب القرآن، ويعطيه المريض، فيشربه لكان هذا مما ورد عن السلف، وكان هذا جائزًا، وتأثيره ظاهر، أما كونه يكتب الآيات، ثم يحرقها، حتى يشم هذا المسحور دخانها، فأخشى أن يكون هذا الإحراق امتهانًا للقرآن أمام الشياطين، التي تريد من بني آدم أن يمتهن كتاب الله -عز وجل- حسًّا ومعنى، وإلا فلا وجه للإحراق؛ لكونه يشم دخان هذا الورق الذي احترق.

والذي أرى في هذه الحال أنه لا يجوز أن يذهب إلى هذا الرجل، وألَّا يؤخذ منه هذا الدواء، وأن يستعين المسحور بالأدوية الحسية الطبيعية المعروف تأثيرها، وبالدعاء، وبالآيات القرآنية، ومنها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فإن هاتين السورتين ما تعوذ متعوذ بمثلهما.

***

(٣٣٨) يقول السائل أ. م. م. من السودان: ما حكم الشرع فيمن يترددون على الكهان والسحرة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رأينا أن هذا لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(١). وهذا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم (٢٢٣٠).

الأسلوب من أساليب التحريم؛ لأن منع قبول صلاته أربعين ليلة يدل على أنه أتى إثمًا، وكذلك من أتى كاهنًا، فإن إتيان الكاهن من جنس إتيان العراف، على أن بعض أهل العلم يقولون: إن العراف اسم لكل من يدعي معرفة الأمور عن طريق الغيب. فإن أتى كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وذلك لأنه إذا سأله عن أمر من أمور الغيب فصدقه به، فقد كذّب قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. فلا أحد يعلم المستقبل أبدًا، ومن ادعى علمه فقد كذب هذه الآية.

***

(٣٣٩) تقول السائلة ف. ع. أ: ما حكم الشرع في رجلٍ يقول مثل هذا القول: لولا تحزين الناس لأخبرت كل إنسان باليوم الذي يموت فيه هذا الرجل؟ وتقول: والدي يصدق هذا الرجل، ويقول: إنه عالم ولم يأتِ بعده أعلم منه. علمًا بأن هذا الرجل قد مات، ولكن والدي لم ينس هذا الرجل، فما حكم الشرع في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: إنه إذا صدَّق هذا الرجلَ فقد كفر بما أنزل على محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لأنه صدق بأمرٍ يناقض قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. ومعلومٌ أن وقت موت الإنسان غيبي لا يعلمه إلا الله -عز وجل-، فمن ادعى علمه فهو كاذب، فالرجل الذي يدعي أنه يعلم متى يموت الناس كاذبٌ بلا شك، ومن يصدقه كافرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. فنصيحتي لوالدك أن يتوب إلى الله -عز وجل- من تصديق هذا الرجل، وأن يعتقد أنه رجلٌ كذاب خرافي، لا يجوز أن يصدق بما يدعيه من علم الغيب.

***

(٣٤٠) يقول السائل أ. أ: **الشعوذة والدجل توجدان بكثرة رغم ثقافة المواطنين، وما زال الناس يرزحون تحت وطأتها، والإيمان بها عند ضعاف العقول. فهل من نصيحة أو توجيه حول هذا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، النصيحة هي أن نلتزم بما دلت عليه السنة النبوية، التي صدرت عن أنصح الخلق للخلق، وأعلم الخلق بما ينفع الخلق: محمد ﷺ وقد نهى النبي ﷺ عن الكهانة، وحذر من إتيان الكهان، فقال: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»**(١). **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد»**(٢).

ونهى عن الطيرة، وهي: التشاؤم، بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان. ونهى عن السحر وقال: **«ليس مِنَّا مَن تُطِيِّرَ، ولا مَن تُطِيِّرَ له، أو تُكُهِّنَ، أو تُكِهِّنَ له، أو تَسَحَّرَ، أو تُسُحِّرَ له»**(٣).

كل هذا من أجل أن يسير الناس في حياتهم على حياة الجد، وعدم التعلق بالمخلوقين، وأن يكلوا أمرهم إلى الله -عز وجل-، وأن يكون تعلقهم به وحده حتى يكونوا في سيرهم راشدين مرشدين. والله الموفق.

***

(٣٤١) يقول السائل ن. ح. من العراق من نينوى: **ماذا يعني تحضير الأرواح؟ وهل هذا موجود حقيقة أم خرافة؟ حيث يقال: إن هناك أشخاصًا يحضرون أرواح الأموات، ويلتقون معهم ويكلمونهم. فهل هذا صحيح؟ ويقال: إنه توجد كتب عن تحضير الأرواح، فما رأيكم؟ وما حكم ممارسة مثل هذا العمل؟**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني (١٨/ ١٦٢، رقم ٣٥٥) قال الهيثمي (٥/ ١٠٣): فيه إسحاق بن الربيع العطار، وثقه أبو حاتم، وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات. والبزار (٩/ ٥٢، رقم ٣٥٧٨).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا التحضير لأرواح الموتى لا يصح، ولا يمكن أن يكون ثابتًا، وإذا قدر أن أحدًا زعم أنه حضر روح فلان، وخاطبها وخاطبته، فإن هذا شيطان يخاطبه بصوت ذلك الميت، فإن الأرواح بعد الموت محفوظة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]. أي: لا يفرطون في حفظ هذه الروح.

ثم إن الأرواح تكون بعد الموت في مقرها، ولا يمكن أن تحضر إلى الدنيا بأي حال من الأحوال. وتعاطي مثل هذا العمل محرم؛ لما فيه من الكذب والدجل، وغش الناس، وأكل المال بالباطل، فالواجب الحذر منه والتحذير أيضًا؛ لما فيه من المفاسد الكثيرة العظيمة.

***

(٣٤٢) يقول السائلان ي. و م. أ. ص. س. أ. وهما أخوان من سلطنة عمان: **نحن نعلم علم اليقين أن الإسلام حرم الشعوذة وحاربها، ولكن يحدث أحيانًا أن يصاب شخص ما بأحد الأمراض، فيراجع كل الأطباء المختصين بذلك المرض، ولكن دون جدوى، وأخيرًا يقال له: إننا لم نعرف هذا الداء من قبل، وليس عندنا له دواء. إلى أن يزداد عليه المرض أكثر فأكثر، وأخيرًا يقرر أن يذهب لأحد المنجمين، مع أنه يعلم أن ذلك حرام، فيذهب، وما هي إلا أيام حتى يَبْرَأَ بحمد الله. فما رأيكم في مثل هذه الأحوال؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رأينا في هذه الأحوال أن السائل حكم على نفسه بأنه فعل محرمًا؛ لأنه ذكر أنه يعلم أنه حرام، وأن الإتيان إلى الكهان والمنجمين محرم، وإذا كان محرمًا فإنه لا يجوز للإنسان أن يذهب إليهم؛ لأن الله تعالى لم يجعل شفاء هذه الأمة فيما حرم عليها، والواجب على هذا الذي فعل ما فعل، الواجب عليه أن يتوب إلى الله -سبحانه وتعالى- من هذا العمل، وأن يكثر من الاستغفار والتوبة، والعمل الصالح لعل الله -سبحانه وتعالى- أن يعفو عنه.

ومن أصيب بمثل هذه الأمور فإن له طريقًا مفيدًا جدًّا، بل هو أفيد الأشياء لمن وفق له، وهو: القراءة على هذا المصاب بالآيات القرآنية، وبما صح عن النبي ﷺ من الأحاديث النبوية التي يستشفى بها، ففيها الشفاء، وفيها الكفاية، وفيها العافية.

***

(٣٤٣) يقول السائل: أسمع كثيرًا عندنا بوجود كنوز مدفونة وموضوعة قديمًا في باطن الأرض، وعليها رصد من الجن، ولكي يستخرجوا هذا الكنز يذهب العارفون بأماكنها للشيخ الفلاني، وعنده علم كافٍ باستخراج الكنز، وعلم التعامل مع الجن، فيقرءون عليه نوعًا من آيات القرآن الكريم والطلاسم، ويقال بأنهم فعلًا يستخرجونها، ويظهرونها، ويقدرون على هزيمة الجن، فهل هذا العمل جائز أم إنه شعوذة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا العمل ليس بجائز، فإن هذه الطلاسم التي يحضرون بها الجن ويستخدمونهم بها لا تخلو من شرك في الغالب، والشرك أمره خطير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. والذي يذهب إليهم يغريهم ويغرهم؛ يغريهم بأنفسهم، وأنهم على حق، ويغرهم بما يعطيهم من الأموال.

فالواجب مقاطعة هؤلاء، وأن يدع الإنسان الذهاب إليهم، وأن يحذر إخوانه المسلمين من الذهاب إليهم، والغالب من أمثال هؤلاء أنهم يلعبون على الناس، ويبتزون أموالهم بغير حق، ويقولون القول تخرصًا، ثم إن وافق أخذوا ينشرونه بين الناس ويقولون: نحن قلنا وصار كذا، نحن قلنا وصار كذا. وإن لم يوافق ادعوا دعاوى باطلة أنها هي التي منعت هذا الشيء.

وإني أوجه النصيحة -بهذه المناسبة- إلى من ابتلوا بهذا الأمر، وأقول لهم: احذروا أن تمتطوا الكذب على الناس والشرك بالله، وأخذ أموال الناس

بالباطل، فإن أمد الدنيا قريب، والحساب يوم القيامة عسير، وعليكم أن تتوبوا إلى الله تعالى من هذا العمل، وأن تصححوا أعمالكم، وتطيبوا أموالكم. والله الموفق.

***

(٣٤٤) يقول السائل م. ع. أ. من اليمن وهو مقيم بالسعودية في الدمام: في مدينة عمران باليمن امرأة تدعى السندية، لها عشرون عامًا، تسلب أموال الناس، ويقصدها الكثير من الجهال، فيسألونها عن المغتربين، ما بهم ومتى يأتون؟ ويقصدها المرضى للشفاء. وإذا حضروا عندها جاءت بغطاء، ووضعته على نفسها، ثم تقول بصوت متغير: فلان يأتي بعد كذا يوم أو شهر، أو لا يأتي، والمريض فلان يشفى، وهذا حرز له، أو لا يفيد معه الحرز. وتخبر النساء عمَّا يكن لهن الأزواج، حتى إن زوجتي ذهبت لها وقالت لها: إن زوجك يفكر في الزواج. فأرسلت لي زوجتي ورقة تطلب طلاقها، فأرسلتها لها وفيها الخلع بالثلاث، فهل هذا الطلاق صحيح أم باطل؟ علمًا أن له ستة شهور، ولا أعلم ما السبب. وهذه المرأة تدعي أن معها أشرافًا يخبرونها، وكثيرًا ما تقول للرجال: إن لزوجاتكم رجالًا غيركم. لتوقع بين الزوجات وأزواجهن. فهل في الجن أشراف يعلمون الغيب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المرأة من الكهان؛ لأنها تدعي أنها تعلم عن المستقبل، وكل من يدعي أنه يعلم المستقبل فإنه كاهن كاذب، لا يجوز الإتيان إليه، ولا يجوز تصديقه، بل إن تصديقه تكذيب للقرآن، فإن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

والغيب ما غاب عن الإنسان من الأمور المستقبلة، فلا يعلمه إلا الله -عز وجل-، وهذه المرأة التي تدعيه هي أيضًا مكذبةٌ للقرآن، فيجب على ولاة الأمور أن يمنعوا مثل هذه الأمور في بلادهم، حتى لا يوقعوا الناس فيما يخالف عقيدتهم، وفيما يكذب كلام الله ورسوله ﷺ.

أما ما تدعيه هذه المرأة من علم الغيب فإنه لا يجوز تصديقه أبدًا، وإذا قدر أن ما تخبر به يقع منه شيء فإنما ذلك عن مصادفة، أو عن أمر استمع من السماع، وتضيف هي إليه عدة كذبات؛ لتموه على باطلها.

وأما بالنسبة لما تدعيه من مكالمة الأشراف من الجن لها فهذا أيضًا دعوى كاذبة؛ لأن الكاهن بجميع ما يقول، وجميع ما يذكر من مؤثرات لكهانته يجب تكذيبه، والجن لا يعلم الغيب بنص القرآن، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤]-يعني: سليمان- ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤]. يعني بمنسأته: عصاه، فلا أحد يعلم الغيب لا من الجن، ولا من الملائكة، ولا من الإنس، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وأما بالنسبة لقوله: إنه خالع زوجته ثلاثًا. فهذه مسألة الطلاق الثلاث، وإذا كان يريد الرجوع إلى زوجته فإنه موضع خلاف بين أهل العلم، هل له أن يراجعها إذا لم يسبق له طلقتان على هذه المرأة، أم ليس له أن يراجعها؟ والراجح أنه يجوز له أن يراجعها إذا لم يسبق له طلقتان على هذه الطلقة.

فإن في صحيح مسلم حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كان الطلاق الثلاث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنه قال: كان الطلاق الثلاث واحدةً، فلما تتابع الناس في هذا قال عمر رضي الله عنه: أرى الناس قد تعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم. وهذا نص صريح بأن إمضاء الثلاث على البينونة أمر اجتهادي من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكما أن هذا مقتضى النص فهو أيضًا مقتضى النظر، فإن الطلاق الثلاث أمره إلى الشرع لا إلى الإنسان.

والإنسان لو قال: أستغفر الله. ثلاثًا، وسبحان الله. ثلاثًا، ولو قال دبر الصلاة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ثم قال بعده: ثلاثًا وثلاثين ما كتب له ثلاث وثلاثون. فإذا كان هذا لا يحصل في الأمور المرغوبة المحبوبة إلى الله -عز وجل- -وهو: الإثابة على ذكره وطاعته- فكيف يكون في الأمور التي غاية حكمه أنها من الأمور المباحة كالطلاق؟

فإن النظر والقياس الصحيح يقتضي أن طلاق الثلاثة واحدة، فيكون مؤيدًا بالنص وبالنظر. كما أن الله -سبحانه وتعالى- قال لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[الطلاق: ١]. فطلقوهن لعدتهن، والطلاق للعدة لا يكون إلا والمرأة عند زوجها أي غير مطلقة؛ لأنها إذا طلقت بعد أن طلقت في نفس العدة لم تكن مطلقةً للعدة.

ولهذا يقول العلماء -رحمهم الله-: لو أن الرجل طلق امرأته اليوم، وبعد أن حاضت مرتين، وأردفها بطلقةٍ ثانية، فإنها لا تستأنف العدة بهذه الطلقة الثانية. دل ذلك على أنها طلقة لغير العدة، وإذا كانت طلقة لغير العدة صارت غير مأمور بها؛ لأن الله يقول: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[الطلاق: ١]. وقد ثبت عن النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١). وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الطلاق الثلاث، ولو بكلماتٍ متفرقة، لا يقع إلا واحدة فقط، إلا إذا تخلله رجعة، أو عقد نكاح جديد.

***

(٣٤٥) تقول السائلة ف. ص. هـ. من القصيم: هي امرأة متزوجة من رجل، وقد أنجبت منه أربعة أولاد، ولكنه يسيء معاملتها وأولادها، ولا يوفر لهم ما يحتاجون إليه، ومع ذلك يمنعها من أن تأخذ شيئًا من أهلها كطعام ونحوه، ويمنعها أن تشتري لهم ما يحتاجون، فلا هو ينفق عليهم ويلبي

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

طلباتهم، ولا هو يقبل أن تستعين بنفسها أو بأهلها حتى في الضروريات، فكيف تتصرف مع هذا؟ علمًا أنه مقصر في دينه كثيرًا؛ فهو يشرب الخمر، ويتناول الحبوب المخدرة، وقد تزوج بزوجة أخرى، ولسوء تصرفاته فقد شكت في كمال عقله ووعيه، فذهبت تبحث عن سبب لذلك حتى أتت بعض الكهنة، وشرحت لهم حالته، فقالوا لها: إنه مسحور. وقد ندمت على ذهابها إليهم، وتابت إلى الله توبة نصوحًا، وهي تسأل: هل عليها شيء في ذلك؟ وماذا عليه في تصرفاته؟ وهل يجوز لها البقاء معه على تلك الحالة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال تضمن عدة مسائل:

المسألة الأولى: وهي من أهمها: ذهابها إلى الكهان، ولكنها قد ذكرت أنها تابت إلى الله -عز وجل-، وهذا هو الواجب على من فعل محرمًا أن يبادر بالتوبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، فيندم على ما مضى، ويعزم على ألا يعود في المستقبل.

المسألة الثانية: تصرفات زوجها معها ومع أولادها: فهو يقصر في نفقتهم، ويمنعها من أن تأتي بما يكملها من نفسها، أو من أهلها. والجواب على هذه المسألة أن نقول: إذا كان لا يمكنها أن تأخذ من ماله، ولو بغير علمه، للإنفاق على نفسها وأولادها، فإنه لا حرج عليها أن تأخذ من أهلها ما تنفق به على نفسها وأولادها، ولو منعها من ذلك فإنه ظالم، وهو ظالم؛ حيث يمنعها من النفقة الواجبة عليه إن صح ما تقول في هذا الرجل.

المسألة الثالثة: البقاء معه أو طلب الفراق: فإذا كانت ترجو في البقاء معه أن يصلح الله حاله بالنصح والإرشاد فلتبقَ معه؛ لئلا ينفرط سلك العائلة، وتحصل مشكلات بينها وبينه، ويحصل القلق لأولادها، وإذا كانت لا ترجو ذلك فإنها تستخير الله -عز وجل-، وتشاور من تراه ذا عقل راجح في هذه المسألة: هل تبقى أم تفارق؟ ونسأل الله أن يختار لها ما فيه الخير والصلاح،

ومحل ذلك ما لم يكن هذا الزوج تاركًا للصلاة، فإن كان تاركًا للصلاة فإنه لا يجوز لها البقاء معه؛ لأن ترك الصلاة كفر مخرج عن الملة، والكفر المخرج عن الملة يقتضي انفساخ النكاح. والله أعلم.

***

(٣٤٦) يقول السائل: من كان به مرضٌ، ودُلَّ على شخصٍ يتلو على المريض، ويعطي له دواء على حسب ما يراه؛ حيث يقول: إن فلانًا به كذا، وعُمِل له كذا، أو طاح على مكانٍ به جنٌّ. فما الحكم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان الرجل الذي ذهب إليه من الصالحين المعروفين بالاستقامة والثبات والأمانة، فإنه لا بأس أن يذهب إليه؛ ليقرأ عليه الأدعية المشروعة، ويعطيه من الأدوية المباحة ما ينتفع به.

وأما إخباره بما جرى على الشخص فهذا لا بأس به أيضًا، إذا كان الرجل المخبر من المعروفين بالصدق والإيمان والتقوى؛ لأنه قد يكون له صاحبٌ من الجن يخبره بما حصل. والشيء المحرم الذي لا يجوز تصديقه إذا أخبر بشيءٍ مستقبل، فإن هذا لا يجوز؛ لأنه من الكهانة، والكهانة حرام التصديق بها، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد**»[1]. فالشيء الماضي ليس غيبًا؛ لأنه مشاهدٌ معلوم، ولكنه قد يكون غيبًا بالنسبة لأحدٍ دون أحد، ولا يمتنع أن يعلم به أحدٌ من الجن فيخبر به صاحبه هذا.

۞۞۞

---

(١) تقدم تخريجه.

❁ الشرك ❁

(٣٤٧) يقول السائل: ما الشرك، وما أنواعه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الشرك: أن يجعل الإنسان مع الله تعالى شريكًا في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته.

ففي الربوبية: أن يجعل خالقًا مع الله -عز وجل- لهذا الكون، أو يجعل معينًا لله تعالى في خلق هذا الكون.

وفي الألوهية: أن يتخذ إلهًا مع الله يعبده؛ إما وليًّا أو نبيًّا، أو أميرًا أو وزيرًا، أو حجرًا أو شجرًا، أو شمسًا أو قمرًا.

وأما في الأسماء والصفات: فأن يعتقد أن أسماء الله وصفاته مماثلة لصفات المخلوقين، ويجعل صفات المخلوق كصفات الخالق.

وأما أنواعه: فمنه الأصغر، والأكبر، والأخفى، والأبين. فأنواعه كثيرة. وما أحسن أن يقول الإنسان: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم. فإن الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل، فليحذر الإنسان منه، وليسأل الله الخلاص، وليلجأ إلى الله تعالى دائمًا مستعينًا به.

***

(٣٤٨) يقول السائل أ. مصري مقيم بالمملكة العربية السعودية: ما الشرك الأكبر؟ وما الشرك الأصغر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الشرك الأكبر هو: الشرك المخرج عن الملة؛ مثل أن يعتقد الإنسان أن مع الله إلهًا آخر يدبر الكون، أو أن مع الله إلهًا آخر خلق شيئًا من الكون، أو أن مع الله أحدًا يعينه ويؤازره، فهذا كله شركٌ أكبر، وهذا الشرك يتعلق بالربوبية. أو أن يعبد مع الله إلهًا آخر؛ مثل أن يصلي لصاحب قبر، أو يتقرب إليه بالذبح له تعظيمًا له أو ما أشبه ذلك، وهذا من الشرك في الألوهية. فالشرك الأكبر ضابطه: ما أخرج الإنسان عن الملة.

وأما الشرك الأصغر فهو كل عملٍ أطلق الشرع عليه اسم الشرك، وهو لا يخرج من الملة؛ مثل الحلف بغير الله فإنه من الشرك الأصغر، كأن يقول قائل: والنبي محمدٍ ما فعلت كذا. أو: والنبي محمدٍ لأفعلن كذا. أو يحلف بالكعبة فيقول: والكعبة المعظمة ما فعلت كذا. أو: والكعبة المعظمة لأفعلن كذا. أو ما أشبه ذلك.

فالمهم أن الحلف بغير الله من الشرك، لكنه شركٌ أصغر لا يخرج به الإنسان من الملة. والدليل على أنه من الشرك قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»[1]. إلا أنه إذا اعتقد أن لهذا المحلوف به من التعظيم مثل ما لله -عز وجل- من التعظيم فهنا يكون مشركًا شركًا أكبر؛ لأنه ساوى المخلوق بالخالق، فيكون بذلك مشركًا شركًا أكبر.

وليعلم أن الشرك لا يغفره الله -عز وجل-، سواءٌ كان أصغر، أم أكبر؛ لعموم قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨]. هذا في آية، وفي آية أخرى: ﴿**وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١١٦].

***

(٣٤٩) يقول السائل س. ع. د: ما أنواع الشرك المخرج من الملة؟ وهل كل من عمل بها يكون مشركًا، أو الذي يقوم عليه الدليل الشرعي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الشرك المخرج عن الملة هو: أن يتخذ الإنسان إلهًا مع الله يعبده ويتقرب إليه بالركوع والسجود والذبح والصوم، وما أشبه ذلك، أو يتخذ مع الله ربًّا يستغيث به، ويستنصر به، ويستنجد به.

فالأول شرك في الألوهية، والثاني شرك في الربوبية. فمن فعل شيئًا من ذلك فهو مشرك، هذا هو الأصل، لكن قد يقوم بالشخص مانع يمنع من

---

(١) أخرجه أحمد (١٠/ ٢٤٩، رقم ٦٠٧٢)، والترمذي أبواب النذور والإيمان، باب ما جاء في كراهة الحلف بغير الله، رقم (١٥٣٥).

الحكم عليه بالشرك؛ مثل: أن يكون الإنسان جاهلًا لا يدري، قد رأى الناس يفعلون شيئًا ففعله، فإذا نبهناه ترك ما هو عليه واهتدى، فإن هذا لا يكون مشركًا مخلدًا في النار؛ لأنه جاهل، إلا أنه ربما يكون غير معذور بهذا الجهل؛ مثل أن يفرط في طلب العلم، فيقال له مثلًا: هذا من الشرك ولا يجوز، ولكنه يتهاون ولا يسأل، فإن هذا ليس بمعذور في جهله؛ لأنه مفرط ومتهاون.

***

(٣٥٠) يقول السائل أ. ع. ع. من العراق من ديالة: ما الشرك الخفي؟ وما الفرق بينه وبين الشرك الأصغر؟ وكيف يمكن أن يتخلص منه المسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الشرك: شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي:

أما الشرك الأكبر: مثل أن يصرف الإنسان شيئًا من العبادة لغير الله -عز وجل-، ومن العبادة الدعاء، فإذا دعا الإنسان غير الله، كما لو دعا نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا من الملائكة، أو دعا الشمس أو القمر، لجلب نفع، أو دفع ضرر، كان مشركًا بالله شركًا أكبر، وكذلك لو سجد لصنم، أو للشمس أو للقمر، أو لصاحب القبر أو ما أشبه ذلك، فإن ذلك شرك أكبر مخرج عن الملة -والعياذ بالله- قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢]. وهذا في الأعمال الظاهرة، وكذلك لو اعتقد بقلبه أن أحدًا يشارك الله تعالى في خلقه، أو يكون قادرًا على ما لا يقدر عليه إلا الله -عز وجل-، فإنه يكون مشركًا شركًا أكبر.

أما الشرك الأصغر: فإنه ما دون الشرك الأكبر؛ مثل: أن يحلف بغير الله، غير معتقد أن المحلوف به يستحق من العظمة ما يستحقه الله -عز وجل-، فيحلف بغير الله تعالى تعظيمًا له -أي: المحلوف به- ولكنه يعتقد أنه دون الله -عز وجل- في التعظيم، فهذا يكون شركًا أصغر؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ**

بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ»[١]. وهو محرم، سواء حلف بالنبي، أم بجبريل، أم بغيرهما من الخلق، فإنه حرام عليه، ويكون به مشركًا شركًا أصغر.

وأما الشرك الخفي: فهو ما يتعلق بالقلب؛ من حيث لا يطلع عليه إلا الله، وهو إما أن يكون أكبر، وإما أن يكون أصغر؛: فإذا أشرك في قلبه مع الله أحدًا يعتقد أنه مساوٍ لله تعالى في الحقوق وفي الأفعال كان مشركًا شركًا أكبر، وإن كان لا يظهر للناس شركه فهو شرك خفي على الناس، لكنه أكبر فيما بينه وبين الله -عز وجل-، وإذا كان في قلبه رياء في عبادة يتعبد بها لله فإنه يكون مشركًا شركًا خفيًّا؛ لخفائه على الناس، لكنه أصغر؛ لأن الرياء لا يخرج به الإنسان من الإسلام.

يقول السائل: كيف يمكن أن يتخلص منه المسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التخلص من الشرك الأصغر أو الأكبر بالرجوع إلى الله -عز وجل-، والتزام أوامره فعلًا، والتزام اجتناب نواهيه، وبهذه الاستقامة يعصمه الله تعالى من الشرك.

***

(٣٥١) يقول السائل: نسمع عن الرياء فما حكمه في الإسلام؟ وهل له أقسام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الرياء: أن يعمل العبد عملًا صالحًا ليراه الناس فيمدحوه به ويقولوا: هذا رجل عابد، هذا رجل صالح. وما أشبه ذلك، وهو مبطل للعمل إذا شاركه من أوله؛ مثل أن يقوم الإنسان ليصلي أمام الناس ليمدحوه بصلاته، فصلاته هذه باطلة، لا يقبلها الله -عز وجل-، وهو نوع من الشرك. قال الله -تبارك وتعالى- في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

ولا شك أن المرائي مشرك بالله؛ لأنه يريد بذلك ثناء الله عليه، وثواب الله، ويريد أيضًا ثناء الخلق، فالمرائي في الحقيقة خاسر؛ لأن عمله غير مقبول، ولأن الناس لا ينفعونه؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**»(١). ومن أخلص عمله لله، ولم يراعِ الناس به، فإن الله تعالى يعطف القلوب عليه، ويثني عليه من حيث لا يشعر.

فأوصي إخواني المسلمين بالبعد عن الرياء في عباداتهم البدنية: كالصلاة والصيام. والمالية: كالصدقة والإنفاق. والجاهية: كالتظاهر بأنه مدافع عن الناس، وقائم بمصالحهم، وما أشبه ذلك.

ولكن لو قال قائل: إنه يتصدق من أجل أن يراه الناس فيتصدقوا، لا من أجل أن يراه الناس فيمدحوه. فهل هذا خير؟ فالجواب: نعم، هذا خير، ويكون هذا داخلًا في قول النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ**»(٢). ولهذا امتدح الله -عز وجل- الذين ينفقون أموالهم في السر وفي العلانية؛ في السر في موضع السر، وفي العلانية في موضع العلانية.

***

(٣٥٢) **يقول السائل**: كيف يكون إخلاص النية في العمل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إخلاص النية في العمل هو أن يتناسى الإنسان كل ما سوى الله، وألَّا يكون الحامل له على هذه العبادة إلا امتثال أمر الله -عز وجل-، وإرادة ثوابه، وابتغاء وجهه -عز وجل-، وأن يتناسى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، رقم (١٠١٧).

كل شيءٍ يتعلق بالدنيا في هذه العبادة، فلا يهتم بالناس؛ أرأوه أم لم يروه، أسمعوه أم لم يسمعوه، ولا يبالي بهم؛ أثنوا عليه أم قدحوا فيه.

وكذلك أيضًا من أسباب الإخلاص أن يكون الإنسان حين قيامه بالعبادة مستحضرًا لأمر الله -عز وجل- بها، ومستحضرًا لاتباع الرسول ﷺ فيها. مثال ذلك: رجل قام يتوضأ للصلاة، فهنا نقول: أولًا استحضر أنك ما توضأت إلا امتثالًا لأمر الله -عز وجل-، كأنك الآن تقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. وكأنك بوضوئك تقول: سمعًا وطاعة. وستجد في هذا حلاوة ولذة وحبًّا للطهارة؛ لأن الله أمرك بها، ثم استحضر أنك في هذا العمل متبعٌ لرسول الله ﷺ كأنما رسول الله ﷺ أمامك، وأنت تتبعه في هذا الوضوء، وبهذا يتحقق لك الثواب والأجر للإخلاص والمتابعة، وبذلك تحقق شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

***

(٣٥٣) يقول السائل: الحج شعيرة عظيمة مبناها على الإخلاص، فيجب إخلاصها لله تعالى. نريد وقفة حول ضرورة إخلاص هذه الشعيرة لله -عز وجل-، وأن ذلك من أساس الاعتقاد.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإخلاص شرط في جميع العبادات، فلا تصح العبادة مع الإشراك بالله -تبارك وتعالى-، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]. وفي الحديث الصحيح القدسي أن النبي

-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(١)].

والإخلاص لله في العبادة معناه: ألا يحمل العبد إلى العبادة إلا حب الله تعالى وتعظيمه، ورجاء ثوابه ورضوانه، ولهذا قال الله تعالى عن محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

فلا تقبل العبادة -حجًّا كانت أم غيره- إذا كان الإنسان يرائي بها عباد الله، أي يقوم بها من أجل أن يراه الناس فيقولوا: ما أتقى فلانًا، ما أعبد فلانًا لله. وما أشبه هذا. ولا تقبل العبادة إذا كان الحامل عليها رؤية الأماكن، أو رؤية الناس، أو ما أشبه ذلك مما ينافي الإخلاص.

ولهذا يجب على الحجاج، الذين يؤمون البيت الحرام، أن يخلصوا نيتهم لله -عز وجل-، وألا يكون غرضهم أن يشاهدوا العالم الإسلامي، أو أن يتجروا، أو أن يقال: فلان يحج كل سنة. وما أشبه ذلك، ولا حرج على الإنسان أن يبتغي فضلًا من الله بالتجارة، وهو آمٌّ للبيت الحرام؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٨]. وإنما الذي يخل بالإخلاص ألا يكون له قصد إلا الاتجار والتكسب، فهذا يكون ممن أراد الدنيا بعمل الآخرة، وهذا يوجب بطلان العمل، أو نقصانه نقصًا شديدًا، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

***

(٣٥٤) **تقول السائلة**: **ينتابني شعور في داخلي بأنني إذا عملت أمام الناس أي عمل صالح يكون هذا العمل رياء، فمثلًا: عندما أصلي الظهر في المدرسة**

---

(١) تقدم تخريجه.

أصلي السُّنة القبلية والبعدية فيقولون: صلاة هذه المرأة طويلة. هل هذا العمل من الرياء؟ علمًا بأنني أصلي السُّنة في كل مكان، وليس في المدرسة فقط.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الشعور بالرياء من الشيطان؛ ليصد الإنسان عن طاعة الله -عز وجل-، والشيطان -أعاذنا الله وإياكم منه- يشم القلب، فإن وجد منه قوة على الطاعة رماه بهذا السهم سهم الرياء، وقال: إنك مُراءٍ. وإن رأى معه ضعفًا في الطاعة رماه بسهم التهاون والإعراض حتى يدع العمل. فعلى المرء أن يكون لديه قوة ونشاط، وإذا طرأ عليه أنه يصلي رياء، أو يتصدق رياء، أو يقرأ رياء، فليقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وليمض، ولا يهتم بهذا.

***

(٣٥٥) يقول السائل م. م. هـ. من عمان بالأردن: عندنا إمام في المسجد، حافظ للقرآن مجود، تبدو عليه علامات الصلاح، فهو إلى جانب مواظبته على الصلاة يصوم يومًا ويفطر يومًا، إلا أنه دائمًا يعمل حلقات للذكر بعد العشاء، وتستمر إلى وقت متأخر من الليل، يرددون فيها بعض الأذكار، ومن ذلك قولهم: مدد يا سيدي يا رسول الله، ومدد يا سيدي عبد القادر، وما شابه ذلك من الأذكار. فهل ذلك جائز ويثابون عليه أم لا؟ وهل تؤثر هذه الأعمال على صحة صلاتنا خلفه؟ فإن كان كذلك فما العمل في صلواتنا الماضية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حقيقة أن ما ذكره السائل يحزن جدًّا! فإن هذا الإمام -الذي وصفه بأنه يحافظ على الصلاة، ويحافظ على الصيام؛ فيصوم يومًا ويفطر يومًا، وأن ظاهر حاله الاستقامة- قد لعب به الشيطان، وجعله يخرج من الإسلام بالشرك، وهو يعلم، أو لا يعلم، فدعاؤه غير الله -عز وجل- شرك أكبر مخرج من الملة، سواء دعا الرسول -عليه الصلاة والسلام- أم دعا غيره، وغيره أقل منه شأنًا، وأقل منه وجاهة عند الله -عز وجل-، فإذا كان دعاء رسول الله ﷺ شركًا فدعاء غيره أقبح وأقبح من عبد القادر، أو غير عبد القادر.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- نفسه لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًا، قال الله تعالى آمرًا له: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢١]. وقال آمرًا له: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال تعالى آمرًا له: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. بل قال الله تعالى آمرًا له: ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٢]. فإذا كان الرسول ﷺ نفسه لا يجيره أحد من الله فكيف بغيره؟ فدعاء غير الله شرك مخرج عن الملة، والشرك لا يغفره الله -عز وجل-؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. وصاحبه في النار؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

ونصيحتي لهذا الإمام أن يتوب إلى الله -عز وجل- من هذا الأمر المحبط للعمل، فإن الشرك يفقد العمل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]. فليتب إلى الله من هذا، وليتعبد لله -سبحانه وتعالى- بما شرع من أذكار وعبادات، ولا يتجاوز ذلك إلى هذه البدع، بل إلى هذه الأمور الشركية، وليتفكر دائمًا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

***

(٣٥٦) يقول السائل أيضًا: إنه أيضًا هذا الإمام يتظاهر بأنه ولي من أولياء الله، وأن في يده إصلاح الأمة، ويجلس في الخلوة قرابة أسبوع يذكر الله، ويزعم أن الله يوحي إليه. فما علامات الولاية؟ وهل يعرف الولي حقًا أنه ولي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: علامات الولاية وشروطها بينها الله تعالى في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فهذه هي علامات الولاية. وشروطها: الإيمان بالله، وتقوى الله -عز وجل-.

فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، أما من أشرك به فليس بولي لله، وهو عدو لله، كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. فأي رجل أو امرأة يدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله -عز وجل- فإنه مشرك كافر، وليس بولي لله، ولو ادعى ذلك، بل دعواه أنه ولي، مع عدم توحيده وإيمانه وتقواه، دعوى كاذبة تنافي الولاية.

هل مثل هذه الأعمال تؤثر على صحة صلاتهم خلف هذا الإمام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كانوا جاهلين فإنها لا تؤثر، وإن كانوا عالمين بحاله، وعالمين بحكم الشرع فيه، فإنه لا تصح صلاتهم؛ لأن الكافر لا تصح صلاته، ولو صلى، ما دام يشرك بالله -سبحانه وتعالى-. والغالب -فيما أظن- أنهم كانوا جاهلين بهذا، وعليه فليس عليهم إعادة ما مضى من صلاتهم.

***

(٣٥٧) يقول السائل: عندما يقوم الناس بتعديل ثمار النخيل على سعفها فإنهم يضعون بعض ليف النخيل في الثمار الكبيرة حتى لا يراها الناس، فهل يعتبر هذا من الشرك؟ وبمَ تنصحون الناس تجاه ذلك؟ وهل تجوز الصلاة خلف هؤلاء، مع العلم بأنني لا أتمكن من المحافظة على الجماعة إن لم أصل خلفهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هذا من الشرك، إذا كانوا يغطونها بهذا الليف خوفًا من العين فإنه ليس من الشرك؛ لأن أعين الحاسدين إنما تنصب

على الشيء الفائق، فإذا أخفي هذا الشيء لم يكن فائقًا في أعينهم، فيكون سببًا لمنع العين. والسبب إذا كان مشروعًا أو محسوسًا فإن ممارسته لا تعد من الشرك؛ لأن الأمور التي جعلها الله أسبابًا، بما أوحى من شرعه، أو بما علم الناس من قدره، فإنها تكون أسبابًا شرعية، وممارستها ليست شركًا، وعلى هذا فالصلاة خلف هؤلاء ليس فيها بأس.

***

(٣٥٨) يقول السائل: هناك أناس في مناطق مختلفة يقولون عند الغضب: خذوه يا جن. أو: خذوه يا سبعة. يدعون عليه بأن يأخذه الجن وما إلى ذلك من هذه الأدعية، فهل هذا شرك محبط للعمل؟ حيث إنني سمعت من أحد المشايخ بمنطقتنا يخطب في يوم الجمعة فقال: إن ذلك شرك. حتى ذكر أن الزوجة إذا لم تتب من ذلك فإنها لا تبقى مع مسلم موحد. أفتونا في ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الدعاء لا يكون إلا لله -عز وجل-، فمن دعا غير الله، من جني، أو ملَك، أو نبي، أو ولي، كان مشركًا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فجعل الله تعالى الدعاء عبادة، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كفر، وشرك مخرج عن الملة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. ودعاء غير الله كفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فأثبت الله تعالى في هذه الآية أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن من دعا غير الله فهو كافر؛ لقوله: ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

الأمر الثاني: أن من دعا غير الله فإنه لا يفلح، لا يحصل له مطلوبه، ولا

ينجو من مرهوبه، فيكون داعي غير الله خاسرًا في دينه ودنياه، وإذا كان غير مفلح فهو أيضًا غير عاقل، بل هذا غاية السفه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]. أي لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله، ولكنه جاء هذا النفي بصيغة الاستفهام؛ لأنه أبلغ من النفي المحض؛ حيث يكون مشربًا معنى التحدي.

وعلى هذا فدعاء الجن، أو الشياطين، أو الأولياء، أو الأنبياء، أو الصالحين، أو غير ذلك كله، شرك بالله -عز وجل-، يجب على الإنسان أن يتوب إلى الله منه، ولا يعود إليه، فإن مات على هذه العقيدة -أعني: على عقيدة دعاء غير الله، وأن هذا المدعو يستجيب له من ملك، أو نبي، أو ولي، أو رسول- فإنه يكون مشركًا يستحقُّ ما قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

***

(٣٥٩) يقول السائل م. وهو سوداني ومقيم بالظهران: شخص قال في مجلس: باسم الله، يا سيدي يا رسول الله. فقال له أحد الإخوة: إن هذا شرك. فهل هذا صحيح؟ وماذا يجب على القائل؟ وبِمَ توجهونه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: خطاب النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يجوز إلا فيما جاءت به السنة، وقد جاءت السنة بقول المُسلِّم عليه: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وأما قول القائل: يا سيدي يا رسول الله. فأقل ما يقال فيه: إنه بدعة. فإن ناداه هذا النداء ليستغيث به، ويستعين به على أمر كان شركًا، فالمسألة تحتاج إلى تفصيل:

فإذا قال: يا سيدي يا رسول الله. وكان يريد أن يستغيث به، أو يستعين به، فهذا شرك، ودعاء لغير الله -عز وجل-.

وإن قال: يا سيدي يا رسول الله، السلام عليك. فهذه بدعة لم ترد عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. وعلى كل حال فعلى القائل مثل هذا القول أن يتوب إلى الله، وألَّا يعود إليه.

***

(٣٦٠) يقول السائل: هناك مسجدٌ فيه قبر يتبرك أهل هذا المسجد به، فهل يقعون في الشرك الأكبر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا لا بد أن ننظر هل القبر سابقٌ على المسجد، أم المسجد سابقٌ على القبر؟

فإن كان القبر سابقًا على المسجد، بمعنى أن القبر كان متقدمًا، فبنوا عليه مسجدًا، فالمسجد هنا لا تصح فيه الصلاة على كل حال؛ لأنه مسجد يجب هدمه، فقد نهى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يبنى على القبور، لا سيما إذا كان المبني مسجدًا، وإنما قلنا: يجب هدمه. لأنه يشبه مسجد الضرار الذي يجب هدمه، ومسجد الضرار هو المسجد الذي يبنى بقرب مسجدٍ آخر، فيؤثر على أهل المسجد الأول ويفرقهم، فهذا مسجد ضرار يهدم على كل حال.

وأما إذا كان المسجد سابقًا، ودفن فيه الميت، فإنه يجب أن ينبش الميت، ويدفن مع الناس.

أما من تبرك بهؤلاء -أي: بأهل القبور- سواءٌ في المسجد، أم في غير المسجد، فإن كان يدعوهم، أو يستغيث بهم، أو يستعين بهم، أو يطلب منهم الحوائج، فهذا شركٌ أكبر، مخرجٌ عن الملة، وإن كان لا يدعوهم، ولكن يتبرك بترابهم ونحوه، فهذا شركٌ أصغر، لا يصل إلى حد الشرك الأكبر، إلا إذا اعتقد أن بركته يحصل بها الخير من دون الله، فهذا مشركٌ شركًا أكبر.

***

(٣٦١) يقول السائل: بعض الناس ينذرون ويذبحون لغير الله، ويعتقدون في قبور بعض الصالحين، ومع ذلك فهم يعلقون أنياب الذئاب في

أعناق أطفالهم الصغار؛ لكي تحميهم من الجن، معتقدين فيها ذلك، فهل هذا يعد من الشرك أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما فعلهم الأول -وهو ذبحهم للقبور تقربًا بهذا الذبح إلى صاحب القبر- فإنه من الشرك الأكبر المخرج عن الملة؛ وذلك لأن الذبح من عبادة الله -عز وجل-، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله شرك أكبر.

وأما الثاني -وهو تعليقهم أنياب الذئاب في أعناق أولادهم من أجل دفع الجن- فإن هذا من الشرك الأصغر؛ لأنهم أثبتوا سببًا لم يجعله الله -سبحانه وتعالى- سببًا، لا حسًّا، ولا شرعًا، وهذا نوع من الشرك الأصغر.

فالواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحًا، وأن يزيلوا ما في أعناق أولادهم من هذه الأنياب، ولا يدفع شر الجن إلا ما جعله الله -سبحانه وتعالى- سببًا للدفع؛ مثل قراءة آية الكرسي، فقد رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] **حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ**»(١). ومثل أن يقول الإنسان إذا نزل منزلًا، كما علمنا رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(٢).

***

(٣٦٢) يقول السائل: هل في هذا القول شرك، وهو: **توكلت على الله ورسوله؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، أما قوله: توكلت على الله. فهذه ليست

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٨).

شركًا؛ لأن الله تعالى هو المتوكَّل عليه، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وأما قوله: ورسوله. فهذا شرك لا يجوز؛ لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ميت في قبره، لا يملك أن يدعو لأحد، ولا أن ينفع أحدًا، ولا أن يضر أحدًا، فالتوكل عليه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- شرك، وعلى غيره من باب أولى؛ فلو توكل على قبر من يدعي أنه ولي فهو مشرك.

والواجب علينا أن نتبرأ من الشرك كله بأي أحد، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ فقدمها على عاملها، قال أهل العلم: وتقديم ما حقه التأخير يدل على الاختصاص والحصر. أي: وعلى الله -لا غيره- فتوكلوا إن كنتم مؤمنين.

***

(٣٦٣) يقول السائل أ. أ. أ. من السودان: عندنا في السودان شيخ مات، وله قبة يزورها جمع غفير من الناس، والغريب أن الناس يأتون بالمجانين والمرضى لهذه القبة، ويمكثون أيامًا عديدة، ويعتقدون أن هذا الشيخ يشفي هؤلاء المرضى، وهؤلاء المجانين. فما حكم هذا العمل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن هذا العمل عمل محرم بلا شك، وهو مع تحريمه شرعًا سفه عقلًا؛ لأن هؤلاء الذين يأتون إلى هذه القبة المضروبة على هذا القبر بمن أصيبوا بالجنون أو بالمرض من أجل استشفائهم بحضورهم إلى هذا المكان سفهاء في العقول؛ وذلك لأن هذا الميت ميت جماد، وقد نعى الله -سبحانه وتعالى- على المشركين الذين يدعون الأصنام في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

فالميت لا ينفع نفسه ولا ينفع غيره، حتى إنه قد انقطع عمله، كما ثبت به الحديث عن النبي ﷺ حيث قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ**

ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1]. فإذا كان هذا الميت لا ينفع نفسه بعمل فكيف ينفع غيره؟

ثم إننا نقول: إذا كان هؤلاء الجماعة الذين يأتون بمجانينهم ومرضاهم إلى هذا المكان، ويعتقدون أن هذا الميت يشفيهم بنفسه، فإن هذا شرك أكبر؛ لأنه لا يشفي من المرض إلا الله -عز وجل-، كما قال الله تعالى عن إبراهيم إمام الحنفاء وخليل الرحمن: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[الشعراء: ٨٠].

والأدوية التي يكون بها الشفاء ما هي إلا أسباب جعلها الله تعالى أسبابًا، فالشفاء بها من شفاء الله -عز وجل-، فإذا اعتقد هؤلاء الذين يحضرون إلى هذا القبر بأن صاحب القبر يشفيهم بنفسه فإنه شرك أكبر مخرج عن الملة؛ لأنهم اعتقدوا أن مع الله تعالى خالقًا وشافيًا، وهذا شرك في ربوبية الله -سبحانه وتعالى-.

وقد بين الله تعالى في غير آية من كتاب الله أن أولئك الذين يدعون من دون الله لا ينفعونهم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[الأحقاف: ٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[سبأ: ٢٢-٢٣]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[يونس: ١٠٧].

فنصيحتي لهؤلاء أن يلجئوا إلى ربهم -سبحانه وتعالى-، فإنه هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو القادر على شفائهم، ولا بأس أن يأخذوا بالأسباب التي أذن الله بها، سواء كانت أدعية شرعية أم أدوية مباحة، أم غير ذلك، مما جعله الله تعالى سببًا للشفاء من هذا المرض.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

وأخيرًا أقول: إن هذه القبة التي بنيت على القبر الذي ذكره السائل يجب أن تهدم؛ لأن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبور، وكل بناية على قبر فإنه يجب على المسلمين أن يهدموها؛ لأنها من وسائل الشرك.

والواجب على المسلمين عامة أن يقضوا على وسائل الشرك بالبرهان -وهو الدليل من الكتاب والسنة- أو بالسلطان -وهو تغيير ذلك باليد- لقول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1]. وإنني أنصح إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالانتهاء عن مثل هذه الأعمال، التي ابتلي بها كثير من الناس؛ حيث يتعلقون بمن دون الله -عز وجل-، فيعلقون أملهم به، يدعونه لكشف الضر وجلب النفع، مع أن الأمر كله لله -عز وجل-، ودعاؤهم هذا لهؤلاء المخلوقين شرك بالله، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فجعل الله تعالى الدعاء عبادة، وصرف شيء من العبادة لغير الله كفر وشرك، ولا فلاح معه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. نسأل الله لنا ولهم الهداية.

***

(٣٦٤) يقول السائل: في إحدى القرى عندنا يوجد قبر، وعليه بناء حجرة، وعليها أعلام ترفرف، ويأتي بعض الناس بالذبائح والمأكولات، معتقدين أن صاحب هذا القبر ينفع أو يضر، فهو -حسب ظنهم- يشفي مرضاهم، ويرزقهم الأولاد. وإذا نصحناهم، أو حاولنا تغيير هذا المنكر،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم (٤٩).

يحذرون من ذلك، فإنه ولي مشهور، ومن يتعرض له بأذى فسيؤذيه ويضره. فما رأيكم في هذا؟ وما نصيحتكم لهؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رأينا في هذا أنه يجب أن تهدم هذه القبة، أو هذه الحجرة، وأن تزال معالمها؛ لأنها معالم شرك، والعياذ بالله.

ثم نقول لهؤلاء الذين يذهبون إلى هذه الحجرة، ويذبحون عندها القربان، ويسألونها دفع الضرر وجلب النفع، نقول: هؤلاء مشركون في الربوبية والألوهية؛ لأنهم تعبدوا لهذا القبر بالذبح له، ولأنهم اعتقدوا أن صاحبه ينفع أو يضر، وليس الأمر كذلك، ولأنهم دعوا صاحب هذا القبر، والدعاء من العبادة، فقد أشركوا بالربوبية والألوهية شركًا أكبر.

وعلى علماء المسلمين أن يبينوا لهؤلاء العوام بأن هذا من الشرك، وأن يحذروهم، وإن السكوت على مثل هذا، في بلاد تكثر فيها القباب على القبور، والذبح لها، والسفر إليها، يعد ولا شك مسئولية كبيرة على أولئك العلماء، ومن المعلوم أن العامة يثقون بأقوال علمائهم أكثر مما يثقون بأقوال علماء البلاد الأخرى، كما هو ظاهر.

فالواجب على علماء المسلمين في جميع أقطار المسلمين أن يتقوا الله -عز وجل-، وأن يبينوا لعوامهم خطر هذه الأمور، وأنها من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله -عز وجل-، والذي أوجب الله لصاحبه الخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢]. وهؤلاء العامة الذين يحذرون من هذا الولي فتحذيرهم ليس بصحيح، وليس بواقع، وليجرب الناس هذا الأمر، فليجربوا وليحذروا من هذا العمل المحرم الشركي، وينظروا هل يصيبهم شيء أم لا؟ فكل هذا تحذير باطل، وإنما هو من الشيطان، ولا يجوز التصديق به؛ لأنه كذب وزور، ثم إن المصدق به يصدق بما ليس له حقيقة أصلًا.

***

(٣٦٥) يقول السائل: سؤالي عن الذين يزورون قبور الشيوخ لقصد الشفاء من مرض معين، أو لأجل إنجاب الأولاد، ومثل ذلك، وينحرون لهم الذبائح، ما حكم هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هؤلاء مشركون شركًا أكبر؛ لأنهم دعوا أصحاب القبور، واستغاثوا بهم، واستنجدوا بهم، ورأوا أنهم يجلبون إليهم النفع، ويدفعون عنهم الضرر، وينذرون لهم، وكل هذه من حقوق الله التي لا تصلح لغيره، فعلى هؤلاء أن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وأن يرجعوا إلى توحيدهم وإخلاصهم، قبل أن يموتوا على هذا، فيستحقوا ما أخبر الله به عن المشركين في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فإن قال قائل: إن هؤلاء قد يملى لهم، وقد يبتلون، فيدعون أصحاب القبور، ثم يحصل لهم ما دعوا به. فنقول: هذه فتنة بلا شك، والذي حصل لم يحصل بهؤلاء المقبورين، وإنما حصل عند دعائهم وليس بدعائهم، وإلا فنحن نؤمن، ونجزم جزمنا بالشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب، أن هؤلاء المقبورين لن يستجيبوا لهم أبدًا؛ لقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. ولقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

فنصيحتي لهؤلاء أن يتقوا الله، وأن يرجعوا إلى دين الله وتوحيد الله، وأن يعلموا أن النبي ﷺ قاتل المشركين، واستباح دماءهم وأموالهم وذرياتهم من أجل شركهم، وهؤلاء شركهم من جنس شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ على شركهم.

***

(٣٦٦) يقول السائل: ما مصير المسلم الذي يصوم ويصلي ويزكي، ولكنه يعتقد بالأولياء الاعتقاد الذي يسمونه في بعض الدول الإسلامية اعتقادًا جيدًا أنهم يضرون وينفعون، كما أنه يقوم بدعاء هذا الولي فيقول: يا فلان، لك كذا وكذا إذا شفي ابني أو بنتي. أو: بالله يا فلان. فما حكم مثل هذه الأقوال؟ وما مصير المسلم فيه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تسمية هذا الرجل، الذي ينذر للقبور والأولياء ويدعوهم، مسلمًا جهل من المسمِّي، ففي الحقيقة هذا ليس بمسلم؛ لأنه مشرك، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فالدعاء لا يجوز إلا لله وحده، فهو الذي يكشف الضر، وهو الذي يجلب النفع، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]. فهذا، وإن صلى وصام وزكى، وهو يدعو غير الله، ويعبده وينذر له، فإنه مشرك، قد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار.

***

(٣٦٧) يقول السائل: بعض الناس عندما يزورون بعض المقابر الشريفة لدينا، التي يوجد بها صحابة رضوان الله عليهم، وبعض الشيوخ الكرام، هناك أخطاء يرتكبونها، منها أنهم يطلبون منهم المساعدة والدعاء عند رب العالمين، والوقوف بجانبهم لخرجوهم من مصائبهم. ما الحكم في هؤلاء؟ وما نصيحتكم لهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أقول: إن ما يدعى بأنه قبر فلان، أو فلان من الصحابة رضي الله عنهم، أو الأئمة بعدهم، قد لا يكون صحيحًا، فليس كل ما ادعي يكون مقبولًا وصحيحًا، بل قد يكون هذا من تزوير المزورين، أما على فرض أن يكون في هذا المكان قبر صحابي، أو

قبر إمام من الأئمة، فإن المشروع للإنسان إذا زار المقبرة أن يفعل ما أمر به النبي ﷺ من السلام عليهم، فيقول: «**السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»(١).

فالزائر للمقبرة زائر معتبِر، داعٍ للموتى، وليس داعيًا عندهم، وأما الذين يزورنها على سبيل التبرك بترابها، أو أقبح من ذلك بأن يدعوا الأموات بكشف الضر وجلب النفع، أو ما أشبه هذا، فإن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج عن الملة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فبين الله -سبحانه وتعالى- أن هذا الذي يدعو من دون الله، أو يدعو مع الله إلهًا آخر، كافر، وأنه ليس بمفلح، أي لن يحصل له مطلوبه، ولن ينجو من مرهوبه.

وقال الله -سبحانه وتعالى- في آية أخرى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. فالمشرك الداعي لغير الله -عز وجل- غير مفلح، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو أيضًا سفيه، لا أحد أضل منه.

فنصيحتي لهؤلاء الذين يزورون هذه المقابر أن تكون زيارتهم على الوجه المشروع: بأن يتعظوا بهذه الزيارة ويتذكروا الآخرة، وأنهم الآن على ظهر الأرض أحياء، يأكلون ويشربون، ويلبسون ويتمتعون، وعما قريب سوف يكونون في بطن الأرض مرتهنين بأعمالهم، كما كان هؤلاء المقبورون مثلهم بالأمس، وهذه حالهم اليوم، ثم يدعون لإخوانهم بما شرع لهم مما ذكرناه آنفًا، وأما أن يتبركوا بالتراب، أو أن يدعوا هؤلاء الموتى، فهذا ضلال لا أصل له.

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم (٩٧٤).

(٣٦٨) يقول السائل م. من إثيوبيا: تكثر عندنا المعتقدات -أعني: بأهل القبور- وسؤالهم حاجاتهم المهمة، ملتفين حول قبابهم، كطلب الأولاد والغنى. فما نصيحتكم لهؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة خطيرة جدًّا، لا يوجد أخطر منها فيما أرى؛ لأنها شرك، شرك أكبر مخرج عن الملة، فإن من أتى إلى القبور، ودعاهم واستغاث بهم في تفريج الكربات، وحصول المطلوبات، كان داعيًا لغير الله -عز وجل-، فكان مشركًا في دينه، وضالًّا في عقله.

أما كونه مشركًا في دينه فلأنه عبد مع الله غيره؛ حيث دعاهُ، ودعاء غير الله عبادة له، قال الله -عز وجل-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فأمر الله بالدعاء وجعله عبادة، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فإذا دعا أحدًا غير الله فقد عبده، فيكون بذلك مشركًا كافرًا، وقال -عز وجل-: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فأخبر بأن هذا كافر -أي: مَن يدعو مع الله إلهًا آخر- وأنه غير مفلح في دعائه، فلم يحصل له مطلوبه، وإن قدر أنه حصل له فإن هذا المطلوب لم يحصل بالدعاء، ولكنه حصل عند الدعاء؛ امتحانًا من الله -عز وجل- وفتنة واستدراجًا.

وأما كون من دعا غير الله تعالى ضالًّا في عقله فلأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. وفي الآية هذه دليل أيضًا على أن الدعاء عبادة؛ لقوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

ونصيحتي لهؤلاء أن يرجعوا إلى رشدهم، وأن يفكروا تفكيرًا جديًّا في

هذه المسألة، فالمقبورون هم بالأمس كانوا أحياء مثلهم يعيشون على الأرض، ثم ماتوا، فكان أعجز منهم على حصول المطلوب؛ لأن الميت لا حراك به، ولا عمل له، ولا ثواب له، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[1]. وإنما انقطع عمله لأنه كسب له، ولا يستطيع أن يتكسب، ولا يستطيع أن يجلب خيرًا لغيره، ولا يدفع ضرًّا عن غيره.

فليرجعوا إلى عقولهم، وليرجع هؤلاء الذين يلتفون حول القبور يسألونهم الحوائج ودفع الكربات، ولينظروا في أمرهم، ويتدبروا بعقولهم، وأن ذلك لا يجدي شيئًا، ولماذا لا يرجع هؤلاء إلى البديل الذي هو خير من ذلك، والذي به النفع ودفع الضرر، وهو الالتجاء إلى الله -عز وجل-، فيدعون الله -عز وجل- في صلواتهم وفي خلواتهم؟ فإنه -سبحانه وتعالى- هو الذي قال في كتابه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. فلماذا لا يدعون الله -عز وجل-؟

فليرجعوا عن هذا العمل -أعني: الالتفاف حول القبور ودعاء أصحابها- فيلتفوا حول المساجد، ويصلوا مع الجماعة، ويدعوا الله سبحانه تعالى وهم سجود، ويدعوا الله تعالى بعد الانتهاء من التشهد، وقبل أن يسلموا، ويدعوا الله بين الأذان والإقامة، ويتحروا أوقات الإجابة، والأحوال التي يكونون فيها أقرب إلى الإجابة، فيلجئوا إلى الله تعالى بالدعاء؛ حتى يجدوا الخير والفلاح والسعادة.

***

(٣٦٩) يقول السائل س. ع. ع. ع. من جمهورية مصر العربية: يوجد عندنا أغلب الناس الذين يصومون ويصلون ويحجون ويزكون، ويقولون: لا

---

(١) تقدم تخريجه.

إله إلا الله، ولكن -والعياذ بالله- يجعلون قبور الصالحين واسطة بينهم وبين الله، ويشدون لهم الرحال، ويعملون حفلات فوق القبور، ويأخذون الأطفال والنساء، ويذبحون الكثير من الغنم والماعز، ويحلفون بهذه الأوثان. فهل نأكل من هذه الذبائح وهم يذكرون الله عليها؟ نرجو التوجيه منكم لنا ولهم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الذبائح إذا كان المقصود بها التقرب إلى هؤلاء الأموات فهي مما ذبح لغير الله، فلا يحل أكلها، ولو ذكروا اسم الله عليها؛ لأنها داخلة في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[المائدة: ٣]. فحرام عليكم أن تأكلوا منها شيئًا.

أما بالنسبة لهم فإن عملهم هذا إشراك بالله -عز وجل-؛ لأن التقرب بالذبح من خصائص الله -سبحانه وتعالى-، أي من الأمور المختصة به، ولا يجوز صرفها لغيره؛ لأنها من العبادة، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وعلى هذا فيجب على العلماء أن ينصحوا أولئك الجهال، وأن يبينوا لهم أن هذا من الشرك بالله، وأن الشرك بالله لا يقبل الله معه عملًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]. ولا يجوز للعلماء العالمين بأحوال هؤلاء، العالمين بأحكام ما يفعلونه، لا يجوز لهم السكوت؛ لأن السكوت في مثل هذه الحال إقرار لهم على هذا الشرك، والعامة متعلقون بالعلماء، والعلماء مسئولون عنهم، وهم -أعني العلماء- ورثة الأنبياء في العلم والعمل، والدعوة إلى الله -عز وجل-، وسيسألهم الله -عز وجل- يوم القيامة عما علموا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران: ١٨٧].

فالحاصل أنه إذا كان الأمر -كما وصف السائل- شائعًا كثيرًا بين الناس فما ذلك إلا لتقصير أهل العلم في بيان الحق، ولو أن أهل العلم بينوا للعامة حكم صنيعهم هذا لكان العامة أقرب شيء إلى الامتثال والانقياد. ونسأل الله تعالى لنا ولهم التوفيق، وأن يعيننا على أداء ما حملنا بمنه وكرمه.

***

(٣٧٠) يقول السائل: كنت أعتقد بأن النذور مسألة بعيدة عن الدين، أو أنها من البدع، فما أصلها؟ وما موقف التشريع الإسلامي منها؟ أو كيف يتوجب على المسلم أداؤها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لست أعلم ما يراد بالنذور هنا، وأخشى أنه يريد بالنذور ما يُنذر للأموات، فإن كان يريد ذلك فإن النذور للأموات من الشرك الأكبر؛ لأن النذر خاص لله -عز وجل-. فإذا قال قائل: لصاحب هذا القبر عَلَيَّ نذر أن أذبح له. أو: لصاحب هذا القبر نذر أن أصلي له. أو ما أشبه ذلك من العبادات التي تُنذر لأصحاب القبور، فإن هذا بلا شك شرك مخرج عن الملة.

أما إن أراد بالنذر النذر لله -عز وجل- فهذا فيه تفصيل كثير:

إن كان النذر نذر طاعة وجب عليه الوفاء به، سواء كان النذر مطلقًا أم معلقًا بشرط. فإذا قال قائل مثلًا: لله علي نذر أن أصوم غدًا. وجب عليه أن يصوم. أو قال: لله علي نذر أن أصلي ركعتين. وجب عليه أن يصلي ركعتين. أو قال: لله علي نذر أن أحج. وجب عليه أن يحج. أو قال: لله علي نذر أن أعتمر. وجب عليه أن يعتمر. أو: لله علي نذر أن أصلي في المسجد النبوي. وجب عليه أن يصلي في المسجد النبوي.

إلا أنه إذا نذر شيئًا فله أن ينتقل إلى ما هو خير منه؛ فلو نذر أن يصلي في المسجد النبوي فله أن يصلي بدلًا من ذلك في المسجد الحرام؛ لأنه ثبت «**أَنَّ رَجُلًا، قَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**

مَكَّةَ، أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ رَكْعَتَيْنِ. قَالَ: «صَلِّ هَاهُنَا». ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «صَلِّ هَاهُنَا». ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «شَأْنُكَ إِذَنْ»(١).

فهذا دليل على أنه إذا نذر شيئًا، وفعل ما هو خير منه من جنسه، فإنه يكون جائزًا وموفيًا بنذره، هذا في نذر الطاعة، سواءً كان مطلقًا كما مثلنا، أم كان معلقًا بشرط كما في هذا الحديث السابق.

ومثل النذور المعلقة أيضًا ما يفعله كثير من الناس؛ عندما يكون عند أحدهم مريض فيقول: إن شفا الله هذا المريض فلله علي نذر أن أفعل كذا وكذا من أمور الخير. فيجب عليه إذا شُفي هذا المريض أن يوفي بما نذر من طاعة الله.

ومثله أيضًا ما يفعله بعض الطلبة، فقد يقول: إن نجحت فلله علي كذا من أمور الطاعة لله؛ علي أن أصوم ثلاثة أيام، أو عشرة أيام، أو يوم الاثنين والخميس من هذا الشهر. أو ما أشبه ذلك، فكل هذا يجب الوفاء به؛ لعموم قول رسول الله ﷺ: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ»**(٢).

ومع هذا فإني أنصح إخواننا المسلمين ألا ينذروا على أنفسهم؛ لأن النذر أقل أحواله الكراهة، بل إن بعض العلماء حرمه؛ لأن رسول الله ﷺ نهى عنه وقال: **«إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»**(٣). ولأن الناذر ألزم نفسه بأمر هو في عافية منه، ولأن الناذر قد يتراخى، ويتساهل في الوفاء بالنذر، وهذا أمر خطير. واستمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣/ ١٨٦، رقم ١٤٩١٩)، وأبو داود كتاب الأيمان والنذور، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس، رقم (٣٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، رقم (٦٦٩٦).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، رقم (١٦٣٩).

أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[التوبة: ٧٥-٧٧]. فإذا تساهل الإنسان فيما نذر لله على شرط فإنه يوشك أن يُعاقب بهذه العقوبة العظيمة؛ بأن يعقبه الله نفاقًا في قلبه إلى أن يموت، نسأل الله السلامة والعافية.

ثم إن النذر في هذه الحال، كأن يقول الناذر: إن الله لا يعطيني ما أريد إلا إذا شرطتُ له. وهذا في الحقيقة سوء ظن بالله -عز وجل-، فالله -تبارك وتعالى- يتفضل على عباده، دون أن يشترطوا له شرطًا أو شيئًا، فأنت إذا حصل لك مكروه، أو أردت مرغوبًا، فاسأل الله وادعه، هذه طريقة الرسل، كما قال الله تعالى عنهم، عن الذين أُصيبوا ببلاء، فيناجون الله -عز وجل-، ويدعونه فيستجيب لهم: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾[الأنبياء: ٨٣-٨٤]. وهل أيوب نذر لله نذرًا إن عافاه الله؟ لا، بل دعا ربه.

وهكذا أيضًا سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وخلفائه الراشدين: إذا أرادوا من الله ما يرغبون توجهوا إليه بالرغبة والدعاء أن يعطيهم ذلك، وإذا أرادوا من الله -سبحانه وتعالى- أن يصرف عنهم ما يكرهون دعوه -سبحانه وتعالى-، ولجئوا إليه بأن يصرف عنهم ما يكرهون، هذه سبيل المرسلين من الأولين والآخرين، آخرهم محمد ﷺ فكيف يخرج الإنسان عن طريقتهم؟

المهم أننا ننصح إخواننا بالبعد عن هذا الأمر، وكثيرًا ما يسأل الناس، الذين نذروا على أنفسهم نذورًا، يريدون أن يجدوا من أهل العلم من يخلصهم منها، فلا يجدون من يخلصهم.

***

(٣٧١) يقول السائل ع. ع. ب. من جمهورية مصر العربية: إنه يوجد لدينا في أرياف مصر من يقومون بالنذر للمشايخ ببعض الأطعمة؛ مثل الزبد والألبان واللحوم وغيرها، إذا كانت لديهم بهائم مريضة، أو غير ذلك، وبعد شفائها يقومون بأداء النذر لهذا الشيخ. فما توجيهكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم النذر للشيخ عند حدوث المصائب محرم؛ لأن هذا الشيخ لا أثر له في حصول المصلحة، أو دفع المضرة، أو شفاء المريض، أو غير ذلك، بل قد يصل هذا إلى حد الشرك الأكبر إذا اعتقد أن الشيخ بيده نفعٌ أو ضرر دون الله.

فالواجب أولًا على المشايخ أن يتنزهوا عن هذا الأمر، وألَّا يوهموا العامة بأن لديهم سرًّا يستطيعون به شفاء المريض، وأن يعلموا أن الدنيا دار غرور، فلا تغرنهم الحياة الدنيا، وأن الشيطان ربما يخدعهم، ويزين لهم سوء أعمالهم، فإن الشيطان كما وصفه الله -عز وجل- في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

وعلى العامة أن يبتعدوا عن هؤلاء المشايخ، وألَّا يعتقدوا بهم، وأن يعلموا أنهم دجالون كذابون، ليس لديهم من الأمر شيء. وها هو النبي عليه الصلاة السلام، أشرف خلق الله، وأعظمهم ولاية وجاهًا عند الله، يقول الله تعالى له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. فكيف بهؤلاء الدجالين الكذابين؟

فإنني أوجه النصيحة:

أولًا: إلى هؤلاء المشايخ أن يتقوا الله -عز وجل- في أنفسهم وفي عباد الله.

ثانيًا: إلى الناس عمومًا أن لا يغتروا بأمثال هؤلاء، وأن يعلموا أنهم لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فكيف يملكون لغيرهم؟ وإذا أراد الإنسان أن يشفى مريضه، أو يحصل له مطلوبٌ، أو يرتفع عنه مكروب، فليتوجه إلى الله -عز وجل-، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وهو الذي بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير.

فليصدقوا مع الله؛ حتى ينالوا جزاء الصادقين، كما قال الله تعالى: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، وحتى يكون لهم قدم

صدقٍ عند الله -عز وجل-، وليعلموا أنهم إذا لجئوا إلى الله، واتقوا الله -عز وجل-، يسر لهم الأمور، وكشف عنهم الكروب. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. أما التعلق ببشرٍ مثلهم فهو سفهٌ في العقل، وضلال في الدين.

***

(٣٧٢) يقول السائل ب. ف. من الجزائر: في القرية التي أقيم فيها بعض العادات توشك أن توقعنا في خطر كبير، منها زيارة بعض أشخاص قد ماتوا قديمًا، يدعي أجدادنا أنهم من الأولياء الصالحين، وزيادة على هذا فإنهم يسألونهم الخيرات والرزق مثل الأولاد، دون أن يسألوا الله العلي القدير، ويلقون إليهم بالنذور كأن يقول الواحد منهم: إن نجحت في الامتحان لأذبحن كبشًا، وأقدمه قربانًا إلى ذلك الولي الصالح. ويسميه باسمه الشخصي، ويوفون بالنذر فعلًا. فهل يجوز هذا أم لا؟ وما نصيحتكم لهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نصيحتنا لهؤلاء وأمثالهم أن يرجع الإنسان إلى عقله وتفكيره، فهذه القبور التي يزعم أن فيها أولياء فيها أمور:

أولًا: تحتاج إثبات أنها قبورٌ، فقد يوضع شيء ويقال: هذا قبر فلان. كما ثبت ذلك.

ثانيًا: إذا ثبت أنها قبور فإنه يحتاج إلى إثبات أن هؤلاء المقبورين كانوا أولياء لله؛ لأننا لا ندري هل هم أولياء لله أم أولياء للشياطين؟

ثالثًا: وإذا ثبت أنهم من أولياء الله فإنهم لا يزارون من أجل التبرك بزيارتهم، أو دعائهم، أو الاستغاثة بهم، والاستعانة بهم في هذه الأمور، وإنما يزارون كما يزار غيرهم، للدعاء لهم فقط، على أنه إذا كان في زيارتهم فتنة فإنه لا تجوز زيارتهم، ولو كان في زيارتهم مثلًا خوف فتنة بالغلو فيهم فإنه لا تجوز زيارتهم، دفعًا للمحظور، ودرءًا للمفاسد.

فحكِّم -يا أخي- عقلك هذه الأمور الثلاثة التي ذكرتُ، فلا بد أن تتحقق: ثبوت القبر، وثبوت أنه ولي، والزيارة لا لأجل الاستعانة بهم، ولكن لأجل الدعاء لهم؛ لأنهم الآن في حاجة، مهما كانوا، إلى الدعاء لهم، أما هم فهم أموات جثث لا ينفعون ولا يضرون.

ثم إن قلنا: إن زيارتهم لأجل الدعاء لهم جائزة ما لم تستلزم محذورًا، فإن استلزمت محذورًا بحيث يغتر بهم فإن زيارتهم لا تجوز، أما من زارهم على الوصف الذي ذكره السائل ليستغيث بهم، أو نذر لهم، فذبح لهم، فإن هذا شرك أكبر مخرج من الملة، يكون صاحبه به كافرًا مخلدًا في النار.

***

(٣٧٣) يقول السائل ع. ب. أ. من سلطنة عمان المنطقة الجنوبية: هل يجوز النحر للميت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا ندري ماذا يريد بالنحر للميت؟ إن أراد بالنحر للميت التقرب إلى الميت بالذبح له فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة، ومن فعله فعليه أن يتوب إلى الله من شركه، فإن لم يفعل، ومات على ذلك، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

وأما إن أراد بالنحر للميت بأن يذبح شاة ليتصدق بلحمها عن الميت فهذا جائز؛ لأن الصدقة عن الميت باللحم، أو بطعام آخر، أو بالدراهم جائزة.

فينظر في مراد السائل: هل أراد النحر للميت تقربًا إليه وتعظيمًا؟ فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بتوبة، وإن أراد بذلك أنه يذبح شاة ليتصدق بلحمها فهذا لا بأس به.

***

(٣٧٤) يقول السائل ع. ع. من السودان من كسلا: بعض الناس -هداهم الله- يحلفون بالأولياء، ويطلبون منهم العون، فبمَ تنصحون هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: طلب الحوائج من الأولياء الأموات، أو

الأحياء، الذين لا يستطيعون مباشرة قضاء الحاجة، شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة، وفاعله مخلدٌ في نار جهنم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وأما إذا كان الولي حاضرًا، وطلب منه الإنسان ما يقدر عليه؛ كإعانته على إخراج أثاثه من البيت، أو بتحميله في السيارة، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به؛ لأن طلب قضاء الحاجة من الحي الحاضر القادر لا بأس به؛ لأنه من الاستعانة بأخيه المسلم على قضاء حاجته. وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»(١).

وأما الحلف بالأولياء فهو أيضًا شرك؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(٢). ولكن إن كان يرى أن هذا الولي يستحق من التعظيم ما يستحقه الله -عز وجل- فإنه شركٌ أكبر، وإن كان لا يرى ذلك، ولكن حلف بهذا الولي إجلالًا وتعظيمًا له، دون أن يرى أنه يستحق من التعظيم ما يستحقه الرب العظيم، فإن هذا يكون شركًا أصغر.

وعلى كل حال فيجب الحذر من هذا، وألَّا يحلف إلا بالله؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(٣).

***

(٣٧٥) يقول السائل: قرأت في كتيب بعنوان «صيغة الصلاة على سيدنا محمد» فيها فوائد عظيمة لقضاء الحاجات، والصيغة: اللهم صلِّ على سيدنا محمد، سر حياة الوجود، والسبب العظيم لكل موجود، الحبيب المحبوب، شافي العلل ومفرج الكروب. ما رأي فضيلتكم في هذا الدعاء؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، رقم (٢٦٧٩).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رأيي في هذا الدعاء أنه منكر، ولا يجوز للإنسان أن يدعو به؛ لأنه وصف النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بأنه سر الوجود، وأنه شافي العلل، وهذا شرك. فالشافي هو الله -تبارك وتعالى-، والنبي ﷺ نفسه يقول في الدعاء على المريض: «**أَذْهِبِ البَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»[1]. فكيف يدعي هذا أن النبي ﷺ هو شافي العلل؟ فعلى من رأى هذا الدعاء أن يمزقه وأن يحذر منه.

وإنني بهذه المناسبة أود أن أحذر إخواني المسلمين عمَّا يتداوله الناس أحيانًا من ورقات يوزعها أناس مجهولون، فيها أنواع من الأدعية، كلها أسجاع غريبة، تصد الناس عن الأدعية الواردة عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أو التي ذكرها الله تعالى في القرآن، فتجد الناس -لحسن أسلوب هذه الأدعية التي توزع أحيانًا، ولكون الشيطان يزينها في قلوبهم- يكبون عليها، ويعرضون عما جاء في الكتاب والسنة من الأدعية النافعة الجامعة. وأنصح كل من وقع في يده شيء من هذا أن يعرضه على أهل العلم قبل أن يتعبد لله به.

هؤلاء الذين يوزعون هذه المنشورات:

إما جاهلون: فهم تحت عفو الله -عز وجل-، على أني أخشى ألَّا يعفو عنهم؛ لأن الواجب على الإنسان في هذه الأمور أن يسأل أهل العلم قبل أن يوزعها.

وإما متعمدون: يصدون الناس عن الأدعية الواردة المشروعة إلى هذه الأدعية المصنوعة المسجوعة؛ ليبعدوا الناس عمَّا جاء في الكتاب والسنة، ولا شك أن الأدعية الواردة في الكتاب والسنة خير ما يكون من الأدعية؛ لأنها من

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى، رقم (٥٧٥٠)، ومسلم: كتاب الآداب، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

عند الله -عز وجل- علمها عباده، ومن عند النبي ﷺ علمها أمته، فالحذار الحذار -أيها الإخوة- من التمسك بهذه المنشورات.

وكما ترد هذه المنشورات في الأدعية ترد أيضًا في مسائل أخرى؛ فتوزع أحيانًا منشورات فيها أحاديث مكذوبة عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ومن المعلوم أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١). وقال: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»(٢).

فليحذر عباد الله من هذه المنشورات توزيعًا أو طباعة، أو شراءً أو بيعًا، أو هدية أو استعمالًا. والعلماء -والحمد لله- موجودون في البلاد، يتمكن الإنسان من الوصول إليهم مشافهة ومباصرة، أو مشافهة عن طريق الهاتف.

***

(٣٧٦) يقول السائل: يوجد في قريتنا إمام مسجد يدعو الناس إلى الاستغاثة بغير الله من الأموات، ويعتقد ذلك من الأمور التي تقرب الناس إلى الله تعالى. فما حكم الإسلام في هذا الرجل؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن هذا الرجل الذي يدعو إلى الاستغاثة بغير الله مشرك داعٍ إلى الشرك، ولا يصح أن يكون إمامًا للمسلمين، ولا يصلي خلفه، وعليه أن يتوب إلى الله -عز وجل- قبل أن يدركه الموت.

الاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده، وتكون الاستغاثة بحي قادر على أن ينقذ من استغاث به من الشدة، كما في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. أما أن يستغيث بالأموات فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم (١١٠)، ومسلم في المقدمة، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، رقم (٣).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين.

وإنني من هذا المنبر أدعو هذا الرجل إلى أن يتوب إلى الله -عز وجل-، ويعلم أن الاستغاثة بالأموات لا تقرب إلى الله، بل هي تبعد من الله -عز وجل-، ومن استغاث بالأموات فهو داخل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

***

(٣٧٧) يقول السائل: نحن في بلاد غير إسلامية يكثر فيها غير المسلمين، وكان بينهم وبين المسلمين مناظرات، وفي هذه المناظرات أثيرت شبهة؛ وهي أن أهل الكتاب قالوا: إنكم أيها المسلمون تشركون بالله؛ لأنكم تطوفون بالكعبة، ومن ضمنها الحجر الأسود، وهذا يعني أن المسلمين يشركون بالله. فكيف نرد على هذه الشبهة؟ علمًا بأنهم رفضوا قبول النصوص بتاتًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نرد على هذه الشبهة بأننا ندور حول الكعبة، لا تعظيمًا للكعبة لذاتها، ولكن تعظيمًا لله -عز وجل-؛ لأنه رب البيت، وقد قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]. والذين يطوفون بالبيت ليسوا يسألون البيت فيقولون: يا أيتها الكعبة اقضي حوائجنا، اغفري ذنوبنا، ارحمينا. أبدًا، بل هم يدعون الله -عز وجل-، ويذكرون الله، ويسألون الله المغفرة والرحمة، بخلاف النصارى عابدي الصلبان، الذين يعبدون الصليب، ويركعون له، ويسجدون له ويدعونه، ومن سفههم أن الصليب -كما يدعون- هو الذي صلب عليه المسيح عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-، فكيف يعظمون ما كان المقصود به تعذيب نبيهم -عليه الصلاة والسلام-؟ ولكن هذا من جملة ضياع النصارى وسفاهتهم، على أننا -نحن المسلمين- لا نرى أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- قتل أو صلب؛ لأن ربنا -عز وجل- يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. وائت بأي واحد من المسلمين حقًّا يقول: إنه

يطوف بالكعبة من أجل أن تكشف ضره، أو تحصل ما يطلب، لن تجد أحدًا كذلك.

***

(٣٧٨) يقول السائل م. أ. من دمشق: ما حكم الشرع فيما لو ذبح الإنسان خروفًا وقال: اللهم اجعل ثوابه في صحيفة الشيخ فلان بن فلان؟ وهل في ذلك شيء من البدع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا ذبح الإنسان خروفًا، أو غيره من بهيمة الأنعام؛ ليتصدق به عن شخص ميت، فهذا لا بأس به، وإن ذبح ذلك تعظيمًا لهذا الميت، وتقربًا إلى هذا الميت، كان شركًا أكبر؛ وذلك لأن الذبح عبادة وقربة، والعبادة والقربة لا تكون إلا لله، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. فيجب التفريق بين المقصدين:

فإذا قصد بالذبح أن يتصدق بلحمه؛ ليكون ثوابه لهذا الميت، فهذا لا بأس به، وإن كان الأولى والأحسن أن يدعو للميت إذا كان أهلًا للدعاء، بأن كان مسلمًا، وتكون الصدقة للإنسان نفسه؛ لأن النبي ﷺ لم يرشد أمته إلى أن يتصدقوا عن أمواتهم بشيء، وإنما قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[١]. ولم يقل: يتصدق عنه، أو يصوم عنه، أو يصلي عنه. فدل هذا على أن الدعاء أفضل وأحسن. وأنت -أيها الحي- محتاج إلى العمل، فاجعل العمل لك، واجعل لأخيك الميت الدعاء.

وأما إذا كان قصده بالذبح لفلان التقرب إليه وتعظيمه فهو شركٌ أكبر؛ لأنه صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٣٧٩) يقول السائل: بعض الناس يقولون: إذا سُكن منزل جديد لا بد وأن يذبح بداخله ذبيحة أو ذبيحتان؛ خوفًا من مس الجن، اعتقادًا منهم بذلك. نرجو الإفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ذبح الإنسان عند نزوله للمنزل أول مرة اتقاء الجن وحذرًا منهم محرم لا يجوز، بل أخاف أن يكون من الشرك الأكبر، ولا يزيد الإنسان إلا شرًّا ورعبًا ورهبًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. والإنسان إذا نزل منزلًا ينبغي أن يقول ما جاءت به السنة: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(١).

أما إذا ذبح الذبائح، ودعا الأقارب والجيران والأصحاب، من باب إظهار الفرح والسرور بهذا المنزل الجديد، فهذا لا بأس به، ولا حرج فيه، وله أن يدعو من شاء، ممن يرى أنهم يفرحون بفرحه، ويسرون بسروره.

***

(٣٨٠) يقول السائل أ. م. من مصر من شمال سيناء: عندنا أناس يذبحون للأولياء والصالحين، ويذبحون عند شراء السيارة الجديدة؛ حتى لا يحصل لها حادث، ويذبحون للبيت الجديد؛ حتى لا تسكن فيه الجان، ويذبحون لخزان المياه؛ حتى لا يغرق فيه أحد. أفيدونا بالحكم في هذه المسائل.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الذبح للأولياء أو غيرهم من المخلوقين فإنه شرك أكبر مخرج عن الملة، وقد قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وهؤلاء لا تنفعهم صلاة، ولا صدقة، ولا صيام، ولا حج، ولا غيرها من الأعمال الصالحة؛ لأن الكافر لا يقبل منه أي عمل صالح؛ لقول الله

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٨).

-تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وعلى هؤلاء أن يتوبوا إلى الله -عز وجل- من ذلك، وأن يستقيموا على الإخلاص، ومن تاب من الذنب تاب الله عليه، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١].

وأما الذبح عند نزول البيت، أو بناء الخزان، أو ما أشبه ذلك، فهذا سفه وخطأ، لكنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، وعليهم أن يكفوا عن هذا العمل؛ لأن ذلك ليس وسيلة إلى حفظ البيت، أو الخزان، أو ما أشبه ذلك، فهو يشبه التمائم والتعويذات التي ليست بمشروعة.

***

(٣٨١) يقول السائل أ. س. من العراق: بعض الناس عندنا يذبحون الذبائح لغير الله، للإمام علي رضي الله عنه مثلًا، أو للشيخ عبد القادر، وأحيانًا يكلفني بعضهم بأن أذبح له بتلك النية، ولكني في داخل نفسي أقول: هي لله تعالى. لعلمي أن ذلك لا يجوز. فهل في هذا شيء عليَّ؟ وهل يلحقني شيء من الإثم؟ وهل يجوز الأكل من لحوم تلك الذبائح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذبح لغير الله شرك؛ لأن الذبح عبادة، كما أمر الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. فمن ذبح لغير الله فهو مشرك شركًا مخرجًا عن الملة، والعياذ بالله، سواء

ذبح ذلك لملك من الملائكة، أم لرسول من الرسل، أم لنبي من الأنبياء، أم لخليفة من الخلفاء، أم لولي من الأولياء، أم لعالم من العلماء، كل ذلك شرك بالله -عز وجل-، ومخرج عن الملة.

والواجب على المرء أن يتقي الله تعالى في نفسه، وألَّا يطيع نفسه في ذلك الشرك الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢]. ولا يحل لك أنت أن تذبح له هذه الذبيحة، وأنت تعلم أنه يؤمن بذلك؛ بذبحها لغير الله -عز وجل-، فإن فعلت فقد شاركته في الإثم، حتى ولو فيما أُهلَّ لله به، فإن ذلك لا ينفع؛ لأن الاعتبار بنية صاحبها الذي وكلك، فلا تفعل هذا.

وأما الأكل من لحوم هذه الذبيحة فإنه محرم؛ لأنها أُهِلَّ لغير الله بها، وكل شيء أهِلَّ لغير الله به، أو ذبح على النصب، فإنه محرم، كما ذكر الله ذلك في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[المائدة: ٣] فهي من قسم المحرمات، لا يحل أكلها، لا لذابحها، ولا لك، ولا لغيركما.

❖❖❖

۞ الحلف ۞

(٣٨٢) يقول السائل وهو مصري: هل الحلف بغير الله شرك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بغير الله شرك؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(١). لكنه ليس شركًا أكبر مخرجًا من الملة، بل هو شرك أصغر، إلا أن يقع في قلب الحالف بغير الله أن منزلة هذا المحلوف به كمنزلة الله، فحينئذ يكون شركًا أكبر بناء على ما حصل في قلبه من هذه العقيدة، وإلا فمجرد الحلف بغير الله شرك أصغر، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(٢).

وبهذه المناسبة أود أن أحذر مما وقع فيه كثير من الناس اليوم؛ حيث كانوا يحلفون بالطلاق، فتجد الواحد منهم يقول: عليَّ الطلاق لا أفعل كذا. أو: إن فعلت كذا فامرأتي طالق. أو ما أشبه ذلك. وهذا خلاف الصواب، وأكثر أهل العلم من هذه الأمة من الأئمة وأتباعهم يرون أن الحلف بالطلاق طلاق لا يكفر، ويقولون: إذا قال الرجل: إن فعلتُ كذا فزوجتي طالق. ففعل فإنها تطلق، ولو قال لزوجته: إن فعلت كذا فأنت طالق. ففعلتْ فإنها تطلق، سواء نوى التهديد أم نوى الطلاق.

هذا هو الذي عليه جمهور الأمة وأئمة الأمة، فالمسألة خطيرة، والتهاون بها إلى هذا الحد؛ فلو أن رجلًا قدم لشخص فنجانًا من الشاي فقال: علي الطلاق لا أشربه. ويقول الثاني: عليَّ الطلاق فلتشرب. وما أشبه ذلك، لماذا هذا التلاعب بدين الله -عز وجل-؟

ولو أن أحدًا من العلماء، الذين يرون أن الطلاق يقع يمينًا ويقع طلاقًا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

-أعني الطلاق المعلق- قال: أنا أريد أن ألزم الناس بذلك، أي بالطلاق؛ لأن الناس تتابعوا فيه، فألزمهم كما ألزمهم عمر رضي الله عنه بالطلاق الثلاث. لو فعل ذلك لكان له وجه؛ لأن الناس كثر منهم هذا، كثر كثرة عظيمة.

لو أن العالم الذي يُستفتَى قارن بين ما يستفتى عنه في مسائل الدين، وبين ما يستفتى عنه في هذا الطلاق المعلق، لوجد أن استفتاءه في هذا الطلاق المعلق أكثر بكثير من استفتائه في أمور تتعلق بالدين، وأنا أحذر الأزواج من أن يسهل على ألسنتهم هذا الطلاق، أو هذا الحلف بالطلاق.

***

(٣٨٣) يقول السائل ع. أ. من بريدة: هل يجوز أن يحلف بعض الناس بغير الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بغير الله محرم، ونوع من الشرك، وقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»(١). وكان من عادتهم في الجاهلية أنهم يحلفون بآبائهم، ولهذا قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**». وجاء عنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(٢). ومن حلف بغير الله فليقل: لا إله إلا الله. تحقيقًا لتوحيده؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**». يعني من حلف بها فليقل: لا إله إلا الله، **وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ. فَلْيَتَصَدَّقْ**»(٣). لأن المقامرة حرام من الميسر، وأكل للمال بالباطل، فليتصدق، وليداوِ الداء بما يوافقه من دواء.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾، رقم (٤٨٦٠). ومسلم: كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله. رقم (١٦٤٧).

(٣٨٤) يقول السائل: هل تجوز الاستعانة بغير الله؟ وهل يجوز الحلف بغير الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الاستعانة بغير الله جائزة إذا كان المستعان ممن يمكنه أن يعين فيما استعين فيه، ولهذا قال النبي ﷺ في ذكر الصدقات: «**تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»[١]. وأما استعانة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا لا يجوز، وهو من الشرك.

وأما الحلف بغير الله فهو محرم، بل نوع من الشرك؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»[٢]. ولقول النبي ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»[٣].

***

(٣٨٥) يقول السائل ع. ع. ب. وهو مصري مقيم في الرياض: هل يجوز الحلف بغير الله؛ مثلا: والنبي، أو: عليك الشيخ فلان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بغير الله لا يجوز؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- نهى عن ذلك، فقال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»[٤]. بل قد جعل النبي ﷺ ذلك من الشرك حيث قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»[٥]. فلا يجوز الحلف بالنبي، ولا الحلف بالولي، ولا الحلف بالملك، ولا الحلف بالوطن، ولا الحلف بالقومية، ولا بأي مخلوقٍ كان، إنما يحلف بالله -عز وجل-، وبصفاته -سبحانه وتعالى-، فيقال:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

والله العلي العظيم، والله الرحمن الرحيم، ورب الكعبة. أو يقال: وعزة الله، وقدرة الله. وما أشبه ذلك من صفاته، فإنه يجوز الحلف به، ومع هذا فإنه لا ينبغي إكثار الحلف؛ لقوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. فإن معناها على أحد الأقوال أي: لا تكثروا الحلف بالله، ولا سيما إذا كان الحلف عن كذب فإن الأمر في ذلك خطير، فإن الكذب في اليمين إن تضمن أكل مال الغير بغير حق -ومعلومٌ أن الكذب ليس فيه حق- فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١). وهذه هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار والعياذ بالله.

وينبغي أن يعلم أن الحالف بالله إذا قرن يمينه بمشيئة الله فإنه لا كفارة عليه إذا حنث؛ مثل أن يقول: والله لأفعلن كذا إن شاء الله. أو: والله إن شاء الله لأفعلن كذا. فإنه إن لم يفعله فلا شيء عليه؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ**»(٢). لذا ينبغي لكل إنسان إذا حلف أن يقرن حلفه بالمشيئة، فإنه يستفيد في ذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: تسهيل الأمر، وحصول المقصود.

ودليله ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ الله: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَام يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ -أَوِ الْمَلَكُ-: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ**». ليبين الله -عز وجل- له ولغيره أن الأمر بيده -سبحانه وتعالى-، وأنه لا ينبغي لأحدٍ أن يتألَّى على الله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، رقم (٢٤١٦). ومسلم: كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، رقم (١٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في الاستثناء في اليمين، رقم (١٥٣١).

-عز وجل-. قال النبي ﷺ في هذا الحديث: «**وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ. لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ**»(١).

الفائدة الثانية: أن لا تلزمه الكفارة فيها لو حنث.

ودليله هو ما سُقته آنفًا من قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ**».

***

(٣٨٦) يقول السائل: هل يجوز الحلف بغير الله -سبحانه وتعالى-؟ فإني أرى بعض الناس يحلفون بالكعبة وبالقرآن وبمحمد، وإذا ناقشتهم في ذلك قالوا: إن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]. **وكذلك:** ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢] **فما حكم هذا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بغير الله، أو صفة من صفاته، محرم، وهو نوع من الشرك، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»(٢). وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(٣). وثبت عنه أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(٤).

وهذا إشارة إلى أن الحلف بغير الله شرك يطهر بكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، وعلى هذا فيحرم على المسلم أن يحلف بغير الله -سبحانه وتعالى-، لا بالكعبة، ولا بالنبي ﷺ ولا بجبريل، ولا بميكائيل، ولا بولي من أولياء الله، ولا بخليفة من خلفاء المسلمين، ولا بالشرف، ولا بالقومية، ولا بالوطنية. فكل حلف بغير الله محرم، وهو نوع من الشرك والكفر، والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب الاستثناء في اليمين، رقم (٦٧٢٠)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم (١٦٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وأما الحلف بالقرآن، الذي هو كلام الله، فإنه لا بأس به؛ لأن القرآن كلام الله -سبحانه وتعالى-، تكلم الله به حقيقة في لفظه مريدًا لمعناه، وهو -سبحانه وتعالى- موصوف بالكلام، فعليه يكون الحلف بالقرآن حلفًا بصفة من صفات الله -سبحانه وتعالى-، وهو جائز.

وأما معارضة من تنصحه عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾[الليل: ١]، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾[الشمس: ١] وما أشبهها فإن هذا من أعمال أهل الزيغ، الذين يتبعون ما تشابه من وحي الله -سبحانه وتعالى-، فيعارضون به المحكم، فهذا الحلف هو الذي حلف به ربنا -سبحانه وتعالى-، ولله تعالى أن يحلف بما شاء من مخلوقاته الدالة على عظمته وقدرته، وهو -سبحانه وتعالى- قد نهانا على لسان رسوله ﷺ أن نحلف بغيره، فعلينا أن نمتثل الأمر، وليس علينا أن نعارض أمر الله بما تكلم الله به، فإن الله يفعل ما يشاء.

***

(٣٨٧) يقول السائل ص. من العراق: إن كثيرًا من الناس عندنا في مجتمعنا يحلفون بغير الله، علمًا بأن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ»[(١)]. لذا أرجو أن تنصحوا هؤلاء الناس.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بغير الله معصية لرسول الله ﷺ ونوع من الشرك، قال النبي ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»[(٣)]. فالواجب الحذر من ذلك، وأن يحلف الإنسان بالله إذا أراد أن يحلف، على أنه لا ينبغي للإنسان أن يكثر من الأيمان، من الحلف؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[المائدة: ٨٩]. فإن من أحد معانيها: أي لا تكثروا الحلف بالله -عز وجل-.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

ولكن ما يجري على اللسان بلا قصد لا يؤاخذ عليه الإنسان؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]. وقوله في آية أخرى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. وعلى من حلف بغير الله أن يتوب إلى الله ويستغفره، وألَّا يعود إلى مثل ما جرى منه.

***

(٣٨٨) يقول السائل ف. أ. أ. من الأردن: أسأل عن حكم هذا الحلف: وحياة الله لأعملن كذا. فهل في هذا شيء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بحياة الله حلفٌ صحيح؛ لأن الحلف يكون بالله، أو بأي اسم من أسماء الله، أو بصفةٍ من صفات الله، والحياة صفةٌ من صفات الله، فإذاً قال: وحياة الله لأفعلن كذا وكذا. كان يميناً منعقدةً جائزة.

وأما إذا حلف بحياة النبي، أو بحياة الولي، أو بحياة الخليفة، أو بحياة أي معظم سوى الله -عز وجل-، فإن ذلك من الشرك، وفيه معصية لله -عز وجل- ورسوله، وفيه إثم؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(١). ولقول النبي ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»(٢). وإنا نسمع كثيرًا من الناس يقول: والنبي لأفعلن كذا، وحياة النبي لأفعلن كذا. ويدعي أن هذا مما يجري على لسانه بلا قصد. فنقول: حتى في هذه الحال عوِّد لسانك ألَّا تحلف إلا بالله -عز وجل-، واحبس نفسك عن الحلف بغير الله.

ثم إنه بهذه المناسبة أود أن أبين لإخواني المستمعين أنه لا ينبغي للإنسان أن يكثر الأيمان؛ لأن بعض أهل العلم فسر قول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

أَيْمَٰنَكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩]. بأن المراد: لا تكثروا الحلف، وإذا قدر أن الإنسان حلف على شيء مستقبل فليقل: إن شاء الله. لأنه إذا قال: إن شاء الله. كان في ذلك فائدتان عظيمتان:

الفائدة الأولى: أن هذا من أسباب تيسير الأمر الذي حلف عليه، وحصول مقصوده.

ودليل ذلك قصة سليمان النبي -عليه الصلاة والسلام- حين قال: **«لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ -أَوِ الْمَلَكُ-: قُلْ: إِنْ شَاءَ الله، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ»**. قال النبي ﷺ: **«وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ الله. لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ»**[1].

الفائدة الثانية: أنه لو لم يفعل فلا كفارة عليه.

أي: لو حلف أن يفعل شيئًا فلم يفعل وقد قال: إن شاء الله. فإنه لا حنث عليه، أي: لا كفارة عليه؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ»**[2].

***

(٣٨٩) يقول السائل من الرياض: ما حكم الحلف بالنبي أو الأمانة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحلف بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- نوعٌ من الشرك؛ لأن الحلف تأكيد الشيء بذكرِ معظم، فكأن الحالف يقول: أؤكد هذا الشيء، كما أعظم هذا المحلوف به. ولذلك كان القسم خاصًّا بالله -عز وجل-، فلا يجوز أن تحلفوا بالنبي، ولا بجبريل، ولا بالأولاد، ولا بغير ذلك من مخلوقات الله -تبارك وتعالى-، قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ»**[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

والحلف بالأمانة كذلك لا يجوز؛ لأنه حلفٌ بغير الله، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»[(١)]. لكن أحيانًا يقول الإنسان: بأمانتي. ويقصد بذلك العهد والذمة، ولا يقصد اليمين، فيقول: بأمانتي لأوفين لك. أو: بذمتي لأوفين لك. والمقصود بذلك الالتزام، لا تعظيم الأمانة، ولا تعظيم الذمة، فهذا لا ينهى عنه إلا احتياطًا، خوفًا من أن يقتدي به من يحلف بالأمانة، أو الذمة. والذي أعرف من أصل العوام في قولهم: بذمتي لأفعلن كذا. أنهم يريدون بذلك العهد، لا الحلف بالذمة.

***

(٣٩٠) يقول السائل أ. ع. من اليمن: ما حكم من قال هذه العبارة: والنبي. ويعني بها الوجاهة، أو ما يشبه ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا قال الإنسان: والنبي لأفعلن كذا. أو: والنبي لقد كان كذا. فهذا حلف بالنبي ﷺ وهو محرم، بل هو من الشرك الأصغر، بل من الشرك الأكبر إذا اعتقد الحالف بالنبي ﷺ أن للنبي ﷺ منزلة كمنزلة الرب -عز وجل-، فإنه في هذا يكون مشركًا شركًا أكبر، مخرجًا عن الملة.

فالواجب الحذر من الحلف بالنبي ﷺ والبعد عنه؛ لأن هذا الحلف هو عنوان تعظيم الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فتعظيم الرسول ﷺ لا يأتي بمعصية الرسول، وتعظيم الرسول -عليه الصلاة والسلام- لا يأتي بأن يبتدع الإنسان في دين الله ما ليس منه، إن تعظيم الرسول -عليه الصلاة والسلام- هو أن يلتزم العبد شريعته اتباعًا للمأمور، وتركًا للمحظور، أما أن يبتدع في دين الله ما ليس منه، أو يأتي بما فيه معصية الرسول -عليه الصلاة والسلام-،

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٨٢، رقم ٢٢٩٨٠). وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، رقم (٣٢٥٣).

فقد كَذَبَ فيما ادعاه من محبة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، كذب لأنه خالف الرسول، والمحب للرسول لا يخالفه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

***

(٣٩١) يقول السائل: بعض الأشخاص الذين يحلفون بالنبي ﷺ وينهون عن ذلك يقولون: نحن لا نقصد اليمين، ولكن هذا جرى على اللسان مجرى العادة. فما الحكم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا بد قبل الجواب أن نفهم أن الحلف بغير الله شرك، سواء كان بالنبي أم بملك من الملائكة، أو بولي من الأولياء، أو بالآباء أو بالأمهات، أو بالرؤساء، أو بالأوطان، أو بأي مخلوق كان. الحلف بغير الله شرك؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(١). ولقوله ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ**»(٢).

فمن حلف بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- نهيناه عن ذلك؛ لأنه أتى ما هو شرك، ونحن ليس لنا إلا الظاهر، فننكر عليه ما ظهر لنا من مخالفته، فإذا ادعى أنه لم يقصد اليمين، وإنما جرى ذلك على لسانه، قلنا له: عود لسانك على أن يجري على الحلف بالله -عز وجل-، لا بالنبي ولا بغيره. وهو إذا خطم نفسه عما كان يعتاده من الحلف بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ثم عود نفسه على الحلف بالله، وصدق الله -عز وجل- في نيته وعزيمته، يسر الله له التحول من الحلف بالنبي إلى الحلف بالله -سبحانه وتعالى-.

ثم إننا نقول: لا ينبغي للإنسان كثرة الحلف، فإن الله تعالى يقول:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. قال بعض العلماء في تفسيرها: أي لا تكثروا الحلف بالله. فليكن الإنسان دائمًا محترزًا من الحلف بالله إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك أو الضرورة فلا بأس، أما كونه لا يقول كلمة، ولا يخبر خبرًا من الأخبار، إلا حلف عليه، أو لا يريد شيئًا إلا حلف عليه، فإن هذا ربما يؤدي إلى شك الناس في أخباره؛ حيث إنه لا يخبرهم بشيء إلا حلف.

فنقول لهذا السائل: امتنع عن الحلف بالنبي ﷺ ولو كنت لا تريد اليمين، وإنما جرى على لسانك، ثم عود لسانك أن تحلف بالله إذا دعت الحاجة إلى الحلف بالله. ثم إني أيضًا أنصح من أراد الحلف بالله -عز وجل- أن يقرن يمينه بمشيئة الله فيقول: والله لأفعلن كذا إن شاء الله. أو: والله إن شاء الله لأفعلن كذا. لأنه إذا قرن يمينه بالمشيئة حصلت له فائدتان:

الفائدة الأولى: تسهيل الأمر أمامه.

الفائدة الثانية: أنه إذا حنث ولم يفعل فلا كفارة عليه.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أن « **سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ نَبِيُّ اللهِ قَالَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ -أَوِ الْمَلَكُ-: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ**». قال النبي ﷺ: «**وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ. لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ**»[1].

فانظر كيف قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: إنه لم يحنث لو قال: إن شاء الله. وإنهم يقاتلون في سبيل الله. فعود أيها الأخ المستمع عود لسانك إذا حلفت أن تقول: إن شاء الله. لتحصل على هاتين الفائدتين، أولاهما: تيسير الأمر. والثانية: أنك لو حنثت فلا كفارة عليك.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٣٩٢) يقول السائل من جمهورية مصر العربية: اعتاد بعض الناس عندنا في مصر الحلف بالنبي في معاملاتهم، وأصبح الأمر عاديًّا، وعندما نصحت أحد هؤلاء الذين يحلفون بالنبي أجابني بأن هذا تعظيم للرسول، وأن هذا ليس فيه شيء، فما الحكم الشرعي في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، الحلف بالنبي ﷺ أو بصفة النبي ﷺ أو بغيره من المخلوقين، محرم، بل هو نوع من الشرك، فإذا أقسم أحد بالنبي ﷺ فقال: والنبي. أو: والرسول. أو أقسم بالكعبة، أو أقسم بجبريل، أو بإسرافيل، أو أقسم بغير هؤلاء، فقد عصى الله ورسوله، ووقع في الشرك. قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(١). وقال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(٢).

وقول الحالف بالنبي ﷺ: إن هذا من تعظيم النبي ﷺ. جوابه أن نقول له: هذا النوع من التعظيم نهى عنه النبي -عليه الصلاة والسلام-، وبين أنه نوع من الشرك، فتعظيم النبي ﷺ بالابتعاد عنه؛ لأن تعظيم النبي ﷺ لا يكون في مخالفة النبي ﷺ بل تعظيم النبي ﷺ بامتثال أمره، واجتناب نهيه، كما أن امتثال أمره واجتناب نهيه يدل على محبته ﷺ ولهذا قال الله تعالى في قوم ادَّعوا محبة الله: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٣١]-.

فإذا أردت أن تعظم النبي ﷺ التعظيم الذي يستحقه -عليه الصلاة والسلام- فامتثل أمره، واجتنب نهيه، في كل ما تقول وتفعل، وبذلك تكون معظمًا لرسول الله ﷺ.

ونصيحتي لإخواني الذين يكثرون من الحلف بغير الله، بل الذين

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

يحلفون بغير الله، أن يتقوا الله -عز وجل-، وأن لا يحلفوا بأحد سوى الله -سبحانه وتعالى-، امتثالًا لأمر النبي ﷺ في قوله: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(١). وابتغاء مرضاة الله، واتقاء من الوقوع في الشرك، الذي دل عليه قول النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(٢).

۞۞۞

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

۞ القبور ۞

(٣٩٣) يقول السائل من السودان من محافظة محوستي: يقول الله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]. فما الحكم الشرعي لزيارة القبور عامة، والتبرك بها من قبور الأولياء والصالحين خاصة؟ وهل في ذلك حرمة؟ وهل هناك دليل من القرآن والسنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: زيارة القبور للرجال سنة فعلها النبي -صلى الله عليه وعلى وسلم- وأمر بها، وكان -صلى الله عليه وعلى وسلم- قد حرمها من قبل، ولكنه أمر بها في ثاني الحال، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا»**(١). وفي رواية: **«فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»**(٢).

والسنة للزائر أن يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم. وله أن يزور قبرًا خاصًّا من أقاربه أو نحوهم؛ لأن النبي ﷺ استأذن ربه أن يزور قبر أمه، فأذن له -تبارك وتعالى-، واستأذن من الله أن يستغفر لها فلم يأذن له.

وأما التبرك بالقبور فإنه محرم، وبدعة منكرة، والقبور ليس في ترابها شيء من البركة؛ لأنه تراب معتاد دفن فيه هذا الرجل، ولم يكن لهذا المكان الذي دفن فيه مزية على غيره من الأمكنة مهما كان الرجل.

وعلى هذا فلا يجوز التبرك بتراب هذه الأضرحة، ولا يجوز أيضًا دعاء صاحب القبر، بل إن دعاء صاحب القبر، والاستغاثة به، والاستنجاد به، من

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب استئذان النبي ﷺ ربه -عز وجل- في زيارة قبر أمه، رقم (٩٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، رقم (١٠٥٤). والنسائي: كتاب الضحايا، باب الإذن في ذلك، رقم (٤٤٣٠).

الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله -عز وجل-، وهؤلاء الأموات محتاجون إلينا، ولسنا محتاجين لهم؛ فهم محتاجون إلينا أن ندعو لهم، وأن نستغفر لهم؛ لأنهم ينتفعون بالدعاء وبالاستغفار لهم، وأما نحن فلسنا محتاجين إليهم إطلاقًا، وإنما حاجتنا إلى الله تعالى وحده.

ولا فرق بين أن يكون القبر قبر عامي عادي، أو قبر من يُظن أنه ولي صالح، الكل سواء، حتى تربة النبي -صلى الله عليه وعلى وسلم- لا يجوز التبرك بها؛ لأنها تراب كغيرها من الأتربة. نعم الرسول -عليه الصلاة والسلام- لا شك أن الله تعالى شرف المكان بدفنه فيه، لكن ليس معنى ذلك أن هذا المكان المعين يتبرك به إطلاقًا، حتى الحجر الأسود لا يتبرك به؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبله وقال: **«إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»**(١).

وهذه نقطة مهمة يجب على المسلمين أن يعلموها؛ أنه لا بركة في الأحجار أبدًا مهما كانت، ولكن بعض الأحجار يتعبد الإنسان لله تعالى بها كالحجر الأسود، وليس ثمة في الدنيا حجر يتقرب إلى الله تعالى بتقبيله أو مسحه إلا الحجر الأسود، والركن اليماني يمسح، ولكنه لا يقبل.

ثم إني أنصح إخواني الذين يذهبون إلى هذه الأضرحة أن يكفوا عنها، وأن يجعلوها كغيرها من القبور، يدعون الله تعالى لمن فيها، ولا يدعونهم، ويسألون لهم العافية، ولا يسألون منهم العافية؛ لأنهم لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، إذا كان هذا الميت لو كان حيًّا ما نفعك إلا بما يستطيع من المنفعة، كمعونتك على تحميل العفش في السيارة وما أشبه ذلك، فكيف ينفعك وهو هامد؟ أرأيت لو أتيت إلى شخص أشل لا يستطيع التحرك هل يمكن أن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

تستعينه على شيء؟ لا يمكن، وإذا كان حيًّا لا يستعان به؛ لأنه لا يعين، فكيف إذا كان ميتًا؟

لكن المشكل أن الشيطان يزين للإنسان سوء عمله، وقد قال الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

***

(٣٩٤) يقول السائل: الدعاء عند قبور الأولياء والصالحين وطلب الحاجات منهم منتشر في بلاد المسلمين وللأسف الشديد، فهل من كلمة نحو هذه البدعة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه البدعة التي ذكرها السائل -وهي الدعاء عند القبور، أو طلب أصحاب القبور قضاء الحاجات- بدعةٌ عظيمة منكرة.

أما الدعاء عند القبور فإنها بدعة، لكنها لا تصل إلى حد الكفر إذا كان الإنسان يدعو الله -عز وجل-، لكن يعتقد أن دعاءه في هذا المكان أفضل من غيره. وأما دعاء أصحاب القبور، وطلب الحوائج منهم، فهذا كفرٌ مخرجٌ عن الملة، فيجب على الطائفتين -أي التي تدعو الأموات، أو التي تدعو الله عند قبور الأموات- أن يكفوا عن هذا الأمر، وأفضل مكان للدعاء هو المساجد، وكذلك أفضل حالاتٍ للدعاء أن يكون الإنسان ساجدًا، ولهذا حث النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- على الدعاء حال السجود، فقال -عليه الصلاة والسلام-: **«أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»**[1].

***

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم (٤٧٩).

(٣٩٥) يقول السائل: هل تجوز زيارة الأضرحة إذا كنت معتقدًا أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن اعتقادي في ذلك في الله وحده، ولكن لِما سمعناه من أن هذه الأمكنة طاهرة ويستجيب الله لمن دعا فيها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: زيارة الأضرحة أو القبور سنة، لكنها ليست لدفع حاجة الزائر، وإنما هي لمصلحة المزور، أو لاتعاظ الزائر بهؤلاء، وليست لدفع حاجاته، أو حصول مطلوباته، فزيارة القبور اتعاظًا وتذكرًا بالآخرة، وأن هؤلاء القوم الذين كانوا بالأمس على ظهر الأرض يأكلون كما نأكل، ويشربون كما نشرب، ويلبسون كما نلبس، ويسكنون كما نسكن، الآن هم رهن أعمالهم في قبورهم، فإذا زار الإنسان المقبرة لهذا الغرض للاتعاظ والتذكر.

وكذلك للدعاء لهم كما كان الرسول ﷺ يدعو لهم إذا زارهم: «**السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»[1]. فهذه زيارة شرعية مطلوبة ينبغي للرجال أن يقوموا بها، سواء كان ذلك في النهار أم في الليل.

وأما زيارة القبور للتبرك بها، واعتقاد أن الدعاء عندها مجاب، فإن هذا بدعة وحرام، ولا يجوز؛ لأن ذلك لم يثبت لا في القرآن، ولا في السنة، أن محل القبور أطيب وأعظم بركة، وأقرب لإجابة الدعاء، وعلى هذا فلا يجوز قصد القبور بهذا الغرض. ولا ريب أن المساجد خير من المقبرة، وأقرب إلى إجابة الدعاء، وإلى حضور القلب وخشوعه.

***

(٣٩٦) يقول السائل: في زماننا هذا كثرت الشركيات، وكثر التقرب إلى القبور والنذور لها والذبح عندها. كيف يصحح المسلم هذه العقيدة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: ندعي لهذا السائل بصحة دعواه، أنا في

---

(١) تقدم تخريجه.

ظني أن هذا الوقت هو وقت الوعي العقلي وليس الشرعي، بالنسبة للوعي العقلي فقد قلَّ الذين يذهبون إلى القبور من أجل أن يسألوها، أو يتبركوا بها، إلا الهمج الرعاع هؤلاء من الأصل. فعندي أن الناس الآن استنارت عقولهم الإدراكية لا الرشدية، فالشرك في القبور وشبهها -في ظني- قليل.

لكن هناك شركٌ آخر، وهو: محبة الدنيا، والانهماك فيها، والانكباب عليها، فإن هذا نوعٌ من الشرك، قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ**»(١). فسمى النبي ﷺ من شغف بهذه الأشياء الأربعة سماه عبدًا لها، فهي معبودةٌ له.

أصبح الناس اليوم على انكبابٍ بالغ على الدنيا، حتى الذين عندهم شيء من التمسك بالدين تجدهم مالوا جدًّا إلى الدنيا، ولقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**وَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢). هذا هو الذي يخشى منه اليوم.

ولهذا تجد الناس أكثر عملهم على الرفاهية: وهذا فيه ترفيه، وهذا فيه نمو الاقتصاد، وهذا فيه كذا، وهذا فيه كذا. قلَّ من يقول: هذا فيه نمو الدين، هذا فيه كثرة العلم الشرعي، هذا فيه كثرة العبادة. قل من يقول هذا. فهذا هو الذي يخشى منه اليوم، أما مسألة القبور ففي ظني أنها في طريقها إلى الزوال، سواءٌ من أجل الدنيا، أم من أجل الدين الصحيح.

***

(٣٩٧) يقول السائل ر. ع. م. أ: عندنا في مصر المساجد التي توجد فيها الأضرحة موجودة، وفيها بدع ومنكرات، ويقيمون عليها السرج، ويتخذون

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم (٢٨٨٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب، رقم (٤٠١٥). ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦١).

حولها المعازف والغناء، وبعض ألوان الدجل مثل السحر، وترتكب فيها بعض المنكرات؛ مثل ضريح السيد البدوي بطنطا وغيرها في أنحاء الجمهورية، غير أنهم لا يؤدون الصلاة فيها على حقها الأوفى والوجه الأكمل. أفيدونا عن ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن بناء المساجد على القبور محرم، لعن النبيُّ ﷺ فاعلَه، لعن ذلك، وهو في النزع -عليه الصلاة والسلام- حيث قال: «**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١).

فبناء المساجد على القبور هو من فعل اليهود والنصارى، وهو من موجبات لعنة الله -تبارك وتعالى-، وإذا بُني مسجد على قبر فإنه يجب هدم هذا المسجد، ولا تصح الصلاة فيه، ولا يجوز للإنسان أن يقصده للتعبد فيه، أو لاعتقاد أن إجابة الدعاء هناك أحرى من إجابتها في المساجد الخالية من القبور. وكذلك أيضًا لا يجوز أن يدفن ميت في مسجد قد بني من قبل، فإن دفن ميت في مسجد قد بُني من قبل فإنه يجب نبشه وإخراجه ودفنه مع المسلمين إن كان من المسلمين، أو مع غير المسلمين إن كان من غير المسلمين.

والمهم أنه لا يجوز أن يوضع القبر في المسجد، ولا أن يبنى مسجد على قبر، ولا يجوز أيضًا أن يعتقد المرء أن هذه المساجد المبنية على القبور أفضل من غيرها، بل هي مساجد باطلة شرعًا، يجب هدمها والقضاء عليها. ولا فرق بين أن تكون هذه المساجد مبنية على من يُدعى أنهم أولياء، أو على أناس عاديين، فإن الحكم لا يختلف بين هذا وهذا، والواجب على المسلمين عمومًا أن يقوموا لله -تبارك وتعالى- مخلصين له الدين، متبعين لسنة رسوله ﷺ خاتم النبيين، وإمام المتقين.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ القبور على المساجد على القبور، رقم (١٣٣٠). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم (٥٢٩).

(٣٩٨) يقول السائل إ. من السودان: جميع أهلي يزورون القبور، ويأخذون منها التراب، ويدَّعون بأن فيها بركة، فبمَ تنصحونهم؟ وماذا يجب علي في هذه الحالة؟ هل أقاطعهم، أم أقوم بنصحهم؟ ونحن لم نعرف أن هذه الأشياء محرمة إلا بعد أن سمعنا برنامج: نورٌ على الدرب.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوجيه هو أنه يجب عليك مناصحتهم، وبيان أن هذا ليس فيه خير، وليس فيه بركة؛ لأن الله تعالى لم يجعل فيه بركةً يتبرك بها الناس. وليعلم أن الإنسان قد يفتتن، أو قد يفتنه الله -عز وجل-، فيأخذ من هذا التراب، ويسقيه المريض، أو يدهنه به، فيشفى بإذن الله، فتنةً لهذا الفاعل، ويكون الشفاء عند هذا الفعل، وليس بهذا الفعل، أي ليس الفعل سببًا، ولكن حصل الشفاء عنده بإذن الله تعالى فتنةً واختبارًا، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد يفتن الإنسان بما يجعله يفعل المعصية؛ ليعلم -عز وجل- من الصادق في إيمانه، ومن المتبع لهواه.

والمهم أن عليك أن تنصح أهلك عما يفعلونه، وأن تبين لهم أن هذا أمرٌ لا حقيقة له، وأنه لم يرد في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ أن تراب الأموات يتبرك به.

***

(٣٩٩) يقول السائل ي. ع. يمني الجنسية: يوجد مسجد في قرية، وكان قبل فترة في هذا المسجد قبر، وهو مبني عليه بالإسمنت، ويبلغ ارتفاعه نصف متر، وكان بعض الرجال، ومن النساء أيضًا، إذا جاء عشية الجمعة يزورون هذا القبر، ويصبون فوقه من الطين، ويقولون: إنه ولي من أولياء الله. ونحن نقول لهم: إن هذا حرام وشرك. وبعد فترة عزلوا القبر وما فيه إلى جوار المسجد في حجرة بجانب المسجد، ووضعوا العظام في تلك الحجرة، وأصلحوا القبر بالإسمنت بارتفاع نصف متر، ووضعوا لها بابًا من الحديد. فما حكم فعلهم هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المساجد التي فيها قبور لا يخلو أمرها من حالين:

الحال الأولى: أن تكون المساجد سابقة على القبر، بمعنى: أن المسجد قد بني، ثم يدفن فيه ميت بعد بنائه، فهذا يجب أن ينبش القبر، ويدفن الميت خارج المسجد في المقابر.

الحال الثانية: أن يكون القبر سابقًا على المسجد، بمعنى: أنه يكون قبرًا، ثم يبنى عليه مسجد، وفي هذه الحال يجب أن يهدم المسجد؛ لأنه محرم في هذه الحال، وما كان محرمًا فإنه لا يجوز إقراره، فيجب أن يهدم المسجد، ويبقى القبر في مكانه، لكن لا يجوز أن يكون القبر -على ما وصف السائل- مرفوعًا مزخرفًا مبنيًّا بالإسمنت؛ لأن هذا من تعظيم القبور وإشرافها، وقد قال علي لأبي الهياج الأسدي: «**أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»[1].

وكذلك أيضًا من المنكر أن يصب عليه الطين، أو توضع عليه الزهور، أو يتبرك بترابه، أو نحو ذلك من الأمور المنكرة، التي تكون وسيلة إلى الشرك، فإن وسائل الأمور تلحق بغاياتها، بمعنى أنها تكون محرمة، وإن كانت لا تساويها في مقدار الإثم وفي الحكم، لكن لا شك أن وسائل المحرم محرمة، يجب البعد عنها. والله أعلم.

***

(٤٠٠) يقول السائل و. ع. وهو سوري مقيم بالدمام: جرت العادة كما شاهدت في بلادنا أن من الناس من ينذرون بإضاءة المقامات بالشمع؛ مثل مقام قبور الأنبياء؛ مثل النبي صالح عليه السلام، والنبي موسى، ومقامات بعض الأولياء في بعض المناسبات، أو عندما ينذرون نذورهم، كأن يقول إنسان: إذا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب الأمر بتسوية القبر، رقم (٩٦٩).

رزقت بولد إن شاء الله فسوف أضيء المقام الفلاني مدة أسبوع مثلًا. أو: أذبح لوجه الله ذبيحة عند المقام الفلاني. فهل تجوز مثل هذه النذور؟ وهل إنارة المقام بالشمع أو بالزيت جائزة؟ وعادة ما تكون هذه الأيام التي يضيئون بها هي أيام الاثنين والخميس ليلة الجمعة. فهل هذا ورد في زمن الرسول ﷺ أم أنه بدعة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إضاءة المقامات -أي مقامات الأولياء والأنبياء، كالتي يريد بها السائل قبورهم- محرمة، وقد ورد عن النبي ﷺ لعن فاعليه، فلا يجوز أن تضاء هذه القبور، لا في ليالي الاثنين، ولا في غيرها، وفاعل ذلك ملعون على لسان رسول الله ﷺ.

وعلى هذا فإذا نذر الإنسان إضاءة هذا القبر في أي ليلة، أو في أي يوم، فإن نذره محرم، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**»[1]. فلا يجوز له أن يفي بهذا النذر، ولكن هل يجب عليه أن يكفر كفارة يمين لعدم وفائه بنذره أم لا يجب؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم، والاحتياط أن يكفر كفارة يمين عن عدم وفائه بهذا النذر.

وأما تعداده لقبور بعض الأنبياء؛ مثل قبر صالح وموسى، فإنه لا يصح أي قبر من قبور الأنبياء، إلا قبر النبي ﷺ، فإن الأنبياء لا تعلم قبورهم. وقد قال النبي ﷺ في قبر موسى: إنه كان قريبًا من البلاد المقدسة. وقال: «**لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»[2]. وليس معلومًا مكانه الآن، وكذلك قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، وكذلك بقية الأنبياء لا يعلم مكان قبورهم، إلا النبي ﷺ فإن مكان قبره معلوم؛ فقد دفن في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وعلى هذا نقول للأخ: لا يجوز لك أن تضيء هذه القبور، لا بنذر، ولا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، رقم (٦٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، رقم (٣٤٠٧). ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٢).

بغير نذر، وأقبح من ذلك الذبح عندها، فإن الذبح عندها أعظم من إسراجها، لا سيما إن قصد بالذبح التقرب إلى صاحب هذا القبر، فإنه إذا قصد ذلك صار مشركًا شركًا أكبر مخرجًا عن الملة؛ لأن الذبح من عبادة الله -عز وجل-، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كفر مخرج عن الملة.

***

(٤٠١) يقول السائل أ. م: ما حكم الشرع في الذين يذهبون إلى أصحاب القبور والأضرحة يسألونهم تفريج الكربات، وإعطاء الذرية، وتيسير الحياة، وهم يقومون بذبح الذبائح وتقديم الأموال للسدنة، فإذا سألناهم: لماذا تفعلون هذا؟ قالوا: لأن هؤلاء أولياء، ومقربون إلى الله من غيرهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: جوابنا على هذا السؤال من ناحيتين:

الناحية الأولى: إثبات أن هؤلاء المقبورين من أولياء الله، فإنه لا يعلم هل هم من أولياء الله، أو من أولياء الشيطان؟ لأن أولياء الله وصفهم الله تعالى بوصف من خرج عنه فليس من أولياء الله، فقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فلا نعلم حال هؤلاء المقبورين أهم متصفون بالإيمان والتقوى أم ليسوا متصفين بذلك؟

الناحية الثانية: على فرض أن يكونوا من أولياء الله، الذين آمنوا وكانوا يتقون، فإنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، بل هم جثث هامدة، لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم هوام القبور، فضلًا عن أن يدفعوا عن غيرهم المكاره والشرور، أو يجلبوا لغيرهم الخيرات والسرور، وقد قال الله -تبارك وتعالى- في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]. وإذا كان أشرف الخلق، وإمام

الأولياء والمتقين، محمد رسول الله ﷺ قد أمره الله تعالى أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

فنقول لهؤلاء الذين يدعون هؤلاء الأموات، ويستغيثون بهم: إنكم ضالون، ولا أحد أضل منكم؛ لأنكم تدعون من دون الله من لا يستجيب لكم إلى يوم القيامة. ونقول لهم: إنكم بدعائكم هؤلاء الأموات -وإن كانوا أولياء في اعتقادكم- أشركتم بالله -عز وجل-، فإن من دعا غير الله، أو استغاث به فيما لا يقدر عليه، فإنه يكون مشركًا بالله -عز وجل-، وهؤلاء الذين في القبور لا يقدرون أن يغيثوكم بشيء، ولا يقدرون أن يدفعوا عنكم شرًّا، ولا أن يجلبوا لكم نفعًا.

فعلى هؤلاء الذين يذهبون إلى القبور أن يتوبوا إلى الله، وأن يرجعوا إلى ربهم، وأن ينزّلوا حاجاتهم بالله، فإن الله تعالى هو الذي قال في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فالله تعالى هو المرجو لكشف السوء، وهو المدعو لطلب الخير، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]. فلا يقدر أحد على كشف السوء، ولا على إجابة الداعي، إلا الله -سبحانه وتعالى-، وحده لا شريك له.

فنصيحتي لهؤلاء أن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وأن يقلعوا عما هم عليه من دعوة الأموات والاستغاثة بهم؛ حتى يحققوا بذلك التوحيد، وليعلموا أن من أشرك بالله فإن الله تعالى لا يغفر له ذنبه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

***

(٤٠٢) يقول السائل: هناك جامع فيه ولي، ويقوم مجموعة بزيارته، ويقدمون الشمع له والسمن إذا مرض أحد الأطفال، وقد نصحتهم على ترك ذلك المنكر، لكنهم لم يستجيبوا لي، وقالوا: إنه يشفي المريض. فماذا نفعل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السؤال ليس بواضح، هل هذا الولي حي، أم المراد قبر ولي؟

فإن كان المراد قبر ولي فلا شك أن عملهم هذا منكر، وأن الميت لا يفيد أحدًا شيئًا، ويجب عليهم أن يتوبوا إلى الله من هذا العمل، وأن يطلبوا الشفاء منه، لا من أصحاب القبور. وأما إذا كان حيًا، وأُوتي إليه بشيء يقرأ فيه، ويدهن به المريض، أو يشربه إن كان مما يشرب، فإن هذا لا بأس به.

ولكن يجب علينا أن نفهم من هو الولي؟ الولي من كان مؤمنًا بالله، متقيًّا لمحارم الله؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فكل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، ولا تُنال الولاية بالدعوى والتمسكن والتطامن، كما يدعيه بعض الناس الذين يغرون العامة، فيتظاهرون بمظهر الأولياء وقد يكونون من الأعداء، وتعينهم الشياطين على مرادهم، فيظن العامة أن ما حصل كرامة، وهو في الحقيقة إهانة. لذلك يجب علينا أن نحذر أمثال هؤلاء الأدعياء، وألَّا نغتر بظاهرهم وتمسكنهم؛ لأنهم يخدعون العامة بهذا المظهر.

***

(٤٠٣) يقول السائل م. أ. وهو مصري مقيم بالعراق في بغداد: ما حكم الشرع في مسجد بداخله مقام ولي من الأولياء، ويصلي في هذا المسجد؟ وهل الصلاة في هذه الحالة تعتبر باطلة أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1]. قال ذلك تحذيرًا مما صنعوا، فلا

---

(١) تقدم تخريجه.

يجوز للمسلمين أن يتخذوا القبور مساجد، سواء كانت تلك القبور قبور أولياء، أم كانت قبور صالحين لم يصلوا إلى حد الولاية في زعم من اتخذ هذه المساجد عليها، فإن فعلوا بأن بنوا مسجدًا على قبر من يرونه وليًّا أو صالحًا فإنه يجب أن يهدم هذا المسجد؛ لأنه مسجد محرم؛ لنهي النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد.

أما إذا كان القبر بعد المسجد؛ بأن أسس المسجد أولًا، ثم دفن فيه الميت، فإنه يجب أن ينبش هذا الميت، ويدفن في المقابر، ولا يحل إبقاؤه في المسجد؛ لأن المسجد تعيَّن للصلاة فيه، فلا يجوز أن يتخذ مقبرة، هذا هو الحكم في هذه المسألة.

وبقي لي تنبيه على صيغة السؤال الذي سأله السائل، وهو قوله: ما حكم الشرع في كذا وكذا؟ فإن هذا على الإطلاق، لا يوجه إلى رجل من الناس يخطئ ويصيب؛ لأنه إذا أخطأ نسب خطؤه إلى الشرع؛ حيث إنه يجيب باسم الشرع باعتبار سؤال السائل، ولكن يقيد الصيغة هكذا: ما حكم الشرع في نظركم، أو في رأيكم؟ وما أشبه ذلك، أو يقول صيغة ثانية: ما رأيكم في كذا وكذا؟ حتى لا ينسب الخطأ إذا أخطأ المجيب إلى شريعة الله -عز وجل-، وهذا يرد كثيرًا في الأسئلة الموجهة إلى أهل العلم، ويرد أحيانًا في الكتب المؤلفة، فتجد الكاتب يقول: نظر الشرع كذا وكذا. وحكم الإسلام كذا وكذا. مع أن ذلك عنده فقط، وحسب اجتهاده، وقد يكون صوابًا، وقد يكون خطأً، أما إذا كان الأمر، أو إذا كان الحكم حكمًا منصوصًا عليه في القرآن واضحًا، فلا حرج أن تقول: حكم الشرع كذا وكذا. كما لو قلت: حكم الإسلام في الميتة أنها حرام؛ لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]. أو: حكم الإسلام في نكاح الأم والبنت التحريم؛ لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. وما أشبه ذلك.

وهذه المسألة ينبغي التفطن لها عند توجيه الأسئلة إلى أهل العلم، وعند

كتابة الأحكام في المؤلفات، وكذلك في الخطب والمواعظ؛ ألَّا ينسب إلى الإسلام شيء إلا إذا كان منصوصًا عليه نصًّا صريحًا بينًا، وإلَّا فيقالُ: فيما أرى. أو يقول: يحرم كذا مثلًا. أو: يجوز كذا. بدون أن يقول: إن هذا حكم الإسلام؛ لأنه قد يخطئ فيه.

ولهذا كان بعض أهل العلم، بل كان بعض الأئمة من سلف هذه الأمة، يحترزون من إطلاق التحريم على شيء لم ينص على تحريمه، وهذا كثير في عبارات الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: أكره هذا. أو: لا يعجبني. أو: لا أراه. أو: هو قبيح. أو ما أشبه ذلك؛ تحرزًا من أن يطلق التحريم على شيء ليس في الشرع ما يدل على التحريم فيه على وجه صريح.

***

(٤٠٤) يقول السائل: هل يجوز الصلاة في مساجد فيها قبور بعض الصالحين والأولياء، كما في الحضرة وعلي الهادي، والغيبة، أو في سيدنا الزبير، وهل يعتبر شركًا بالله هذا أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا يجب أن نعرف أن بناء المساجد على القبور حرام، ولا يصح، أعني: لا يجوز لأحد من ولاة الأمور، وغير ولاة الأمور، أن يبني المساجد على القبور؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**»(١).

فإذا كانت اللعنة قد وجبت لمن بنى مسجدًا على قبر نبي، فما بالك بمن بنى مسجدًا على من هو دون النبي، بل على أمر قد يكون موهومًا لا محققًا، كما يقال في بعض المساجد التي بنيت على الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنها قد تكون في العراق وفي الشام وفي مصر، ولا أدري كيف كان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا واحدًا، ويدفن في ثلاثة مواضع، هذا شيء ليس بمعقول، فالحسين بن علي

---

(١) تقدم تخريجه.

ﷺ الذي تقتضيه الحال أنه دفن في المكان الذي قتل فيه، وأن قبره سيكون مُخْفًى؛ خوفًا عليه من الأعداء، كما أخفي قبر علي بن أبي طالب ﷺ، حينما دفن في قصر الإمارة بالكوفة، خوفًا من الخوارج.

لهذا نرى أن هذه المساجد التي يقال: إنها مبنية على قبور بعض الأولياء، نرى أنه يجب التحقق هل هذا حقيقة أم لا؟ فإذا كان حقيقة فإن الواجب أن تهدم هذه المساجد، وأن تبنى بعيدًا عن القبور، وإذا لم تكن حقيقة، وأنه ليس فيها قبر، فإنه يجب أن يبصر المسلمون، بأنه ليس فيها قبور، وأنها خالية منها؛ حتى يؤدوا الصلاة فيها على الوجه المطلوب.

وأما اعتقاد بعض العامة أنهم إذا صلوا إلى جانب قبر ولي أو نبي أن ذلك يكون سببًا لقبول صلاتهم وكثرة ثوابهم فإن هذا وهْمٌ خاطئ، بل إن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور فقال: «**لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ**»[1]. وكذلك قال: «**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا المَقْبَرَةَ وَالحَمَّامَ**»[2]. فالقبور ليست مكانًا للصلاة، ولا يجوز أن يصلي حول القبر أبدًا إلا صلاة القبر على صاحب القبر.

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى على القبر، على كل حال نقول: هذه المساجد إن كانت مبنية على قبور حقيقية، فإن الواجب هدمها وبناؤها في مكان ليس فيه قبر، وإن لم تكن مبنية على قبور حقيقية فإن الواجب أن يبصر المسلمون بذلك، وأن يبين لهم أن هذا لا حقيقة له، وأنه ليس فيه قبر فلان ولا فلان، حتى يعبدوا الله تعالى في أماكن عبادته، وهم مطمئنون.

أما الصلاة في هذه المساجد: فإن كان الإنسان يعتقد أنها وَهْم، وأنه لا حقيقة لكون القبر فيها، فالصلاة فيها صحيحة، وإن كان يعتقد أن فيها قبرًا،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم (٩٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٨/ ٣١٢، رقم ١١٧٨٨)، والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، رقم (٣١٧)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة، رقم (٧٤٥).

فإن كان القبر في قبلته فقد صلى إلى القبر، والصلاة إلى القبر لا تصح للنهي عنه، وإن كان القبر خلفه أو يمينه أو شماله فهذا محل نظر.

***

(٤٠٥) يقول السائل: ما حكم بناء المساجد على قبور الأولياء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حكمها أنها محرمة، ولا يجوز بناء المساجد على القبور وقبور الأولياء ولا غيرهم، وإذا بُني مسجد على قبر فإنه يجب هدمه وإزالته.

***

(٤٠٦) يقول السائل م. ج. ح. م. من الجمهورية العراقية: إن الله -سبحانه وتعالى- يخاطب المؤمنين بتجنب اتخاذ القبور مساجد، فنرى بعض المساجد مبنية فوق قبور الأنبياء والمشايخ السابقين في الإسلام، فهل يجوز هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي يفهم من صيغة السؤال أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد جاء في القرآن؛ لأنه قال: إن الله يخاطب المؤمنين بتجنب.... فظاهر سؤاله أن ذلك في القرآن، والأمر ليس كما ظن إن كان قد ظنه، فهذا ليس في القرآن، لكن النبي ﷺ لعن المتخذين القبور مساجد، فجاء ذلك في السنة.

ولا شك أن اتخاذ القبور مساجد من كبائر الذنوب، ولكن إذا وجد قبر في مسجد ننظر: إذا كان المسجد مبنيًّا على القبر وجب هدمه وإزالته، وإن كان القبر موضوعًا في المسجد بعد بنائه وجب إخراجه من المسجد، فإذًا الحكم للأول منهما؛ إن كان الأول هو المسجد فإنه يزال القبر، وإن كان الأول القبر فإنه يهدم المسجد، ولا يجوز بناء المساجد على القبور، ولا يجوز دفن الموتى في المساجد.

ولا يرد على هذا ما استشكله كثير من الناس بالنسبة لقبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه الموجودين في المسجد النبوي، وذلك لأن المسجد لم يُبنَ

عليهما، المسجد كان مستقلًّا، وهذه كانت حجرة لعائشة رضي الله عنها دفن فيها النبي ﷺ حيث قبض، واختار أبو بكر أن يدفن معه، وكذلك عمر رضي الله عنهما، وقصة عمر في مراجعة عائشة في ذلك مشهورة.

أقول: لا يرد على ذلك؛ لأن هذه الحجرة كانت منفصلة متميزة عن المسجد، ولم يقبر النبي ﷺ ولا صاحباه في المسجد، ولم يُبنَ عليهما أيضًا، لكن في زمن الوليد وفوق التسعين من الهجرة احتاج المسجد إلى زيادة، فرأى الولاة في ذلك الوقت أن يضاف إليه حجر زوجات النبي ﷺ ومن جملتها حجرة عائشة رضي الله عنها، إلا أن الحجرة بقيت منفصلة متميزة عن المسجد ببنايتها.

على أن من الناس في ذلك الوقت من كره هذا الأمر، ونازع، فيه ولم يوافق عليه، وقد ذكر أهل العلم أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت في المدينة، وأن الموجود من الصحابة في ذلك الوقت كانوا نازحين في البلاد الإسلامية التي فتحت، وعلى هذا فالمسالة -أي إدخال الحجرة في المسجد- ليست موضع اتفاق من الناس في ذلك الوقت، إلا أنها بقيت ولم تغير؛ لأن تغييرها صعب، فلذلك أبقوها كما هي -والحمد لله- منفصلة عن المسجد، ولم توضع القبور داخل المسجد، ولا المسجد بني عليها.

***

(٤٠٧) يقول السائل ج. أ. أ. من سورية: بعض الناس بنوا عند المقبرة مسجدًا على بعد عشرة أمتار، فما حكم إقامة هذا المسجد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان خارجًا عن المقبرة، ولم تكن المقبرة بين يدي المصلين، ولم يقصد به التبرك بكونه حول المقبرة -أي: بكون المسجد حول المقبرة- فهذا لا بأس به، فأما إذا بني في جانب منها، أو كانت المقبرة أمامه، أو كان عن عقيدة أن كون المسجد قرب المقبرة أفضل وأكمل، فهذا لا يجوز.

۞ التصوير ۞

(٤٠٨) يقول السائل: ما حكم الاحتفاظ بالصور الشمسية؟ علمًا بأنها لم تعلق على الجدران، وأنها محفوظة داخل علبة، كما أنها لم تؤخذ لأجل التعظيم ولكن للذكرى. وما حكم من قام بالتصوير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الاحتفاظ بهذه الصور فإنه لا يجوز، وذلك لأن اقتناء الصور إنما يجوز إذا كانت على وجهٍ ممتهن، كالتي تكون في الفرش والمخاد والمساند، وما إلى ذلك مما يمتهن، هذه جائزة عند جمهور أهل العلم، وإن كان فيها خلاف، لكن الجمهور على أنها جائزة.

أما ما لا يمتهن، سواءٌ كان شُهر وعلق، أم كان أخفي في علبةٍ وشبهها، فإنه لا يجوز، ولا يحل للمرء اقتناؤه، فالصور التي للذكرى، التي توجد في الحقيبة التي يسمونها ألبوم وغيرها، أو غيرها هذه لا تجوز، ثم إن الذكرى لا ينبغي للإنسان أن يتعلق بها، فأي ذكرى تكون؟ هذا الرجل الذي كنت حبيبًا له، أو صديقًا له في يومٍ من الأيام، قد يكون يومًا من الأيام بغيضًا لك، ولهذا ينبغي للإنسان ألَّا يسرف في الحب، ولا في البغض، وقد قيل: أحبب حبيبك هونًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما فعسى أن يكون حبيبك يومًا ما.

على كل حال هذه الذكرى لا تنبغي، والإنسان عبارة عن ابن وقته، والأحوال تختلف وتتغير، فلا ينبغي اتخاذ هذه الصور، بل لا يجوز أن يحتفظ بها. وأما التصوير فنوعان:

أحدهما: أن يكون بتخطيط اليد، بمعنى: أن الإنسان يخطط صورة الجسم مثلًا من وجهٍ ويدين إلى آخره، فهذا لا يجوز، وهو الذي لعن النبي ﷺ فاعله، وأخبر أن فاعليه هم أشد الناس عذابًا.

ثانيهما: إذا كان التصوير بالنقل بالآلة الفوتوغرافية، وهذا موضع خلافٍ بين أهل العلم؛ وذلك لأن التصوير بالنقل ليس تصويرًا فعليًّا من

المصور في الحقيقة، بل هو ناقلٌ للصورة، وليس مصورًا، وليس كالمصور الذي يريد أن يعمل ما فيه إبداعٌ وإتقان، حتى يكون عمله وتخطيطه كتخطيط الله -عز وجل- وتصوير الله، وبين الإنسان الناقل الذي ينقل ما صوَّره الله -سبحانه وتعالى- بواسطة الضوء، فبينهما فرق.

ولهذا لو عرضت علي رسالة وقلت: انقلها لي. فكتبتها، وجعلت أصور عليها، صرت الآن مصورًا، والكتابة هذه كتابتي. لكن لو قلت: خذ هذه الرسالة وصورها بالآلة الفوتوغرافية. فالكتابة كتابة الأول، أي كتابة صاحب الخط الأول، وليست كتابة الذي صور بالآلة المصورة، فهذا مثله تمامًا. وهذا هو الذي نرجحه؛ وهو أن التصوير الفوتوغرافي لا بأس به، لكن ينظر ما هو الغرض من ذلك؟

إذا كان الغرض اقتناء هذه الصور على وجهٍ لا يباح فهذا يحرم من هذه الناحية، فيكون تحريمه تحريم الوسائل لا تحريم المقاصد.

وأما إذا كان الغرض لمصلحة، كحفظ الأمن في التابعيات وشبهها، فهذا لا بأس به، أعني: لا بأس بالتصوير للتابعية وشبهها، ومع هذا -مع قولنا بالجواز، أو مع ترجيحنا للجواز- نرى أن اللائق للمسلم أن يبتعد عنه؛ لأن ذلك أتقى وأورع؛ لما في ذلك من الشبهة، فإن بعض أهل العلم يرون أن التصوير، حتى الصور الشمسية أو الفوتوغرافية، حرام، وترك الإنسان لما هو محرم أمرٌ ينبغي فعله، إلا إذا دعت الحاجة إليه، فإن المشتبه يزول بالحاجة.

***

(٤٠٩) يقول السائل أبو حمد: **استمعت إلى إجابة الشيخ محمد العثيمين بتحريم الصور؛ حيث أجاز استعمال أو حمل الصور على التابعية مثلًا إذا اعتبرها ضرورة، وأنها من يسر الدين، أليس من الأيسر أن يستعمل البصمة بدل الصورة، لكي لا يبقى لدينا أدنى شك بالحرام؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإحاطة بالبصمة صعبة جدًّا؛ لأنه لا يعرفها

إلا أفرادٌ من الناس، وبشرط أن توضع البصمة على قدرٍ معين من الحبر أو شبهه؛ لأنه إذا زاد لم تنضبط العلامة، وإذا نقص كذلك لم تنضبط. فمن أجل هذا نرى أن استعمال البصمة بدلًا من الصورة قد تكون أعظم وأشق؛ لأن الإنسان ربما يضرب على الورقة ببصماته عدة مرات فلا يمكن ضبطها، ثم هي عرضة أيضًا لأن تطرأ عليها حكٌّ أو شبهه، فإذا تغيرت أدنى تغير لم يحصل بها فائدة. فلا نرى أن مثل هذه الوسيلة تكفي عن وسيلة التصوير.

***

(٤١٠) تقول السائلة: عندما يموت الإنسان، ويبكي عليه أهله، هل هذا البكاء يعذب الميت في قبره؟ وما رأيكم في جمع صور الميت والاحتفاظ بها؟ هل هذا جائز أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذان سؤالان:

الأول: البكاء على الميت: البكاء على الميت ينقسم إلى قسمين:

١- **قسم بمقتضى الطبيعة:** لا يستطيع الإنسان أن يدفعه، فهذا لا يعذب به الميت.

٢- **قسم يكون متكلفًا:** يرخي الإنسان لنفسه العنان في الاستمرار في البكاء، فهذا يعذب به الميت في قبره؛ لأنه ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- «**إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»[1]. لكن هذا التعذيب ليس عقوبة، وإنما هو بمعنى التألم والتوجع؛ لأن العذاب قد يطلق على هذا، كما في قول الرسول ﷺ: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «**يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه**». إذا كان النوح من سنته، رقم (١٢٨٦). ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب السفر قطعة من العذاب، رقم (١٨٠٤). ومسلم: كتاب=

الثاني: الاحتفاظ بصور الميت: وهذا لا يجوز، بل الواجب إحراقها من حين أن يموت؛ لأن تعلق النفس بالميت أشد من تعلقها بالحي، ويخشى أن يطالع الرجل صورة الميت فيتجدد حزنه وأسفه عليه، وإن كان معظمًا فربما يعلق صورته في الجدار، فيحصل بذلك ضرر ومفسدة، لهذا أرى أنه من حين أن يموت الميت يجب أن تحرق صوره كلها ولا تبقى.

***

(٤١١) تقول السائلات من الدوحة: ما رأي فضيلتكم في الاحتفاظ بالصور في ألبوم؟ وهل هذه الصور تمنع من دخول الملائكة في البيوت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الصور التي تحفظ -كما يقولون للذكرى- نرى أن الاحتفاظ بها حرام، لا سيما إذا كانت صور أموات، وأن الواجب إحراقها وإزالتها؛ لأنها صورة حقيقة، وإذا كانت صورًا حقيقة فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، وإخبار النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بأن «**المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ**»(١). يراد به التحذير من اقتناء هذه الصور. فنصيحتي لهؤلاء الأخوات السائلات أن يحرقن ما عندهن من هذه الصور، وألَّا يعدن لأمثال ذلك.

***

(٤١٢) يقول السائل عبد الرحمن من حضرموت: ما حكم الصور التي تكون بالنحت، أو بالآلة الفوتوغرافية: الكاميرا، أو كانت بالرسم باليد، علمًا بأني طالب بالثانوية ويلزمونني بالرسم باليد؟

=الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب، واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله، رقم (١٩٢٧).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٢٢٤). ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة، رقم (٢١٠٦).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصور المنحوتة من خشب أو حجارة، أو المصنوعة من الطين، أو العجين، أو ما أشبه ذلك، كلها حرام، إذا كانت على تمثال حيوان له روح؛ لما فيها من مضاهاة خلق الله -عز وجل-، وفي الحديث الصحيح: «**أن رسول الله ﷺ لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ**»(١). واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله. وفي الحديث القدسي أيضًا أن الله تعالى قال: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»(٢). وفيه أيضًا في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٣). والأدلة في هذا كثيرة.

ومن التصوير -على القول الراجح- المتوعد عليه أن يقوم الإنسان بتصوير ذي روح بيده، فإن ذلك داخل في التصوير المتوعد عليه، وهو كبيرة من كبائر الذنوب.

أما التصوير بالآلة الفوتوغرافية الفورية فلا يظهر لي أنه من التصوير؛ وذلك لأن المصور لم يكن يخطط، أو يحاول أن يضاهي بخلق الله، ولهذا فنرى الناس لو عرض عليهم صورة بالآلة الفوتوغرافية على حسب ما حصل من التصوير لم يقولوا: ما أجود هذا المصور! وما أحذقه! لكن لو عرض عليهم صورة صورها بيده، وخططها بيده، وظهرت مطابقة لما صور، فقالوا: ما أحسن هذا! ما أحذق هذا! فدل ذلك على الفرق بين من يرسم الصورة بيده، ومن يصور بالآلة الفوتوغرافية.

ويدل لهذا أن الإنسان لو كتب كتابًا بيده، ثم وضعه في آلة التصوير، وخرج من الآلة، فإن الناس لا ينسبون هذا المرسوم إلى الذي صور بالآلة، وإنما ينسبونه إلى الكاتب الأول، وما زال الناس يحفظون الوثائق بمثل هذا،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد، رقم (٥٣٤٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، رقم (٥٩٥١).

ولا يقولون إن هذا الذي التقطه بالآلة: مبدع متقن جيد، بل ربما يكون يتولى هذا رجلٌ أعمى، أو يتولاه رجل مبصر في ظلمة، لكن لو جاء شخص، وعُرِض عليه خط الرجل الآخر، فجاء يقلد آخر، حتى ظهر وكأنه خط الرجل الأول، لقال الناس: ما أبدعه! ما أحذقه! كيف صور هذا التصوير الذي جاء مطابقًا للرسم؟

ومن هذه الأمثلة يتبين أن التصوير الفوتوغرافي ليس في الحقيقة تصويرًا ينسب إلى الفاعل، ولا يقال إن هذا مضاهٍ لخلق الله؛ لأنه لم يصنع شيئًا. والقول بالحِل مشروط بأن لا يتضمن أمرًا محرمًا؛ لأن الأشياء المباحة إذا أدت إلى شي محرم كانت حرامًا؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، فمثلًا لا نرى أنه يجوز أن يصور الإنسان هذا التصوير للذكرى كما يقولون؛ لما في ذلك من اقتناء الصورة، التي يخشى أن تكون داخلة في قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**المَلَائِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ**»[1].

***

(٤١٣) يقول السائل: ما حكم الاحتفاظ بالكتب التي تحتوي على صور لإنسان، أو حيوان، أو طير؟ وهل نقوم بطمس تلك الصور كاملةً، أم الرأس فقط أم بوضع خطٍّ على الرقبة، أم ماذا نفعل؟ علمًا بأن هذه الكتب مفيدة وليست من الكتب السخيفة، كذلك بالنسبة لبعض المجلات الإسلامية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الصور المشار إليها في الكتب وبعض المجلات الدينية إذا تمكن الإنسان من طمسها -أي طمس وجوهها ورءوسها- فهذا خير؛ لأن الصورة هي الرأس؛ فحقيقة الإنسان تعرف برأسه، وذات الإنسان تعرف برأسه ووجهه، فعلى هذا فالواجب أن يطمس الرأس والوجه، هذا إذا تمكن، أما إذا شق عليه ذلك فإنه لا حرج عليه إن

---

(١) تقدم تخريجه.

شاء الله، لا سيما وأن هذه الصور تكون في كتب مغلقة وليست منشورةً مبسوطة مشهورة، فلهذا نرى أنه لا بأس به إذا كان عليه مشقة من طمسها وإزالتها.

***

(٤١٤) يقول السائل وقد بعث بعدة صور: ما الحكم في هذه الصور؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: على كل حال، نعم الصور لا تجوز، إلا إذا كانت في أمور ممتهنة، كالمخاد والفرش وشبهها، وإلا فلا يجوز اقتناؤها، لا في الرسائل، ولا في تعليقها على الجدران، ولا في حفظها فيما يسمونه اليوم بالألبوم، ولا غير ذلك.

***

(٤١٥) يقول السائل: ما الحكم الشرعي في التماثيل الموجودة في كل أسواق المسلمين وبيوتهم، على شكل خيول وبنين وبنات وحيوانات وطيور؟ فهل هذا جائز أم حرام بيعه وشراؤه واتخاذه في البيوت بالزينة؟ وما نصيحتكم لإخواننا المسلمين حول ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحكم في هذه التماثيل الموجودة في البيوت، سواء كانت معلقة، أم موضوعة على الرفوف، أن هذه التماثيل يحرم اقتناؤها، ما دامت تماثيل حيوان، سواء كانت خيولًا، أم أسودًا، أم جمالًا، أم غير ذلك؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ «**المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ**»[1]. وإذا كانت الملائكة لا تدخل هذا البيت فإنه لا خير فيه، فعلى من عنده شيء من ذلك أن يتلفه، أو على الأقل يقطع رأسه ويزيله؛ حتى لا تمتنع الملائكة من دخول بيته.

وإنك لتعجب من رجال يشترون مثل هذه التماثيل بالدراهم، ثم يضعونها في مجالسهم، كأنما هم صبيان، وهذا من تزيين الشيطان لهم، وإلا فلو

---

(١) تقدم تخريجه.

رجعوا إلى أنفسهم لوجدوا أن هذا سفه، وأنه لا ينبغي لعاقل، فضلًا عن مؤمن، أن يضع هذا عنده في بيته. والتخلص من هذا يكون بالإيمان والعزيمة الصادقة حتى يقضوا على هذه ويزيلوها، فإن أصروا على بقائها فهم آثمون في ذلك، وكل لحظة تمر بهم يزدادون بها إثمًا، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

وأما بيعها وشراؤها فحرام؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ شَيْئًا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ**»(١). فلا يجوز استيرادها ولا إيرادها، ولا بيعها ولا شراؤها، ولا يجوز تأجير الدكاكين لهذا الغرض؛ لأن كل هذا من باب المعونة على الإثم والعدوان، والله -عز وجل- يقول لعباده: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

وكذلك أيضًا يحرم أن تستر الجدران وأبواب الشبابيك بشيء فيه صور من خيل، أو أسود، أو جمال، أو غيرها؛ لأن تعليق الصور رفع من شأنها، فيدخل في عموم قول النبي ﷺ: «**الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ**»(٢). وأما ما يوجد من هذه الصور في الفرش التي تداس وتمتهن فإن فيه خلافًا بين أهل العلم: هل يحرم أم لا؟ وجمهور أهل العلم على حله، فمن أراد الورع واجتنابه، وأن يتخذ فرشًا ليس فيها صور حيوان، فهو أولى وأحسن، ومن أخذ بقول جمهور العلماء فأرجو ألا يكون عليه بأس.

***

(٤١٦) يقول السائل: ما حكم صنع التماثيل المجسمة وبيعها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: صنع التماثيل المجسمة إن كانت من ذوات الأرواح فهي محرمة لا تجوز؛ لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه «**لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١١٥، رقم ٢٩٦١). وأبو داود: كتاب البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة، رقم (٣٤٨٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وثبت أيضًا عنه أنه قال: قال الله -عز وجل-: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**»[(١)]. وهذا محرم. أما إذا كانت التماثيل ليست من ذوات الأرواح فإنه لا بأس بها، وكسبها حلال؛ لأنها من العمل المباح.

***

(٤١٧) تقول السائلة ك. ب. من العراق من بغداد: هل يجوز الرسم بالريشة في مناظر طبيعية؛ مثل الجبال والأنهار والأشجار؟ وهل يمكن تعليق صور النباتات، أو المناظر الطبيعية في البيت، أو الاحتفاظ بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، يجوز للإنسان أن يرسم صور الشجر والبحار والأنهار، والشمس والقمر والنجوم، والجبال وغيرها مما خلق الله -عز وجل-، ويجوز أن يحرص على دقة تصويرها؛ حتى تكون كأنها منظر طبيعي، لكن بشرط أن لا يكون فيها صور من ذوات الأرواح، كالإنسان والبهائم؛ وذلك لأن تصوير الإنسان والبهائم محرم، بل من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ «**لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ**»[(٢)]، وأخبر أن من صور صورة فإنه يُجعل له بها نفس يعذب بها في جهنم. وقال ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ**»[(٣)]. وأخبر ﷺ أنه «**يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»[(٤)]. تحديًا وتعجيزًا.

فلا يجوز للإنسان أن يصور ما فيه روح من بشر أو غيره، سواء صورها مستقلة، أم صورها داخل هذه المناظر التي ذكرتها السائلة، وهذا التصوير من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ رتب عليه اللعنة، ومن فعل من ذلك شيئًا فعليه أن يتوب إلى الله، وأن يمزق، أو يحرق ما صوره؛ حتى لا يبوء بإثمه، وأما ما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب نقض الصور، رقم (٥٩٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير، رقم (٥٩٥٤).

(٤) تقدم تخريجه.

ليس فيه روح فلا بأس به؛ لأن الأحاديث تومئ إلى هذا، فإن فيها أنه مكلف أن ينفخ فيه الروح، وليس بنافخ، وهذا إشارة وإيماء إلى أن المحرم ما كان فيه روح، وإذا جاز أن يصور ما ليس فيه روح من الأشجار والأنهار والبحار، والشمس والقمر والجبال، والبيوت وما أشبهها، جاز أن يعلقها على بيته، وينظر إليها ويهديها إلى غيره، لكن ينبغي أن لا يسرف في هذا، فيصرف الأموال الكثيرة في شراء مثل هذه المناظر، وتعليقها على الجدر، أو إهدائها إلى غيره، فإن الإسراف حرام؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

***

(٤١٨) يقول السائل ع. ح. ع. من العراق: هل يصح تحنيط الطيور، ووضعها في المنزل لغرض الزينة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأصل في تحنيط الطيور -بعد أن تذبح ذبحًا شرعيًّا- أنه جائز، لكن إذا كان في ذلك إضاعة للمال فإنه قد يمنع منه من هذه الناحية؛ لأن النبي ﷺ «نَهَى عَنْ إِضَاعَةِ الْمَالِ»(١). وإضاعة المال صرفه في غير فائدة.

أما إذا كان هناك فائدة؛ مثل إطلاع الناس على مخلوقات الله -عز وجل-، التي تدل على تمام قدرته -سبحانه وتعالى-، وكمال حكمته، فإن هذا لا بأس به؛ لما فيه من المصلحة، وأخشى أن بعض الناس يشتري هذه الحيوانات المحنطة بثمن كثير باهظ، مع أنه قد يقصر على أهله، ومن تلزمه نفقتهم، فيدع أمرًا واجبًا لأمر ليس بواجب، بل لأمر ليس فيه إلا إضاعة المال.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال، رقم (٢٤٠٨).

(٤١٩) يقول السائل: هل رسم ذوات الأرواح، كالحيوان والإنسان، على الأوراق، وتشكيلها بالألوان جائز؟ وهل هو داخل في عموم الحديث القدسي: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»(١)؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هو داخلٌ في هذا الحديث، لكن الخلق خلقان:

١- خلقٌ جسميٌ وصفي: وهذا في الصور المجسمة.

٢- خلقٌ وصفيٌّ لا جسمي: وهذا في الصور المرسومة.

وكلاهما يدخل في هذا الحديث، فإن خلق الصفة كخلق الجسم، وإن كان الجسم أكثر؛ لأنه جمع بين الأمرين: الخلق الجسمي، والخلق الوصفي. ويدل على ذلك على العموم، وأن التصوير محرم باليد، سواءٌ كان تجسيمًا، أم كان تلوينًا عمومًا، فقد لعن النبي ﷺ للمصورين، وعموم لعنه للمصورين يدل على أنه لا فرق بين الصور المجسمة، والملونة التي لا يحصل التصوير فيها إلا بالتلوين فقط. ثم إن هذا هو الأحوط والأولى للمؤمن؛ أن يكون بعيدًا عن الشبه.

ولكن قد يقول قائل: أليس الأحوط في اتباع ما دل عليه النص، لا في اتباع الأشد؟ نقول: صحيحٌ أن الأحوط في اتباع ما دل عليه النص، لا اتباع الأشد، لكن إذا وجد لفظٌ عام يمكن أن يتناول هذا وهذا فالأحوط الأخذ بعمومه، وهذا ينطبق تمامًا على أحاديث التصوير، فلا يجوز للإنسان أن يرسم صورة ما فيه روح، لا إنسانًا، ولا حيوانًا آخر؛ لأنه داخلٌ في لعن المصورين.

***

(٤٢٠) يقول السائل ح. ح: أنا شاب أحب التصوير، والاحتفاظ بالصور، ولا تمر مناسبة إلا وألتقط الصور للذكرى، وهذه الصورة أحفظها

---

(١) تقدم تخريجه.

داخل الألبوم، وقد تمر شهور دون أن أفتح هذا الألبوم وأنظر للصور. ما حكم هذه الصور التي أصورها وأحتفظ بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواجب عليك أن تتوب إلى الله -عز وجل- مما صنعت، وأن تحرق جميع الصور التي تحتفظ بها الآن؛ لأنه لا يجوز الاحتفاظ بالصور للذكرى، فعليك أن تحرقها من حين أن تسمع كلامي هذا. وأسأل الله لي ولك الهداية، والعصمة مما يكره.

***

(٤٢١) يقول السائل: **بعض الطلاب الذين يذاكرون في المسجد يحضرون كتبًا فيها صور، فما الحكم في ذلك؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحكم أنه ينبغي للإنسان إذا أراد أن يذاكر الدروس في المسجد التي ليس فيها صور، وذلك لأنه إذا أحضر صورة إلى المسجد فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، لكن هذه الصور التي تكون في المقررات غالبها يكون قد أغلق عليه الكتاب، فهو غير ظاهر ولا بارز، ثم إن بعضًا منها يكون فيه صورة الرأس فقط دون بقية الجسم، والصورة التي تحرم إنما هي ما يعرف أنها صورة، لوجود الجسم كله، أو غالبه.

***

(٤٢٢) يقول السائل ع. أ. من جدة: **ما حكم الشرع في نظركم في لُعب الأطفال؟ حيث إن لدي طفلة متعلقة بهذه الألعاب، وهي عبارة عن قطعة من القماش مخيطة ومحشوة من القطن، فتبدو كأنها طفلة، فابنتي تلاعب هذه اللعبة، وكأنها طفلة صغيرة، حاولت أن أبعدها عن مثل هذه الألعاب خشية أن يكون فيها محظور، فأرجو توضيح المسألة.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لعب الأطفال قد جاءت بها السُّنة من حيث العموم، فإن عائشة رضي الله عنها كان لها بنات -أي: لعب تلعب بهن- في عهد النبي ﷺ. وإذا كانت هذه اللعبة لا تمثل الصورة الكاملة، وإنما هي قطن، أو صوف،

أو نحوه، محشو وفي أعلاها نقط، على أنها عضو، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا لا بأس فيه، ولا حرج فيه.

والصبية تلعب بهذه اللعبة، وتتسلى بها، وتفرح بها وتخدمها خدمة بليغة، فتجعل لها فراشًا ووسادة، وتجعلها في أيام الصيف تحت المروحة لتروح عليها، وفي أيام الشتاء تغطيها بالغطاءات، وربما وضعتها أمام المكيف للتدفئة في الشتاء، أو للتبريد في الصيف، فهي تشعر كأنها بنت حقيقية، ولا شك أن هذا يعطيها تعليمًا لتربية الأولاد في المستقبل، ويعطيها أيضًا حنانًا على من يكون طفلًا لها حقيقةً، ويعطيها تسلية وفرحًا وسرورًا، ولهذا تجدها تخاطبها مخاطبة العاقل، فمن أجل هذه المصالح أباح الشارع مثل هذه.

أما اللعب التي تمثل الصورة وكأنها حقيقة؛ لها رأس وأنف وعين، و ربما يكون لها حركات مشي، أو أصوات، وما أشبه ذلك، فإن الواجب لمن ابتلي بشيء من هذا أن يغير الصورة، بحيث يدنيها من النار حتى تلين، ثم يضغط عليها حتى تذهب ملامح الوجه، ولا يتبين أنها مثل الصورة الحقيقية.

ومن العلماء من يتساهل في هذا الأمر، مستدلًّا بعموم الحالات، لا بعموم اللفظ؛ لأنه ليس هناك لفظ عام؛ لأن المقصود بهذه الصور تسلية الصبية، وما أشرنا إليه من المصالح السابقة، ولكن كون الإنسان يدع الأشياء التي فيها شكٌّ أولى من كونه يمارسها.

***

(٤٢٣) يقول السائل: أنا بائع في بقالة، يبيع ويشتري في لعب الأطفال، التي تحتوي على صور ذات الروح؛ مثل القرود والطيور والقطط إلى غير ذلك، فما الحكم في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأصل في الصور المجسمة للحيوانات التحريم، وأنه لا يجوز اقتناؤها، لا للصغار، ولا للكبار، وإذا لم يجز اقتناؤها لم يجز بيعها وشراؤها؛ لأن الله تعالى إذا حرم شيئًا حرم ثمنه، لكن بعض أهل

العلم رخص في اللعب التي تتخذ للبنت الصغيرة؛ من أجل أن تتعود على تربية البنات، فيما لو رزقها الله تعالى بنتًا.

فمنهم من قال: إن هذه الصور المرخص فيها يجب ألَّا تكون على شكل الصورة الحقيقية، فلا يكون لها عينان، ولا أنف، ولا شفتان، ولا وجهٌ، إلا مطموسًا كالظل. ومنهم من قال: إنه لا بأس أن تكون الصورة التي ستلعب بها البنت على شكل الصورة الحقيقية؛ لأن المقصود حاصل بهذا وبهذا.

وأنا لا أشدد في هذه المسألة، فأقول: إن تمكن أولياء البنت الصغيرة أن يأتوا لها بلعب ليس لها وجه بين فهي كالظل فهو أولى وأحسن، أما صور الحيوانات الأُخرى، كالخيل والطيور وما أشبهها، فالأصل منعها، وعدم جوازها، وجواز اقتنائها، وبناءً عليه لا يجوز بيعها وشراؤها.

***

(٤٢٤) يقول السائل: أنا أسأل عن اللعب المجسمة التي للأطفال، الخاصة بالأولاد، كالدمى والدبب، ما حكم جلبها للأولاد حتى يلعبوا بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما من جهة الصور المجسمة من غير الأطفال، كصورة الدب والجمل والذئب والأسد وما أشبه ذلك، فهذه لا تجوز؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة. وأما لعب البنات فلا أشدد فيها؛ لأنه قد كان لعائشة لعب تلعب بهن، وإن كانت اللعب التي في زمن عائشة ليست كاللعب الموجودة الآن؛ لأنها الآن متقنة تمامًا حتى كأنها بشر، ومع ذلك لا أشدد فيها.

فإن حصل اللعبة المعروفة، التي من القطن وشبهه، كالتي استحدثت أخيرًا، فهذا أحسن، وإن لم يحصل فلا أقول: إن في جلبها للبنات الصغار إثمًا. لأن هذا يعودها الرأفة والرحمة بالأطفال، ولذلك أسمع أن بعض البنات الصغار يكون لها لعبة، ثم تأتي بها أمام المكيف، وتشغله وتقول: أريد من بنتي أن تبرد، الجو حار. وربما ترشها بالماء لتبريدها، مما يدل على أن لها تأثيرًا في خلق المرأة، وتربية أبنائها في المستقبل.

***

(٤٢٥) يقول السائل: هل يجوز إلباس الطفل ملابس فيها صور؟ وكيف نتخلص منها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الصور التي ليس لها رأس فلا بأس بإلباس الصبي منها، أي من الثياب التي فيها هذه الصور، وكذلك الرأس بلا جسم، إلا إذا كان الرأس من المعظَّمِين في الكفر، أو في الفسوق، أو في الفجور، فإنه لا يجوز تعظيم هؤلاء، ولا إحياء ذكراهم؛ لأنهم من دعاة الشر. لكن إذا كانت رأس إنسان مجهول، لا يعلم من هو، وليس فيه فتنة، فلا بأس به؛ بإلباس الصبي ثيابًا من هذا النوع. وأما الصور الكاملة فإنه لا يجوز إلباس الصبي من الثياب التي فيها هذه الصور. وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أنه يحرم إلباس الصبي ما يحرم على البالغ.

أما عن كيفية التخلص منها، فالتخلص سهل؛ بألَّا يشتريها الإنسان، وأن يقاطعها الناس، وإذا قاطعها الناس لن ترد على بلادنا؛ لأنها لم ترد إلا حين شغف الناس بها، وصاروا يستعملونها، فلو هجرت، ولم تستعمل، ما وردت إلى البلاد.

فإذا قيل: لا نجد في السوق ثيابًا جاهزة إلا وفيها هذه الصور. قلنا: لكن يوجد -والحمد لله- في السوق قطع من القماش لم تفصل بعد، فيشتري الإنسان قطعة، ويفصلها عند الخياط، على قدر الحجم الذي يريده.

***

(٤٢٦) يقول السائل: ما الحكم الشرعي في اقتناء لعب الأطفال المجسمة من ذوات الأرواح؟ وما الحكم في بيعها وأكل ثمنها؟ وما الحكم في تعليقها في المنزل للزينة، أو وضعها في أماكن مخصصة للتحف والزينات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه ثلاث مسائل حقيقة في هذا السؤال:

المسألة الأولى: ما حكم لعب الأطفال بهذه الصورة المجسمة؟ فهذه محل نظر؛ فمن رأى الأخذ بالعموم في جواز اللعب بالبنات للصغار، كما ورد أن

عائشة رضي الله عنها كانت تلعب بالبنات في عهد النبي ﷺ، وكانت صغيرة، والرسول -عليه الصلاة والسلام- لم ينهها، قال: إن أخذها بالعموم يقتضي أن نعمل به، حتى في هذه الصور المجسمة الدقيقة الصنع.

ومن رأى أن اللعب التي كانت تلعب بها عائشة ليست كاللعب الموجودة الآن في دقة صناعتها قال: إن هذا ممنوع. ولا شك أن الأحوط أن يتجنب الإنسان ما فيه شبهة، وفي هذه الحال يمكنه أن يبقي هذه الألعاب بين أيدي الصبيان، ولكن يلينها في الماء، ثم يغمز وجوهها؛ حتى تتغير خلقتها، ولا يبقى لها صورة وجه كاملة، وحينئذ يلعب بها الصبيان. على أن الخير من ذلك والأولى أن يأتي لهم بألعاب أخرى، كالسيارات، والطيارات، والحمالات، وما أشبهها، مما يلعبون به بدون أي شبهة.

المسألة الثانية: تعليق هذه الصور المجسمة أو وضعها في الأماكن للزينة، أو الاحتفاظ بها: فهذا محرم، ولا يجوز، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ**»[1]. فعلى المرء أن يتقي ربه، وأن يبعد عن هذه السفاسف. ومن المؤسف أن مِن الناس الذين يعتبرون مِن العقلاء مَن نزلوا بأنفسهم إلى حظيرة الصبيان؛ حيث إنك قد ترى، أو تسمع، أن في مجالسهم صورَ إبل، أو صور فيلة، أو صور أسود، وما أشبه ذلك، موضوعة على الأرفف للتجمل والزينة، وهذا حرام عليهم، ولا يحل لهم، والواجب عليهم إتلاف هذه الصور، وإذا أبوا إلا أن تبقى فإنه يجب عليهم إزالة رءوسها، فإذا أزالوا الرأس فإنه يحل إبقاؤها.

المسألة الثالثة: بيع هذه الصورة المجسمة: وبيع هذه الصور المجسمة لا يجوز، وشراؤها حرام، وثمنها محرم؛ لأنها تفضي إلى محرم، وما كان مفضيًا إلى محرم فإنه محرم، كما أن وجودها في المكان، ولو لعرضها للبيع والشراء، يمنع

---

(١) تقدم تخريجه.

دخول الملائكة إلى هذا المكان، وكل مكان لا تدخل فيه الملائكة فإنه ينزع منه الخير والبركة.

***

(٤٢٧) يقول السائل: هل يدخل تحت هذا الحكم بيع لعب الأطفال المسمى بالعرائس مثلًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم يدخل في ذلك، كما ذكرت لك أن العلماء اختلفوا في جوازها؛ نظرًا لدقة صنعها، وإحكامه وإتقانه، فقال بعضهم: إن هذه الدقة المتناهية، التي تجعلها كأنها صورة حقيقية، تمنع من إلحاقها بالبنات، التي كانت تلعب بها عائشة. وما دامت المسألة في هذه الحال فإننا نرى أنه لا يجوز له أن يشتريها، أو يعرضها للبيع.

***

(٤٢٨) يقول السائل: في بيوتنا صور كثيرة من المجلات والعلب وغيرها، فهل تمتنع الملائكة من دخولها، علمًا بأننا لا نريدها، ولكن يصعب علينا أن نزيلها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الظاهر أن هذه الصور لا تمنع دخول الملائكة؛ وذلك لأنها غير مقصودة، ولا مأبوه بها، والإنسان لا يهتم بها، ولا بالنظر إليها، ووجودها وعدمها عنده سواء. فالظاهر أن الملائكة لا تمتنع من دخول البيت الذي هي فيه؛ لأن امتناع دخول الملائكة فيه نوع عقوبة على صاحب البيت، ولا عقوبة على شيء لا يحرم عليه.

ومع ذلك فالتنزه عنها أولى، والبعد عنها أولى، ولكننا لا نقول: إن ذلك حرام -أي بقاءها في البيت حرام- لما أشرنا إليه آنفًا؛ من أنها غير مقصودة، والتحرز منها فيه مشقة على الناس، ودخول الملائكة البيت إذا لم توجد فيه هذه الصور لا إشكال فيه، لكن إذا وجدت فيه هذه الصور ففيه إشكال، ولكن الظاهر -والله أعلم- أنها لا تمتنع من دخوله؛ لأن اقتناءها على هذا الوجه ليس مقصودًا به الصورة.

***

(٤٢٩) يقول السائل أ. ق. ج. من بلد إسلامي: ما حكم التقاط الصور التذكارية في المشاعر المقدسة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التقاط الصور التذكارية إذا كانت صور آدميين فإنه لا يجوز، أو حيوانات كالإبل مثلًا فإنه لا يجوز؛ لأن فيه اقتناءً للصور، والنبي ﷺ أخبر أن «**المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ**»[1]. إلا ما استثني من الصور، وهو: ما اتخذ فراشًا ومخدة وما أشبه ذلك، مما يمتهن، وأما هذه الصور التذكارية للحيوانات والإنسان فإنها لا يجوز اقتناؤها في كل حال.

وأما إذا كانت الصور التذكارية للكعبة مثلًا، أو لجبال منى، أو لجبل عرفة، أو لمسجد نمرة، أو لمسجد المزدلفة، أو لمسجد الخيف في منى، فإن هذا لا بأس به، ما لم يؤد ذلك إلى محظورٍ شرعي، فإن أدى ذلك إلى محظور شرعي فإنه لا يجوز، وإلا فالأصل الإباحة.

يقول السائل: هل مثل الصور لهذه المساجد لا بد أن يكون فيها رجال أو نساء أو مخلوقات؛ لأنها لا يتصور أن تخلو من الناس؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم من الممكن إذا ظهرت الصورة وفيها صور آدمي أن يطمس وجوهها، وحينئذ تبقى سليمة.

۞۞۞

---

(١) تقدم تخريجه.

۞ البدعة ۞

(٤٣٠) يقول السائل ط. س. ع: ما البدعة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدعة في الشرع هي: أن يتعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه من عقيدة، أو قول، أو فعل. هذه هي البدعة. لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهو يخطب في الناس يوم الجمعة: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١). فدلَّ هذا على أن المحدثة كل ما خالف السنة وهدي النبي ﷺ. فالبدعة إذًا هي: أن يتعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه من عقيدة، أو قول، أو فعل.

البدعة في العقيدة: مثاله: ما ذهب إليه أهل التعطيل، الذين أنكروا كثيرًا من صفات الله تعالى، التي وصف بها نفسه.

مثاله قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. قالوا: نحن لا نتعبد لله بأن الله يجيء بنفسه، ولا نعتقد بذلك، بل عقيدتنا أن الذي يجيء أمره. فيفسرون قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾. بأن المراد: جاء أمر ربك، ويعتقدون أن الجائي هو أمر الله لا الله، وهذه بدعة؛ لأن الله تعالى لما خاطبنا بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾. وكان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، فإن مقتضى هذه العبارة في اللسان العربي المبين أن يكون الجائي هو الله لا غيره، ويكون المشروع لنا أن نؤمن بأن الله يجيء هو بنفسه، فإذا اعتقدنا أن الذي يجيء أمره، وأن معنى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ وجاء أمر ربك. فهذا بدعة بلا شك، وكل بدعة ضلالة.

كذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. معناها: علا العرشَ كما يليق بعظمته وجلاله، وذلك أن هذا الفعل «استوى» إذا عدي

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

بـ «على» صار معناه العلو على الشيء، كما قال الله تعالى لنوح: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]. أي: ركبت عليه. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]. أي لتعلوا على ظهوره، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا علوتم عليه. وقال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤]. يعني سفينة نوح، أي: استقرت عليه، على الجبل المعروف بالجودي. هذا معنى هذه الكلمة في اللغة العربية، والقرآن نزل باللغة العربية بلسان عربي مبين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. أي: صيرناه باللغة العربية حتى تعقلوه، ولو تكلم الله به باللغة الفارسية، وهو يخاطب العرب، لكان هذا خلاف البيان، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. فنقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: على العرش علا، لكنه ليس كعلونا على ظهور بهيمة الأنعام، أو على الفلك، أو كعلو السفينة على الجودي، لا؛ لأنه استواء مضاف إلى الله -عز وجل-، فيكون استواء يليق بجلاله وعظمته، ولا يماثل استواء المخلوق على المخلوق، فالله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فيأتي الإنسان ويقول: أنا لا أعتقد أن الله استوى على العرش بمعنى علا عليه، ولكني أقول: استوى على العرش، أي استولى عليه، فأنا أؤمن بأنه مستولٍ على العرش، لا مستوٍ عليه. فنقول: هذا بدعة؛ لأن الله تعالى لم يخاطبك لتؤمن بأنه مستولٍ على العرش، إنما خاطبك لتؤمن أنه مستوٍ عليه، فقد تعبدتَ لله بما لم يشرعه، واعتقدت في الله ما لم يرد بهذه الآية الكريمة.

هذان مثالان من البدعة، والأمثلة عن هذا كثيرة؛ فكل من خالف ظاهر الكتاب والسنة، فيما يتعلق بصفات الله، أو فيما يتعلق بأمور الغيب عامة، بدون دليل شرعي، فإنه مبتدع.

البدعة في الأقوال: وأما هذه فحدث ولا حرج؛ فكثير من الناس يبتدع أقوالًا لم تكن مشروعة؛ إما في القدر، أو في الجنس، أو في الوقت، أو في السبب؛ وذلك لأن العمل لا يكون عبادة حتى يوافق الشرع في أمور ستة: في جنس العمل، وفي قدره، وفي كيفيته، وفي سببه، وفي زمانه، وفي مكانه. حتى لو ذكرت الله -عز وجل- في غير موضع مشروع فيه الذكر لكنت مبتدعًا.

فلو كنت إذا أردت أن تأكل فقلت: لا إله إلا الله. تتعبد لله بها كما يتعبد الآكل بقوله: باسم الله. لقلنا لك: أنت مبتدع. قلت: كيف أكون مبتدعًا، وأنا أذكر الله؟ فكلمة: لا إله إلا الله كلمة الإخلاص. نقول: نعم، ولكن ليس هذا مكانها، فأنت لم توافق الشرع في مكان العبادة هذه، فتكون مبتدعًا.

ولو أن الإنسان ذبح أضحيته في يوم عيد الأضحى قبل الصلاة متعبدًا لله بذلك، مع علمه بأن المشروع في الأضحية أن تكون بعد الصلاة لقلنا: هذا مبتدع؛ لأنه أتى بالعبادة في غير وقتها. ولو وقف بعرفة في غير يوم عرفة متعبدًا لله بهذا الوقوف لقلنا: هذا مبتدع؛ لأنه أتى بالوقوف في غير زمنه. ولو حبس الإنسان نفسه على طاعة الله، لكن في حجرة من بيته، يريد بذلك الاعتكاف قلنا: هذا مبتدع؛ لأن الاعتكاف إنما يكون في المساجد؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

البدعة في الأفعال: وهي كثيرة، فحدث ولا حرج.

لهذا نقول: القاعدة العامة في البدعة هي: أن يتعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه من عقيدة، أو قول، أو فعل. فإذا قال قائل: هل كل البدع مذمومة؟ نقول: نعم، كل البدع مذمومة؛ لقول أعلم الخلق، وأصدق الخلق، وأنصح الخلق محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]. وهذه

---

(١) تقدم تخريجه.

جملة من صيغ العموم، التي هي من أقوى الصيغ، صادرة ممن هو أعلم الخلق بشرع الله، وأصدق الخلق فيما يقول، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفصح الخلق في نطقه، فقد قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». فلم يقسمها إلى بدعة حسنة، ولا بدعة سيئة، كل بدعة ضلالة، والضلالة سوء بلا شك، وأعتقد أنه لو كتبت هذه الجملة في كتاب، وكتب في كتاب آخر: البدعة نوعان، أو ثلاثة أنواع. لكان الذي يحكي الأقوال سيقول: قال فلان: كل بدعة ضلالة. وقسمها فلان إلى أقسام، فجعل القول الأول مقابلًا للقول الثاني، ولم يجعل الثاني تقسيمًا للأول، بل جعله قسيمًا له

فإذا كان هذا يحصل في كلام العلماء بعضهم مع بعض أن من قال: كل بدعة ضلالة. فليس هو كقول من قال: إن البدعة تنقسم إلى كذا وكذا. بل هو قول مقابل له قسيم له، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال -وهو الحاكم على كل قول من البشر-: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». بدون تفصيل ولا تقسيم. ولهذا نقول فيمن قسم البدعة إلى قسمين: حسنة وسيئة: هذا التقسيم خطأ؛ لأنه مصادم للنص، وما صادم النص فهو فاسد مردود على صاحبه. ولهذا قال العلماء: إن القياس إذا خالف النص فهو فاسد الاعتبار.

ثم نقول لهذا الذي قسم البدعة إلى قسمين أو أكثر: إما أن يكون ما ذكرته ليس ببدعة، فينتفي عنه وصف البدعة، ثم قد يكون حسنًا، وقد يكون سيئًا؛ وإما أن يكون بدعة، ولكنه ليس بحسن، وظنك أنه حسن ظن خاطئ؛ لأنه مصادم للنص.

فإن قال قائل: أليس قد روي عن عمر رضي الله عنه أنه حين جعل الناس في رمضان في القيام على إمام واحد خرج ذات ليلة فقال: «**نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِه**»[1]؟ قلنا: بلى، قد صح ذلك عن عمر رضي الله عنه، ولكن عمر رضي الله عنه سماها بدعة باعتبار ما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، رقم (٢٠١٠).

سبقها من تفرق الناس، وإلا فهي سُنة، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه جماعة في رمضان ثلاث ليال، ثم تركها وقال: «**خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**»(١). فلما زال هذا المحظور -وهو أن تفرض علينا- صارت إعادتها سنة، فهو في الحقيقة تجديد سنة، وليس إحداث سنة، فهي بدعة إذًا باعتبار ما سبق من كون الناس يصلون أوزاعًا.

فإن قال قائل: لماذا غفل عنها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في أول خلافته؟ قلنا: لا غرابة في ذلك، أبو بكر رضي الله عنه مدة خلافته قصيرة، فهي سنتان وأربعة أشهر وأيام، وكان رضي الله عنه مشغولًا بشئون المسلمين التي هي أكبر من هذا، أكبر من أن يجتمعوا في رمضان على إمام واحد؛ لأن أصل قيام رمضان سُنة، ثم الاجتماع عليه سنة، فهو سُنة في سُنة، وأبو بكر مشغول بأمور المسلمين العامة داخل المدينة وخارجها، فلا غرابة ألَّا تطرأ هذه على باله، لا في خلافته، ولا في خلافة عمر رضي الله عنه، وبهذا بطل تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة.

فإن قال قائل: كيف نجيب عن قول النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٢)؟ نقول: البدعة داخلة في قوله: ومن سن في الإسلام سنة سيئة، والدليل على هذا أن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». إذًا فمن ابتدع في الدين شيئًا فقد أساء، فيدخل في الجملة الثانية: «**وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**». أما الجملة الأولى: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**» فقد يراد: من بادر إلى فعلها.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم (٩٢٤). ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم (٧٦١).

(٢) تقدم تخريجه.

فيكون السَّن هنا بمعنى الامتثال؛ لأن الإنسان إذا امتثل فتح الطريق للناس، ويدل لهذا أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال ذلك حين حث المسلمين على الصدقة، فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت يده أن تعجز عنها، فألقاها إلى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**».

وهذا واضح في أن المراد من ابتدأ العمل بأمر مشروع فإنه يعتبر سانًّا له، أي قد سن الطريق للناس أن يقتدوا به، وهذا معروف بالفطرة والعادة؛ أن الإنسان يتأسى بغيره، وإذا رأى فلانًا فعل فعل مثله، أي يحمل على أن المراد: من سن في الإسلام سنة حسنة، أي: من سن شيئًا من الوسائل التي يكون فيها تحقيقٌ للمصالح الشرعية فهذه سُنة لا شك.

فمثلًا: سن تأليف الكتب، وتأليف الكتب غير موجود في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، القرآن نفسه لم يكن مكتوبًا على هيئته اليوم في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فقد أُخذ من صدور الرجال، ومما كتب في عسب النخل، واللخاف -وهي الحجارة الخفيفة- وما أشبه ذلك، لكن جُمع في مصحف واحد في عهد عثمان، وهذه سنة حسنة؛ لأنها وسيلة لاجتماع الناس على أمر مشروع. وبناء المدارس غير موجود في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وإن كان فيه الصُّفة لفقراء المهاجرين، لكنها ليست على الشكل، وهذه من السنة الحسنة؛ لأنها وسيلة من باب الوسائل إلى تحصيل أمر مشروع، فهذا هو الذي يحمل عليه قول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ**»[1].

ولا يمكن أن يراد بها: من شرع شريعة لم يشرعها الله ورسوله؛ لأنه لو كان هذا هو المراد لكان يناقض قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وكلام النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يفسر بعضه بعضًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

وإنما أطلت في جواب هذا السؤال؛ لأنه مهم، ولأن كثيرًا من الناس قد تشتبه عليه بعض النصوص، وكيفية الجمع بينها، فكان لا بد من الإيضاح.

ثم إني في ختام هذا الجواب أقول لإخواني -وأخص بذلك طلبة العلم-: إذا جاءتهم نصوص مشتبهة تحتمل معانيَ متعددة، سواء كانت من القرآن، أم من السنة، فإن الواجب حملها على المحكم الواضح، الذي لا اشتباه فيه، فتحمل على الاحتمال الذي يوافق ذلك المحكم، وتلغى الاحتمالات الأخرى، حتى ولو كان احتمال هذا النص المشتبه لهذه الاحتمالات على حدٍّ سواء، فإن النصوص المحكمة ترجح أحد الاحتمالات، وهو ما وافق النصوص المحكمة.

وهذه الطريقة -أعني رد المتشابه إلى المحكم- هي طريقة الراسخين في العلم المؤمنين بالله وكتبه، يقول الله -عز وجل-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]. ﴿ مِنْهُ ﴾: أي بعضه، فـ«مِن» هنا للتبعيض. ﴿ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾: أي لا اشتباه فيها. ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: أي مرجع الكتاب الذي يجب أن يرد إليه ما تشابه. ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ فيها احتمالات. ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ميل عن الحق. ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾: فيأتون بالمتشابه ليضربوا القرآن بعضه ببعض، فيجعلوه متشابهًا. وأما ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾. إيمانهم به يقتضي أن يردوا المتشابه إلى المحكم؛ حتى يكون محكمًا. ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ يعني: فلا تناقض فيه. ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

فهناك آيات مشتبهة تشتبه على القارئ، قد تشتبه على طالب العلم الذي لم يدرك، لكن الواجب رد هذه المتشابهات إلى المحكم لتكون محكمة. ولا حاجة أن أذكر شيئًا من الأمثلة على ذلك، أخشى أن يطول بنا الوقت أكثر مما ينبغي أن يستوعبه السامع، وأسأل الله أن يميتنا على سنة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(٤٣١) يقول السائل: متى ظهرت البدعة؟ ومتى عرفت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدع ظهرت في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، لكن تجدها بدعًا في مسائل معينة، ثم انتشرت حتى وصلت إلى العقيدة في الله -عز وجل-.

فقد ظهر في عهد الصحابة رضي الله عنهم بدعة القدر، وهو: إنكار قدر الله -عز وجل- فيما يتعلق بأعمال المخلوق. وجاءت بدعة الإرجاء، ثم جاءت بدعة الجهمية، وهي: إنكار الصفات أو بعضها. ومن أراد أن يستزيد من ذلك فليرجع إلى مظانه من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أو تلميذه ابن القيم رحمه الله.

***

(٤٣٢) يقول السائل: ما البدعة؟ وهل لها أقسام؟ وكيف أعرف أن هذا العمل مُبتدَع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدعة في اللغة: كل شيء يأتي به الإنسان لم يسبقه إليه أحد. هذه هي البدعة، سواءٌ كان في العادات، أم في المعاملات، أم في العبادات. ولكن البدعة الشرعية المذمومة هي البدعة في العبادات، بأن يتعبد الإنسان لله -عز وجل- بما لم يشرعه، سواءٌ كانت هذه العبادة تتعلق بالعقيدة، أم تتعلق بقول اللسان، أم تتعلق بأفعال الجوارح. فالبدعة شرعًا هي: التعبد لله بما لم يشرعه.

وبناءً على ذلك نقول: إذا كان الشيء يفعل، لا على سبيل التعبد، وإنما هو من العادات، ولم يرد نهيٌ عنه فالأصل فيه الإباحة، وأما ما قصد الإنسان به التعبد، والتقرب إلى الله، فإن هذا لا يجوز، إلا إذا ثبت أنه مشروع. هذه هي القاعدة في البدعة.

وأما تقسيم بعض العلماء -رحمهم الله- البدعة إلى أقسام، فإن هذا التقسيم لا يرد على البدعة الشرعية؛ لأن البدعة الشرعية ليس فيها تقسيم

إطلاقًا، بل هي قسمٌ واحد، حدده رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حيث قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[١]. وجميع من يعرف اللغة العربية وأساليبها يعلم أن هذه الجملة جملةٌ عامة شاملة، لا يستثنى منها شيء، فكل بدعةٍ ضلالة، والقائل هو رسول الله ﷺ. وهذه من قواعد الشريعة.

ولكن إذا ظن ظانٌّ أن هذه بدعة، وأنها حسنة، فهو مخطئٌ في أحد الوجهين: إما أنها ليست ببدعة، وهو يظن أنها بدعة، كما لو قال: تصنيف السنة وتبويبها هذا بدعة، لكنه بدعةٌ حسنة. أو قال: بناء المدارس بدعة، لكنه بدعةٌ حسنة. أو ما أشبه ذلك، نقول: أنت أخطأت في تسمية ذلك بدعة؛ لأن فاعل ذلك لا يتقرب إلى الله تعالى بالفعل نفسه، لكن يتقرب إلى الله بكونه وسيلةً إلى تحقيق أمرٍ مشروع. فتصنيف الكتب -مثلًا- وسيلة إلى تقريب السنة، وتقريب العلم، فالمقصود أولًا وآخرًا هو السنة، وتقريبها للناس، وهذا التصنيف وسيلة إلى قربها إلى الناس، فلا يكون بدعةً شرعًا؛ لأنك لو سألت المصنف فقلت: تصنف هذا الكتاب على أبواب وفصول، تتعبد إلى الله به، بحيث ترى أن من خالفه خالف الشريعة؟ أو تتقرب إلى الله تعالى بكونه وسيلةً إلى مقصودٍ شرعي، وهو: تقريب السنة للأمة؟ فسيقول: إني أقصد الثاني، لا أقصد الأول.

وبناءً على هذا نقول: إن تصنيف الكتب ليس ببدعةٍ شرعية، كذلك أيضًا بناء المدارس للطلاب، فهذا أيضًا ليس موجودًا في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لكنه وسيلةٌ إلى أمرٍ مقصودٍ للشرع، وهو: القيام بمعونة للطالب ليتفرغ للعلم، فهو ليس في ذاته عبادة، ولكنه وسيلة. ولهذا تجد الناس يختلفون في بناء المدارس؛ بعضهم يبنيها على هذه الكيفية، وبعضهم يبنيها على هذه الكيفية، ولا يرى أحد الطرفين أن الآخر مبتدعٌ؛ لكونه أتى بها على وجه مخالف للمدرسة الأخرى؛ لأن الكل يعتقد أن هذه وسيلة ليست مقصودةً لذاتها، إذًا هذا ليس ببدعة، لكنه وسيلةٌ إلى عملٍ مشروع.

---

(١) تقدم تخريجه.

ولو قال قائل: أنا أريد في الليلة -التي يزعمون أنها الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ أن أُحدِث صلوات على الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وثناءً عليه، وأحتفل بهذه الليلة؛ لأن الثناء على الرسول -عليه الصلاة والسلام-، والصلاة عليه، عبادة لا شك، فأفعل هذا إحياءً لذكراه، وهذا حسن إحياء ذكرى الرسول في القلوب حسن، فتكون هذه بدعة حسنة. فنقول: هذه بدعة؛ لأنها نفسها قربة، فالصلاة على الرسول -عليه الصلاة والسلام- قربة، والثناء عليه قربة، وإحياء ذكراه في القلوب قربة؛ لكن تخصيصها في هذا الوقت المعين بدعة؛ لأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لم يفعله، ولم يسنه لأمته، لا بقوله، ولا بإقراره، ولا بفعله، وكذلك الخلفاء الراشدون، ولم تحدث بدعة الاحتفال بالمولد إلا في القرن الرابع، بعد مضي ثلاثمائة سنة من الهجرة، وعلى هذا فإذا قال لنا هذا الرجل: هذه بدعة حسنة. قلنا: صدقت في قولك: إنها بدعة، ولكنها ليست بحسنة؛ لأنها عبادةٌ على غير ما شرع الله ورسوله. وبهذا علمنا أن من قال: إن من البدع ما هو حسن فإنه مخطئٌ في أحد الوجهين:

١- إما أنه ليس ببدعة وهو حسن -كما مثلنا- في تصنيف الكتب وبناء المدارس، وما أشبه ذلك، هو حسن، لكنه ليس ببدعة؛ لأن الإنسان لا يتعبد لله تعالى بهذا الشيء.

٢- إما أنه بدعة، لكنه ليس بحسن، كالاحتفال بمولد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فإنه لا شك أن الصلاة على النبي ﷺ وذكره بالثناء الحسن بدون غلوٍّ لا شك أنه قربى إلى الله -عز وجل-، سواءٌ فعل في تلك الليلة، أم في غيرها، فتخصيصه في تلك الليلة يكون بدعة، وهو غير حسن؛ لأنه لم يكن مشروعًا في عهد النبي ﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين، ولا الصحابة، ولا التابعين، مع أن الشريعة انقطعت بوفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أي انقطع التغيير والتجديد فيها والحذف بوفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام-،

إلا ما كان داخلًا تحت القواعد الشرعية، فهذا يكون قد أتت به الشريعة من قبل وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

وعلى هذا فلا تقسيم للبدعة، فكل بدعةٍ في الدين فإنها ضلالة، كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ومن المعلوم لنا جميعًا أن رسول الله ﷺ أعلم الناس بشريعة الله، وأنه ﷺ أنصح الخلق لعباد الله، وأنه ﷺ أفصح الخلق في بيانه وبلاغته، إذا كان كلامه صادرًا عن علم تام، وعن نصحٍ تام، وعن بلاغةٍ تامة، فكيف يمكن أن نقول: إن من البدع ما هو حسن، وهو قد قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»؟ وليعلم أن كلام الله وكلام رسوله مشتملٌ على الأوصاف التي توجب القبول بدون ترد:

أولها: العلم.

ثانيها: الصدق.

ثالثها: الإرادة.

رابعها: البلاغة.

هذه مقومات الأخبار وموجبات صدقها، فكلام الله وكلام رسوله لا شك أنه عن علم، وكلام الله وكلام رسوله ﷺ لا شك أنه عن إرادة خير، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]. وكلام الله وكلام رسوله في غاية الصدق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وكلام الله ورسوله أبلغ الكلام، وأفصح الكلام، فأفصح الكلام وأبلغه كلام الله، وأفصح كلام الخلق وأبلغه كلام رسول الله ﷺ.

***

(٤٣٣) يقول السائل خ. خ. من جمهورية مصر العربية: ما أقوال الفقهاء في البدعة؟ وهل هناك بدعة حسنة وأخرى سيئة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدعة هي: أن يتعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه من عقيدة، أو قول، أو فعل.

فالبدعة في العقيدة: أن يخالف ما كان عليه السلف الصالح، سواء كان ذلك في ذات الله -عز وجل-، أم في صفاته وأفعاله. فمن قال: إن الله تعالى ليس له يد حقيقة، ولكن يده هي قوته، أو قدرته، أو نعمته، كان مبتدعًا. أي: قال قولًا بدعيًّا، وذلك لأن السلف الصالح لم يفسروا اليد التي أضافها الله لنفسه بهذا أبدًا، لم يرد عنهم حرف صحيح، ولا حتى ضعيف، أنهم فسروا اليد بغير ظاهرها. وعلى هذا فيكون السلف مجمعين على أن المراد باليد هي اليد الحقيقية، وذلك أنهم يتلون القرآن، ويقرءون ما جاءت به السنة في هذا، ولم يرد عنهم حرف واحد أنهم صرفوا النص عن ظاهره، وهذا إجماع منهم على أن المراد بظاهره حقيقة ما دل عليه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. فإن معناه إذا تعدت بـ «على»: العلو على الشيء علوًّا خاصًّا، فيكون استواء الله على عرشه أي: علوه -عز وجل- عليه، على وجه خاص، يليق بجلاله وعظمته، ولا نعلم كيفيته.

فمن قال: إن «استوى» بمعنى: استولى وملك وقهر. فقد ابتدع؛ لأنه أتى بقول لم يكن عليه السلف الصالح، ونحن نعلم أن السلف الصالح مجمعون على أن ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: علا عليه العلو الخاص اللائق بجلال الله -عز وجل-، بدون تكييف ولا تمثيل؛ لأنه لم يرد عنهم حرف واحد يخرج هذا اللفظ عن ظاهره، وهذا اللفظ بظاهره معناه ما ذكرنا؛ لأن هذا هو معناه في اللغة العربية التي نزل القرآن بها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]. فاعتقاد ما يخالف عقيدة السلف بدعة.

البدعة في الأقوال: هناك أذكار رتبها مَن رتبها من الناس، وليست على

حسب الترتيب الشرعي الذي جاء عن محمد رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فتكون بدعة، سواء كانت بدعة في صيغتها، أم في هيئتها، أم في هيئة الذاكر عند ذكره، أم غير ذلك.

البدعة في الأفعال: وهناك أيضًا أفعال ابتدعها الناس، فأحدثوا شيئًا لم يكن عليه النبي ﷺ ولا أصحابه من هذه الأفعال، فهذه بدعة.

إذًا فضابط البدعة بالتأكيد هو: أن يتعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه الله؛ إما بعقيدته، أو قوله، أو فعله. هذه هي البدعة، والبدعة لا يمكن تقسيمها إلى: بدعة حسنة، وبدعة سيئة أبدًا، لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(1). ومن المعلوم أن النبي ﷺ أفصح الخلق، وأعلم بما يريد في كلامه، ولا يمكن أن يقول لأمته: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». وهو يريد أن بعض البدع حسن، وبعضها ضلالة، أبدًا؛ لأن من قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». وهو يريد أن البدع منها ما هو حسن، ومنها ما هو ضلالة كان ملبسًا على الناس، غير مبين لهم، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

فلا بلاغ أبلغ من بلاغ رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولم يقسم البدعة إلى قسمين، ولا إلى ثلاثة، ولا إلى أربعة، ولا إلى خمسة، بل جعلها قسمًا واحدًا محاطًا بالكلية العامة: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وما ظن بعض الناس أنه بدعة، وهو حسن، فإنه ليس ببدعة قطعًا، وما ظنوا أنه حسن، وهو بدعة، فليس بحسن، فلا بد أن تنتفي؛ إما البدعة، وإما الْحُسْن. أَمَّا أن يجتمع بدعة وحسن فهذا لا يمكن مع قول رسول الله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

---

(1) تقدم تخريجه.

فإن قال قائل: أليس عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثنى على البدعة في قوله -حين أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يصليا للناس بإحدى عشرة ركعة، فخرج ذات يوم والناس مجتمعون على إمامهم فقال-: «**نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِه**»[1]؟ قلنا: بلى، لكن هل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فعله هذا خالف سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟ لا، لم يخالف، بل أحياها بعد أن كانت متروكة، وذلك أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قام بأصحابه في رمضان ثلاث ليال، أو أربعًا، ثم تخلف، وعلل تخلفه بأنه خشي بأن تفرض علينا، ومعلوم أن هذه الخشية قد زالت بوفاة الرسول ﷺ لأنه لا وحي بعد موته -عليه الصلاة والسلام-، لكن بقي الناس في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يصلون أوزاعًا؛ الرجلان جميعًا، والثلاثة جميعًا، والواحد وحده؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كان مشتغلًا بحروب الردة وغيرها، وكانت مدة خلافته قصيرة: سنتين وأربعة أشهر، أو نحو ذلك.

لكن عمر رضي الله عنه طالت به المدة، وتفرغ لصغار الأمور وكبارها رضي الله عنه وأتى بكل ما يحمد عليه، جزاه الله عن أمة محمد خيرًا، فكان من جملة ما أتى به أنه أعاد تلك السُّنة التي كان النبي ﷺ شرعها لأمته، ولكنه تخلف خوفًا من أن تفرض، فهي بدعة نسبية، أي: بدعة بالنسبة لتركها في المدة ما بين تخلف النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وإعادتها من عمر رضي الله عنه.

لكن هنا مسألة قد يظنها بعض الناس بدعة، وليست ببدعة، وهي: الوسائل التي يتوصل بها إلى مقصود شرعي، فإن هذه قد تكون حادثة بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لكنها لا تعد بدعة؛ لأن المقصود والغاية ما كان مشروعًا، فما كان وسيلة للمشروع فهو منه، والمشروع قد أراد الله ورسوله منَّا أن نفعله بأي وسيلة كانت، إذا لم تكن الوسيلة محرمة لذاتها.

---

(١) تقدم تخريجه.

فتصنيف الكتب مثلًا وترتيب الأبواب والفصول، والكلام على تعريف الرجال، وكتابة الفقه وتبويب المسائل، وما حدث في زمننا أخيرًا من مكبرات الصوت، وآلات الكهرباء وغيرها، فهذه لم تكن معروفة في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لكنها وسيلة لأمر مقصود للشارع أمر به.

فاستماع الخطبة يوم الجمعة مثلًا أمر مأمور به، حتى إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «**مَنْ قَالَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ. فَقَدْ لَغَا**»[1]. فهل نقول: إن اتخاذ مكبر الصوت ليسمع عدد أكبر من البدعة المحرمة أو المكروهة؟ لا نقول هذا، بل لا يصح أن نسميها بدعة أصلًا؛ لأنه وسيلة لفعل سنة، ومن القواعد المقررة عند العلماء أن الوسائل لها أحكام المقاصد.

وخلاصة الجواب أن نقول: البدعة: أن يتعبد الإنسان لله بما لم يشرعه من عقيدة، أو قول، أو فعل. وإن «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». كما قال النبي ﷺ وإن البدعة لا تنقسم إلى حسن وسيئ، وإن الوسائل لأمور مشروعة ليست من البدع، وإنما هي وسائل يتوصل بها إلى أمر مشروع.

***

(٤٣٤) يقول السائل: هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أعوذ بالله! أبدًا لا يوجد بدعة حسنة، وقد قال أعلم الخلق بالشريعة، وأفصح الخلق بالنطق، وأنصح الخلق للخلق، قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[2]. و«كل» من ألفاظ صيغ العموم، بل هي أقوى صيغ العموم. قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». ولم يستثن شيئًا. وما فعله الإنسان وظنه بدعة حسنة:

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الجمعة، باب كراهية الكلام والإمام يخطب، رقم (٥١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

فإما ألَّا يكون بدعة، لكن هو سماه بدعة.

وإما ألا يكون حسنة وهو ظنها حسنة.

أما أن يتفق أنها بدعة وحسنة فهذا مستحيل، ولذلك ننكر على أولئك القوم الذين رتبوا أذكارًا معينة يقولونها في الصباح أو المساء فرادى أو جماعة، ننكر عليهم؛ حيث رتبوا أشياء لم ترد بها السنة، مع أنهم يستحسنونها، ويرون أنها فاضلة.

***

(٤٣٥) يقول السائل: هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا قال هكذا نقول: لا، ليس هناك بدعة حسنة وأخرى سيئة، كيف يمكن أن نقول هذا، وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)]؟ ومن المعلوم أن النبي ﷺ أعلم الخلق بالبدع، وأنه أنصح الخلق للخلق، وأنه أفصح الخلق فيما يقول، فكيف يقول: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». بهذا التعبير العام الشامل، ثم نقول: من البدع ما هو حسن، ومن البدع ما هو قبيح؟ ولكننا نقول: كل بدعة إذا ظنها الإنسان حسنة:

فإما أن لا تكون بدعة، وهو يظن أنها بدعة.

وإما أن لا تكون حسنة، وهو يظن أنها حسنة.

فيكون خطأ؛ إما في الأصل، وإما في الحكم. أي: إما أن تكون غير بدعة، وهو يظن أنها بدعة، وقال: إنها حسنة. وإما أن تكون بدعة، وظنها هو حسنة، وليست بحسنة. فأصحاب الطرق، الذين ابتدعوا في الأذكار ما لم يشرعه الله ورسوله، هؤلاء يظنون أنها حسنة، ويقولون: إنها بدعة حسنة. فنقول له: لا، والله ليست بدعة حسنة، بل ما دمتم اعترفتم بأنها بدعة يجب أن تعترفوا بأنها ضلالة، كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

---

(١) تقدم تخريجه.

فإن قال قائل: ألم يصح عن عمر رضي الله عنه أنه أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يجمعا الناس في رمضان على إمامٍ واحد، وأمر أبيًّا وتميمًا الداري أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة، وخرج ذات ليلة، والناس يصلون بإمامٍ واحدٍ، فقال: «**نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِه**»[1]. فأثنى على هذه البدعة؟ فالجواب: بلى، أمرهم بذلك، وهذه البدعة ليست بدعةً في الواقع؛ لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ثبت عنه أنه صلى بالناس ثلاث ليالٍ في رمضان، ثم تخلف وقال: «**خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**»[2].

إذًا فصلاة قيام رمضان جماعة سنة، لكن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تركها خوفًا من أن تفرض على الأمة فتعجز عنها، وبعد موت النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- زال هذا الخوف، ولا يمكن بعده تشريع، لكن بقي الناس في عهد أبي بكر رضي الله عنه يصلون فرادى ومثنى وثلاث ورباع، ثم إن عمر رضي الله عنه رأى أن يجمعهم على إمام واحد، وقال: «**نِعْمَ البِدْعَةُ**». يعني: باعتبار ما سبقها؛ حيث إن الناس تركوا الجماعة في قيام رمضان، ثم استؤنفت الجماعة، فهي بدعة بالنسبة لما سبقها من تركها، وليست بدعةً مستقلة لم تكن مشروعة من قبل. هذا من وجه.

ومن وجهٍ آخر أنه -وإن سماها بدعة رضي الله عنه فهي من سنته، وسنة الخلفاء الراشدين متبعة، كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ**»[3].

لكن الوجه الأول هو الجواب الذي لا محيد عنه، وهو أن عمر رضي الله عنه سماها بدعة، باعتبار ترك الناس لها، ثم العودة إليها.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٧٣، رقم ١٧١٤٤). وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

(٤٣٦) **يقول السائل**: هل هناك ما يسمى بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يمكن أن يقال عن البدعة في دين الله هي بدعةٌ حسنـة أبدًا، مع قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]. فإن هذه الجملة صدرت من أفصح الخلق محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأنصح الخلق، وأعلم الخلق بشرع الله، وأعلم الخلق بمدلول خطابه، وقد قال هذه الجملة العامة: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

فكيف يأتي إنسانٌ بعد ذلك فيقول: البدعة منها ما هو بدعةٌ سيئة، ومنها ما هو بدعةٌ حسنة؟ وهل هذا إلا خروجٌ بقول رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن ظاهره؟ فالبدعة كلها بدعةٌ سيئة، والبدعة كلها ضلالة.

لكن قد يستحسن الإنسان شيئًا يظنه بدعة، وما هو ببدعة، وقد يستحسن شيئًا، وهو بدعة، يظنه حسنًا، وما هو بحسن، أما أن يجتمع كونه بدعة وكونه حسنًا فهذا لا يمكن أبدًا.

فمثلًا قد يقول القائل: بناء المدارس بدعة؛ لأنها لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ لكنه بدعةٌ حسنة. فنقول: لا شك أن بناء المدارس حسن، لكنه ليس البدعة التي أرادها الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إذ إن بناء المدارس وسيلة لتنظيم الدراسة، وتهيئة الدروس للدارسين، وليس مقصودًا في ذاته، بمعنى: أننا لسنا نتعبد لله تعالى ببناء المدارس على أن البناء نفسه عبادة، ولكن نتعبد لله تعالى ببناء المدارس على أنها وسيلةٌ لحفظ العلم، وتنظيم العلم، ووسيلة المقصود مقصودة، ولهذا كان من القواعد المقررة عند العلماء أن للوسائل أحكام المقاصد.

وربما يحتج محتج لقوله: إن من البدعة ما هو حسن، كما صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جمع الناس في قيام رمضان على إمامٍ واحد، وكانوا قبل ذلك يصلون أفرادًا، أو اثنين اثنين، أو ثلاثة ثلاثة أوزاعًا،

---

(١) تقدم تخريجه.

فجمعهم عمر رضي الله عنه على إمامٍ واحد، فخرج ذات ليلةٍ، وهم يصلون، فقال: «**نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِه**»[(١)].

نقول له: إن هذه البدعة التي سماها عمر رضي الله عنه بدعة ليست بدعة جديدة، ولكنها بدعةٌ نسبية، فإنها كانت سُنة فتركت، ثم استجدت في عهد عمر رضي الله عنه؛ وذلك لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- صلى بأصحابه في رمضان جماعة ثلاث ليال، ثم ترك ذلك وقال: «**خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**»[(٢)]. فترك الناس الجماعة على إمام واحد، وصاروا يصلون أفرادًا وأوزاعًا إلى عهد عمر رضي الله عنه وعلى هذا فيكون عمر رضي الله عنه قد أعاد ما كان موجودًا في عهد الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وجدده، ولم ينشئ الجماعة لقيام رمضان إنشاءً جديدًا.

وعلى هذا فتكون هذه البدعة بدعةً بالنسبة لما سبقها من تركها، لا بالنسبة لإنشاء مشروعيتها؛ لأن عمر رضي الله عنه أفقه وأورع وأبعد عن أن يشرع في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله.

وخلاصة القول: أنه لا يمكن أن تكون البدعة الشرعية تنقسم إلى قسمين: حسنة وسيئة. مع قول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». وأن ما ظنه بعض الناس بدعةً، وهو حسن، فإن ظنه إياه بدعة خطأ، وما ظنه الإنسان حسنًا، وهو بدعة حقيقةً، فإن ظنه أنه حسن خطأ.

***

(٤٣٧) يقول السائل من إثيوبيا: تقسيم العلماء الكبار للبدعة إلى خمسة أقسام، والرسول الكريم ﷺ يقول: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(٣)]. فما رأيكم في هذا؟

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم (٩٢٤). ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم (٧٦١).

(٣) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا قول لأحد بعد قول الرسول ﷺ فإن النبي ﷺ أعلم الخلق بدين الله، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفصح الخلق فيما يقول. وإذا ثبتت هذه الأمور الثلاثة، التي مقتضاها أن يكون كلامه هو الحق، الذي لا يمكن أن يعارضه شيء من كلام الناس، فإننا نقول: كل هذه التقاسيم التي قسمها بعض أهل العلم مخالفة للنص يجب أن تكون مطرحة، وأن يؤخذ بما دل عليه النص، وكل من قال عن البدعة: إنها حسنة. فإنها:

إما أَلَّا تكون بدعة، لكنه لم يعلم أنها ليست بدعة.

وإما أَلَّا تكون حسنة، لكنه ظنها حسنة.

أما أن تكون بدعة حقيقة وحسنة فإن هذا لا يمكن أبدًا؛ لأن هذا يقتضي تكذيب خبر النبي ﷺ حين قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]. ومن المعلوم أن الضلالة ليس فيها حسن أبدًا، بل كلها سوء، وكلها جهل، فمن ظن أن بدعة من البدع حسنة فإنه لا يخلو من إحدى الحالين اللتين ذكرناهما آنفًا، وهما: إما أَلَّا تكون بدعة، وإما ألا تكون حسنة. وإلا فكل بدعة سيئة وضلالة، وليست بحسنة.

فإن قلت: ما الجواب عن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جمع الناس في قيام رمضان على أبي بن كعب وعلى تميم الداري، وأمرهما أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة، ثم خرج، والناس يصلون، فقال: «**نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِه**»[2]، فسماها عمر رضي الله عنه بدعة، وأثنى عليها بقوله: نعمت البدعة؟ فالجواب: أن عمر رضي الله عنه لم يسمها بدعة؛ لأنها بدعة محدثة في دين الله، ولكنها مجددة، فسماها بدعة باعتبار تجديدها فقط، وإلَّا فإنها ثابتة بشريعة النبي ﷺ.

فإنه قد ثبت أن رسول الله ﷺ قام في الناس ثلاث ليالٍ في رمضان، ثم تأخر -عليه الصلاة والسلام- في الليلة الرابعة وقال: «**خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا»[١]. ومقتضى هذا أنها سنة، لكن تأخر النبي ﷺ عن ملازمتها؛ لئلَّا تفرض على الناس فيلتزموا بها. وبهذا يتبين أن قيام الناس في رمضان جماعةً في المساجد من هدي النبي ﷺ ومن سنته، وليس من بدع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما يظنه من لا يفهم الخِطاب.

***

(٤٣٨) يقول السائل ك. ع. ب. من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية من محافظة حضرموت: ما البدعة؟ وما أقسامها؟ وهل تقسيمها إلى خمسة أقسام، كما قسمها الشيخ العز بن عبد السلام، صحيح؟ وماذا يقصد ابن عبد السلام رحمه الله بتقسيمه للبدعة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدعة في اللغة العربية فِعلة من البدع، وهو اختراع الشيء على غير مثال سَبَقَ، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧] أي مبدعها؛ لأنه -سبحانه وتعالى- خلقهما على غير مثال سَبَقَ. هذا معنى البدعة في اللغة العربية.

أما البدعة في الشرع فإنها: كل عقيدة، أو قول، أو عمل، يتعبد به الإنسان لله -عز وجل-، وليس مما جاء في شريعة الله -سبحانه وتعالى-. وأقول: البدعة الشرعية ليس لها إلا قسم واحد، بيَّنه رسول الله ﷺ في قوله: **«وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**[٢]. فكل بدعة في الشرع ضلالة، لا تنقسم إلى أكثر من ذلك، وهذه البدعة، التي هي ضلالة، سواء كانت في العقيدة، أم في القول، أم في العمل، هي مردودة على

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، رقم (٩٢٤). ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم (٧٦١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٧٣، رقم ١٧١٤٤). وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

صاحبها، غير مقبولة منه؛ لقول النبي ﷺ فيما صح عنه من حديث عائشة: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

إذًا فالبدعة الشرعية لا تنقسم، لا إلى خمسة أقسام، ولا إلى أكثر، ولا إلى أقل، إلا أنها قسم واحد بنص رسول الله ﷺ الذي هو أعلم الخلق بما يقول، وأنصح الخلق فيما يوجه إليه، وأفصح الخلق فيما ينطق به، وكلام رسول الله ﷺ غني عن التعقيد، وليس فيه شيء من التعقيد، وهو بيِّن واضح.

وتقسيم البدعة عند بعض أهل العلم، كالعز بن عبد السلام وغيره، إنما قسموها بحسب البدعة اللغوية، التي يمكن أن نسمي الشيء فيها بدعًا، وهو في الحقيقة ليس من الشرع؛ لدخوله في عمومات أخرى، وحينئذٍ فيكون بدعة من حيث اللغة، وليس بدعة من حيث الشرع.

وإني أقول للأخ السائل ولغيره: إن تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام، أو أكثر، أو أقل، فهم منه بعض الناس فهمًا سيئًا؛ حيث أدخلوا في دين الله ما ليس منه، بحجة أن هذا من البدعة الحسنة، وحرفوا كلام رسول الله ﷺ حيث قالوا: إن معنى قوله: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». أي: كل بدعة سيئة فهي ضلالة. وهذا لا شك أنه تعقيب على رسول الله ﷺ ويستلزم نقصان كلام رسول الله ﷺ في البيان؛ لأننا لو قلنا: إن الحديث على تقدير: كل بدعة سيئة ضلالة، لم يكن للحديث فائدة إطلاقًا؛ لأن السيئة سيئة وضلالة، سواء كانت بدعة، أم غير بدعة، كالزنى مثلًا، فمعروف في الشرع أنه محرم، وتحريمه ليس ببدعة، ومع ذلك نقول: إنه من الضلال وإنه من العدوان.

فالذين يقدرون في الحديث: كل بدعة سيئة ضلالة، هؤلاء لا شك أنهم اعترضوا على رسول الله ﷺ وتنقصوا بيانه -عليه الصلاة والسلام-، ولا ريب أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أعظم الناس بيانًا، وأفصحهم مقالًا، وأنصحهم قصدًا وإرادة، وليس في كلامه عي، وليس في كلامه خفاء.

---

(١) تقدم تخريجه.

وأقول: إن هذا التقسيم الذي ذهب إليه العز بن عبد السلام، وبعض أهل العلم، أوجب إلى أن يفهم فهمًا سيئًا من بعض الناس، الذين هم طفيليون على العلم، ومن أجل ذلك حرفوا كلام رسول الله ﷺ.

وإني أقول وأكرر: إن كل بدعة في دين الله فإنها ضلالة، ولا تنقسم البدعة الدينية إلى أقسام، بل كلها شر وضلالة، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في آخر الحديث -فيما رواه النسائي-: «**وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(١). فعلى المرء أن يكون متأدبًا مع الله ورسوله، لا يقدم بين يدي الله ورسوله، ولا يدخل في دين الله ما ليس منه، ولا يشرع لنفسه ما لا يرضاه؛ لأن الله يقول: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فكل ما قدر أن يتعبد به المرء لربه، وليس مما شرع الله، فإنه ليس من دين الله.

وإنما أطلت على هذا الجواب لأنه مهم، ولأن كثيرًا من الناس الذين يريدون الخير انغمسوا في هذا شر البدع، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منه، ولكنهم لو رجعوا إلى أنفسهم، وعلموا أن هذا سلوك البدع في دين الله يتضمن محظورًا عظيمًا في دين الله، وهو أن يكون الدين ناقصًا؛ لأن هذه البدع معناها أنها تكميل لدين الله -سبحانه وتعالى-، والله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ولا شك أنها نقص في دين الإنسان، وأنها لا تزيده من الله تعالى إلَّا بعدًا. والله الموفق.

***

(٤٣٩) يقول السائل: ما البدع التي تخرج عن ملة الإسلام؟ وما البدع التي دون ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الضابط في هذا: أن البدعة إذا كانت تناقض الإسلام، أو تستلزم القدح في الإسلام، فإنها بدعة مكفرة، وأما إذا كانت دون ذلك فهي بدعة مفسقة.

---

(١) أخرجه النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).

فمن البدع التي لا تكفر ما استحدثه بعض الناس من صيغ أذكار معينة، أو أوقات عينوها للذكر لم ترد السُّنة بتعيينها، وهي في الأصل مشروعة، ولكن قيدوها بزمن لم تتقيد به في القرآن والسنة.

وأما البدع المكفرة التي تستلزم نقص الخالق، أو نقص الرسول، أو نقص نقلة الشريعة، كالصحابة رضي الله عنهم فإن هذه بدع مكفرة. والمهم: أن ما يناقض الإسلام من البدع فهو بدعة مكفرة، وما لا يناقضه فهو بدعة دون التكفير.

***

(٤٤٠) يقول السائل ع. ع. م. من محافظة عدن: كيف تكون معاملة من يبتعد عن السُّنة، ويبتدع في الدين ما ليس منه، ادعاء خشية الفتنة من العامة، وأن ذلك استدراج لتأليف قلوبهم كما يدعي؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معاملة هذا المبتدع الذي يبتدع في الدين ما ليس منه ليرضي عباد الله: أن ينصحه عن هذا العمل؛ لأنه عمل محرم، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[البقرة: ١٥٠]. ولا يمكن أن يداهن عباد الله في أمر لم يشرعه الله، فالواجب عليه التوبة إلى الله من هذا الأمر، وأن يسير على دين الله -سبحانه وتعالى-، وعلى الهدي الذي بعث به محمد ﷺ سواء رضي الناس بذلك، أم لم يرضوا.

لكن الأمور المجهولة لدى الناس من السنة ينبغي للإنسان أن يمهد لها تمهيدًا، يتألف به الناس قبل أن يظهرها لهم، ويفعلها ولا يدعها، ولكنه إذا خاف من نفور الناس فإنه يمهد لذلك، ويدعوهم بالحكمة حتى يطمئنوا بها، وتنشرح بها صدورهم. وأما ترك السنة مراعاة لهم فهذا لا ينبغي، أو ابتداع شيء في دين الله مراعاة لهم فهذا أمر لا يجوز.

***

(٤٤١) يقول السائل: هل يجازى صاحب البدعة الجاهل على حسن نيته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، يجازى على حسن نيته، ولكن إن تبينت له السنة وجب عليه اتباعها. والدليل على أنه يجازى على حسن نيته قصة الرجلين اللذين بعثهما النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فحضرت الصلاة، فلم يجدا الماء، فتيمَّما وصليا، ثم وجدا الماء في الوقت، فأحدهما توضأ وأعاد الصلاة، والثاني لم يتوضأ ولم يعد الصلاة. فلما بلغ رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأخبراه قال للذي لم يعد: «**أَصَبْتَ السُّنَّةَ**». وقال للآخر: «**لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ**»(١). فحكم للآخر بالأجر على فعل الأول والثاني، مع أنه خلاف السنة، والله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ [الأنبياء: ٤٧] يعني العدل، فيعطى الإنسان على حسب نيته وعمله، فإذا كان جاهلًا، وفعل شيئًا يعتقده عبادة، وليس بعبادة، أثيب على نيته، لكن إذا بانت له السنة يجب عليه اتباعها.

***

(٤٤٢) يقول السائل ع. ع: هل تطبيق البدعة يعاقب أم يثاب عليها مطبقها، وخاصة الصلاة والسلام على النبي بعد الأذان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدعة قال فيها رسول الله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢). وإذا كان كذلك فإن البدعة -سواء كانت ابتدائية، أم استمرارية- يأثم من تلبَّس بها؛ لأنه كما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام، فإن الضلالة هذه تكون سببًا للتعذيب في النار، وإذا كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- حذر أمته من البدع فمعنى ذلك أنها مفسدة محضة؛ لأن الرسول ﷺ عمم ولم يخص، قال: «**كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة، باب في المتيمم يجد الماء بعد ما يصل في الوقت، رقم (٣٣٨). والنسائي: كتاب الغسل والتيمم، باب التيمم لمن يجد الماء بعد الصلاة، رقم (٤٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

ثم إن البدع في الحقيقة هي انتقاد غير مباشر للشريعة الإسلامية؛ لأن معناها، أو مقتضاها، أن الشريعة لم تتم، وأن هذا المبتدع أتمها بما أحدث من العبادة، التي يتقرب بها إلى الله كما زعم، وعليه نقول: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، والواجب الحذر من البدع كلها، وألَّا يتعبد الإنسان إلَّا بما شرعه رسول الله ﷺ ليكون إمامه حقيقة، أي: ليكون الرسول ﷺ إمامه حقيقة؛ لأن من سلك سبيل بدعة فقد جعل المبتدع إمامًا له في هذه البدعة دون رسول الله ﷺ.

***

(٤٤٣) يقول السائل من الأردن من إربد: أطلب منكم أيها الشيخ أن تضربوا لنا أمثلة من واقع الحياة المعيشة على البدع، التي قد لا نتوقع أن تكون بدعة، مع توضيح ما البدعة؟ وما أضرارها على الأمة الإسلامية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواقع أن هذا سؤال لا يمكن الإجابة عنه تفصيلًا؛ لأن الإنسان ليس محيطًا بكل شيء، لكن سأعطي السائل قاعدة: كل من تعبد لله بشيء عقيدة بالقلب، أو نطقًا باللسان، أو عملًا بالجوارح فإننا نقول له: إنك مبتدع، حتى تأتي لنا بدليل على أن هذا مشروع.

هذه القاعدة خذها معك أيها السائل: كل إنسان يتعبد لله بشيء عقيدة بقلبه، أو نطقًا بلسانه، أو عملًا بجوارحه، ويقول: هذه شريعة. نقول: أنت مبتدع، حتى تأتينا بدليل من كتاب الله، أو سنة رسوله، أو أقوال الصحابة، أو إجماع الأمة على أن هذا مشروع؛ لأن الأصل في الدين هو الشرع، والأصل في العبادات المنع، حتى يقوم دليل على أنها مشروعة.

ولهذا أعطانا إمامنا وأسوتنا رسول الله ﷺ قاعدة في هذا، قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[١]. وأعطانا

---

(١) تقدم تخريجه.

قاعدة أخرى فقال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١). أي: مردود على صاحبه لأنه بدعة.

فإذا قال لك قائل: من صلى على النبي ﷺ في اليوم والليلة ألف صلاة كتب له كذا وكذا. قلنا: هات الدليل، وإلا فأنت مبتدع. أو قال: من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ألف مرة كتب له كذا وكذا. نقول: هات الدليل، وإلا فأنت مبتدع. فإذا قال: الصلاة على الرسول مشروعة كل وقت. قلنا: صدقت، لكن لماذا تقيدها بألف، أين الدليل لك؟ وإذا قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثلث القرآن قراءتها مشروعة. قلنا: صدقت، لكن من حدَّدها بألف؟ وهلم جرًّا.

هذه القاعدة -والحمد لله- مريحة وواضحة بينة. وما نجده في بعض الكتب التي تنشر، أو في الملفات التي تنشر، أو ما ينشر في بعض الأحيان في أوراق، من ذكر أشياء لا حقيقة لها؛ مثل: من ترك الصلاة عوقب بخمس عشرة خصلة، فهذا كذب موضوع على الرسول -عليه الصلاة والسلام-. ثم بقصة الفتاة التي كانت مريضة، وترددت على كل المستشفيات، ورأت في المنام زينب، وحصل ما حصل منها، هذه أيضًا كذب.

أشياء كثيرة يروجها الجهال، أو الضُّلال الذين يريدون أن يضلوا الناس، ولذلك أحذر إخواني أن يتلقوا كل منشور، وكل مكتوب بالقبول، حتى يعرضوه على أهل العلم؛ لأن الدعاة إلى الضلال كثيرون الآن؛ إما لقصد الإفساد والإضلال، وإما لحسن نية، فليحذر الإنسان من مثل هذا حتى يعرضه على أهل العلم.

والخلاصة: أن القاعدة في البدعة أنها: كل ما يتعبد به الإنسان وليس بمشروع من عقيدة، أو قول، أو عمل. ولهذا باستطاعتك أن تقول لشخص يصلي ركعتين: تعال، من قال لك: إن هذا مشروع؟ هات الدليل. فإذا أتى

---

(١) تقدم تخريجه.

بالدليل فعلى العين والرأس، وإذا لم يأت بالدليل قلنا: هذا مردود عليك. لو قال مثلًا: كلما برق البرق صليت ركعتين. من قال لك هذا؟ قال: الركعتان سُنة في كل وقت. قلنا: نعم، الركعتان سنة في كل وقت، إلا في أوقات النهي، لكن من قال لك: عند البرق يسن أن يصلي ركعتين؟ أو: عند نزول المطر يسن أن يصلي ركعتين مثلًا؟

ولهذا يدعي بعض الناس -الذين فتنوا بالاحتفال بها يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنهم لم يفعلوا شيئًا، إنما اجتمعوا يذكرون سيرة النبي ﷺ تلك السيرة العطرة المحببة للنفوس، التي تزيد الإنسان إيمانًا ومحبة للرسول ﷺ ويقولون: هذا شيء مشروع. نقول: نعم، كل شيء يحبب الرسول إلى الناس أمر مشروع، ومحبة الرسول ﷺ فريضة، ويجب أن تقدم محبته على محبة النفس وعلى الولد والوالد، لكن من قال: إنه يشرع في هذه الليلة -التي لم يثبت أنها ليلة الميلاد-: إنه يشرع فيها الاجتماع والصلاة على الرسول ﷺ وذكر سيرته؟ والأمر لم يقتصر على هذا؛ فقد صاروا يأتون بالقصائد والمدائح النبوية التي كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يحذر منها، وفيها من الغلو ما ينافي العبودية، وكان بعضهم يردد قول البوصيري مخاطبًا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول:

يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ أَلوذُ به ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمِمِ

وصدق أنه أكرم الخلق، ولكن إذا حدث الحادث العام المدلهم الذي يشمل الناس كلهم: ما لي من ألوذ به إلا أنت يا رسول الله. أعوذ بالله! نسي الله، والنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أمره الله أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]. وقال تعالى له: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢]. يعني: بل أمره أن يقول: إني لن يجيرني من الله أحد لو أراد بي شيئًا، فكيف يكون الرسول ﷺ هو الملاذ عند حلول الحادث العمم؟ ويقول:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

من جوده الدنيا وضرتها، وليست كل جوده، بل من جوده، سبحان الله! ومن علومك علم اللوح والقلم، وليست كل علومك، عندك ما هو أبلغ من ذلك. هل رسول الله ﷺ يرضى أن يوصف بهذا؟ لا، والذي فطر الخلق ما يرضى بهذا، بل لما قالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا. قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»(١).

فالمهم أن العبادات المطلقة إذا قيدت بشيء معين زمانًا، أو مكانًا، أو عددًا، أو هيئة، صارت بدعة من هذا الوجه، فيجب اجتنابها، وإن كانت في أصلها مشروعة. فانتبه أيها الأخ السائل، ولينتبه كل من يسمع كلامنا هذا لهذه النقطة، التي يموه بها أهل البدع والحوادث، فيقولون: هذا شيء مشروع، هذا شيء لا نهي فيه. فيقال: إن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

***

(٤٤٤) يقول السائل م. م. ح. وهو سوداني مقيم بالباحة: لقد سمعت كثيرًا أن الذكر الجماعي بدعة ولا يجوز، ولكن -حسب علمي المتواضع- اطلعت على بعض الأحاديث التي تفيد أنه لا حرج في ذلك، ومن تلك الأحاديث ما رواه مسلم ما معناه: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٣). وأعتقد أن السيوطي أشار لهذا الحديث في كتابه الحاوي للفتاوي، وبناء عليه قال بجواز الذكر الجماعي. ثم الحديث الآخر الذي معناه أن الرسول ﷺ خرج على جماعة من أصحابه فقال لهم: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا:

---

(١) أخرجه أحمد (٢١/ ١٦٦، رقم ١٣٥٢٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٧٠٠).

جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ»[1]. فلم ينكر عليهم ذلك. وواضح بأن الذكر هنا مطلق، علمًا بأن كل ذلك يتعارض ويتناقض مع ما جاء في آخر سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. نرجو أن توضحوا لنا الصواب في هذا الموضوع.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصواب في هذا الموضوع أن الحديث الذي أشار إليه السائل، بل الحديثين، في الذين يتدارسون كتاب الله ويتلونه، وكذلك في القوم الذين يذكرون الله: أن هذا مطلق، فيحمل على المقيد المتعارف في عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولم يكن من المتعارف بينهم أنهم يذكرون الله تعالى بلفظ جماعي، أو يقرءون القرآن بلفظ جماعي.

وفي قوله: ويتدارسونه بينهم. يدل على أن هذه المدارسة تكون بالتناوب:

إما أن يقرأ واحد، فإذا أتم قراءته قرأ الثاني ما قرأ الأول، وهكذا.

وإما أن يكون كل واحد منهم يقرأ جزءًا، ثم يقرأ الآخر مما وقف عليه الأول، هذا هو ظاهر الحديث.

وأما الحديث الآخر الذي فيه أنهم يذكرون الله تعالى فإنا نقول: هذا مطلق، فيحمل على ما كان متعارفًا عليه في عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولم يكن متعارفًا بينهم أن يجتمعوا، وأن يذكروا بذكر واحد جماعة. ويدلك على هذا أن الصحابة -رضوان الله عنهم- مع النبي ﷺ في الحج كان منهم المكبر، ومنهم المهلل، ومنهم الملبي، فكل إنسان يذكر الله تعالى بنفسه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. فهذا مراد به الذكر الخاص للمرء، وهو أيضًا مخصوص بما دلت عليه السنة من الجهر به، فإنه قد ثبت عن النبي

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٧٠١).

-عليه الصلاة والسلام- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما **أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ**(١). ولهذا يشرع الجهر بالذكر بعد الصلاة المكتوبة؛ لأن هذا هو المعروف في عهد النبي ﷺ.

وأما قول بعض أهل العلم: إن الإسرار به أفضل. وإجابتهم عن حديث ابن عباس رضي الله عنه بأن ذلك للتعليم، فإن فيه نظرًا؛ وذلك لأن التعليم يحصل بدون هذا، فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قد علم فقراء المهاجرين ماذا يقولونه دبر الصلاة، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**»(٢).

ثم إن التعليم يحصل بالمرة الواحدة، لا بأن يحافظ عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- في كل صلاة، أو يحافظون عليه في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- في كل صلاة. ثم نقول: سلمنا أنه للتعليم، فهو في التعليم في أصل الذكر وفي صفته، بمعنى: أن الرسول يعلمهم ما الذكر الذي يقال في أدبار الصلوات، وما كيفية تلاوة هذا الذكر، والإتيان به أنه يكون جهرًا، وهذا هو القول الذي يؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنه المذكور، وهو في صحيح البخاري.

***

(٤٤٥) تقول السائلة: قرأت في كتاب المأثورات شيئًا لم أجده في بقية كتب الأدعية، وما قرأته يعرف بورد الرابطة، وهو: أن يتلو الإنسان قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. **إلى قوله:** ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧]. **ثم يتلو**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤١). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٣). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم (٥٩٥).

بعد ذلك الدعاء: اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك فاغفر لي. ثم يستحضر صورة من يعرف من إخوان في ذهنه، ويستشعر الصلة الروحية بينه وبين من لم يعرف منهم، ثم يدعو لهم مثل هذا الدعاء: اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فألف اللهم رابطتها، وأدم ودها، واهدها سبلها، واملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير. كما ذكر وردًا آخر يسمى بورد الدعاء يقول فيه: أستغفر الله مائة مرة، ثم الدعاء للدعوة والإخوان والنفس بعد ذلك، بما تيسر من الدعاء، بعد صلاة الفجر والمغرب والعشاء وقبل النوم، وألَّا يقطع الورد لأمر دنيوي إلا لضرورة. وقد قرأت كثيرًا في كتب الأحاديث ورياض الصالحين، ولم أجد ما يدل على صحة هذا المذكور. فأرجو أن تنبهونا على مدى صحته، وعن حكم الالتزام به، والمداومة عليه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأمر -كما ذكرت السائلة- في أن هذه الأدعية أدعية لا أصل لها في سنة الرسول ﷺ وليست بصحيحة، ولا يجوز لأحد أن يلتزم بها، بل لا أن يفعلها تعبدًا لله؛ لأنها بدعة، وقد قال النبي ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]. والذي ظهر لي من حال هذه المرأة السائلة أنها تطالع كثيرًا من الكتب، ولا سيما كتب الأذكار والأوراد.

الذي أنصحها به أن تتحرز كثيرًا؛ لأنه كتب في الأذكار البدعية والأدعية البدعية شيء كثير، ومن المؤسف أنها تروج كثيرًا بين المسلمين، ورواجها قد يكون أكثر من رواج الأدعية والأذكار الصحيحة. فأنصحها وأنصح جميع إخواني المسلمين بالتثبت في هذه الأمور، حتى لا يعبدوا الله تعالى على جهل وضلال وبدع.

---

(١) تقدم تخريجه.

وفي الكتب الصحيحة، التي ألفها من يوثق بعلمهم وأمانتهم ودينهم، ما يغني عن ذلك، فالرجوع إليها هو الواجب، وطرح مثل هذه الكتب، التي أشارت إليها السائلة، وغيرها مما يشتمل على أذكار وأدعية بدعية، واجب، والتحذير منها هو الواجب على المسلمين، حتى لا تفشو فيهم البدع، وتكثر فيهم الضلالات. واللهَ أسألُ أن يهدينا وإخواننا المسلمين لما فيه صلاح ديننا ودنيانا، إنه جواد كريم.

***

(٤٤٦) يقول السائل من السودان: عندنا جماعة في الجامع الذي نصلي فيه عندما يصلون يأمرهم إمام المسجد بأن يقولوا جميعًا: يا لطيف. مائة وتسعًا وعشرين مرة، ويرددون ذلك، فهل يجب علينا أن نردد ذلك، أم نترك هذا الإمام وهذا المسجد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا أنا أوجه نصيحتي إلى هذا الإمام أن يتقي الله -عز وجل- في نفسه، وفي إخوانه المسلمين، فمن أين أتى بهذه البدعة؟ هل كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يفعلها؟ أم كان أبو بكر، أم عمر، أم عثمان، أم علي، أم ابن مسعود رضي الله عنهم، أم غيرهم، هل كانوا يأمرون الناس أن يقولوا هذا؟ فليتق الله تعالى في نفسه، وليعلم أنه مؤاخذ على ذلك، ومعاقب عليه، وأنه بذلك ضال، وأمره الناس بذلك يكون به مضلًّا، فهو ضال مضل، وعليه أن يتوب إلى الله قبل أن يفجأه الموت.

أما أهل المسجد فينصحونه، فإن اهتدى فهذا المطلوب، وإلَّا فليزيلوه بكل ما يستطيعون، ومعنى قولي: بكل ما يستطيعون. أن يذهبوا إلى الجهات المسئولة التي بيدها عزل الأئمة ونصبهم، ويطلبوا منها أن يعزلوه عن هذا المنصب العظيم منصب الإمامة، فإن لم يتمكنوا من ذلك فلا يصلوا معه؛ لأن هذا مبتدع، مصر على بدعته.

***

(٤٤٧) تقول السائلة ع. ع. ف. من السودان: ورد عن الرسول ﷺ أنه وجد حلقة علم وحلقة ذكر، فجلس في حلقة العلم. فهل هذا صحيح؟ وإن كان كذلك فكيف كان يذكر أولئك الذين كانوا في حلقة الذكر؟ أو ماذا يقولون؟ والرسول ﷺ لم يمنعهم، ولكنه فضل حلقة العلم، وهل يعتبر هذا دليلًا على أن حِلق الذكر الجماعي بدعة، مع أن الرسول ﷺ في هذا الحديث -إن كان صحيحًا- لم ينههم عن ذلك، وإنما اجتنبهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث لا أعلم صحته، ولا أظنه يصح عن النبي ﷺ. ولكن الاجتماع على العلم لا شك أنه من أفضل الأعمال؛ لأن العلم نوع من الجهاد في سبيل الله، فإن الدين إنما قام بالعلم والبيان، والقتال لمن نابذه وعارضه، ولم يخضع لأحكامه.

وأما الذكر فإن الاجتماع أيضًا عليه لا بأس به، ولكنه ليس الاجتماع الذي يفعله بعض الصوفية؛ الذين يجتمعون جميعًا، ويذكرون الله تعالى بصوت واحد، أو ما أشبه ذلك، إنما لو يجتمعون على قراءة القرآن، أو ما أشبه هذا؛ مثل أن يقرأ أحد والآخرون ينصتون له، ثم يديرون القراءة بينهم، فهذا ليس فيه بأس، ولا حرج فيه.

***

(٤٤٨) يقول السائل: ما حكم الغلو في محبة الرسول الكريم ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الغلو في محبة الرسول ﷺ بمعنى: أن يتجاوز الإنسان الحدود، ويقول: إن ذلك من محبة الرسول. فذلك محرم؛ لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- نهى عن الغلو فيه.

ثم إن الذي يغلو في الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ويرفعه فوق منزلته التي أنزله الله -عز وجل-، مدعيًا أنه يحبه، فقد كذب نفسه؛ لأن المحب يأخذ بنصائح حبيبه، ويتبع حبيبه، ولا يخالف حبيبه، والغالي في الرسول -عليه الصلاة والسلام- مخالف للرسول ﷺ فكيف يدعي حب الرسول، وهو يعصي الرسول؟

ولهذا نقول: من كان للرسول أشد اتباعًا فهو أصدق محبة، ومن خالف الرسول -عليه الصلاة والسلام- فقد نقص من محبته الرسول بقدر ما خالف فيه الرسول. ولا تغتر بهؤلاء الغلاة الذين يغلون برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وينتحلون أحاديث لا زمام لها، بل هي مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام أنها موضوعة مكذوبة، لا تغتر بهؤلاء، وقل لهم كما قال الله -عز وجل-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأما إنشاد القصائد الحزينة، وهز الرءوس عندها، والتصفيق والخفة، بزعم أن هذا من تعظيم الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فكل هذا مخالف للرسول -عليه الصلاة والسلام-، مخالف لهديه. فإن كنت صادقًا في محبته -صلوات الله وسلامه عليه- فعليك باتباعه، ولا تتقاصر عنه، ولا تتجاوزه، فكل خير في الاتباع، وكل شر في الابتداع.

وإذا أردت أن تزن عملك بميزان قسطٍ فانظر إلى الصحابة ﷺ الذين هم أقرب إلى الحق من غيرهم، وأقرب إلى رسول الله ﷺ من غيرهم؛ حيث عايشوه وناصروه، وشرفهم الله تعالى بصحبته، هل عملوا هذا العمل؟ إذا كانوا عملوه فهم على حق، وإذا لم يعملوه فهو باطل؛ لأنه لا يمكن لخلف الأمة أن يكونوا خيرًا من سلف الأمة، وكيف يمكن ذلك وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)؟

وإياك وما أُحدِث في دين الله من البدع، التي مضمونها الغلو في رسول الله ﷺ ثم استحضر قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب فضل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٦٥١). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

عَنْهُ ﴾[التوبة: ١٠٠]. فرضا الله عن الأتباع لا يكون إلا إذا اتبعوا بإحسان، والاتباع بإحسان هو ألَّا يقصر الإنسان عن هديهم، ولا يتجاوزه.

***

(٤٤٩) يقول السائل ع. م. من جمهورية مصر العربية: هل ذكر الرسول ﷺ بشكلٍ جماعي في أيام محددة جائز؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على هذا السؤال ينبني على ما سنذكره الآن -إن شاء الله تعالى- في هذا الموضوع، فنقول: إن العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه مبنية على أصلين:

الأصل الأول: الإخلاص لله -عز وجل-: بأن يقصد الإنسان بتعبده لله التقرب إلى الله تعالى، والوصول إلى باب كرامته، لا يقصد بذلك مالًا، ولا جاهًا، ولا رئاسةً، ولا غير ذلك من أمور الدنيا، بل لا يقصد إلا التقرب إلى الله، والوصول إلى دار كرامته، ودليل هذا من الكتاب والسنة قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾[الزمر: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[البينة: ٥]. وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١١٠]. والآيات في هذا كثيرة.

وأما السُّنة ففيها أحاديث، منها: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[1]. فإن فقد الإخلاص من العبادة بأن شاركها الرياء، وهو: أن يعمل العمل الصالح لله، لكن يظهره للناس ليمدحوه على ذلك، فإن العبادة تكون باطلةً مردودة؛ لأن الإنسان أشرك فيها مع الله

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم (١).

-عز وجل-؛ حيث راءى الناس بها، ومع كونها باطلة مردودة، فهو آثم بذلك، مشركٌ بالله، إلَّا أن هذا الشرك شركٌ أصغر، ليس مخرجًا من الملة، والشرك -وإن كان أصغر- فإن الله تعالى لا يغفره؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال بعض العلماء: إن الشرك الأصغر داخلٌ تحت المشيئة، لكن الذي يظهر القول الأول، وأنه لا يغفر، لكن صاحبه لا يخلد في النار؛ لأنه شركٌ أصغر. إذًا لا بد في كل عبادة من الإخلاص لله تعالى فيها، فمن أشرك مع الله فيها غيره فإنه يأثم بذلك، وتبطل عبادته.

الأصل الثاني: اتباع رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ويدل لهذا الأصل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ولا يمكن أن تتم المتابعة والموافقة للرسول -عليه الصلاة والسلام- إلا إذا وافقت العبادة، أو وافق العمل الشرع، في أمورٍ ستة:

الأول: السبب: بأن يكون سبب هذه العبادة ثابتًا بالشرع.

الثاني: الجنس: بأن يكون جنس هذه العبادة ثابتًا بالشرع.

الثالث: القدر: بأن يأتي الإنسان بالعبادة على القدر الذي جاءت به الشريعة.

الرابع: الكيفية: بأن يأتي الإنسان بالعبادة على الوجه الذي جاءت به الشريعة.

الخامس: الزمان: بأن يأتي الإنسان بالعبادة في الزمن الذي حدده الشرع لها.

السادس: المكان: بأن يأتي الإنسان بالعبادة في المكان الذي حدده الشارع لها.

فإذا اختل واحدٌ من هذه الأمور الستة لم تتحقق المتابعة، وصار هذا من البدع.

فأما الأول، وهو السبب، فإنه لا بد أن يكون السبب الذي بنينا عليه هذه العبادة ثابتًا بالشرع، فإن لم يكن ثابتًا بالشرع فإن ما بني على ما ليس بثابتٍ شرعًا فإنه ليس بمشروع، ومن ذلك ما يحدثه الناس في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب؛ حيث يحدثون احتفالًا، زعمًا منهم أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عرج به في هذه الليلة ليلة سبعٍ وعشرين، وهذا لا أصل له في التاريخ، وأيضًا لا أصل له في الشرع، فإن الذي يظهر من التاريخ أن الإسراء والمعراج كان في ربيعٍ الأول، وأما من الشرع فلا أصل له أيضًا، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وخلفاءه الراشدين والصحابة أجمعين لم يرد عنهم أنهم كانوا يحتفلون في الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ ومعلومٌ أن الشرع لا يأتي إلا من طريقهم. قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ**»[1]. فمن أحدث احتفالًا ليلة السابع والعشرين من شهر رجب لهذه المناسبة فإنه بناها على سببٍ لم يثبت شرعًا، بل لم يثبت تاريخيًّا كما ذكرنا.

وأما الثاني: وهو أن تكون العبادة موافقة للشرع في الجنس: فإن أتى بعبادة من غير الجنس الذي وردت به الشريعة فإن عبادته مردودة عليه، ولا تقبل منه. مثال ذلك: أن يضحي الإنسان بالخيل، بأن يذبح فرسًا يوم عيد الأضحى يتقرب به إلى الله -عز وجل-، كما يتقرب بذبح البقرة، فإن هذه

---

(١) تقدم تخريجه.

العبادة لا تقبل منه، ولا تكون أضحية؛ لأنها من غير الجنس الذي وردت به الشريعة، فإن الأضاحي إنما تكون من بهيمة الأنعام، وهي: الإبل والبقر والغنم.

وأما الثالث: وهو أن تكون العبادة موافقة للشرع في قدرها، فإن لم تكن موافقة للشرع في قدرها بأن نقصت، أو زادت، فإنها لا تقبل، وبهذا لو صلى الإنسان صلاة الظهر خمس ركعات لم تقبل منه؛ لأنه زاد على القدر الذي جاءت به الشريعة، ولو أنه صلاها ثلاث ركعات لم تقبل منه أيضًا؛ لأنه نقص عن القدر الذي جاءت به الشريعة.

وأما الرابع: وهو أن تكون موافقة للشرع في كيفيتها، بأن يأتي بها على الكيفية التي أتت بها الشريعة، فلو صلى الإنسان أربع ركعات، لكنه كان يأتي بالسجود قبل الركوع، فإن الصلاة لا تقبل منه؛ لأنه أتى بها على كيفيةٍ لم ترد بها الشريعة، فكانت مردودة عليه لعدم تحقق الاتباع في حقه.

وأما الخامس: وهو أن تكون موافقةً للشرع في زمانها، فإن لم تكن موافقة الشرع في زمانها فإنها لا تقبل، فلو صام في شهر رجب بدلًا عن رمضان فإن ذلك لا يقبل منه، ولا يجزئه عن رمضان؛ وذلك لأن رمضان خص الصيام فيه دون غيره من الشهور، فمن أتى به في زمن آخر لم يكن أتى بهذه العبادة في الوقت الذي حدده الشرع. وكذلك لو صلى الظهر قبل زوال الشمس فإنها لا تقبل منه؛ لأنه أتى بها في غير الزمن الذي حدده الشارع لها.

وأما السادس: وهو أن تكون موافقة للشرع في مكانها، فلو أن الإنسان اعتكف في بيته في العشر الأواخر من رمضان بدلًا من أن يعتكف في المساجد فإن هذا الاعتكاف لا يصح منه؛ لأنه في غير المكان الذي حدده الشارع للاعتكاف.

وليعلم أن مخالفة الشريعة في هذه الأمور الستة، أو في واحدٍ منها، يترتب عليه أمران:

الأمر الأول: الإثم إذا كان عامدًا.

الأمر الثاني: البطلان. فإن كان جاهلًا فإنه يسقط عنه الإثم، ولكن العبادة تبقى باطلة، فإن كانت مما يقضى إذا بطل وجب عليه قضاؤها، وإن كانت مما لا يقضى سقطت عنه.

بناءً على ذلك نقول في إجابة هذا السؤال: إن ذكر الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في غير الأوقات التي ورد فيها ذكره ليس بمشروع، فلو أن الإنسان أراد أن يأتي بقول: أشهد أن محمدًا رسول الله. التي تقال في الأذان، وفي غير الأذان أيضًا، أتى بها في الضحى بناءً على أنه يريد بها الأذان، فإنه لا يقبل منه ذلك؛ لأن الأذان له وقتٌ معين، وهو: ما إذا دخل وقت الصلاة، وأراد أن يصلي.

أما إن ذكر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فلا شك أنه من أجلِّ العبادات، والصلاة على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من أفضل الأعمال، ومن صلى على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، فالإكثار من الصلاة عليه بلا عدد، وبدون زمنٍ معين، وبدون مكانٍ معين، هذا خيرٌ من أن يجعل الإنسان لهذه الصلاة وقتًا معينًا، وعددًا معينًا، وصفةً معينة؛ لأن كل شيء يسنه الإنسان لنفسه، ولو كان أصله مشروعًا، يكون من البدع، يكون من البدع في كيفيته، أو زمانه، أو مكانه، حسب ما فصلنا آنفًا.

والإنسان إذا استغنى بالسنة عن غيرها كفت، وحصل بها الخير الكثير، وإن كان الإنسان قد يتقال السنة بعض الأحيان، ويقول: أنا أريد أن أعمل أكثر من ذلك. فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنكر على الذين تقالوا سنته وهديه، وأرادوا أن يزيدوا على ذلك.

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

فاتباع السنة خير، وإن كان الإنسان يظن أنه عملٌ قليل، فإن ما وافق السنة، وإن كان أقل، فهو خيرٌ مما لم يوافق السنة، وإن كان أكثر. ولهذا لو أن الإنسان أراد أن يطيل ركعتي الفجر -أي: أراد أن يطيل سنة الفجر- وقال: أنا أحب أن أزداد من قراءة القرآن، وأحب أن أزداد من التسبيح، وأحب أن أزداد من الدعاء، فأحب أن أطيل ركعتي الفجر. فإننا نقول له: هذا ليس بصحيح، ومنهجك هذا غير صحيح؛ لأن السنة في سنة الفجر التخفيف، كما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يخففها، حتى تقول عائشة: حتى إني أقول: أَقَرَأَ بأم القرآن؟ فلو كان عندنا رجلان؛ أحدهما صلى سنة الفجر على وجهٍ خفيف، لكنه محافظ على الطمأنينة، والثاني صلاها على وجهٍ أطول، قلنا: إن الأول أفضل من الثاني؛ من أجل موافقة السنة.

ثم إنه يبين ذلك أيضًا أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أرسل رجلين في حاجة، فلم يجدا الماء، فتيمما فصليا، ثم وجدا الماء في الوقت، فأحدهما توضأ وأعاد الصلاة، والآخر لم يعد الصلاة. فقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- للذي لم يعد الصلاة: «**أَصَبْتَ السُّنَّةَ**». وقال للآخر: «**لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ**»(٢). فصوب الأول، ولم يصوب الثاني، ولكنه جعل له

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣). ومسلم: كتاب الحج، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصيام، رقم (١٤٠١).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في المتيمم يجد الماء بعد ما يصل في الوقت، رقم (٣٣٨).

الأجر مرتين؛ لأنه فعل ما يعتقده عبادة متأولًا، ظانًّا أن هذا هو الذي يجب عليه، فأثيب على هذا الاجتهاد، وإن كانت السنة في خلافه.

كذلك أيضًا اجتماع الناس على الذكر جماعيًّا، بأن يقولوا بصوتٍ واحد: الله أكبر. أو: الحمد لله. أو: لا إله إلا الله. أو: اللهم صلِّ على محمد. أو ما أشبه ذلك، هذا لا نعلم له أصلًا في سنة الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بل كان الصحابة يذكرون الله تعالى، ويثنون عليه، كلٌّ على نفسه، وها هم في حجة الوداع مع النبي -عليه الصلاة والسلام-، منهم المهل، ومنهم المكبر، ولا أحدٌ يتبع أحدًا في ذلك، ولم يجتمعوا على التلبية، وإنما كان كل إنسانٍ يلبي لنفسه، فهذا هو المشروع.

أما ما وردت به السنة من الاجتماع على الدعاء، أو على الذكر، فهذا يتبع فيه السنة، فالاجتماع على دعاء القنوت في الوتر في صلاة التراويح، وما أشبه ذلك، فهذا يتبع فيه السنة.

***

(٤٥٠) يقول السائل إ. م. ن. ح. من جمهورية السودان: يستدل بعض الناس بالحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ»(١). إلى آخره، وكذلك بأن حسان بن ثابت كان يمدح الرسول ﷺ فيستدلون بهذا على جواز المدح. نرجو أن تفتونا في ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مدح الرسول ﷺ بما مدحه الله به من الصفات الكاملة، والآداب العالية، والأخلاق المثلى، هذا أمر مشروع، وأما مدحه ﷺ بما يصل إلى الغلو فإنه أمر محرم؛ وذلك لأن رسول الله ﷺ نهى عن

والنسائي، كتاب الغسل والتيمم، باب التيمم لمن يجد الماء بعد الصلاة، رقم (٤٣٣).

(١) تقدم تخريجه.

الغلو، فلا يجوز للمرء أن يمدح الرسول ﷺ بأمر يصل إلى الغلو، بحيث يجعله شريكًا مع الله -تبارك وتعالى- في الخلق والتدبير والقدرة، وما أشبه ذلك، وقد قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(١). ولكن هذا المدح الذي ذكرنا أنه جائز لا يمكن أن يجعل حدثًا في دين الله، بحيث يكون مقيدًا بوقت أو مكان، يتكرر كلما تكرر ذلك الوقت، وكلما جاء الإنسان إلى ذلك المكان، وذلك أن تقييد العبادات المطلقة بزمن معين، أو مكان معين، هو من البدع؛ لأن العبادات يجب أن تكون مفعولة على حسب ما جاءت عليه من هيئة وزمن ومكان، فالعبادات المطلقة لا يجوز للمرء أن يحددها بزمن، أو مكان، أو حال، ما دامت جاءت مطلقة؛ لأن هذا هو كمال التعبد.

وأما استدلال بعض المبتدعين في هذه الأمور بقول الرسول ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ**»(٢). فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قيد ذلك بقوله: «**من سن في الإسلام**»، وما كان من البدع فليس من الإسلام في شيء؛ لقول الرسول ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣). وهذا عام لكل ما ابتدع في دين الله فإنه ضلال، وما كان ضلالًا فلا يمكن أن يكون دينًا وإسلامًا.

فإذا قال قائل: إن قوله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». أي كل بدعة سيئة ضلالة. قلنا: هذا مردود؛ لأن السيئة سيئة، سواء كانت بدعة، أم غير بدعة، فالزنى -مثلًا- ضلالة، وهو ليس ببدعة؛ لورود الشريعة به وبيان حكمه.

ولو قلنا: إن معنى الحديث: كل بدعة سيئة. لم يكن لوصف البدعة فائدة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

إطلاقًا، أو لم يكن لذكر البدعة فائدة إطلاقًا؛ لأن السيئة سيئة، سواء ابتدع، أم لم يبتدع، ولكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». فكل من ابتدع في دين الله ما ليس منه فإنه ضال بهذه البدعة. هذا حاصل الجواب.

***

(٤٥١) يقول السائل: ما حكم مدح الرسول ﷺ في ذكرى مولده؟ وهل كان الصحابة في زمن النبي ﷺ يمدحونه؟ وهل نؤجر في مدحه أم نؤثم في تركه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مدح رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ووصفه بصفاته الحميدة والأخلاق الفاضلة أمر مطلوب مشروع، وكثرة الصلاة على النبي ﷺ من أفضل الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله -عز وجل-، ومن صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، ولكن اتخاذ ذلك في ليلة معينة، أو يوم معين، بلا دليل من الشرع يعتبر بدعة؛ لأن الثناء على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عبادة إذا لم يصل إلى حد الغلو، والعبادة لا بد أن يكون فيها إذن من الشرع، وما علمنا أن الشرع خص يومًا، أو ليلة معينة، ليمدح فيها رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلا يوم الجمعة، فإنه ﷺ قال: «**فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»(١).

والاحتفال بليلة مولده -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يصح، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية الشرعية:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦/ ٨٤، رقم (١٦١٦٢). وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤).

أما من الناحية التاريخية: فإنه لم يثبت أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولد في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، أو في ليلته، وقد حقق بعض الفلكيين العصريين أنه ولد في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول.

وأما من الناحية الشرعية: فلو كان في الاحتفال بمولده أجر وثواب لكان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أول من يفعل ذلك؛ لأنه لن يفوت فرصة فيها أجر وثواب إلا قام بها -صلوات الله وسلامه عليه- أو لأرشد أمته إلى ذلك بقوله، وعلى فرض أن الأمر لم يكن في عهده فلم يكن في عهد الخلفاء الراشدين، ولا فيمن بعدهم. وأول ما حدث كان في القرن الرابع الهجري، أحدثه بعض ولاة إربل، فتبعه الناس على ذلك، لكن لم يتبعه أحد ممن ينتمي إلى السلف الصالح فيما نعلم.

وحينئذ نقول: إما أن يكون هذا الاحتفال قربة يتقرب بها إلى الله، أو بدعة لا تزيد العبد إلا ضلالة. فإن قلنا بالأول -بأنه قربة يتقرب بها إلى الله- فأين رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- منها؟ وأين الخلفاء الراشدون؟ وأين الصحابة؟ فإما أن يقال: إن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جهلها، ولم يعلم شرع الله فيها. وإما أن يقال: إنه علمها، ولكنه كتمها. وكلا الأمرين خطر عظيم، سواء قلنا: إنه جهلها، ولم يعلمها. أم قلنا: إنه علمها، ولكن كتم. وكيف تكون من شريعة الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]؟ أين الكمال إذا كانت مشروعة، ولم تذكر في حياة الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟

وإذا قلنا: إن الرسول ﷺ علمها، ولكن كتمها عن الناس. فما أعظمها من فادحة! لأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قد توفي، ولم يبلغ شيئًا مما أنزل الله عليه من الحق. ولهذا لو تأمل الإنسان هذه البدعة، وغيرها من البدع، لوجد أن البدعة أمرها عظيم، وخطرها جسيم، وأنه لولا حسن النية من بعض محدثيها لكان شأنهم شأنًا خطيرًا جدًّا.

لذلك ننصح إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يَدَعوا هذه البدعة، وأن يكتفوا بما شرع الله تعالى من تعظيم رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. وما ادعاه محدثوها من أنها إحياء لذكرى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فنقول: إنه إحياء حذَّر منه النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ حيث قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**».

ثم نقول أيضًا: في الشريعة الإسلامية غنى عن هذا الإحياء، فالرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يُذكر في الأذان، ويذكر في الصلاة، ففي الأذان: أشهد أن محمدًا رسول الله. وفي الصلاة في التشهد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل على محمد، اللهم بارك على محمد. بل نقول: إن من كان حيًّا فإن لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ذكرى في كل عبادة يقوم بها؛ لأن من شرط العبادة الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فكل عابد لا بد أن يخلص لله، ولا بد أن يستشعر حين فعل العبادة أنه متبع لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

وهذه ذكرى، وفي هذه الذكريات العظيمة في هذه العبادات العظيمة غنى عن هذه الذكرى، التي أحدثها من أحدثها، ثم إنه يقع في هذا الاحتفال من المنكرات العظيمة ما يخل بالعقيدة، ففي بعض الاحتفالات بهذا المولد تلقى القصائد، التي فيها الغلو برسول الله ﷺ الغلو الذي يوصله إلى درجة الربوبية أو أعظم، تلقى في هذه الاحتفالات القصائد مثل البردة للبوصيري التي فيها يقول:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلًا وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ
يا أكْرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ أَلوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ
فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

هذه أبيات في البردة قد تكون على هذا الترتيب، أو في بعضها تقديم

وتأخير، لكن الكلام على المضمون، لا على الشكل، فالذي يقول للرسول -عليه الصلاة والسلام- مخاطبًا له:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها

وضرة الدنيا هي الآخرة.

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

قد ألحقه -أي: ألحق النبي ﷺ بمقام الربوبية، ولم يبق لله شيئًا، فإذا كان من جود الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الدنيا وضرتها فما الذي بقي لله؟

ثم نقول: هذا من أكبر الكذب أن تكون من جوده الدنيا وضرتها، لماذا؟ لأن الرسول خُلق في آخر الدنيا، فكيف تكون الدنيا من جوده؟ ثم إننا نسمع أنه يحصل في هذا الاحتفال من الاختلاط بين الرجال والنساء، وبين الكبار والمراهقين والمردان، ويحصل في هذا شر كبير. ثم إنه يظهر في هذا الاحتفال من شعائر الأعياد كالفرح والسرور، وتقديم الحلوى، وما أشبه ذلك، ما يجعله ابتداعًا في دين الله؛ لأن الأعياد الشرعية هي: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الأسبوع الجمعة. ثم إنه يحصل في هذا الاحتفال بذل أموال كثيرة في غير فائدة، بل في مضرة، وكل هذا يوجب للإنسان الناصح لنفسه أن يبتعد عنه.

فهذه نصيحة من أخٍ مخلص لإخوانه، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل لها آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية.

***

(٤٥٢) يقول السائل: ما رأي الدين في هذه القصائد التي تمدح الرسول ﷺ وتمجده، وإلقائها في المناسبات الدينية، وذلك بإحياء الليالي بها؟ وما الدليل من الكتاب والسنة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا التعبير -وهو: ما رأي الدين؟ أو: ما رأي الإسلام؟ أو ما أشبه ذلك- لا أحب أن يعرض في سؤال:

أولًا: كلمة رأي الدين، فالدين في الحقيقة ليس رأيًا، والدين ليس فكرًا، إنما الدين عقيدة وشريعة من الله -عز وجل-، لا مجال للرأي فيه، ولا مجال للفكر فيه، ولهذا نحن ننتقد هؤلاء الذين يقولون: هذا فكر إسلامي، وما أشبه ذلك، فالإسلام ليس فكرًا، وليس رأيًا من الأفكار والآراء، إنما هو شريعة من لدن حكيم خبير -سبحانه وتعالى-.

نعم لنا أن نقول: إن المفكر مسلم. وما أشبه ذلك؛ لأن الرجل له فكر، ويفكر كما أمر الله تعالى بالتفكير في خلق السماوات والأرض، لكن كوننا نعبر عن الدين بأنه فكر، أو بأنه رأي، وما أشبه ذلك، فهذا خطأ.

ثانيًا: لا أحب أن يوجه لشخص قابل للخطأ والصواب سؤال عن حكم الإسلام، ويقال: ما حكم الإسلام في كذا؟ وهو موجه إلى فرد يخطئ ويصيب؛ لأن الفرد إذا أجاب، وكان خطأً، لم يكن ذلك حكم الإسلام.

فالذي ينبغي أن يقال مثلًا: ما الحكم؟ أو ما رأيك في كذا؟ وما أشبه ذلك، ثم يجيب على حسب ما يراه، معتمدًا في ذلك على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

وبالنسبة للقصائد التي يمدح فيها الرسول؛ رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي- مستحق لكل مدح وتعظيم يليق به، على أنه نبي مرسل من الله -سبحانه وتعالى-، وهو خاتم النبيين، وآخر المرسلين، وسيد الخلق أجمعين، فهو مستحق لكل ما يقال من وصف يليق به ﷺ سواء قيل ذلك نظمًا أم نثرًا.

ولكن القصائد التي تخرجه عما ينبغي أن يكون له؛ من الغلو المفرط الزائد، الذي نعلم أنه هو -عليه الصلاة والسلام- يكرهه، ولا يرضاه، كما نهى عن ذلك، فإننا نرى أنه لا يجوز لإنسان أن يتلوها، أو يعتقد ما فيها من هذا الغلو.

ومن ذلك -على ضرب المثل- ما جاء في قصيدة البوصيري: البردة، التي يقول فيها مخاطبًا النبي ﷺ:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

فلا شك أن هذا شرك، بل هو من أعظم الشرك؛ حيث إنه جعل ما يختص بالرب للنبي ﷺ وسلب حق الله فيه، فإذا كان من جود الرسول -عليه الصلاة والسلام- الدنيا وضرتها -وهي الآخرة- فما بقي لله تعالى من شيء، وإذا كان من علومه -أي: بعض العلوم التي يعلمها- علم اللوح والقلم فما بقي لله تعالى علم. ومثل هذه المقالات التي تبلغ إلى هذا الحد، أو إلى ما دونه، مما لا يليق للمسلم أن يقوله في نبيه ﷺ فإنه لا يجوز لأحد أن يتكلم به، لا نظمًا، ولا نثرًا.

أما القصائد التي تبين صفاته الحميدة، وشريعته الكاملة، وما أشبه ذلك، فإنها لا بأس بها، بل إننا نقول: إن تلاوتها تكون من العبادة؛ لما في ذلك من كونها تغذي محبة النبي ﷺ في القلب وتعظيمه وتعزيره، كما أمر الله به: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾[الفتح: ٩]. إنْ جعلنا اللام للأمر، وإلا فللتعليل، ومعنى ذلك: أن هذا أمر مقصود للشرع، ومعنى **تعزروه**: أي تعظموه، لكن بما يليق به، وأيضًا بشرط ألَّا تجعل هذه القصائد في مناسبة خاصة تعود كل سنة، كما يفعله من يفعله في ليلة عيد المولد، التي ابتدعوها في شريعة الله، وفي دينه، وهي بدعة، لا أصل لها في الشرع، أعني: ليلة عيد المولد، واتخاذها عيدًا يتكرر كل عام، يذكر فيه مدائح النبي ﷺ ويبتدع فيه صفات وصيغ من الصلوات عليه، ما جاءت في هديه، ولا شريعته، ولا هدي أصحابه.

ولهذا كانت هذه البدعة -أعني: بدعة عيد الميلاد- من المنكرات التي يجب على المسلمين أن يحذروا منها، وأن يبتعدوا عنها، ولو كان فيها خيرٌ لسبق إليها من هو أحب، ومن هو أولى منا، كالصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، فإنهم لم يفعلوا هذه الليلة -أي ليلة عيد المولد- ولم يشيروا إليها، لا من قريب، ولا من بعيد.

ولا شك أن الذين يشرعونها، والذين ابتدعوها، هم في الحقيقة متنقصون لشريعة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وللنبي ﷺ ولا شك أنهم يريدون بها التقرب إلى الله -عز وجل-، والتقرب إلى الله -عز وجل- عبادة، والدين كمل من جميع الوجوه في عباداته القولية والفعلية، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فأي رجل يبتدع من العبادات ما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه، سواء كان ذلك في العقيدة، أم في القول، أم في العمل، لا شك أنه حقيقة أمره ولسان حاله يقول: إن الدين لم يكمل، وأنا كملته بما أحدثته من هذه العبادة، التي أتقرب بها إلى الله -عز وجل-. لهذا يجب على كل من ابتدع شيئًا يتقرب به إلى الله من ذكر قولي، أو فعلي، أو مدح للرسول -عليه الصلاة والسلام-، أو غيره، يجب عليه أن ينظر في الأمر مرة ثانية، وأن يعرف أنه بابتداعه هذا طعن في دين الله، فهو يراه ناقصًا، ويحتاج إلى تكميل بما أحدثه فيه. وأسال الله أن يجعلنا وإخواننا المسلمين لله مخلصين، ولنبيه ﷺ متبعين.

***

(٤٥٣) يقول السائل: هل يجوز مدح النبي ﷺ بقصائد؟ وبتخصيص ليلة الجمعة وليلة الاثنين؟ وإن كان هذا يباح فما الثواب؟ وإن كان لا يجوز فما المدح الذي يجوز للنبي ﷺ؟ أو لا يجوز إطلاقًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مدح النبي ﷺ بما فيه من الخصال الحميدة، والمناقب العظيمة، والأخلاق الكاملة، هذا أمر مشروع ومحمود؛ لما فيه من الدعوة إلى دين الرسول ﷺ وإلى تعظيم الرسول -عليه الصلاة والسلام- ومحبته، وكل هذا من الأمور المقصودة شرعًا.

وأما مدحه بالغلو الذي كان ينهى عنه ﷺ فهذا لا يجوز بكل حال، كما لو مدحه بقول القائل:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

فإن مثل هذا الغلو لا يجوز، وهو محرم.

وعلى الوجه الجائز لا يتخذ ذلك في ليلة معينة، أو في يوم معين، بحيث كلما أتت هذه الليلة وهذا اليوم قيلت هذه القصائد والمدائح، فإن تخصيص الشيء بزمن لم يخصصه به الشرع، أو بمكان لم يخصصه به الشرع، هذا من البدع التي نهى عنها رسول الله ﷺ.

***

(٤٥٤) يقول السائل: ما حكم من جعل المديح بالنبي ﷺ أو الصالحين تجارة له يكتسب منها معيشته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حكم هذا محرم، ويجب أن يعلم بأن المديح للنبي ﷺ ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون مدحًا فيما يستحقه ﷺ بدون أن يصل إلى درجة الغلو، فهذا لا بأس به، أي: لا بأس أن يمدح رسول الله ﷺ بما هو أهله من الأوصاف الحميدة الكاملة، في خلقه وهديه ﷺ.

ثانيهما: أن يكون مدحًا يخرج بالمادح إلى الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ فقال: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[1]. فمن مدح النبي ﷺ بأنه غياث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وأنه مالك الدنيا والآخرة، وأنه يعلم الغيب، أو بمثل ما قال البوصيري:

يا أكْرَمَ الرُّسْلِ مالي مَنْ ألوذُ به سِواكَ عندَ حلولِ الحادثِ العَمِمِ

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم (٣٤٤٥).

وما شابه ذلك من ألفاظ المديح، فإن هذا القسم محرم، بل قد يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة. فلا يجوز أن يمدح الرسول -عليه الصلاة والسلام- بما يصل إلى درجة الغلو؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

ثم نرجع إلى اتخاذ المديح الجائز حرفة يكتسب بها الإنسان، فنقول أيضًا: إن هذا حرام ولا يجوز؛ لأن مدح الرسول -عليه الصلاة والسلام- بما يستحق، وبما هو أهل له ﷺ من مكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، والهدي المستقيم، مدحه بذلك من العبادة التي يتقرب بها إلى الله، وما كان عبادة فإنه لا يجوز أن يتخذ وسيلة إلى الدنيا؛ لقول الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦].

***

(٤٥٥) يقول السائل ص. من جمهورية مصر العربية من محافظة شمال سيناء: يوجد في بلدي أناس يصلون ويصومون ويزكون ويحجون، ولكن في كل ليلة اثنين وليلة جمعة بعد صلاة العشاء يعملون دائرة وهم وقوف، وهي ما تسمى بالحضرة، ويعملون فيها أربعة أشواط، وبين كل شوطين يقوم رجل منهم يمدح الرسول. والشوط الأول يقولون فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله. والشوط الثاني يقولون فيه: الله دائم باقٍ حي. والثالث يقولون فيه: صل وسلم يا الله على النبي ومن والاه. والرابع يقولون فيه: يا لطيف الطف بنا. فما حكم الإسلام في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هؤلاء مبتدعون ضالون فيما يحدثونه كل ليلة اثنين وجمعة؛ لأن هذا العمل الذي يقومون به عمل منكر، لم يكن عليه الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان، فإذا كانوا يعتقدون أن النبي ﷺ يأتي إليهم ويحضرهم كان هذا أشد ضلالًا، وإن اعتقدوا في طوافهم هذا أنهم

يطوفون على كعبة فهذا أشد وأنكر؛ لأنه لا طواف إلا على بيت الله الحرام في مكة.

والواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى من هذا العمل، وأن يأخذوا بما أمرهم به رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حيث قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»[1]. فقد حذر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من محدثات الأمور، أي: ما يحدثه الإنسان يتعبد به لله، ومحدثات الأمور هي: كل عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله -عز وجل- لم يكن عليها رسول الله ﷺ سواء كان ذلك في العقيدة، أم في القول، أم في العمل. وقولي: كل عبادة. هذا باعتبار المبتدع؛ حيث يظنها عبادة، وإلا فإنها ليست بعبادة؛ لأن البدعة ضلالة، وليست عبادة.

***

(٤٥٦) يقول السائل م. إ. من جمهورية مصر العربية من محافظة البحيرة: ما حكم الشرع -في نظركم- في أناس يمدحون الرسول -أقصد الشيوخ الذين يمدحون الرسول- وهم يستعملون المزمار والعود والطبلة؟ وأيضًا ما حكم المقرئين الذين يشترطون على عائلة المتوفى من أجرهم؟ وهل هناك فصال في كتاب الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواقع أن هذا السؤال تضمن مسألتين:

المسألة الأولى: أولئك الشيوخ الذين يمدحون رسول الله ﷺ مدحًا مقرونًا بآلات اللهو، فنقول في الجواب على هذا:

أولًا: هذه المدائح هل هي مدائح حق، لا تخرج إلى الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ؟ أم هي مدائح تتضمن الغلو في رسول الله ﷺ وأن ينزل فوق منزلته

---

(١) تقدم تخريجه.

التي أنزلها الله إياه، كالمدائح التي تجعل للنبي ﷺ حظًّا من التصرف في الكون، بل ربما تجعل الكون كله عائدًا إلى رسول الله ﷺ كقول بعضهم مخاطبًا النبي ﷺ:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

فإن هذه المدائح وأمثالها كفر بالله -عز وجل-، سواء اقترنت بآلة لهو، أم لم تقترن، ولا يحل لمؤمن أن يقولها في رسول الله ﷺ لأن النبي ﷺ إنما بعث لتطهير الناس من مثل هذه الأمور، التي تؤدي إلى شرك المخلوق بالخالق، فيما يستحقه -سبحانه وتعالى-.

ثانيًا: إذا كانت هذه المدائح مدائح حق، لا غلو فيها، ولكنهم جعلوها مصحوبة بهذه المزامير وآلات اللهو، فإن هذا محرم؛ لأنها اقترنت بما حرمه النبي ﷺ إذ إن المعازف وآلات اللهو كلها حرام، إلا ما استثني منها من الدفوف في الأوقات التي أبيحت فيها، ويدل لتحريمها ما رواه البخاري من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**»(١). والمعازف هي آلات اللهو، كما ذكر ذلك أهل العلم، وفي قرنها بالزنى وشرب الخمر دليل على قبحها، وتأكد تحريمها، فهؤلاء الذين يمدحون رسول الله ﷺ بالمدائح المقرونة بآلات اللهو كأنما يسخرون به ﷺ حيث مدحوه وعظموه بما حرمه على أمته ومنعهم منه.

المسألة الثانية: وهي قراءة القراء القرآن للأموات بعد موتهم، وأخذهم الأجرة على ذلك، فإن هذا أيضًا من الابتداع في دين الله -عز وجل-، وقراءة القارئ الذي لا يقرأ إلا بأجرة ليس فيها ثواب؛ لأن قراءة القرآن عمل صالح، وإذا أريد بالعمل الصالح الدنيا حبط، وبطل أجره، كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأشربة، باب فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، رقم (٥٥٩٠).

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦]. وإذا بطل أجره -أي: أجر هذا القارئ بالأجرة- لم يحصل للميت انتفاع من قراءته، وحينئذٍ يكون هؤلاء الذين استأجروا القارئ ليقرأ القرآن لميتهم قد خسروا في الدنيا والآخرة: أما خسارتهم في الدنيا فهي بذل المال في أمر لا ينفع الميت، وأما خسارتهم في الآخرة فلأنهم استأجروا هذا الرجل ليقرأ كتاب الله بعوض من الدنيا، فأعانوه على الإثم، ومن يعين على الإثم آثم؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: ٢].

وإن نصيحتي لهذين الصنفين من الناس -الصنف الأول: أولئك المداحون الذين يمدحون رسول الله ﷺ بما نهاهم عنه من الغلو فيه، أو الذين يمدحونه مدحًا مقتصدين فيه، ولكنهم يقرنونه بما نهى الله عنه. وكذلك الصنف الثاني: الذين يقرءون القرآن في المآتم للأموات بالأجرة- أنصحهم جميعًا أن يتقوا الله -عز وجل-، وأن يكونوا في عباداتهم القولية والفعلية والاعتقادية متبعين لسنة الرسول ﷺ التي التمسك بها خير وفلاح في الدنيا والآخرة، وهذا الأمر -وإن كان قد يشق عليهم- بل إن كان الشيطان قد يريهم أن ذلك شاق عليهم، وأنهم يطلبون به بما يطلبونه من المال والجاه، فليصبروا على ذلك، وليحتسبوا ثواب الله -عز وجل-، الذي لا حصر له ولا نهاية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠]. وليصبروا على ترك هذه الأمور المحرمة؛ حتى يكونوا أئمة يهدون بأمر الله، وكانوا بآيات الله يوقنون.

***

(٤٥٧) يقول السائل: يقام في بلدنا كل يوم خميس حلقات دينية في بيوت المشايخ؛ بحيث يقوم صاحب الزاوية، أو الشيخ الذي تقام في داره الحلقة، بتعليم الناس الذين يأتون لحضور هذه الحلقة، ويقومون بمدح الرسول

والصحابة والشيخ عبد القادر والشيخ الرفاعي وغيرهم، كما يضربون على الدفوف، ويتحركون حركات هادئة تشبه الركوع، ولكنها كثيرة وسريعة. فماذا تقولون في مثل هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول في مثل هؤلاء: إن عملهم هذا بدعة، وربما يكون فيه مدائح تصل إلى الكفر، فإن أصحاب المدائح النبوية أحيانًا يصلون بمدائحهم إلى درجةٍ يجعلون فيها رسول الله ﷺ بمنزلة الله -سبحانه وتعالى-، بل ربما يرتقون فوق ذلك. فمنهم من يردد قول القائل يخاطب النبي ﷺ:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلًا وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

يا أكْرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ أَلوذُ به ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمِمِ

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

مثل هذه الأوصاف لا تصح إلا لله -عز وجل-، فهو الذي يدعى عند حلول الحادث العمم، ويلاذ به -عز وجل-، وهو الذي يكشف السوء، وهو الذي يجيب دعوة المضطرين.

أما الرسول -عليه الصلاة والسلام- فإنه لا يملك مثل ذلك، بل هو -عليه الصلاة والسلام- يسأل ربه ويستغيثه ويستعينه، وهو أعبد الناس لربه في هذا المقام. ولهذا لما دخل الرجل إليه والنبي ﷺ يخطب الناس شكا إليه قلة المطر، فرفع النبي ﷺ يديه إلى السماء يدعو الله يقول: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»[1]. فهو -عليه الصلاة والسلام- لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يملك ذلك لغيره؟ إنما هو -عليه الصلاة والسلام- هادٍ يهدي إلى صراط الله -عز وجل-؛ مثل هذه الأبيات التي أنشدتها لا شك أنها لم تجعل لله تعالى شيئًا؛ لأنه إذا كان

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، رقم (١٠١٤). ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

من جود النبي ﷺ الدنيا وضرتها وهي الآخرة فإنه لم يبقَ لله شيء، فأقول: هذا العمل الذي يعمله هؤلاء القوم عند هذا الشيخ عملٌ بدعيٌّ، وقد يتضمن أشياء منكرةً نكارةً عظيمة، وقد يشتمل على أشياء تكون كفرًا وشركًا أكبر.

ولو أن هذا الشيخ جمعهم على العلم، على تعلم كتاب الله، وما صح من سنة رسول الله ﷺ لكان هذا خيرًا وأفضل وأكمل، حتى ينتفع وينفع.

كذلك ذكر السائل أنهم كانوا يركعون ويسجدون بصفةٍ، ويضربون الدفوف بصفةٍ خفيفة سريعة، وهذا أيضًا منكر، لا يجوز لأحدٍ أن يتعبد به لله -عز وجل-، فإن العبادة مبناها على التوقيف، وليست على الذوق، ولا على الهوى، ولم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه، ولا عن أحدٍ من سلف الأمة وأئمتها، أن يتعبدوا لله تعالى بمثل هذه العبادة، بل هذا منكرٌ بنفسه، فضلًا عن أن يكون عبادة.

***

(٤٥٨) يقول السائل: هناك بعض من الناس يذكرون الله في حلقات يصاحبها النقر على الطبلة، مع القيام بحركات تشبه الرقص، فهل هذا جائز شرعًا في نظركم؟ وما آداب الذكر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن أقدم مقدمة تلقي الضوء على جواب هذا السؤال:

إن الله -عز وجل- خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، كما قال -عز وجل-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة التي خلقنا الله من أجلها لا تصح إلا بشرطين أساسين:

أحدهما: الإخلاص لله -عز وجل-.

ومعناه: أن يكون العابد قاصدًا بعبادته وجه الله والدار الآخرة، لا يقصد بذلك عرضًا من الدنيا، لا مالًا، ولا جاهًا، ولا تقربًا إلى أحد من المخلوقين، وإنما يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة، كما قال الله تعالى عن

محمد رسول الله وأصحابه، قال -عز وجل-: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال -عز وجل-: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

ثانيهما: المتابعة لرسول الله ﷺ.

ودليل هذين الأمرين قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]. وقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١). وقول النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

ولا تتحقق المتابعة لرسول الله ﷺ إلا إذا كان العمل موافقًا للشرع في أمور ستة: السبب والجنس والقدر والكيفية والزمان والمكان. فإذا لم يكن العمل موافقًا للشرع في هذه الأمور الستة فإن المتابعة فيه تتخلف.

أما السبب: فلا بد أن يكون لهذا العمل سبب شرعي اقتضى أن يفعل، فلو تعبد الإنسان لله تعالى عبادة قرنها بسبب لم يرد به الشرع لم تقبل منه؛ لأنها غير موافقة للشرع، فلا تتحقق فيها المتابعة، ومثال ذلك أن يتعبد الإنسان لله -عز وجل- بالصلاة على نبيه ﷺ كلما دخل بيته، فإننا نقول: إن هذا بدعة؛ لأنه لم يوافق الشرع في سببه؛ إذ لم يرد عن النبي ﷺ أن من أسباب الصلاة عليه ﷺ دخول البيت. ولو أن الإنسان ضحى بفرس لم تقبل أضحيته؛ لأنها لم توافق الشرع في جنسها؛ إذ إن الأضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم. ولو أن الإنسان صلى الرباعية خمسًا، أو الثلاثية أربعًا، أو الثنائية

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ثلاثًا، لم يقبل منه؛ لأن ذلك غير موافق للشرع في عدد العبادة. ولو أن الإنسان صلى، فقدم السجود على الركوع، لم تصح صلاته؛ لأنها غير موافقة للشرع في صفتها وهيئتها. ولو أن الإنسان ضحى قبل صلاة العيد عيد الأضحى لم تقبل أضحيته؛ لأنها غير موافقة للشرع في وقتها. ولو أن الإنسان اعتكف في بيته اعتكافًا يقصد به التقرب إلى الله -عز وجل-، كما يعتكف الناس في المساجد لم يقبل اعتكافه؛ لأنه غير موافق للشرع في مكان العبادة.

فإذا علمت هذه المقدمة النافعة، وهي: أن العبادة لا تصح إلا أن تبنى على هذين الأساسين العظيمين، وهما: الإخلاص لله -عز وجل-، والمتابعة لرسوله ﷺ تبين لك حكم هؤلاء الذين ذكرهم السائل، الذين يجتمعون على ذكر الله -عز وجل-، ويجعلون عندهم طبولًا ينقرونها عند كل جملة يذكرون الله بها، ويعملون أعمالًا تشبه الرقص، فهؤلاء مردود عليهم ذكرهم، ويكون ذكرهم الذي تعبدوا به لله على هذا الوجه بدعة.

وقد حذر النبي ﷺ من البدع، وأخبر أن كل بدعة ضلالة بدون استثناء، وأتى بـ «كل» الدالة على العموم، ومن المعلوم لنا جميعًا أن رسول الله ﷺ أعلم الخلق بشريعة الله، وأنه أنصح الخلق لعباد الله، وأنه أفصح الخلق في تعبيره وبلاغه، فإذا قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]. فإنه لا يمكن أن نقسم بعد ذلك البدع إلى أقسام، بل نقول: إن البدع كلها ضلالة مهما كانت. ومن ظن أن شيئًا من البدع يكون حسنًا فإنه قد توهم من أحد وجهين:

إما أن يكون هذا الشيء ليس ببدعة شرعًا، ولكن ظنه بدعة فسماه بدعة.

وإما أن يكون الشيء بدعة لكنه ليس بحسن، بل توهم مبتدعه أنه أحسن في ذلك، وهو لم يحسن.

وأما أن تتحقق البدعة، فإنه لا يمكن أن تتحقق أنها حسنة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». فهؤلاء المبتدعة الذين أحدثوا في ذكر الله -عز

---

(١) تقدم تخريجه.

وجل- ما ليس منه عملهم مردود عليهم، ولا يزيدهم من الله إلا بعدًا، وهو خلاف طريق الذين أنعم الله عليهم، الذين يقولون في كل صلواتهم: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧].

فإن كل مبتدع ضالٌّ فيما ابتدع في دين الله، وعلى هؤلاء أن يتوبوا إلى الله -عز وجل- من هذا الذكر، بل أن يتوبوا إلى الله -عز وجل- من هذه الكيفية التي أحدثوها في ذكر الله، هذا إذا كان الذكر الذي يذكرون الله به موافقًا للشرع في صيغته، أما إذا كان مخالفًا للشرع في صيغته فإنه يكون قبحًا على قبح، كما لو جعلوا أذكارهم: هو هو هو. وما أشبه ذلك، مما يتخذه الصوفية ونحوهم ذكرًا لله -عز وجل-.

والربُّ -سبحانه وتعالى- قد بين لنا الطريق، وأوضحه على لسان محمد ﷺ إما في كتاب الله، وإما في سنة رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦]. وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٧٦].

فإذا كان الله تعالى قد بين لنا البيان التام فإن كل عمل يقربنا إليه، ويرضيه عنا، فإنه قد بينه ووضحه، ولم يمت رسول الله ﷺ إلا والدين كامل من جميع الوجوه، واتل قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. وحقيقة حال المبتدع أنه يعترض على شريعة الله، كأنما يقول: هذه من الشريعة، ولكن لم تكن واردة، فالشرع إذًا ناقص؛ لأنه لا بد أن يكون الأمر هكذا:

إما أن يكون الشرع ناقصًا، وهذه البدعة أكملته، وإما أن يكون الشرع تامًا، فهذه البدعة زيادة ما أنزل الله بها من سلطان. ولا يحل لنا أن نتقرب إلى الله إلا بما شرع على لسان محمد ﷺ.

فنصيحتي لهؤلاء القوم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يتقوا الله -عز وجل- في عباد الله الذين يتبعونهم، ويقتدون بهم، وليرجعوا إلى ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وخلفاؤه الراشدون، فإنه الخير والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

***

(٤٥٩) يقول السائل عطية من المدينة المنورة: لقد سمعت حلقة من برنامج نور على الدرب يوم الخميس الموافق ١٤ / ٦ / ١٤٠٧ هـ، وسمعت إجابة السؤال الأول من البرنامج، الذي قال فيه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين بأن كل بدعة ضلالة، وذكر الحديث، وقال: ليس هناك بدعة غير ضلالة، وليس هناك بدعة حسنة، بل كل بدعة ضلالة. سؤالي: هل المِسْبَحَة تعتبر بدعة؟ وهل هي بدعة حسنة، أم بدعة ضلالة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المِسْبَحَة ليست بدعة دينية، وذلك لأن الإنسان لا يقصد التعبد لله بها، وإنما يقصد ضبط عدد التسبيح الذي يقوله، أو التهليل، أو التحميد، أو التكبير، فهي وسيلة، وليست مقصودة، ولكن الأفضل منها أن يعقد الإنسان التسبيح بأنامله، أي: بأصابعه؛ لأنهنَّ مستنطقات، كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ ولأن عدَّ التسبيح ونحوه بالمسبحة يؤدي إلى غفلة الإنسان، فإننا نشاهد كثيرًا من أولئك الذين يستعملون المسبحة يسبحون، وأعينهم تدور هنا وهناك؛ لأنهم قد جعلوا عدد الحبات على قدر ما يريدون تسبيحه، أو تهليله، أو تحميده، أو تكبيره، فتجد الإنسان منهم يعد هذه الحبات بيده، وهو غافل القلب، يلتفت يمينًا وشمالًا، بخلاف ما إذا كان يعدها بالأصابع، فإن ذلك أحفظ لقلبه غالبًا.

ثم إن استعمال المسبحة قد يدخله الرياء، فإننا نجد كثيرًا من الناس، الذين يحبون كثرة التسبيح، يعلقون في أعناقهم مسابح طويلة كثيرة الخرزات، وكأن لسان حالهم يقول: انظروا إلينا، فإننا نسبح الله بقدر هذه الخرزات. وأنا أستغفر الله أن أتهمهم بهذا، لكنه يخشى منه.

فهذه أمور كلها تقضي بأن يتجنب الإنسان التسبيح بالمِسْبحة، وأن يسبح الله -سبحانه وتعالى- بأنامله.

ثم إن الأَوْلى أن يكون عقد التسبيح بالأنامل في اليد اليمنى؛ «**لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ**»(١)، واليمنى خير من اليسرى بلا شك، ولهذا كان الأيمن مفضلًا على الأيسر، ونهى النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يأكل الرجل بشماله، أو يشرب بشماله، وأمر أن يأكل الإنسان بيمينه.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٢). وقال: «**لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا**»(٣). فاليد اليمنى أولى بالتسبيح من اليد اليسرى؛ اتباعًا للسنة، وأخذًا باليمين، فقد «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ؛ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ**»(٤).

وعلى هذا فإن التسبيح بالمسبحة لا يعد بدعة في الدين؛ لأن المراد بالبدعة المنهي عنها هي البدعة في الدين، والتسبيح بالمسبحة إنما هو وسيلة لضبط العدد، وهي وسيلة مرجوحة مفضولة، والأفضل منها أن يكون عد التسبيح بالأصابع.

***

(٤٦٠) يقول السائل ع. إ. أ. من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية: في يوم الجمعة عندنا يقوم بعض الناس بالتسبيح ويقولون: الصلاة وألف سلام

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصى، رقم (١٥٠٢). والترمذي: أبواب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم (٣٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم (٥٣٧٦). ومسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (٢٠٢٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (٢٠٢٠).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل، رقم (١٦٨).

يا سيدي يا رسول الله. ويستدلون بهذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] إلخ الآية. فكيف نرد على مثل هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول لهؤلاء: ما ذكرتم من الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. دليل عليكم، وليس دليلًا لكم؛ لأن الله -عز وجل- أمر بالصلاة والسلام على نبيه كل وقت، ولم يخص ذلك بيوم الجمعة، وأنتم جعلتم هذا في يوم الجمعة فقط.

ثم إن الله -عز وجل- لم يأمر بأن نصلي ونسلم عليه مجتمعين، وأنتم جعلتم الصلاة والسلام عليه مجتمعين، فخالفتم الآية؛ حيث خصصتموها بيوم معين، وبصفة معينة، والواجب علينا أن نطلق ما أطلقه الله، وأن نقيد ما قيده الله، وألَّا نتجاوز ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

ونصيحتي لهؤلاء الإخوة أن يتقيدوا بما جاء به الشرع من العبادات كمية وكيفية ونوعًا ووقتًا ومكانًا؛ لأن من شرط صحة العبادة وقبولها أن تضمن أمرين:

الأمر الأول: الإخلاص لله -عز وجل-.

ودليله قوله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤]، وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]. وقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١).

الأمر الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ.

ودليله قوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢). أو:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧). ومسلم، كتاب الحدود، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (١٧١٨).

«**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١). ولا تتحقق المتابعة للرسول ﷺ إلا أن تكون العبادة موافقة للشرع في أمور ستة: في سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها. فإذا خالفت الشرع في هذه الأمور الستة لم تتحقق فيها المتابعة، وكانت باطلة.

***

(٤٦١) يقول السائل س. من جمهورية مصر العربية من قرية المقروبة: في قريتنا بعض الناس يذكرون الله بصوت مرتفع، وهم وقوف، ويصلون على النبي ﷺ ويفعلون ذلك في ليلة الاثنين والجمعة. ونصحتهم في ذلك، وقلت لهم: إن ذلك بدعة في الدين. فسخروا مني، وقالوا لي: إننا على صواب، وأنت الذي على خطأ. وإني رفضت هذا الكلام، ولا أبالي، فما النصح لمثل هؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن نصيحتنا لمثل هؤلاء أن يتقوا الله -عز وجل- في أنفسهم، وأن يعرفوا قدر أنفسهم، وأن يعلموا أنه لا يحل لهم أن يتقدموا بين يدي الله ورسوله، وأنه ليس لهم الحق أن يشرعوا في دين الله ما ليس منه، فالدين دين الله -عز وجل-، وهو الذي يشرع لعباده ما تقتضيه حكمته مما فيه مصلحتهم في الحاضر والمستقبل، وهم يعلمون -شاءوا أم أبوا- أن الدين دين الله، وأن الشرع شرعه، ولكني أريد منهم أن يطبقوا هذا العلم، بحيث لا يتجاوزون شرع الله، فيتعبدون له بما لم يشرعه.

وليعلم هؤلاء أن كل عمل قولي، أو فعلي، أو عقدي، يقومون به تقربًا إلى الله -عز وجل-، فإنه لا يزيدهم من الله إلا بعدًا، وذلك إذا لم يكن مشروعًا بكتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في خطبة الجمعة: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢). فأخبرنا رسول الله ﷺ بهذا الحديث،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

الذي يعلنه في خطبة الجمعة، بأن خير الهدي هدي محمد ﷺ فما خالف هديه فهو شر، وأخبرنا أيضًا أن كل بدعة في دين الله ضلالة، وأن كل ضلالة في النار.

فليعلم هؤلاء أن هذا العمل عناء وعقاب؛ عناء في الدنيا ومشقة وتعب ونصب، وعقاب يوم القيامة. ولا أخص هؤلاء بما ابتدعوه من الصلاة على النبي ﷺ على الكيفية التي ذكرها السائل، ولكني أتكلم على بدعتهم هذه، وعلى جميع ما ابتدع في دين الله تعالى من عقيدة، أو قول، أو عمل، فعلى المرء أن يكون عبدًا لله -عز وجل- بمعنى هذه العبودية، فلا يتقدم بين يديه، ولا يدخل في دينه ما لم يشرعه.

***

(٤٦٢) يقول السائل: **ما حكم سماع الموالدي الذي يمدح الرسول في الليالي، ومعه طائفةٌ من الإخوان، يرددون المدح والتهليل بمكبر الصوت؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مدح النبي ﷺ على هذا الوجه من البدع، فإنه لم يكن معروفًا عند الصحابة؛ أن يمدح الرسول ﷺ في الأسواق جهرًا، أو في المساجد جهرًا، أو يعلنون ذلك على الملأ، وإنما كانوا يصلون على النبي ﷺ الصلاة الواردة عنه، ويصفونه ﷺ بما يستحقه من صفات بدون مغالاة؛ لأنهم يعلمون رضي الله عنهم أن النبي ﷺ نهى عن الغلو فيه، فهذه الصفة بمجردها بدعةٌ منهي عنها.

ثم إن كان في تلك المدائح أوصاف لا تصح إلا لله -تبارك وتعالى- فإنها لا تجوز، وتكون أيضًا مذمومةً من ناحية أخرى، وهي: الشرك؛ مثل قول القائل يخاطب النبي -عليه الصلاة والسلام-:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلًا وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

يا أكْرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ ألوذُ به ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادثِ العَمِمِ

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

فإن هذا لا يرضاه النبي ﷺ ولا يرضاه غيره من المؤمنين؛ لأن هذه الأوصاف لا تليق إلا لله -عز وجل-، بل إن قوله:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها

جعل هذا أعظم من الله -عز وجل-.

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

هذا -والعياذ بالله- منكرٌ عظيم، وشرك بالله -تبارك وتعالى-.

فالمهم أن هذه المدائح بمجرد صفتها التي ذكرها السائل هي بدعة، ثم إن كانت مشتملة على ما لا يليق بالنبي ﷺ بمعنى: على ما لا يرضاه النبي ﷺ من الغلو، فإنها تزداد قبحًا على قبحها.

ما حكم من يسمعها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الاستماع إليها فهذا لا يجوز؛ لأن الاستماع إلى المنكر منكر. وأما سماعها والإنسان عابرٌ مار، أو سماعها والإنسان في بيته بدون قصد الاستماع، فهذا لا يضر، ولكنه يجب عليه أن ينصحهم وينهاهم عن ذلك إن انتهوا، وإلَّا فلا شيء عليه منهم.

***

(٤٦٣) يقول السائل م. ع. ص. من جمهورية مصر العربية: ما حكم الشرع -في نظركم- في أعياد الميلاد، والاحتفال بذكرى المولد للرسول ﷺ لأنها تنتشر عندنا بكثرة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نظرنا في هذه المسألة أن نقول: إن رسول الله ﷺ رسول إلى الخلق أجمعين، وإنه يجب على جميع الخلق أن يؤمنوا به ويتبعوه، وإنه يجب علينا -مع ذلك- أن نحبه أعظم من محبتنا لأنفسنا ووالدينا وأولادنا؛ لأنه رسول الله ﷺ ونرى أن من تعظيم النبي ﷺ وعلامة محبته ألَّا نتقدم بين يديه بأمر لم يشرعه لنا؛ لأن ذلك من التقدم عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١-٢].

وإقامة عيد لميلاد النبي ﷺ لا تخلو من أحوال ثلاث:

إما أن يفعلها الإنسان حبًّا وتعظيمًا للنبي ﷺ.

وإما أن يفعلها لهوًا ولعبًا.

وإما أن يفعلها مشابهةً للنصارى، الذين يحتفلون بميلاد عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-.

فعلى الأول: إذا كان يفعلها حبًا وتعظيمًا للرسول الله ﷺ فإنها في هذه الحال تكون دينًا وعبادة؛ لأن محبة النبي ﷺ وتعظيمه من الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩]. وإذا كان ذلك من الدين فإنه لا يمكن لنا، ولا يسوغ لنا، أن نشرع في دين النبي ﷺ ما ليس منه؛ إذ إن ذلك -أي: شرعنا في دين النبي ﷺ ما ليس منه- يستلزم أحد أمرين باطلين:

١- إما أن يكون الرسول ﷺ لم يعلم بأن هذا من شريعته، وحينئذٍ يكون جاهلًا بالشرع الذي كلف بتبليغه، ويكون من بعده، ممن أقاموا هذه الاحتفالات، أعلم بدين الله من رسوله، وهذا أمر لا يمكن أن يتفوه به عاقل، فضلًا عن مؤمن.

٢- وإما أن يكون النبي ﷺ قد علم، وأن هذا أمر مشروع، ولكنه كتم ذلك عن أمته، وهذا أقبح من الأول؛ إذ إنه يستلزم أن النبي ﷺ قد كتم بعض ما أنزل الله عليه، وأخفاه على الأمة، وهذا من الخيانة العظيمة، وحاشا رسول الله ﷺ أن يكتم شيئًا مما أنزل الله عليه. قالت عائشة رضي الله عنها: **وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ:** ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي

نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧][(١)].

وبهذا بطلت إقامة الاحتفال بمولد النبي ﷺ من أجل محبته وتعظيمه.

وأما الأمر الثاني: وهو أن تكون إقامة هذه الاحتفالات على سبيل اللهو واللعب، فمن المعلوم أنه من أقبح الأشياء أن يُفعَل فعل يظهر منه إرادة تعظيم النبي ﷺ وهو للعب واللهو، فإن هذا نوع من السخرية والاستهزاء، وإذا كان لهوًا ولعبًا، فكيف يتخذ دينًا يعظم به النبي ﷺ؟

وأما الأمر الثالث: وهو أن يتخذ ذلك مضاهاة للنصارى في احتفالاتهم بميلاد عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-، فإن تشبهنا بالنصارى في أمر كهذا يكون حرامًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[(٢)].

ثم نقول: إن هذا الاحتفال بمولد النبي ﷺ لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان، ولا تابعو التابعين، وإنما حدث في القرن الرابع الهجري، فأين سلف الأمة عن هذا الأمر الذي يراه فاعلوه من دين الله؟ هل هم أقل محبة وتعظيمًا منا لرسول الله؟ أم هل هم أجهل منا بما يجب للنبي ﷺ من التعظيم والحقوق؟ أم ماذا؟

إن أي إنسان يقيم هذا الاحتفال، ويزعم أنه معظم للنبي ﷺ فقد ادعى لنفسه أنه أشد تعظيمًا لرسول الله ﷺ وأقوى محبة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، ولا ريب أن محبة النبي ﷺ وتعظيمه إنما يكون باتباع سنته ﷺ لأن اتباع سنته أقوى علامة تدل على أن الإنسان يحب النبي ﷺ ويعظمه، أما التقدم بين يديه، وإحداث شيء في دينه لم يشرعه، فإن هذا لا يدل على كمال محبة الرسول ﷺ وتعظيمه.

قد يقول قائل: نحن لا نقيمه إلا من باب الذكرى فقط. فنقول:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، رقم (١٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب اللباس، باب في لباس الشهرة، رقم (٤٠٣١).

سبحان الله! تكون لكم الذكرى في شيء لم يشرعه النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولم يفعله الصحابة رضي الله عنهم؟ مع أن لديكم من الذكرى ما هو قائم ثابت بإجماع المسلمين، وأعظم من هذا وأدوم؛ فكل المسلمين يقولون في أذان الصلوات الخمس: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. وكل المسلمين يقولون في صلاتهم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وكل المسلمين يقولون عند الفراغ من الوضوء: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

بل إن ذكرى النبي ﷺ تكون في كل عبادة يفعلها المرء؛ لأن العبادة من شرطها الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ فإذا كان الإنسان مستحضرًا ذلك عند فعل العبادة فلا بد أن يستحضر أن النبي ﷺ إمامه في هذا الفعل، وهذا تذكر.

وعلى كل حال، فإن فيما شرعه الله ورسوله من علامات المحبة والتعظيم لرسول الله ﷺ كفاية عما أحدثه الناس في دينه، مما لم يشرعه الله ولا رسوله، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفق الجميع لما فيه الخير.

على أن هذه الاحتفالات -فيما نسمع- يكون فيها من الغلو والإطراء ما قد يخرج الإنسان من الدين، ويكون فيها من الاختلاط بين الرجال والنساء ما تخشى منه الفتنة والفساد، والله أسأل أن يهيئ للأمة الإسلامية من أمرها رشدًا، وأن يوفقها لما فيه صلاح دينها ودنياها، وعزتها وكرامتها، إنه جواد كريم.

***

(٤٦٤) يقول السائل من مكة المكرمة: كثير من الناس يقول: إن المولد ليس ببدعة؛ لأن فيه ذكرًا للرسول ﷺ وتمجيدًا لذكره، وليس فيها لهوٌّ من غناء وغيره، بل هو ذكر فقط في سيرة المصطفى ﷺ. فما الحكم إذا كان المولد بهذه الصورة؟ أريد جوابًا شافيًا وواضحًا لهذا الموضوع؛ لأن الكثير من الناس يرون أنه ليس فيه شيء من البدع لأنه ذكر فقط.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن النبي ﷺ سيد ولد آدم، ولا شك أن له حقوقًا علينا أكثر من حقوق أمهاتنا وآبائنا، ولا شك أنه يجب علينا أن نقدم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ولا شك أن له من المناقب والفضائل ما لم يكن لغيره، وهذا أمر مسلم.

وإذا كان هذا يسأل عن الاحتفال بمولد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإننا نبحث في هذه المسألة من ناحيتين:

أولًا: من الناحية التاريخية: فإنه لم يثبت أن ولادته كانت في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، ولا كانت يوم الثاني عشر من ربيع الأول، بل حقق بعض المعاصرين من الفلكيين أن ولادته كانت في اليوم التاسع من ربيع الأول، وعلى هذا فلا صحة لكون المولد يوم الثاني عشر، أو ليلة الثاني عشر من الناحية التاريخية.

ثانيًا: من الناحية التعبدية: فإننا نقول: الاحتفال بالمولد ماذا يريد به المحتفلون؟ أيريدون إظهار محبة الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؟ إن كانوا يريدون هذا فإظهار محبته بإظهار شريعته -عليه الصلاة والسلام- والالتزام بها، والذود عنها وحمايتها من كل بدعة. أم يريدون ذكرى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؟ فذكرى رسول الله ﷺ حاصلة فيما هو مشروع كل يوم؛ فالمؤذنون يعلنون على المنابر: أشهد أن محمدًا رسول الله. والمصلون في كل صلاة يقولون: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ويقولون: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ويقولون: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد. بل كل عبادة فهي ذكرى لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وذلك لأن العبادة مبنية على أمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ. وبالمتابعة لرسول الله ﷺ تكون الذكرى في القلب.

أم يريد هؤلاء أن يكثروا من الصلاة على النبي -صلى الله عليه وعلى آله

وسلم- وإظهار مناقبه؟ فنقول: نِعْم هذه الإرادة، ونحن معهم نحث على كثرة الصلاة على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ونحث على إظهار مناقبه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في أمته؛ لأن ذلك يؤدي إلى كمال محبته وتعظيمه واتباع شريعته.

ولكن هل ورد هذا مقيدًا بذلك اليوم الذي ولد فيه الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أم إنه عام في كل وقت وحين؟ فالجواب بالثاني.

ثم نقول: اقرأ قول الله -عز وجل-: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فهل نحن متبعون للمهاجرين والأنصار في إقامة هذا المولد، بل في إقامة الاحتفال بمولد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؟ فالجواب: لا؛ لأن الخلفاء الراشدين والصحابة أجمعين، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين من بعدهم، لم يقيموا هذا الاحتفال، ولم يندبوا إليه أبدًا، أفنحن أحق برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- منهم، أم هم غافلون مفرطون في إقامة هذا الحق للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، أم هم جاهلون به لا يدرون عنه؟ كل هذا لم يكن؛ لأن وجود السبب مع عدم المانع لا بد أن يحصل مقتضاه، والصحابة لا مانع لهم من أن يقيموا هذا الاحتفال، لكنهم يعلمون أنه بدعة، وأن صدق محبة الرسول -عليه الصلاة والسلام- في كمال اتباعه، لا أن يبتدع الإنسان في دينه ما ليس منه، فإذا كان الإنسان صادقًا في محبة الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وفي اعتقاده أنه سيد البشر، فليكن ملتزمًا بشريعته؛ ما وجد في شريعته قام به، وما لم يوجد أعرض عنه، هذا خالص المحبة وهذا كامل المحبة.

ثم إن هذه الموالد يحصل فيها من الاختلاط والكلمات الزائدة في الغلو برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حتى إنهم يترنمون بالبردة المضافة إلى البوصيري، وفيها يقول:

يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ أَلوذُ به   سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمِمِ

كيف يقول: ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العظيم؟ هل هذا صحيح؟ هذا يعني أن هذا الذي أصيب بالحادث لا يرجع إلى الله -عز وجل-، ولا يلوذ بالله -عز وجل-، وهذا شرك، ثم يقول:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذًا بِيَدِي   فَضْلًا وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

فهل الرسول -عليه الصلاة والسلام- ينقذ الناس يوم المعاد؟ إن دعاء الرسل عليهم الصلاة والسلام في ذلك اليوم: اللهم سلم، اللهم سلم. عند عبور الصراط. ويقول أيضًا في هذه القصيدة وهو يخاطب النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها

الدنيا وضرتها هي الآخرة من جود الرسول ﷺ وليس كل جوده، بل هي من جوده، وجوده أجود من هذا، فإذا جعل الدنيا والآخرة من جود الرسول -عليه الصلاة والسلام- ماذا بقي لله تعالى في الدنيا والآخرة؟ لن يبقى شيء، كل هاتين الدارين من جود النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ويقول أيضًا:

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

سبحان الله! من علومه -وليست كل علومه- أن يعلم ما في اللوح المحفوظ، مع أن الله تعالى أمر نبيه أمرًا خاصًّا أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فإذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يعلم ما غاب عنه في الدنيا فكيف يقال: إنه يعلم علم اللوح والقلم؟ بل إن علم اللوح والقلم من علومه، وهذا غلو لا يرضاه الرسول -عليه الصلاة والسلام-، بل ينكره وينهى عنه.

ثم إنه يحصل بهذا الاحتفال بالمولد أشياء تشبه حال المجانين؛ فقد سمعنا أنهم بينما هم جلوس إذا بهم يقفزون، ويقومون قيام رجل واحد، ويدَّعون أن النبي ﷺ حضر في هذا المجلس، وأنهم قاموا احترامًا له، وهذا لا يقع من عاقل، فضلًا عن مؤمن، أشبه ما به جنون! فالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في قبره، لا يخرج إلى يوم البعث، كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

والخلاصة أن الاحتفال بمولد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يصح من الناحية التاريخية، ولا يحل من الناحية الشرعية، وأنه بدعة، وقد قال أصدق الخلق، وأعلم الخلق بشريعة الله: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)]. وإني أدعو إخواني المسلمين إلى تركه، والإقبال على الله -عز وجل-، وتعظيم سنة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وشريعته، وألَّا يحدث الإنسان في دين الله ما ليس من شريعة الله. وأنصحهم أن يحفظوا أوقاتهم وعقولهم وأفكارهم وأجسامهم وأموالهم من إضاعتها في هذا الاحتفال البدعي، وأسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية والتوفيق، وإصلاح الحال، إنه على كل شيء قدير.

***

(٤٦٥) **يقول السائل**: متى ظهرت بدعة المولد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: مضت الثلاثة القرون المفضلة ولم يقمها أحد، وفي القرن الرابع وجدت، وفي القرن السابع كثرت وانتشرت وتوغلت. وقد أُلف في ذلك -والحمد لله- مؤلفات تبين أول هذه البدعة، وأساسها ومكانتها من الشرع، وأنها لا أصل لها في شريعة الله.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٤٦٦) يقول السائل: **يزعم أناس أنهم يحبون الرسول فاحتفلوا بالمولد، وأتوا بالمدائح، فما حكم الاحتفال بالمولد؛ حيث يزعمون بأنه حب للرسول؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: على القاعدة التي ذكرت لك: من أحب الرسول فليتبع سنته، من أحب الرسول فلا يبتدع في دينه ما ليس منه، ولنا ولغيرنا كتابات في هذا الموضوع وبيانات، والذي نسأل الله تعالى إياه أن يهدي إخواننا للصراط المستقيم. وسبحان الله! أين أبو بكر؟ أين عمر؟ أين عثمان؟ أين علي؟ أين الصحابة ﷺ؟ أين الأئمة عن هذا؟ أجهلوه أم فرطوا فيه؟ لا يخلو الأمر من أحد أمرين:

١- إما أنهم جاهلون بحق الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن لا يقيموا الاحتفال لمولده.

٢- أو إنهم مفرطون.

تذهب القرون الثلاثة كلها ولا تعلم بهذه البدعة، ونقول: إنها مشروعة، إنها محبوبة إلى الله ورسوله، إنها نافعة لمن قام بها؟ هذا لا يمكن.

ثم إنه يحدث في هذه الموالد من المنكرات العظيمة والغلو بالرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- شيء كثير، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعًا الاتباع، نسأل الله تعالى إيمانًا لا كفر معه، ويقينًا لا شك معه، وإخلاصًا لا شرك معه، واتباعًا لا ابتداع معه.

***

(٤٦٧) يقول السائل ط. م. من الجزائر: **هل احتفل الرسول ﷺ بميلاده، كما يفعل البعض، أم لا؟ أرجو منكم التوجيه والنصح في هذا الموضوع.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لم يحتفل النبي ﷺ بذكرى ميلاده، ولم يحتفل بذلك أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم، ولا غيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولم يحتفل بذلك التابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ولا تابعو

التابعين، ولا أئمة المسلمين، وإنما ابتدع هذا الاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ في أثناء المائة الرابعة، أي: بعد ثلاثمائة سنة من هجرة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

ولا شك أن الحامل لهذا الاحتفال ممن أسسه، أنه -إن شاء الله تعالى- حب الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لكن حب الرسول -عليه الصلاة والسلام-، إنما يتبين حقيقةً باتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فمن كان للرسول أحب كان له أتبع بلا شك، ومن كان للرسول أتبع كان ذلك أدل على محبته لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولهذا يقول المبتدعون لأهل السنة المتمسكين بها: إن هؤلاء لا يحبون الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ونقول: سبحان الله! أيهما أقرب إلى حب الرسول -عليه الصلاة والسلام-: من شرع في دينه ما ليس منه، أو من تمسك بهديه وسنته؟

الجواب لا شك أنه الثاني؛ أن من تمسك بهديه وسنته فهو أشد حبًّا لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ممن ابتدع في شريعته ما لم يشرعه -عليه الصلاة والسلام-، بل إن البدعة الشرعية في دين الله مضمونها القدح برسول الله ﷺ كأن المبتدع يقول: إن رسول الله ﷺ جاهل بمشروعية هذه البدعة. أو: إن رسول الله ﷺ عالم بمشروعيتها لكن كتمها عن أمته.

وكلا الأمرين قدحٌ واضح في رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فلو تأمل المبتدع ما تتضمنه بدعته من اللوازم الفاسدة لاستغفر الله منها، ولعاد إلى السنة فورًا بدون أي واعظ.

وخلاصة القول في الجواب على هذا السؤال: أن النبي ﷺ لم يحتفل بذكرى ميلاده أبدًا، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا الصحابة ولا التابعون، ولا تابعو التابعين، ولا أئمة المسلمين، وإنما حدث ذلك من بعض الولاة، واستمر الناس عليه إلى يومنا هذا، ولكني واثقٌ بإذن الله -عز وجل- أن هذه الصحوة المباركة التي في شباب الأمة الإسلامية سوف تقضي على هذه البدعة، وسوف

تزول شيئًا فشيئًا، كما تبين ذلك في بعض البلاد الإسلامية، ممن تذكروا حين ذكروا واتعظوا حين وعظوا، ولم يعودوا إلى هذه البدعة.

قد يقول المبتدع: أنا لم أحدث شيئًا، أنا أصلي على النبي ﷺ وأذكره بالخير، وأثني عليه، وأحيي ذكراه في القلوب. نقول: هذا حسن؛ فالصلاة على النبي ﷺ محمودة، والثناء عليه بما هو يستحق محمود، وكذلك إحياء ذكراه محمود، ولكن الله -عز وجل- ورسوله ﷺ شرع لأمته ما تحصل به الذكرى والمحبة على غير هذا الوجه.

فنحن نذكر الرسول -عليه الصلاة والسلام- في كل عبادة، هذا هو الذي ينبغي لنا أن نفعله، أي: أن نذكر الرسول ﷺ في كل عبادة، وذلك لأن كل عبادة مبنية على أمرين: على الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ. وحينما تشعر بأنك في عبادتك متبعٌ لرسول الله فسيكون هذا ذكرى لرسول الله ﷺ.

كذلك أيضًا نحن نذكر النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونرفع شأنه وذكراه في أعلى الأمكنة، في كل يومٍ وليلة خمس مرات في الأذان، نقول في كل أذان: أشهد أن محمدًا رسول الله. وهذا إحياءٌ لذكراه، وإعلاءٌ لشأنه من على المنارات بالأصوات المرتفعة، ونقول أيضًا مرةً ثانية عند القيام للصلاة في الإقامة: أشهد أن محمدًا رسول الله. أي ذكرى أعظم من هذه الذكرى؟ كذلك إذا فرغنا من الوضوء نقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. كذلك في الصلاة، في التشهد، نقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

في كل أحوالنا، في كل عباداتنا، نحن نذكر الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن العبادة إخلاصٌ واتباع: إخلاصٌ لرب العالمين، واتباعٌ لرسول رب العالمين، فهي إحياء الذكرى، فلا حاجة أن نبتدع في شريعة الله ما ليس منها من أجل إحياء الذكرى.

ثم إنه -كما قال بعض أهل العلم- إحياء ذكرى الرسول -عليه الصلاة

والسلام- في هذه الليلة يوجب أن ينسى ذكر الرسول في غير هذه الليلة، وأن يترقب هؤلاء مجيء هذه الليلة ليحيوا ذكرى رسول الله ﷺ فيها.

لهذا نوجه إخواننا المسلمين من على هذا المنبر -ألا وهو: منبر نورٌ على الدرب من إذاعة المملكة العربية السعودية- إلى أن يتدبروا الأمر، وينظروا فيه، ويحرصوا على اتباع الرسول ﷺ واتباع الخلفاء الراشدين؛ حيث أمرنا باتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وانتبه لهذا القيد ﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾. والإحسان اتباع آثارهم حقيقةً فعلًا وتركًا، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾. وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»**[1].

فليتدبر إخواننا المسلين في بقاع الأرض هذه المسألة، وليقولوا في أنفسهم: أنحن خيرٌ، أم أصحاب رسول الله ﷺ؟ ولو كان خيرًا لسبقونا إليه. أنحن أشد حبًا لرسول الله ﷺ من أصحابه؟ أنحن أشد حرصًا على الطاعات من أصحابه؟ كل هذا الجواب فيه: لا. وإذا كان الجواب فيه: لا. فليكن أيضًا الجواب في الاحتفال بذكرى مولده: لا. وليعلموا أنهم إذا تركوا ذلك لله -عز وجل-، وتحقيقًا لاتباع الرسول ﷺ فسيجعل الله في قلوبهم من الإيمان بالله ورسوله ومحبة الله ورسوله ما لم يكن فيها عند وجود هذه الاحتفالات، التي يدَّعون أنها ذكرى لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

***

(٤٦٨) يقول السائل إ. م. ع. ق. من السودان من مدينة السوكي يقول: بالنسبة للاحتفال في ليلة الإسراء والمعراج، فهنا في السودان نحتفل -أو

---

(١) تقدم تخريجه.

يحتفلون- في ليلة الإسراء والمعراج في كل عام. فهل هذا الاحتفال له أصل من كتاب الله، ومن سنة رسوله الطاهرة، أو في عهد خلفائه الراشدين، أو في زمن التابعين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس لهذا الاحتفال أصل في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين -رضوان الله عليهم-، وإنما الأصل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يردُّ هذه البدعة؛ لأن الله -تبارك وتعالى- أنكر على الذين يتخذون من يشرعون لهم دينًا سوى دين الله -عز وجل-، وجعل ذلك من الشرك، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى: ٢١]. ولأن رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

والاحتفال بليلة المعراج ليس عليه أمر الله، ولا رسوله ﷺ ولقول النبي ﷺ محذرًا أمته، يقوله في كل خطبة جمعة على المنبر: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢). وكلمة: «**كل بدعة**» هذه جملة عامة ظاهرة العموم؛ لأنها مصدَّرة بـ «**كل**» التي هي من صيغ العموم، التي هي من أقوى الصيغ: «**كل بدعة**»، ولم يستثن النبي ﷺ شيئًا من البدع، بل قال: «**كل بدعة ضلالة**».

والاحتفال بليلة المعراج من البدع التي لم تكن في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم، وعلى هذا فالواجب على المسلمين أن يبتعدوا عنها، وأن يعتنوا باللب دون القشور، إذا كانوا حقيقة معظمين لرسول ﷺ فإن تعظيمه بالتزام شرعه وبالأدب معه؛ حيث لا يتقربون إلى الله -تبارك وتعالى- من طريق غير طريقه ﷺ فإن من كمال

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

الأدب، وكمال الاتباع لرسول الله ﷺ أن يلتزم المؤمن شريعته، وألَّا يتقرب إلى الله بشيء لم يثبت في شريعته ﷺ.

وعلى هذا نقول: إن الاحتفال بدعة يجب التحذير منها، والابتعاد عنها، ثم إننا نقول أيضًا: إن ليلة المعراج لم يثبت؛ من حيث التاريخ في أي ليلة هي، بل إن أقرب الأقوال في ذلك -على ما في هذا من النظر- أنها في ربيع الأول، وليست في رجب كما هو مشهور عند الناس اليوم، فإذًا لم تصح ليلة المعراج التي يزعم الناس أنها ليلة المعراج، وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، لم تصح تاريخيًّا، كما أنها لم تصح شرعًا، والمؤمن ينبغي أن يبني أموره على الحقائق دون الأوهام.

***

(٤٦٩) **يقول السائل**: **ما الذي ينبغي للمسلم أن يفعله إذا وافق هذه الليلة -مثلًا- في أول الربيع، أو في رجب؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا ينبغي أن يفعل شيئًا؛ لأن مَن هم أحرص منا على الخير، وأشد منا تعظيمًا لرسول الله ﷺ وهم الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يفعلون شيئًا عند مرورها، ولهذا لو كانت هذه الليلة مشهورة عندهم ومعلومة لكانت مما ينقل نقلًا متواترًا، لا يمتري فيه أحد، وما حصل فيها هذا الخلاف التاريخي، الذي اختلف فيه الناس واضطربوا فيه، ومن المعلوم أن المحققين قالوا: إنه لا أصل لهذه الليلة التي يزعم أنها ليلة المعراج، وهي ليلة السابع والعشرين، ليس لها أصل شرعي، ولا تاريخي.

يقول السائل: **هل الاختلاف إذًا في وقتها دليل على عدم الاحتفاء بها؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم.

***

(٤٧٠) تقول السائلة ل. م. ن: نحن كل سنة يقام عيد خاص يسمى عيد الأم، وهو في الحادي والعشرين من شهر آذار -مارس- يحتفل فيه جميع الناس، فهل هذا حرام أم حلال؟ وعلينا الاحتفال به أم لا وتقديم الهدايا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب على ذلك: أن كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية كلها أعياد بدع حادثة، ما كانت معروفة في عهد السلف الصالح، وربما يكون منشؤها من غير المسلمين أيضًا، فيكون فيها مع البدعة مشابهة أعداء الله -سبحانه وتعالى-.

والأعياد الشرعية معروفة عند أهل الإسلام، وهي: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الأسبوع. وليس في الإسلام أعياد سوى هذه الأعياد الثلاثة، وكل أعياد أحدثت سوى ذلك فإنها مردودة على محدثيها، وباطلة في شريعة الله -سبحانه وتعالى-؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[1]. أي: مردود عليه غير مقبول عند الله، وفي لفظ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

وإذا تبين ذلك فإنه لا يجوز العيد الذي ذكرته السائلة، والذي سمته عيد الأم، لا يجوز فيه إحداث شيء من شعائر العيد، كإظهار الفرح والسرور وتقديم الهدايا، وما أشبه ذلك، والواجب على المسلم أن يعتز بدينه ويفتخر به، وأن يقتصر على ما حده الله ورسوله في هذا الدين القيم، الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، فلا يزيد فيه، ولا ينقص منه.

والذي ينبغي للمسلم أيضًا أن لا يكون إمعة يتبع كل ناعق، بل ينبغي أن تكون شخصيته بمقتضى شريعة الله -سبحانه وتعالى-، حتى يكون متبوعًا لا تابعًا، وحتى يكون أسوة لا متأسيًا؛ لأن شريعة الله والحمد لله كاملة من جميع الوجوه، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[المائدة: ٣]. والأم أحق من أن يحتفل بها يومًا واحدًا في السنة، بل الأم لها الحق على أولادها أن يرعوها، وأن يعتنوا بها، وأن يقوموا بطاعتها في غير معصية الله -عز وجل- في كل زمان، وفي كل مكان.

***

(٤٧١) يقول السائل من جمهورية مصر العربية: ما حكم تبادل الهدايا بين الأقارب والأصدقاء في مناسبات أعياد الميلاد وعيد الزواج؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الشطر الأول من السؤال فلا أدري هل يريد بالأعياد أعياد الميلاد النصرانية، أم أنه يريد بأعياد الميلاد أعياد الميلاد النبوية، التي يفعلها من يفعلها في مناسبة مولد الرسول ﷺ؟

فإن كان يريد الأول فالتهادي في هذه الأعياد والاحتفال بها، واعتقاد أنها أيام فرح وسرور، مشاركةٌ للمشركين في أعيادهم، وهو محرَّمٌ بالاتفاق، كما نقله ابن القيم رحمه الله وغيره، ولا يجوز بذل الهدايا لا للمسلمين ولا للنصارى في أعياد ميلادهم؛ لأن بذل ذلك رضًا بما هم عليه من الملة الشركية الكفرية، والإنسان فيها على خطرٍ عظيم.

وأما إذا كان المراد بأعياد الميلاد أعياد ميلاد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، التي ابتدعها من ابتدعها، فالتهادي فيها حكمه حكم اتخاذها عيدًا، واتخاذ أيام ميلاد الرسول -عليه الصلاة والسلام- عيدًا الصحيح من الأقوال أنه غير مشروع؛ لأنه لم يحدث في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولا عهد الخلفاء الراشدين، ولا عهد الصحابة بعدهم، ولا عهد التابعين ولا عهد تابعي التابعين، وأول ما حدث عام ثلاثمائةٍ وواحد وستين من الهجرة، فصار الناس فيه ثلاثة أقسام: قسمٌ مؤيد، وقسمٌ مفند، وقسمٌ مفصل.

أما المؤيد فيقول: إن هذا من باب إظهار فرحنا برسول الله ﷺ وتعظيمنا له، حتى لا يقول النصارى: إن المسلمين لا يحتفلون بنبيهم، ولا يهتمون به،

كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»، فيكون استحسان ذلك من باب دفع اللوم عن الأمة الإسلامية.

ومنهم من علل بأن هذا الاحتفال ليس إلا صلاةً على رسول الله ﷺ وثناءً عليه، وإحياءً لذكره، وهذا أمرٌ مطلوب على وجه العموم، وما كان مطلوبًا على وجه العموم فلا مانع من أن نقوم به عند مناسبته.

وأما المفند له فيقول: إنه ما من شك في أن محبتنا لرسول الله ﷺ واجبة، وأنه يجب علينا أن نقدم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، وأنه يجب علينا أن نعظمه ما يستحق من التعظيم، ولكن المحبة تستلزم أن لا نتجاوز طريق المحبوب، والتعظيم يستلزم ألَّا نتقدم بين يديه، وألَّا نسيء الأدب معه، بل نلتزم بما شرع لنا من الشرائع، ولا نحدث في دينه ما ليس منه.

ولا ريب أن الاحتفاء، أو الاحتفال، بمولد الرسول -عليه الصلاة والسلام- فاعله إنما يقصد من ذلك التقرب إلى الله -عز وجل-، والتقرب إلى الله تعالى عبادة، والعبادة لا بد فيها من أن تثبت بدليلٍ شرعي؛ لأن الأصل في العبادات المنع، إلا ما قام الدليل عليه، وادعاء أن هذا من باب إحياء ذكره وتعظيمه، ودفع اللوم عن المسلمين منقوض ومدفوعٌ؛ بأن ذكر رسول الله ﷺ على قلب كل مؤمن في كل عبادةٍ يفعلها، فإن العبادة لا بد فيها من الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ وحينئذٍ فإن كل عابدٍ يريد أن يحقق العبادة فسيكون ذكر رسول الله ﷺ على قلبه عند فعل كل عبادة، من أجل أنه يشعر بأنه متبعٌ لرسول الله ﷺ فيها.

وأيضًا فإن ذكرى رسول الله ﷺ بما لم يشرعه ليست بحميدة، وفي ذكراه بما شرعه ما يغني عن ذلك وأكثر، فالمسلمون يعلنون في كل يومٍ خمس مرات ذكر اسم الرسول ﷺ على الأماكن العالية، وفي كل صلاة، وعند كل صلاة، فلم يغب ذكر رسول الله ﷺ ولله الحمد، عن المسلمين في كل وقت، لا في الليل، ولا في النهار، وهم في غنًى عن هذا الأمر الذي أحدث، ولم يكن في عهده ﷺ.

وأما المفصلون فقالوا: إن اقتصر الاحتفال بالمولد على مجرد قراءة سيرة النبي ﷺ وذكر شمائله وصفاته، والصلاة عليه ﷺ فهذا لا بأس به؛ لأنه عبادةٌ شرع جنسها، ولا مانع من أن تخصص بوقتٍ مناسب.

أما إذا كان في هذا الاحتفال ما يناقض ذلك من الغلو برسول الله ﷺ وإنشاد القصائد التي قد تخرج الإنسان من الملة بالشرك الأكبر، أو بالخرافات التي يقوم بها من يحتفلون بهذا المولد؛ من الصفق والصراخ والزعيق، واعتقاد أن الرسول ﷺ حضر، ثم يقومون له -زعموا- تبجيلًا وتعظيمًا، وما أشبه ذلك، فهذا حرام. ولكن على القول الراجح تفنيد هذا الاحتفال مطلقًا، سواءٌ اشتمل على ما فيه الغلو والخرافات، أم لم يشتمل، وكفى بما شرعه النبي ﷺ به غنية عما سواه.

ونحن نقول: إذا دار الأمر بين أن يكون فعلك هذا قربة أو بدعة فالسلامة أسلم، وما دام الله -عز وجل- لم يكلفك به، ولم يأمرك به، فاحمد الله على العافية، وجانب ما قد يكون ضررًا عليك، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام.

***

(٤٧٢) يقول السائل أ. م. من الرياض: يحتفل الزوجان فيما بينهما بيوم زواجهما، ويجعلان لذلك اليوم خاصية عن الأيام الأخرى وذلك للذكرى، فيتبادلان الهدايا بينهما. فما الحكم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أرى أن ذلك لا يجوز؛ لأنهم يتخذون هذا عيدًا؛ كلما جاء ذلك اليوم اتخذوه عيدًا، يتبادلون فيه الهدايا والفرح، وما أشبه ذلك، لكن لو فعلوا هذا عند الزواج ليلة الزفاف، أو في أيام الزواج فلا بأس، أما أن يجعلوه كلما مر هذا اليوم من كل سنة فعلوا هذا الاحتفال فلا يجوز؛ لأن الأعياد الشرعية ثلاثة: عيد الفطر، وعيد النحر، وعيد الأسبوع.

***

(٤٧٣) تقول السائلة م. م. أ. من قطر من الدوحة: لقد اعتدنا في نصف شهر شعبان كل سنة توزيع بعض الأطعمة والمأكولات على الجيران تصدقًا، فهل هذا العمل بدعة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هذا العمل بدعة، وذلك لأنه لم يكن على عهد النبي ﷺ وأصحابه، وكل ما يتقرب به العبد مما ليس على عهد النبي ﷺ وأصحابه فإنه يكون بدعة؛ لقول النبي ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»[(١)].

حتى لو فُرض أن الإنسان قال: أنا لا أقصد بذلك التقرب إلى الله، ولكنها عادة اعتدناها. نقول: تخصيص العادة بيوم معين يتكرر كل سنة يجعل هذا اليوم بمنزلة العيد، ومن المعلوم أنه ليس هناك عيد في الشريعة الإسلامية إلَّا ما ثبت في الشريعة، كعيد الفطر، وعيد الأضحى، وكذلك يوم الجمعة هو عيد للأسبوع، وأما النصف من شعبان فلم يثبت في الشريعة الإسلامية أنه عيد، فإذا اتخذ عيدًا توزع فيه الصدقات، أو تهدى فيه الهدايا على الجيران، كان هذا من اتخاذه عيدًا.

***

(٤٧٤) تقول السائلة أ. ع. من جمهورية مصر العربية من محافظة الشرقية: في بلدنا بعض العادات التي وجدناها في بعض المناسبات، فمثلًا في عيد الفطر يعملون الكعك والبسكويت، وأيضًا في السابع والعشرين من رجب يحضرون اللحوم والفاكهة والخبز، كذلك في النصف من شعبان، وفي مولد النبي ﷺ يحضرون الحلوى والعرائس وغيرها، في شم النسيم يحضرون البيض والبرتقال والبلح، وكذلك في عاشوراء يحضرون اللحم والخبز والخضروات وغيرها. ما حكم الشرع في هذا العمل في نظركم؟

---

(١) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم أما ظهور الفرح والسرور في أيام العيد عيد الفطر، أو عيد الأضحى، فإنه لا بأس به، إذا كانت بالحدود الشرعية؛ ومن ذلك أن يأتي الناس بالأكل والشرب، وما أشبه هذا، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** »(١). يعني بذلك الثلاثة الأيام التي بعد عيد الأضحى. وكذلك في العيد أيضًا الناس يضحُّون، ويأكلون من ضحاياهم، ويتمتعون بنعم الله عليهم، وكذلك في عيد الفطر لا بأس بإظهار الفرح والسرور ما لم يتجاوز الحد الشرعي.

أما إظهار الفرح في ليلة السابع والعشرين من رجب، أو في ليلة النصف من شعبان، أو في يوم عاشوراء، فإنه لا أصل له، وينهى عنه، ولا يحضر إذا دعي الإنسان إليه؛ لقول النبي ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**»(٢).

فأما ليلة السابع والعشرين من رجب فإن الناس يدعون أنها ليلة المعراج التي عرج بالرسول ﷺ فيها إلى الله -عز وجل-، وهذا لم يثبت من الناحية التاريخية، وكل شيء لم يثبت فهو باطل، والمبني على الباطل باطل. ثم على تقدير ثبوت أن تلك الليلة ليلة السابع والعشرين فإنه لا يجوز أن يحدث فيها شيء من شعائر الأعياد، أو شيء من العبادات؛ لأن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ فإذا كان لم يثبت عمَّن عرج به، ولم يثبت عن أصحابه الذين هم أولى الناس به، وهم أشد الناس حرصًا على سنته واتباع شريعته، فكيف يجوز لنا أن نحدث ما لم يكن على عهد النبي ﷺ وأصحابه؟

وأما ليلة النصف من شعبان فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ في تعظيمها شيء، ولا في إحيائها، وإنما أحياها بعض التابعين بالصلاة والذكر، لا بالأكل والفرح وشعائر الأعياد.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، رقم (١١٤١).

(٢) تقدم تخريجه.

وأما يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ سئل عن صومه فقال: «**أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»(١). وليس في هذا اليوم شيء من شعائر الأعيادَ، وكما أنه ليس فيه شيء من شعائر الأعياد، فليس فيه شيء من شعائر الأحزان أيضًا، فإظهار الحزن وإظهار الفرح في هذا اليوم كلاهما خلاف السنة، ولم يرد عن النبي ﷺ إلا صومه، مع أنه -عليه الصلاة والسلام- أمر أن نصوم يومًا قبله، أو يومًا بعده، حتى نخالف اليهود الذين كانوا يصومونه وحده.

***

(٤٧٥) يقول السائل من جمهورية اليمن الشمالية: عندنا في اليمن مسجد يسمى مسجد معاذ بن جبل المشهور بمسجد الجند، يأتي الناس لزيارته في الجمعة من شهر رجب من كل سَنة رجالًا ونساء، فهل هذا مسنون؟ وما نصيحتكم لهؤلاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا غير مسنون:

أولًا: لأنه لم يثبت أن معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن اختط مسجدًا له هناك، وإذا لم يثبت ذلك فإن دعوى أن هذا المسجد له دعوى بغير بينة، وكل دعوى بغير بينة فإنها غير مقبولة.

ثانيًا: لو ثبت أن معاذ بن جبل رضي الله عنه اختط مسجدًا هناك فإنه لا يشرع إتيانه، وشد الرحل إليه، بل شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة منهي عنه، قال النبي ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، رقم (١١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٩). =

ثالثًا: أن تخصيص هذا العمل بشهر رجب بدعة أيضًا؛ لأن شهر رجب لم يخص بشيء من العبادات، لا بصوم، ولا بصلاة، وإنما حكمه حكم الأشهر الحرم الأخرى، والأشهر الحرم هي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم. هذه هي الأشهر الحرم التي قال الله عنها في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]. فلم يثبت أن شهر رجب خص من بينها بشيء، لا بصيام، ولا بقيام، فإذا خص الإنسان هذا الشهر بشيء من العبادات من غير أن يثبت ذلك عن النبي ﷺ كان مبتدعًا؛ لقول النبي ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

فنصيحتي لإخوتي هؤلاء -الذين يقومون بهذا العمل بالحضور إلى المسجد، الذي يزعم أنه مسجد معاذ في اليمن- ألَّا يتعبوا أنفسهم، ويتلفوا أموالهم ويضيعوها في هذا الأمر، الذي لا يزيدهم من الله إلا بعدًا، ونصيحتي لهم أن يصرفوا هممهم إلى ما ثبتت مشروعيته في كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ وهذا كافٍ للمؤمن.

***

(٤٧٦) يقول السائل من اليمن من محافظة إبين: هل يجوز لنا أن نقرأ القرآن عند المقابر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القرآن تجوز قراءته في كل وقت، وفي كل مكان؛ لأنه من ذكر الله، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»(٢). إلا أن أهل العلم استثنوا ما إذا كان الإنسان قاعدًا على

= ومسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم (١٣٩٧).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا وهل يلتفت في الأذان، =

قضاء حاجته، من بول أو غائط، فإنه لا يقرأ القرآن؛ لأن هذه الحال غير مناسبة لقراءة القرآن.

وعلى هذا فيجوز للإنسان أن يقرأ القرآن وهو في المقبرة، وهو في السوق يمشي، وهو في المسجد، ويجوز للإنسان أن يقرأ القرآن وحوله امرأة حائض، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: **«كَانَ يَتَّكِئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ القُرْآنَ»**(١).

لكن تقصد الخروج إلى المقابر، والقراءة هناك، فهذا هو البدعة، فإن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ ولا خصوصية لقراءة القرآن في المقبرة، حتى يذهب الإنسان إلى المقبرة ليقرأ فيها، فإن كان الإنسان خرج إلى المقبرة من أجل أن يقرأ القرآن هناك فهو بدعة، وإن كان خرج إلى المقبرة للسلام على أهل القبور، أو في تشييع جنازة، وهو يقرأ القرآن هناك، فإنه لا بأس به.

***

(٤٧٧) تقول السائلة أ. م.: هل يجوز التلفظ بالنية في صيام الفريضة أو صلاة التطوع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التلفظ بالنية في جميع العبادات بدعة، فلا يقول الإنسان عند الوضوء: اللهم إني نويت أن أتوضأ. ولا عند الصلاة: نويت أن أصلي. ولا عند الصدقة: نويت أن أتصدق. ولا عند الصيام: نويت أن أصوم. ولا عند الحج: نويت أن أحج.

فالتلفظ بالنية في جميع العبادات لم يرد عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولماذا تتلفظ بالنية؟ أليس النية محلها القلب؟ أليس الله -عز وجل-

---

= ومسلم: كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم (٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب قراءة الرجل حجر امرأته وهي حائض، رقم (٢٩٧). ومسلم: كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، رقم (٣٠١).

يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]؟ بلى يقول هذا، فالله عالم بالنية، كيف تعلم ربك بأنك ناوٍ؟ قد يقول: أقول هذا لإظهار الإخلاص لله. فنقول: الإخلاص محله القلب أيضًا، محله القلب، فتكفي النية في القلب.

***

(٤٧٨) يقول السائل م. ص. مقيم بالكويت: هل الدعاء بعد صلاة الفرض بدعة أم مكروه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الدعاء بعد صلاة الفريضة بدعة؛ لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لم يفعله، وكل من تعبد لله تعالى بشيء لم يفعله الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولا أمر به، ولا ثبت أنه من شريعته، فإنه يكون بدعة؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**»(١).

وقد أرشد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلى وقت الدعاء في الصلاة، فقال ﷺ: «**وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»(٢). وقال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لعبد الله بن مسعود حين علمه التشهد، قال: «**ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ**»(٣). يعني: قبل أن ينصرف من صلاته، وكما أن كون الدعاء في الصلاة قبل السلام هو ما دلت عليه النصوص الشرعية، فهو أيضًا مقتضى النظر الصحيح؛ لأن الإنسان ما دام في صلاته فإنه يناجي ربه، وهو بين يديه، فكيف يؤخر الدعاء حتى يُسلِّم وينصرف، ويقطع الصلة بينه وبين الله تعالى في صلاته؟ هذا خلاف النظر الصحيح.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم (٤٧٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم (٤٠٢).

وعلى هذا نقول: صلاة الفريضة يسن بعدها الذكر، والدعاء قبل السلام؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[النساء: ١٠٣]. وأما الدعاء بعد النافلة فهو أيضًا خلاف السنة، فإنه لم يرد عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه كان يدعو بعد صلاة النافلة. ونقول: إذا أحببت الدعاء فادع الله تعالى قبل أن تسلم من الصلاة، لما ذكرنا في صلاة الفريضة.

فإن قال قائل: أليس قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال لمعاذ بن جبل: «**لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[1]. وهذا دعاء؟ قلنا: هذا صحيح، هو دعاء، وأوصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل، ولكن ما الذي دبر الصلاة؟ هل هو بعد السلام أم هو آخر الصلاة؟ يجيب على هذا السؤال مقتضى النصوص الشرعية، فالنبي ﷺ جعل ما بعد التشهد محلًّا للدعاء، وفي القرآن الكريم جعل الله تعالى ما بعد السلام ذكرًا، فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[النساء: ١٠٣]. وقال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ**»[2].

وفي هذا البيان يتبين أن الدعاء الذي أمر به رسول ﷺ معاذ بن جبل إنما هو بعد التشهد وقبل السلام، بناء على دلالة القرآن والسنة التي ذكرت آنفًا. وقد سُئِل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن ذلك فقال: «إن دبر كل شيء منه كدبر الحيوان». وعلى هذا فدبر الصلاة جزء منها، ولكنه آخرها، فالدعاء بقول: اللهم أعني على ذكرك، وعلى شكرك، وعلى حسن عبادتك. يكون قبل السلام لا بعده.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٣٠، رقم ٢٢١١٩). وأبو داود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم (١٥٢٢). والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم (١٣٠٣).

(٢) تقدم تخريجه.

فإن قال قائل: أليس قد ثبت عن النبي ﷺ **أَنَّهُ كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ»**(١). وهذا دعاء؟ فالجواب: أن هذا دعاء خاص متعلق بالصلاة؛ لأن استغفار الإنسان بعد سلامه من الصلاة من أجل أنه قد لا يكون أتم صلاته، بل أخل فيها؛ إما بحركة، أو انصراف قلب، أو ما أشبه ذلك، فكان هذا الدعاء بالمغفرة لاصقًا بالصلاة متممًا، وليس دعاء مطلقًا مجردًا.

***

(٤٧٩) يقول السائل ف. من العراق: في يوم الخميس وقبل صلاة العشاء يقوم المؤذن في المسجد بعمل المديح للرسول والدعاء، وغالبًا ما يكون في هذا المديح من شعائر الصوفية، كقولهم: يا حبيب الخلق ما لي سواك. فما التوجيه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا العمل لا شك أنه بدعة منكرة يجب النهي عنها، والبعد عنها؛ وذلك لأنها لم ترد في كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ ولا سنة الخلفاء الراشدين، وما عدا ذلك فهو بدعة، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، ونحن نعلم ونُشهِد الله -عز وجل- أننا لسنا أشدَّ حرصًا من الصحابة على عبادة الله -عز وجل-، ولسنا أعلم بما يحبه الله من الصحابة رضي الله عنهم، ولسنا أشد تعظيمًا لله من الصحابة رضي الله عنهم، وهذه أمور مسلمة لا يمتري فيها أحد، وإذا كانت هذه الأمور مسلمة، ولم يحصل من الصحابة عمل سوى ما سنه رسول الله ﷺ علمنا بأن الخير في اتباعهم، كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالواجب على جميع المسلمين أن يتحرَّوا سُنة رسول الله ﷺ وخلفائه

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم (٥٩١).

الراشدين فيتبعوها، وأن يبتعدوا عن البدع، التي لا تزيدهم من الله إلا بعدًا، مع ما فيها من العناء والمشقة وإفساد القلوب.

ثم إن في هذا القصيد -الذي أشار إليه السائل- ما هو شرك لله -عز وجل-، بل نسيان لله -عز وجل-، كما في قوله:

يا حبيب الخلق ما لي سواك

فأين الله؟ إن هذا الرجل الذي يخاطب النبي -عليه الصلاة والسلام- بأنه ليس له سواه نسي الله -عز وجل-، وأن الله تعالى في نظره لم يكن شيئًا، وأن النبي ﷺ هو الذي ينفع ويضر، وهو الذي يُدعى ويُستغاث به، وهذا -بلا شك- من الشرك الأكبر المخرج عن الملة، فمن قاله معتقدًا مدلوله فإنه لا تقبل منه صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حج، وعمله مردود عليه، حتى يتوب إلى الله، ويجب على المسلمين أن يعرفوا الأمر على حقيقته.

فإن رسول الله ﷺ عبدٌ رسولٌ، وأشرف أوصافه أن يكون عبدًا رسولًا، وأنه لا حق له في شيء من خصائص الربوبية، بل قد قال الله آمرًا إياه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴾[الأنعام: ٥٠]. فأمره الله أن ينفي ذلك عن نفسه، وأن يبين أنه عبد مأمور مؤتمر: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴾[الأنعام: ٥٠].

وقال الله تعالى له: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ ﴾[الجن: ٢١-٢٣]. فأمره الله أن يقول: إنه لا يملك لأحد ضرًّا ولا رشدًا، بل هو نفسه لا يملك أن يدافع عن نفسه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[الجن: ٢٢]. وأن يبين للناس أنه ليس إلا رسولًا يبلغ رسالة ربه، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ ﴾[الجن: ٢٣]. والاستثناء هنا منقطع، فـ ﴿ إِلَّا ﴾ فيه بمعنى لكن.

وقال الله -عز وجل- آمرًا إياه أيضًا: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، والحوادث الواقعة في عهد النبي ﷺ التي تدل على أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا يعلم الغيب، كثيرة أيضًا.

فعلى المؤمن أن يتقي الله -عز وجل- في نفسه، وفي رسوله وحبيبه ﷺ وأن يعلم أن هذا الغلو الذي يغلو فيه برسول الله ﷺ من الأمور التي يكرهها الرسول ﷺ ولا يقرها، بل ينهى عنها -عليه الصلاة والسلام-، وإذا كان صادقًا في محبة الله ورسوله فليتبع الرسول ﷺ على ما جاء من شرعه، دون تجاوز أو تقصير، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإن الإنسان ليأسف إذا سمع ما يحدث في كثير من البلاد الإسلامية، من الغلو برسول الله ﷺ لأن ذلك يُنبِئ عن أحد أمرين لا مناص منهما:

١- إما قصور في علم من عندهم من أهل العلم.

٢- وإما تقصير من أهل العلم في إبلاغ الحق لهؤلاء العوام، الذين يقعون في الشرك الأكبر، وربما لا يشعرون.

فالواجب على أهل العلم الذين حمَّلهم الله إياه، وأخذ عليهم الميثاق، أن يبينوه للناس، ولا يكتموه، وأن يدعوا الناس إلى الحق، وألَّا يداهنوا في دين الله، وألَّا يراعوا ضمائر الناس الجهال الذين لا يعلمون عن الحق شيئًا، وألَّا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا مانع من أن يتبعوا الطريق التي يكون بها حصول المقصود، ولو على الزمن الطويل، بل قد تتعين هذه إذا لم تكن وسيلة أقرب منها، وأما السكوت، وترك العامة على ما هم عليه، بموافقتهم ومصاحبتهم في هذا الأمر، فهو أمر يؤسف له.

ولن تقوم للأمة الإسلامية قائمة حتى تعود -بل بالأصح: حتى تتقدم- إلى ما كان عليه السلف الصالح؛ من تحقيق عبادة الله -عز وجل-،

والإخلاص له، وتحقيق متابعة النبي ﷺ وترك البدع، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من أهل الصلاح.

***

(٤٨٠) يقول السائل أ. من اليمن: أرجو منكم أن توضحوا لنا هذه المسألة، وهي كالتالي: عندنا في بلادنا في معظم المساجد بعد الأذان يدعون بالدعاء الوارد عن النبي ﷺ وبعد الانتهاء منه يقولون: الفاتحة على روح النبي ﷺ فهل هذا العمل صحيح أم بدعة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما إذا كانوا يدعون الدعاء الوارد عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بعد الأذان على رءوس المنارات فهذا ليس بسُنة إذا جهروا به، أما سرًّا فهو سُنة، سواء كنت في المنارة، أم في الأرض.

وأما قولهم: اقرءوا الفاتحة على روح النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهو بدعة منكرة، لا يقال بعد أذان الفجر، ولا بعد الأذان الآخر، ولا بعد الصلوات، ولا في أي مكان. وقراءة الفاتحة على روح النبي ﷺ بدعة لوجهين:

الوجه الأول: أنها سفه؛ لأن من قرأ الفاتحة على روحه أراد أن يثاب النبي ﷺ ثواب القراءة، ومعلوم أن قراءتنا للفاتحة يكتب لرسول الله ﷺ مثل ما نؤجر عليه، أي إنه يكتب له مثل أجورنا، وإذا كان يكتب له مثل أجورنا فلا حاجة أن نقول: إنها على روح النبي. لأنه قد حصل على الثواب، ويكون قولنا: على روحه. أننا حرمنا أنفسنا من ثوابها فقط، هذا من وجه.

الوجه الثاني: أن التصدق بالأعمال الصالحة الفاتحة وغيرها على النبي ﷺ لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم، الذين هم أشد حبًّا منا لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهم أشد منا حبًّا لما فيه الخير له، وإذا كانوا لم يفعلوه فلنا فيهم أسوة.

وعلى هذا فينهى أن يجعل الإنسان أي عمل صالح يعمله لروح النبي

-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أو يقول: اللهم اجعل ثوابه لنبيك محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- للوجهين الذين ذكرناهما. وإني أنصح هذا السائل بأن يتصل بإخوانه المؤذنين فيقول لهم: إن هذا أمر بدعة، وسفه من القول.

***

(٤٨١) يقول السائل ع. م. من اليمن: يوجد في قريتنا بعض العادات القديمة، التي تحمل الكثير من البدع المدخلة في الشرك، والعياذ بالله؛ مثل: عندما يذكر شخص ميتًا عزيزًا عليه يقوم على الفور بإيقاد النار، ووضع البخور عند قبره، وتعطيره وإضاءته بالسرج، وكذلك البعض يقوم بذبح الذبائح في القبور، وعندما يمرض مريض يحضر له تراب من قبور أحد الأولياء. وقد وجهت لهم بعض النصائح، وبينت لهم بأن هذا لا يجوز، وبأن هذه أباطيل لا يقرها الدين، فلم يستجيبوا لنصحي. فما نصيحتكم وتوجيهكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، إن فتنة القبور فتنة عظيمة كانت من قديم الزمان، وهذه الأفعال التي ذكرها السائل عن قومه منها ما يصل إلى حد الشرك الأكبر المخرج من الملة، كالذبح لأصحاب القبور؛ لأن الذبح عبادة من أجل العبادات، قرنها الله تعالى بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فصَرْفُها لغير الله شرك أكبر؛ لأن كل من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك، ولا يخفى على أكثر المسلمين أن المشرك مخلد في النار، حابطٌ عملُه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأما التبرك بترابهم، واعتقاد أن الدعاء -أي: دعاء الله -عز وجل- عند

قبورهم أفضل، فهذا لا يصل إلى حد الشرك، إلَّا أن يصحبه عقيدة تؤدي إلى الشرك، فهذا يكون شركًا، وكذلك إيقاد النار، وصب الطيب على قبورهم، كل هذا من الأمور المنكرة التي يجب على كل مسلم أن يتجنبها.

ثم يجب على هؤلاء أن يعلموا أن الميت هو الذي كان حيًّا يعرفونه، ويعرفون أنه مثلهم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وهو في قبره لا يستطيع أن يدعو لأحد أيضًا، ولا أن يشفع لأحد؛ لقول النبي ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١). ودعاؤه عمل، وبمقتضى هذا الحديث أنه انقطع بموته، ولا يمكن أن يشفع أيضًا؛ لأن الله يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فتعلق الناس بأصحاب القبور لا شك أنه ضلال، وعلى المرء إذا أصابته المصائب أن يلجأ إلى الله -سبحانه وتعالى-، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. فلا يلجأ المسلم عند المصائب إلَّا إلى الله -عز وجل-.

فنصيحتي لهؤلاء أن يتقوا الله -عز وجل-، وأن يتوبوا مما وقع منهم، وأن يحذروا إخوانهم من الوقوع فيه، وأن يلجئوا إلى ربهم -سبحانه وتعالى- في جميع أحوالهم، فإن من يتوكل على الله فهو حسبه.

***

(٤٨٢) يقول السائل أ. وهو مصري: ما حكم وضع المصحف في السيارة من أجل التبرك والحفظ من العين، وأيضًا خشية أن تصدم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حكم وضع المصحف في السيارة دفعًا للعين، أو توقِّيًا للخطر، بدعة، فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يحملون المصاحف على

---

(١) تقدم تخريجه.

إبلهم دفعًا للخطر أو للعين، وإذا كان بدعة فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[1].

***

(٤٨٣) يقول السائل م. أ. أ: ما حكم الهلال على المآذن، فقد سمعت بأن هذا أمر مبتدع؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: بالنسبة إلى هذا السؤال فأود أن أقرأ سؤالًا وجه إلي وأجبت عنه، يقول السائل:

إننا تساءلنا مع بعض العمال القادمين إلى بلادنا في موضوع الأهلة التي توضع على المآذن عن كيفية وضعها في بلادكم، فأجابونا قائلين: إنها توضع في بلادنا على معابد النصارى، وقباب القبور المعظمة، أفتونا جزاكم الله خيرًا، والحالة هذه عن وضعها على مآذن مساجد المسلمين؟

فأجبته: أما وضع الهلال على القبور المعظمة فقد ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب «الدرر السنية» ١/ ٢٤٣ ما نصه: «وعمار مشاهد القبور يخشون غير الله، ويرجون غير الله، حتى إن طائفة من أرباب الكبائر، الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح إذا رأى أحدهم قبة الميت، أو الهلال الذي على رأس القبة، خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك، هذا هلال القبة. فيخشون المدفون، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض، وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج. قلت: وأما وضع الهلال على معابد النصارى فليس ببعيد، لكن قد قيل: إنهم يضعون على معابدهم الصلبان والله أعلم.

ووضع الأهلة على المنائر كان حادثًا في أكثر أنحاء المملكة، وقد قيل: إن بعض المسلمين الذين قلدوا غيرهم فيما يضعونه على معابدهم وضعوا الهلال

---

(١) تقدم تخريجه.

بإزاء وضع النصارى الصليب على معابدهم، كما سموا دور الإسعاف بالهلال الأحمر، بإزاء تسمية النصارى لها بالصليب الأحمر، وعلى هذا فلا ينبغي وضع الأهلة على رءوس المنارات من أجل هذه الشبهة، ومن أجل ما فيها من إضاعة المال والوقت. وقد صدرت هذه الفتوى في الرابع من رمضان عام ثلاثة عشر وأربعمائة وألف». وأعتقد أنها كافية في جواب سؤال السائل.

***

(٤٨٤) يقول السائل س. ص. أ. من العيون من الأحساء: مما لا شك فيه أن عدة من توفي عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، كما جاء في القرآن الكريم، وعند انتهاء العدة عندنا عادة، وهي: في الليلة الحادية عشرة بعد انقضاء الأربعة الأشهر والعشرة الأيام تخرج هذه المرأة ومعها بعض النساء إلى أحد المساجد، ومعها مجمرة مدخنة -أي بخور طيب- وبعد أن تؤدي ركعتين في المسجد تخرج، وعندها عدة أحجار ترميها -أي: ترمي هذه الأحجار- في عدة طرق، ويقولون: إن الذي تصيبه هذه الحجارة يموت. إلى آخره، هذا ما يحدث فنرجو التوضيح.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا لا شك أنه من البدع، وهو شبيه بما يصنعه النساء في الجاهلية؛ فإن المرأة كانت ترمي بالبعرة على رأس الحول، ولا يجوز للمرأة أن تفعل مثل هذا الفعل. وإذا انتهت عدة الوفاة -سواء كان بالأشهر الأربعة وعشرة أيام، أم كانت بوضع الحمل إن كانت حاملًا- فإن معنى ذلك أن حكم الإحداد انتهى فقط، وليست مأمورة أن تخرج، أو تفعل مثل ما ذكر هذا السائل، أو أن تتصدق بطعام تحمله معها إذا خرجت أول مرة، تعطيه أول من تصادفه، كل هذه من الأمور ليست من الشرع.

وإنما معنى ذلك: إذا انتهت العدة جاز لها ما كانت ممنوعة منه قبل انتهاء العدة؛ فيجوز لها أن تخلع ثيابها، وتلبس الثياب التي تشاؤها، وأن تتطيب، وتلبس الحلي، وتفعل ما كانت ممنوعة منه في حال الإحداد. وقولنا: تفعل. ليس معناه مطلوب منها أن تفعل ذلك، ولكن نبيح لها أن تفعل ذلك.

***

(٤٨٥) **يقول السائل أيضًا**: ما حكم التمسك بالكعبة المشرفة، ومسح الخدود عليها، ولحسها باللسان، ومسحها بالكفوف، ثم وضعها على صدر الحاج؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا من البدع التي لا تنبغي، وهي إلى التحريم أقرب؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ وغاية ما ورد في مثل هذا الأمر هو الالتزام، بحيث يضع الإنسان صدره وخده ويديه على الكعبة، فيما بين الحجر الأسود والباب، لا في جميع جوانب الكعبة، كما يفعله جهال الحجاج اليوم، وأما اللحس باللسان، أو التمسح بالكعبة، ثم مسح الصدر به أو الجسد، فهذه بدعة بكل حال؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ.

وبهذه المناسبة أود أن ألفت نظر الحجاج إلى أن المقصود بمسح الحجر الأسود والركن اليماني هو التعبد لله تعالى بمسحهما، لا التبرك بمسحهما، خلافًا لما يظنه الجهلة؛ حيث يظنون أن المقصود هو التبرك، ولهذا ترى بعضهم يمسح الركن اليماني، أو الحجر الأسود، ثم يمسح بيده على صدره، أو على وجهه، أو على صدر طفله، أو على وجهه، وهذا ليس بمشروع، وهو اعتقاد لا أصل له، ففرق بين التعبد والتبرك. ويدل على أن المقصود التعبد المحض دون التبرك أن عمر رضي الله عنه قال وهو عند الحجر: «**إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»[1].

وبهذه المناسبة أيضًا أود أن أُبين أن ما يفعله كثير من الجهلة: يتمسحون بجميع جدران الكعبة وجميع أركانها فإن هذا لا أصل له، وهو بدعة ينهى عنها. **ولما رأى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معاوية رضي الله عنه يستلم الأركان كلها أنكر عليه، فقال له معاوية رضي الله عنه: ليس شيء من البيت مهجورًا! فأجابه ابن عباس رضي الله عنه**: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١]. **وقد رأيت**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

النبي ﷺ يمسح الركنين اليمانيين. فرجع معاوية رضي الله عنه إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما[(١)]. فدل هذا على أن مسح الكعبة، أو التعبد لله تعالى بمسحها، أو مسح أركانها، إنما هو عبادة، يجب أن تُتبع فيها آثار النبي ﷺ فقط.

***

(٤٨٦) يقول السائل: هل الأفضل تقبيل القرآن الكريم، أم الحجر الأسود؟ مع العلم بأن الحجر لا ينفع ولا يضر، والقرآن ينفع ويضر، وأنا أجد راحة نفسية في تقبيل القرآن الكريم، فهو كلام الله تعالى، علمًا بأن القرآن في زمن الرسول ﷺ لم يكن مجموعًا في مصحف واحد، بل كان موزعًا، فماذا تقولون في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول في هذا: إن تقبيل المصحف بدعة ليس بسنة، والفاعل لذلك إلى الإثم أقرب منه إلى السلامة، فضلًا عن الأجر، فمقبل المصحف لا أجر له، لكن هل عليه إثم أم لا؟ نقول: أما نيته -وهي تعظيم كلام الله- فلا شك أنه مأجور عليها، لكن التقبيل بدعة، لم يكن في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- ولم يكن في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

وأما قول السائل: إنه لم يجمع في مصحف. نعم، لكنه موجود مكتوبًا في اللخاف وعسب النخل وغيرها، ولم يرد أن الرسول كان يقبل ما كتبت فيه الآية، ولا أن الصحابة يفعلون ذلك في عهده، ولا فعلوه بعد جمع القرآن أيضًا، فدل ذلك على أنه من البدع، حتى لو استراحت نفسك إلى تقبيله فإن ذلك لا يعني أنه مشروع وسُنة، ولو رجعنا إلى أذواق الناس وارتياحهم في مشروعية العبادة لكان الدين أوزاعًا وفرقًا، ولكن المرجع في ذلك إلى كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

أما المقارنة بينه وبين الحجر الأسود فهذه المقارنة بين سُنة وبدعة،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، رقم (١٦٠٨).

فالحجر الأسود قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- أنه كان يقبله في طوافه، وثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال حين قبل الحجر: «**إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»(١). إذًا فتقبيلنا للحجر الأسود ليس لأنه ينفعنا الحجر أو يضرنا، ولكن اتباعًا للسُّنة؛ سُنة الرسول ﷺ.

ولو قبَّل النبي ﷺ الحجر وجميع الأركان لفعلنا، لكنه لم يقبل إلا الحجر، ولهذا لا يوجد شيء في الدنيا يشرع تقبيله إلا الحجر الأسود فقط، كما جاء ذلك في الطواف عن النبي ﷺ.

وأما قوله: إن الحجر لا يضر ولا ينفع، والقرآن يضر وينفع. فهذا غلط أيضًا، نفسه -نفس الحروف، أو نفس المصحف الذي كتبت به الحروف- لا يضر ولا ينفع، الذي يضر وينفع هو العمل بالقرآن؛ تصديقًا للأخبار، وامتثالًا للأوامر، واجتنابًا للنواهي.

كذلك الحجر هو نفسه لا ينفع ولا يضر، لكن تقبيلنا إياه عبادة يحصل لنا بها ثواب، وهذا انتفاع.

***

(٤٨٧) يقول السائل: أرى قلة من المصلين بعد الانتهاء من الصلاة، وعند الخروج، يمسحون أيديهم بالجدار المحيط ببيت الرسول ﷺ ويمسحون صدورهم ووجوههم. هل هذا من البدع؟ وإذا كان من البدع أرجو النصح لمثل هؤلاء.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هذا من البدع بلا شك؛ لأنه لا يشرع مسح شيء في الدنيا من البنايات إلا مسح ركنين:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

الأول: الحجر الأسود. **الثاني**: الركن اليماني. وكلاهما في الكعبة المشرفة.

ولقد رأى ابن عباس رضي الله عنهما معاوية رضي الله عنه وهو يمسح جميع الأركان، فأنكر عليه، فقال له معاوية: ليس شيء من البيت مهجورًا! فقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، **وما رأيت النبي ﷺ يمسح من الأركان إلا الركنين -يعني بذلك: الحجر الأسود والركن اليماني- فكف معاوية رضي الله عنه عن مسح جميع الأركان**(١). فتجد ابن عباس رضي الله عنهما أنكر على معاوية رضي الله عنه مسح جوانب الكعبة، التي لم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يمسحها، فما بالك بجدران أخرى؟

والحكمة من كون الركنين اليمانيين في الكعبة يمسحان دون الركنين الآخرين أن الركنين الآخرين ليسا على قواعد إبراهيم؛ لأن الكعبة كانت أكثر امتدادًا نحو الشمال مما كانت عليه الآن، ولكن قريشًا لما أرادوا أن يعمروها قصرت بهم النفقة، فرأوا أن يبنوا هذا الجزء وأن يدعوا الجزء الآخر، واختاروا أن يكون المتروك الجزء الشمالي؛ لأنه ليس فيه الحجر. وبذلك نعرف أن الحِجر الموجود الآن ليس كما يزعم العامة حِجر إسماعيل، فإن هذا الحِجر إنما أحدث أخيرًا في عهد الجاهلية، فكيف يكون حِجرًا لإسماعيل؟ لكنه يسمى الحجر والحطيم، ولا يضاف إلى إسماعيل إطلاقًا.

ونصيحتي لهؤلاء القوم الذين يتمسحون بحجرة قبر النبي ﷺ أن يتقوا الله -عز وجل-، وأن يعبدوا الله بما شرعه لا بأهوائهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١]. وكل إنسان يعبد على خلاف شريعته فإن عمله مردود عليه، وهو آثم به إن كان عالمًا بأنه مخالف للشريعة؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى

---

(١) تقدم تخريجه.

آله وسلم- فيما صح عنه: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(١)]. وفي لفظ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[(٢)]. أي: مردود عليه.

***

(٤٨٨) يقول السائل من الأردن: ما رأي فضيلتكم في أن كثيرًا من الناس يعملون البدع، وعندما ننهاهم عن ذلك العمل، ونرشدهم إلى الأدلة الصحيحة، يقولون: يا أخي نحن نمقت هذا الكلام، وأنتم تريدون التضييق علينا، نحن راضون بعملنا هذا. وجهونا في هذا الأمر.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كانوا يمقتون هذا الكلام لأنه صدر من المتكلم، لا لأنه شريعة الله، فالأمر في هذا هين، أما إذا كان يكرهون هذا الكلام لأنه من شريعة الله فهم على خطر عظيم، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].

ثم على الاحتمال الأول -أنهم كرهوا قول هذا القائل- نقول لهم: لماذا تكرهونه؟ أليس عنده دليل؟ ويجب على المؤمن إذا بان له الدليل أن يترك ما كان عليه، إذا ما دل عليه الدليل؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فلا يجوز لأحد أن يعارض شريعة الله بعادات قومه؛ لأن من عارض شريعة الله بعادات قومه صار مشابهًا لقول أولئك القوم، الذين دعتهم الرسل إلى التوحيد فقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٤٨٩) يقول السائل أ. ق. من جدة: نرجو التكرم بإفادتنا من الناحية الإسلامية والشريعة حول ما ورد في الخطاب المرفق؛ حيث إنها أصبحت ظاهرة غريبة في جميع أنحاء جدة، والجميع يروون هذا الكلام ويعملون هذه الأوراد، ونريد أن نعرف رأي الإسلام في هذا الشأن مع الإسراع لنا بالإجابة وفقكم الله. الورقة التي أرسلها ذكر فيها بعض آيات يقول فيها: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[الزمر: ٦٦] وآيات بعدها يقول: ثم ترسل هذه الآيات الكريمة لتكون مجذبة خير وحسن طالع وفلاح.. إلخ. ويقول فيها أيضًا: فعليك أن ترسل نسخًا من هذه الرسالة لمن هو في حاجة إلى الخير والفلاح، وإياك أن ترسل معتذرًا، وإياك أن تحتفظ بهذه الرسالة، يجب أن ترسلها، وتتخلى عنها بعد ست وتسعين ساعة بعد قراءتك لها، سبق أن وصلت هذه الرسالة إلى أحد رجال الأعمال فوفق إلى كذا وكذا... إلخ. يقول: ما حكم هذه الرسالة؟ أو ماذا نصنع بهذه الرسالة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: هذه الرسالة كذب محض، فإن كون هذه الآيات التي ساقها سبب للسعادة والفلاح، وعدم تداولها سبب للشقاء والهلاك، هذا أمر يتوقف على وحي، ولم يكن في ذلك وحي لا في القرآن، ولا في السنة، فهي كذب محض.

ثانيًا: اعتقاد أن ذلك صحيح طعن في الدين؛ لأن هذا لو كان صحيحًا لكان مما تتوفر الدواعي على نقله، وكان مما يجب على النبي ﷺ تبليغه، ولم يُنقل عن الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فدل هذا على أنه لم يبلغه، وإذا لم يبلغه، فادعى إنسان أنه سبب لكذا وكذا من الأمور التي يذكرها، فإن ذلك طعن في الإسلام؛ حيث كان الإسلام ناقصًا، وجاء هذا الرجل فأكمله.

ثالثًا: أن نقول: إن كان هذا الذي قاله هذا القائل في هذه الآيات حقًّا فأين رسول الله ﷺ وأصحابه عنه؟ وإن كان باطلًا فإنه لا يجوز نشره، ولا العمل به، ولا تصديقه، بل يجب رده.

رابعًا: أن الواقع يكذب ما جاء في هذه الرسالة والآيات، فهو عندكم -فيما أظن- له أكثر من أربعة أيام، وقد ذكر فيه -لأني قرأته قبل أن تقرأه أنت- أن الإنسان إذا لم يعمل به خلال أربعة أيام فإنه يصاب بكوارث، والحمد لله أنك لم تصب بكوارث، وهو أيضًا قد جاءنا في القصيم قبل نحو خمس سنوات، وشاع بين الناس، وأخذناه نحن، ومزقناه على المنبر في الجمعة، تكلمنا عنه في الجمعة على المنبر، وأخذت منه كمية بيدي، ومزقتها أمام المصلين، ولم أصب ولله الحمد بكوارث.

فإذًا هذه الأدلة كلها تدل على أن هذا كذب، وأنه خزعبلات ممن تكلم به، وأشاعه بين الناس.

والذي أنصح به إخواني المسلمين ألَّا يلتفتوا إلى مثل ما يروجه هؤلاء الكذابون، بل يرجعوا إلى كتاب الله، وإلى صحيح السُّنة الوارد عن رسول الله ﷺ وفيهما الكفاية، أما مثل هذه الأمور، وما يوجد في كتب الوعظ، من الأمور المخالفة للشريعة، فإنه لا يجوز الاعتماد عليها، بل لا يجوز لأئمة المساجد أن يقرءوا بمثل هذه الكتب، أو يروجوا مثل هذه المنشورات؛ لما في ذلك من الضلال، وفي كتاب الله تعالى وفيما صح عن رسوله ﷺ كفاية.

وأنا أقول للأخ السائل: جزاه الله خيرًا على إرسال هذه إلى البرنامج، لعله يكون فيه بيان للناس ونور يهتدون به في مثل هذه الأمور.

كما أنه قبل سنوات أيضًا وردت رسالة من رجل يسمي نفسه أحمد خادم المسجد النبوي، ذكر فيها أنه رأى الرسول ﷺ وأنه أوصاه بوصايا لا تحضرني الآن، وهذه الرسالة المكذوبة، أو الرؤيا المكذوبة، تكلم عنها الشيخ محمد رشيد رضا منذ نحو ثمانين سنة، وبين أنها قد شاعت وذاعت، وأنها كذب لا أصل لها، وهو صادق فإنها كذب لا أصل لها.

فعلى كل حال مثل هذه المنشورات، التي يروجها هؤلاء الكذابون الوضاعون، الذين لا يخافون الله، ولا يرحمون عباد الله، ولا يدينون لله تعالى

دين الحق؛ لأنهم لو دانوا لله دين الحق لتأدبوا بين يدي الله ورسوله، ولم يتخذوا وسيلة لهداية الناس إلَّا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهؤلاء المروجون نرجو من الله تعالى أن يهديهم بسلطان الوحي، حتى يتعظوا ويتذكروا، ويرجعوا إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ أو أن يهديهم بسلطان الولاية، والأخذ على أيديهم، بالتتبع لهولاء حتى يرجعوا، وحتى يكون الناس في أمن من شرهم ومنشوراتهم.

***

(٤٩٠) يقول السائل: سمعت -أو قرأت- عن تلك الوصية التي تلقاها الشيخ أحمد حارس الحرم النبوي الشريف، وهو نائم، من رسول الله ﷺ يريد بها تنبيه المسلمين في تقليل الفساد، واتباع الطريق القويم... إلى آخره، ثم قرأت كتابًا صادرًا عن مؤسسة في المملكة العربية يُكذِّب تلك الوصية، فما الحقيقة أصلًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحقيقة أصلًا أن هذه الرؤيا المنامية كانت تُشاع وتُذاع منذ أكثر من مائة سنة، وقد تكلم عليها الشيخ محمد رشيد رحمه الله وبين أنها مكذوبة وباطلة، وكذلك أيضًا في المملكة العربية السعودية تكلم علماؤها على هذه الوصية، وبينوا أنها باطلة ومكذوبة، وهذا هو الحق.

وإذا كان لا بد لقبول الخبر من معرفة المُخْبر به، وكونه عدلًا غير متهم، فكذلك هذه المسألة، فمَن الشيخ أحمد خادم الحرم؟ وما حاله؟ وهل هو ثقة أم غير ثقة؟ ثم إن هذه الوصية تقتضي أن يكون الدين غير كامل، والنبي -عليه الصلاة والسلام- ما توفاه الله حتى أتمَّ به الدين، وحتى كانت المواعظ الموجودة في كتاب الله، وفيما صح عن رسول الله ﷺ كافية للأمة، مقوِّمة لعقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومناهجهم في حياتهم، فليسوا بحاجةٍ إلى مثل هذه الرؤيا المنامية، المجهول صاحبها عينًا وحالًا.

ولهذا لا يجوز للمسلم أن يعتبرها صحيحةً، ولا أن يُشيعها بين الناس،

بل عليه أن يمزقها ويحرقها، سواء أتت إليه، أم رآها عند غيره إذا تمكن من ذلك، وإلَّا فلينصحه بإحراقها وإتلافها.

يقول السائل: **هل ما جاء فيها حصل فعلًا أم لا؟ لأنه ذكر أنها ستقوم الساعة وكذا وكذا... إلى آخره؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أنا لا يحضرني ما الذي جاء فيها، لكن نتكلم عنها أصلًا فهي لم تصح، فإذا كانت لم تصح أصلًا لم تصح جملة وتفصيلًا.

***

(٤٩١) يقول السائل م. س. ع. من حضرموت اليمن الجنوبي: **عندنا رجل رأى النبي ﷺ في المنام، وهو يعلمه كلمات، ويدعو بها، فلما أصبح قام بطبع هذا الدعاء، ووزعه على الناس. ما الحكم في هذا العمل؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا العمل لا يؤخذ منه حكم شرعي، وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، بل شريعة الرسول ﷺ كملت قبل موته -صلوات الله وسلامه عليه-، فلا تشريع بعد موت الرسول -عليه الصلاة والسلام- أبدًا، والإنسان إذا رأى شخصًا، ووقع في نفسه أنه الرسول ﷺ فإنه لا يكون الرسول، بل لا بد أن يكون هذا الشخص الذي رآه الإنسان مطابقًا لما نقله أهل العلم في صفة رسول الله ﷺ وأما مجرد أن يقع في نفس النائم أن هذا رسول الله فهذا ليس دليلًا على أنه رسول الله حقًا.

ثم إن هذا الدعاء، الذي ادعاه هذا المدعي، إن كانت قد جاءت به السُّنة فهو سُنةٌ من قبل، وإن كانت السنة لم تأتِ به من قبل فإنه لا يجوز أن يطبعه ويوزعه؛ لأنه لا تشريع بعد وفاة الرسول -صلوات الله وسلامه عليه-.

۞۞۞

❁ التوسل ❁

(٤٩٢) يقول السائل: هل هناك توسُّل جائز؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أنواع التوسُّل الجائزة الشرعية كثيرة؛ منها:

١- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه على سبيل العموم: ومنه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهمِّ والغمِّ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[1]. فهذا توسُّل إلى الله تعالى بأسمائه كلِّها، ما عَلِمنا منها، وما لم نعلم.

٢- التوسُّل إلى الله تعالى باسم خاص يكون مناسبًا للمطلوب: كقول القائل: اللهم، يا غفور، يا رحيم، يا كريم، اغفر لي وارحمني، وتكرم علي. وما أشبه ذلك، وهذا مما جاء في السنة، فإن أبا بكر رضي الله عنه **قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم: **عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي**. قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[2]. فهنا دعاء وتوسُّل؛ فقوله: «**فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني**» دعاء. وقوله: «**إنك أنت الغفور الرحيم**» توسُّل إلى الله تعالى بهذين الاسمين المناسبين لما دعا به الداعي، وهو أيضًا توسُّل إلى الله تعالى بصفته، أي بصفة من صفاته في قوله: «**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**».

٣- التوسل إلى الله تبارك وتعالى بصفة من صفاته: كما في حديث الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٧، رقم ٣٧١٢). قال الهيثمي (١٠/ ١٣٦): رجاله رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠، رقم ٢٩٣١٨)، والطبراني (١٠/ ١٦٩، رقم ١٠٣٥٢)، والحاكم (١/ ٦٩٠، رقم ١٨٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم (٨٣٤). ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٥).

فَضْلِكَ العَظِيم» إلى آخره[١]، وكما في القراءة على المريض: **«أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**[٢]. وكما في قوله: **«يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»**[٣]. وما أشبه ذلك.

٤- التوسل إلى الله تعالى بأفعاله: أن يتوسل إلى الله تعالى في طلب حاجة من الحاجات بفعلٍ فعلَه -سبحانه وتعالى- نظير ما طلب؛ ومنه قوله ﷺ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**[٤].

٥- التوسل إلى الله -تبارك وتعالى- بذكر حال الداعي: وأنه محتاج ومضطر إلى الله، كما في قول موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. فهنا سأل الله -تبارك وتعالى- بوصف حاله، وأنه محتاج مفتقر إلى الله تبارك وتعالى.

٦- التوسل إلى الله تبارك وتعالى بدعاءِ مَن تُرْجَى إجابته: أي: أن يدعو لك من تُرجَى إجابتُه، ومنه توسُّل الصحابة بدعاء النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما ذكرناه آنفًا، ومنه قول عمر رضي الله عنه حين استسقى: **«اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». فَيَقُومُ العَبَّاسُ فَيَدْعُو فَيُسْقَوْنَ**[٥]. هذه الأنواع كلها جائزة.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، رقم (٢٢٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، باب عقد التسبيح باليد، باب منه، رقم (٣٥٢٤).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٦٣٥٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم (٤٠٥).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم (١٠١٠).

(٤٩٣) يقول السائل، وهو مصري يعمل بالدمام: ما أنواع التوسل؟ وهل يجوز التوسل بالرسول ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوسُّل نوعان: نوع جائز، ونوع ممنوع. بل نوع مشروع، ونوع ممنوع.

فمِن التوسل المشروع: أن يتوسَّل الإنسان بأسماء الله وصفاته، فيقول: يا غفور، يا رحيم، اغفر لي وارحمني. أو يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم. أو ما أشبه ذلك.

والتوسُّل الممنوع: أن يُتوسَّل بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أي: بجاهه أو بذاته، وهذا ممنوع وبدعة، لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك، ثم إنه توسُّل بوسيلة لا تنفعُك؛ لأن جاه النبي -عليه الصلاة والسلام- أو ذات النبي لا تتعدَّى إلى غيره، ولكن لو تُوسِّل بالإيمان بالرسول، أو بمحبة الرسول، كان ذلك جائزًا.

***

(٤٩٤) يقول السائل ص. ع. من السودان: كيف أدعو بالأسماء الحسنى؟ وهل أدعو بالتسعة والتسعين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله -عز وجل-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وليس المعنى أن ندعوه بجميع هذه الأسماء؛ لأن النبي ﷺ كان يدعو الله بأسمائه، من غير أن يجمعها كلها.

وكيفية الدعاء بالأسماء: أن تُقدِّمها بين يدي دعائك متوسلًا بها إلى الله، أو أن تختم بها دعاءك، مثال الأول أن تقول: اللهم، يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني. وما أشبه ذلك.

ومثال الثاني: أن تقول: رب اغفر لي، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم. وقد طلب أبو بكر الصديق رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يُعلِّمه دعاءً يدعو به في صلاته، فقال له النبي ﷺ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا**

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»(١).

وكما يجوز التوسل إلى الله تعالى بأسمائه عند الدعاء فإنه يجوز أن يَتوسَّل الإنسان بصفات الله عند الدعاء، كما في الحديث الصحيح: «اللهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي»(٢). فهذا توسُّل إلى الله تعالى بعلمه وقدرته.

وكذلك قول القائل في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ»(٣). فالتوسل إلى الله تعالى في الدعاء بأسمائه أو بصفاته -سواء كان ذلك على سبيل العموم، أم على سبيل الخصوص- هو من الأمور المطلوبة، وقد عرفت الأمثلة في ذلك.

فمن التوسل بأسماء الله على سبيل العموم ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والغم: «اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»(٤). ففيه التوسل بأسماء الله عامة: أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك. لكنه لم يعددها.

***

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٠/ ٢٦٥، رقم ١٨٣٢٥). والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم (١٣٠٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٤٩٥) يقول السائل س. م. من جمهورية مصر العربية: هل التوسل إلى الله بالأنبياء والمرسلين والصالحين جائز؟ نرجو أن توضحوا لنا ذلك يا فضيلة الشيخ مع الدليل.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوسُّل إلى الله -سبحانه وتعالى- هو: أن يذكر ما يوصله إلى مقصوده، فإن ذِكْر ما لا أثرَ له في ذلك؛ مُتوسِّلًا به إلى الله فإن هذا التوسل بدعة.

وبناءً على هذا نقول: إن كان المراد بالتوسل بالأنبياء اتباعهم ومحبتهم والإيمان بهم فهذا لا بأس به، وهو أمر مشروع، ولكنه لا ينبغي للمُتوسِّل أن يقول: أتوسَّل إليك بنبيِّك، أو بأنبيائك، أو ما أشبه ذلك، بل يقول: أتوسَّل إليك بمحبة أنبيائك، واتباع نبيك محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. فلا يحذف المضاف، بل يذكره؛ لأنه إذا قال: أتوسل إليك بأنبيائك. فقد يظن الظانُّ أنه توسُّل بِدْعي، والتوسُّل البِدْعي هو: التوسُّل بذوات الأنبياء، فيقول: أسألك بنبيك، أسألك بأنبيائك، أسألك بجاه نبيك، أسألك بجاه أنبيائك. وما أشبه ذلك، فإن هذا التوسل بدعي؛ وذلك لأن هذا التوسل لا يُوصِل إلى المقصود؛ إذ إن جاه النبي لا ينفعُك، فلا يصحُّ أن يكون وسيلةً لحصول مطلوبك، وجاه الأنبياء إنما يختصُّ بهم فقط.

وعلى هذا فمن سَمِعتَه يقول: أتوسل إليك بالأنبياء. فلا تحكم عليه ببدعة، ولا سُنة، وقل له: ماذا تريد؟ إذا قال: أنا أريد أن أتوسَّل بذات الأنبياء وأشخاصهم. فقل: هذا بدعة. وإذا قال: أريد أن أتوسل إليه بجاهِ الأنبياء؛ لأن لهم جاهًا عند الله. قل: هذا بدعة أيضًا؛ لأن هذا ليس بوسيلة، ولا ينفعك. وإذا قال: أتوسَّل إليك بأنبيائك -أي بحبي لهم-. فهذا حق؛ لأن محبة الأنبياء عبادة، تُوصِل إلى المقصود، وتؤثِّر في إجابة الدعوة.

وإذا قال: أتوسل إليك بأنبيائك. -أي بالإيمان بهم- فهذا حقيقة؛ لأنه عبادة، كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾

[البقرة: ١٣٦]. إلى آخره. وإذا قال: أتوسل إليك باتباع الأنبياء. نقول: هنا يجب التوقف؛ لأن الأنبياء السابقين لا يلزم اتباعهم فيما يخالف شرعنا، ولكن قل: أتوسل إليك باتباع نبيك محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. فحينئذٍ يكون صحيحًا.

وإني بهذه المناسبة أود أن أبيِّن أن التوسل منه ممنوع، ومنه جائز.

فالتوسُّل الممنوع: أن يُتوسَّل بما ليس بوسيلة؛ لأن التوسُّل بما ليس بوسيلة؛ إما بدعة، وإما شرك.

والتوسُّل الجائز: أن يُتوسَّل بما هو وسيلة، وهو أنواع:

١- التوسُّل إلى الله بأسمائه: فيقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي. فهذا جائز؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والحزن: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ...**» إلى آخره[١].

٢- التوسُّل إلى الله بصفاته: وهذا أيضًا جائز مشروع؛ مثل: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي**»[٢]. فهذا توسُّل إلى الله تعالى بصفاته، ومنه قول القائل: يا رحمن، برحمتك أستغيث.

٣- التوسل إلى الله بأفعاله: فتقول: اللهم، كما أنعمت علي بالمال فأنعم علي بالعلم. أو تقول: اللهم، كما أنعمت علي بالعلم فأنعم علي بالمال، الذي يكفيني عن خلقك. ومنه قول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٣]. فإنه هنا توسل إلى الله بفعله السابق، الذي أنعم به على إبراهيم وآل إبراهيم، أن يُصلِّي على محمد، وعلى آل محمد.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

٤- **التوسل إلى الله بالإيمان به**: ومن ذلك قول أولي الألباب: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. فتوسَّلوا إلى الله تعالى بالإيمان به.

٥- **التوسل إلى الله بالعمل الصالح**: ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. ومنه **حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار حين أَوَوْا إليه، فانطبقت عليهم صخرة عجَزوا عن دَفْعها، فتوسَّلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة: فتوسل أحدهم بالبر التامِّ، وتوسل الثاني بالعفة التامة، وتوسل الثالث بالأمانة، ففرج الله عنهم**[1].

٦- **التوسُّل إلى الله -سبحانه وتعالى- بذكر حاله**: وأنه فقير ظالم لنفسه محتاج لربه، ومنه قول موسى -عليه الصلاة السلام-: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. ومنه قول الداعي: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي. فهذا توسل إلى الله تعالى بحال الداعي.

٧- **التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح**: مثل قول الرجل الذي دخل على النبي ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة، فقال: **يَا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَدَعَا**[2]. وهذا الرجل سأل النبي ﷺ أن يدعو لنفع عام للمسلمين.

وأما سؤال الرجل مَن يُعتقِد فيه صلاحًا أن يدعو له هو نفسه، فالأفضل تركه؛ لأن هذا فيه نوع من السؤال الذي يوجب ذل السائل أمام المسئول،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٦٥). ومسلم: كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، رقم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البخاري، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، رقم (١٠١٣). ومسلم: كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

وربما يكون فيه اغترار للمسئول؛ حيث يرى نفسه أنه رجل صالح يسأل الدعاء، وفيه أيضًا أن الإنسان قد يتَّكِل على طلبه من هذا الرجل الصالح أن يدعو له، فلا يدعو هو لنفسه.

وأما ما يذكر من أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**يَا أَخِي، لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ**»[(١)]. فهذا ضعيف، لا يصِحُّ عن النبي ﷺ. وأما ما جاء في الحديث من وصية الرسول ﷺ للصحابة: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ... فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**»[(٢)]. فهذا خاص به، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ أحدًا أن يطلب من الصالحين من الصحابة أن يدعو له، والصحابة أفضل من أويس القرني؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم من الصحابة، أفضل من أويس بلا شك، ومع ذلك لم يقل النبي -عليه الصلاة والسلام- لأحد من الناس: من لقي أبا بكر رضي الله عنه فليطلب منه الدعاء. أو نحو ذلك، فهذه أنواع التوسل الجائزة.

وينبغي للإنسان إذا توسَّل بأسماء الله أن يتوسل بها عمومًا؛ مثل: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ**»[(٣)]. فأما إذا أراد أن يتوسَّل باسم خاص فليكن هذا الاسم مطابقًا للسؤال، فإذا كان يريد المغفرة فليقل: اللهم، يا غفور اغفر لي. أو يقل: اللهم، اغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. حتى تكون الوسيلة مطابقة للمطلوب.

ولا يليق إطلاقًا أن يقول قائل: اللهم، يا شديد العقاب اغفر لي، واعف عني. وما أشبه ذلك؛ لما في ذلك من التضاد بين الوسيلة والمطلوب. وقد قال

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٦، رقم ١٩٥)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، ١٤٩٨). والترمذي: أبواب الدعوات، باب في التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعبادة، باب منه، رقم (٣٥٦٢). وابن ماجه: كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، رقم (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه، رقم (٢٥٤٢).

(٣) تقدم تخريجه.

أبو بكر رضي الله عنه للنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: عَلِّمْنِي دعاءً أَدْعُو به في صَلاتي؟ فقال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[1]. وهذا جمع بين وسائل متعددة: منها:

- ذكر حال الداعي: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**».
- الثناء على الله -عز وجل- بصفة من صفاته: «**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**».
- التوسُّل بالأسماء في قوله: «**إنك أنت الغفور الرحيم**».

***

(٤٩٦) يقول السائل أ. ح. من المدينة المنورة: ما حكم التوسل بجاه النبي ﷺ، وكذلك التوسل بالأنبياء والصالحين؟ وما الفرق بين التوسل بالأحياء وبين التوسل بالأموات؟ وما التوسل الجائز؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحقيقة أن هذا السؤال -كما ذكرتَ- سؤال مُهمٌّ، ينبغي البسْط في الإجابة عليه. فأقول: التوسُّل هو: اتخاذ وسيلة لبلوغ الغاية المقصودة، وهو قريب من معنى التوصُّل، أي: أن الوسيلة للشيء الذي يُوصِل إلى المقصود، ولا بد أن تكون الوسيلة مُوصِلةً إلى المقصود حِسًّا أو شرعًا، فإن لم تكن كذلك كان التشاغُل بها من العبث.

ثم إن كانت في مَقام التعبُّد كانت بدعة، وإلَّا كانت لغوًا وعبثًا، والتوسل إلى الله -عز وجل- كله من باب العبادة؛ لأن المقصود الوصول إلى الله -عز وجل- وإلى مرضاته، وما كان وسيلة لهذا فهو عبادة، وإذا كان عبادة فإنه يتوقف على ما جاءت به الشريعة، ولا يجوز أن نحدث وسيلة لم تأت بها الشريعة -أي: لا يجوز أن نحدث وسيلة إلى الله -عز وجل- لم تأت بها الشريعة-.

---

(١) تقدم تخريجه.

وعلى هذا نقول: التوسل نوعان: توسل ممنوع، وتوسل جائز مشروع.

فأما التوسل الممنوع فضابطه: أن يتوسَّل الإنسان إلى الله بما لم يثبت شرعًا أنه وسيلة؛ ومن ذلك التوسل بالأموات، فإنه محرم، وربما يكون شركًا أكبر مُخرجًا عن الملة، ومن ذلك أيضًا أن يتوسَّل الإنسان بجاه النبي ﷺ على القول الراجح؛ وذلك لأن جاه النبي ﷺ من أعظم الجاهات عند الله -عز وجل-، فإذا كان موسى وعيسى من الوجهاء عند الله فمحمد ﷺ أفضل وأولى بالجاه من غيره، ولكن الجاه لا ينتفع به إلَّا من استحقه، وأما الداعي فلا ينتفع به؛ لأنه لا يستفيد منه شيئًا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- منزلته عند الله إنما تكون نافعةً له وحده، أما غيره فلا ينفعه عند الله إلا الإيمان بالرسول -عليه الصلاة والسلام- وبما جاء به، وما كان وسيلة شرعية.

وأما التوسل الجائز فإنه أقسام:

١- **التوسل إلى الله بأسمائه**: مثل أن تقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا، أن تغفر لي. مثلًا، فهذا جائز، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه المشهور في دفع الهم والغم: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي**» إلى آخره[1]. فهنا قال: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك**». الحديث. فالتوسُّل إلى الله بأسمائه توسُّل صحيح مشروع، سواء توسلت بأسمائه عمومًا؛ مثل أن تقول: أسألك بأسمائك الحسنى، أسألك بكل اسم هو لك. أو باسم معين من أسمائه، كما لو قلت: اللهم، أنت الغفور الرحيم، فاغفر لي وارحمني.

٢- **التوسل إلى الله بصفاته**: كما جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ،**

---

(١) تقدم تخريجه.

وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي»[1]. فهنا سأل الله بصفة من صفاته: «**بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق**». ومنه توسُّل الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ**»[2].

٣- **التوسل إلى الله بأفعاله:** بأن تتوسَّل بفِعل من أفعال الله تعالى فَعَله في غيرك؛ ليجعل لك مثل ما فعل في غيرك؛ ومن ذلك: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[3]. فهنا توسَّلْنا إلى الله بفعل من أفعاله -وهو: صلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم- أن يصلي على محمد وعلى آل محمد.

٤- **التوسل إلى الله بالإيمان به:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٣]. فتقول: اللهم، إني أسألك بإيماني بك، وبرسولك، أن تغفر لي، وأن تُؤَمِّنَني من الفزع الأكبر يوم الدين. وما أشبه ذلك.

٥- **التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة:** بأن يتوسل الإنسان بعمله الصالح إلى الله -عز وجل- ليعطيه ما أراد، ومن ذلك **قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة، وهم في الغار، ولم يستطيعوا زحزحتها، فتوسَّلُوا إلى الله تعالى بأعمالهم الصالحة؛ فتوسَّل أحدهم ببر والديه، وتوسَّل الثاني بعفته عن الزنى، وتوسَّل الثالث بوفائه بأجر صاحبه -أي بأجرة صاحبه- فقبل الله منهم، وانفرجت الصخرة، وخرجوا يمشون**[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

٦- التوسل إلى الله -عز وجل- بدعاء الصالحين: ومن ذلك طلب الصحابة ﭫ من النبي ﷺ أن يدعو لهم؛ مثل طلب الرجل الذي دخل، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقال: **يَا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَع النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَدَعَا. فَأَغَاثَهمُ الله**[1]. وكذلك **قول عكاشة بن محصن ﭬ حين تحدث النبي ﷺ عن السبعين ألفًا، الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال:** «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»[2]. هذا هو التوسُّل المشروع بالنسبة للصالحين أن تتوسَّل إلى الله بدعائهم، أما أن تتوسل إلى الله بذواتهم فهذا من التوسل غير المشروع، بل من التوسل الممنوع.

٧- أن يتوسل إلى الله -عز وجل- بذكر حاله: وهذا هو التعطُّف والتحنُّن -أي: طلب العطف وطلب الحنان- ومن ذلك قول موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. فتقول: اللهم، إني فقير عاجز معدم ضعيف. وما أشبه ذلك، فتشكو حالك إلى الله، فهذه الشِّكَاية تُعتبَر وسيلةً إلى رحمة الله، ومغفرته ومنته.

هذه هي الأقسام المشروعة في التوسل، وأما التوسل بغير ما وَرَد فإنه من التوسل الممنوع. والله أعلم.

***

(٤٩٧) يقول السائل ع. م. ك. ت. من ليبيا: ما حكم التوسل بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عند الدعاء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: بالنسبة للتوسل بالنبي ﷺ في الدعاء؛ فإذا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم (٦٥٤١). ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٦).

كان المتوسِّل قصدُه التوسُّلُ بالإيمان بالرسول ﷺ، أو التوسُّلُ بمحبة الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهذا لا بأس به. أما إذا كان قصدُه التوسُّلَ بذاته فلا يجوز؛ لأن التوسل بذاته لا ينفع المتوسِّل، فيكون قد دعا الله تعالى بما ليس سببًا للإجابة، وهذا نوع من الاستهزاء.

واعلم أن التوسل الجائز أنواع، منها:

١- **التوسُّل إلى الله تعالى بأسمائه:** فهذا مشروع؛ مثل أن تقول: أسألك اللهم بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا، أن تغفر لي. فهذا مشروع؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- **التوسُّل إلى الله تعالى بصفاته:** فهذا أيضًا مشروع، كما جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي**»[(١)].

٣- **التوسُّل إلى الله تعالى بأفعاله:** كما يقول المصلِّ: اللهم، صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. فإن قوله: كما صليت. للتعليل، أي: كما مَنَنْتَ بالصلاة على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، فصلِّ على محمد، وعلى آل محمد.

٤- **التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به واتباع رسوله:** كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [آل عمران: ١٦]، وكما في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٥- **التوسل بالعمل الصالح:** كما في **قصة الثلاثة الذين أووْا إلى غارٍ،**

---

(١) تقدم تخريجه.

فانطبقت عليهم صخرة لا يستطيعون زحزحتها، فتوسَّلُوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم، فأنجاهم الله، وانفرجت الصخرة(١).

٦- **التوسل إلى الله بحال الداعي**: كأن يقول: اللهم، إني فقير فأغنني. أو يقول: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا فاغفر لي. وكما في قول موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

٧- **التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح**: كما كان الصحابة يتوسَّلُون بدعاء النبي ﷺ لهم، كما في قصة الرجل الذي دخل، والنبي ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة، فقال: **يَا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَع النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَدَعَا، فَاستَجَابَ اللهُ لَهُ**(٢). هذه سبعة أنواع من التوسل الجائز.

وبهذه المناسبة أودُّ أن أقول: إن طلب الدعاء من الشخص الصالح إذا كان يُخشَى منه أن يَغترَّ هذا الرجل بنفسه، وأن يقول إنه من أولياء الله، فهنا تحصل مفسدة، فلا يُسأَل، كما أن الأَوْلى بالإنسان مطلقًا ألَّا يَطلب من أحد أن يدعو اللهَ له، بل يدعو هو نفسه، يدعو الله تعالى مباشرةً.

أما التوسل الممنوع: فهو التوسل بالأموات، وقد يصل إلى حَدِّ الشِّرك الأكبر، وكذلك التوسُّل بجاه النبي محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء، أو التوسل بجاه الصالحين، كل هذا ممنوع لا ينفع.

***

(٤٩٨) يقول السائل ح. أ: ما حكم الدعاء بجاه الرسول ﷺ والقرآن الكريم؟

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هاتان مسألتان.

المسألة الأولى: الدعاء بالقرآن الكريم: فالدعاء بالقرآن الكريم -أي أن يسأل الإنسان ربه بكلامه- وهذا على القاعدة المعروفة عند أهل العلم جائز؛ لأن هذا من باب التوسُّل بصفات الله -عز وجل-، والتوسل بصفات الله -عز وجل- جائز، جاءت به الشريعة، والقرآن صفة من صفات الله -عز وجل-، فإنه كلام الله، تكلم به حقيقةً لفظًا، وأراده معنى، فهو كلامه -عز وجل- لفظًا ومعنىً، ليس كلام الله ألفاظًا دون المعاني، ولا المعاني دون الألفاظ، وإذا كان صفة من صفاته فالتوسل به جائز.

المسألة الثانية: التوسُّل بجاه النبي ﷺ: والراجح من أقوال أهل العلم أنه ليس بجائز، وأنه يَحْرُم التوسل بجاه النبي ﷺ، فلا يجوز للإنسان أن يقول: اللهم، أسألك بجاه نبيك كذا وكذا. ذلك لأن الوسيلة لا تكون وسيلة إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود، وجاه النبي ﷺ بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المقصود، وإذا لم يكن له أثر لم يكن سببًا صحيحًا، والله -عز وجل- لا يُدعَى إلا بما يكون سببًا صحيحًا له أثرٌ في حصول المطلوب، فجاه النبي ﷺ هو مما يَختصُّ به النبي ﷺ وحده، وهو مما يكون مَنقبَةً له وحده. أما نحن فلسنا ننتفع بذلك، وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول ﷺ، وما أيسر الأمر على الداعي إذا قال: اللهم، إني أسالك بإيماني بك، وبرسولك، كذا وكذا. بدلًا من أن يقول: أسألك بجاه نبيك.

ومن نعمة الله -عز وجل- علينا ورحمته بنا أنه لا يَنسَدُّ باب من الأبواب المحظورة إلَّا وأمام الإنسان أبواب كثيرة من الأبواب المباحة، ولهذا ينبغي للداعي إلى الله -عز وجل- إذا ذَكَر للناس بابًا مسدودًا في الشرع أن يُبيِّن لهم البابَ المفتوح الذي أتتْ به الشريعة، حتى لا يَسدَّ على الناس الطرق، ويبقيهم في عَمَهٍ وحيرة، وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك في كتابه، وأرشد إليه النبي ﷺ في سنته.

فقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾[البقرة: ١٠٤]. فنهاهم عن قول، وفتح لهم بابَ قولٍ آخر، فقال: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾[البقرة: ١٠٤]. وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- للرجل الذي جاءه بتمر طَيِّب، وأخبره بأن يشتري هذا الطيب الصاعَ بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «لَا تَفْعَلْ». فنهاه أن يشتري صاعًا من التمر الطيب بصاعين من التمر الرديء، نهاه عن ذلك؛ لأن هذا ربًا، وقال له: «بِعْ الْجَمْعَ -يعني: الرديء- بِالدَّرَاهِمَ، ثُمَّ اشْتَرِ بِهِ -يعني: ثم اشترِ بالدراهم- تَمْرًا طَيِّبًا»[1]. فلما نهاه النبي ﷺ عن مُحرَّم بيَّن له الحلال، وهكذا ينبغي لكل داعية يدعو الناس إلى شيء، فيحذرهم من فعل أو قول، أن يذكر لهم بدلًا منه من الأقوال والأفعال المباحة.

وخلاصة القول: أن سؤال الله تعالى بكلامه -كالقرآن مثلًا- جائز، وأن سؤال الله بجاه النبي ﷺ ليس بجائز، على ما بيَّنَّا من الحكمة والتعليل.

***

(٤٩٩) يقول السائل ي. س. أ. من ليبيا: هل يجوز ذكر السيادة للرسول ﷺ في الصلاة عليه، سواء في التشهد أم خلافه؟ وما الأفضل ذكرها أم تركها؟ وهل يجوز التوسل به ﷺ أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب عن السؤال الذي عُرِض علينا في هذه الحلقة، وهو: تَسْويد الرسول ﷺ عند الصلاة عليه، فإننا نقول: لا ريبَ أن رسول الله ﷺ سيد ولد الخَلْق، وسيد وَلَد آدم، وأن له السيادةَ المطلقة عليهم، لكنها السيادةُ البشرية، سيادةُ بشر على بشر، أما السيادة المطلَقة فإنها لله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، رقم (٢٢٠١). ومسلم: كتاب الطلاق، باب بيع الطعام مثلا بمثل، رقم (١٥٩٤).

-عز وجل-، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وهو إمامهم -عليه الصلاة والسلام-، ويجب على المؤمن أن يعتقد ذلك في رسوله ﷺ.

أما زيادة «سيدنا» في الصلاة على رسوله ﷺ فإن أردنا الألفاظ التي وَرَد بها النص لا ينبغي ذكرها إذا كانت لم تُذْكَر؛ لأن الصيغة التي وَرَدت عن النبي ﷺ في صفة الصلاة عليه هي أحسن الصيغ، وأَوْلاها بالاتِّباع. أمَّا إذا كان يُصلِّي على النبي ﷺ صلاةً مُطلَقة فإنه لا بأس أن يقول: صلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. مثلًا، ولا بأس أن يقولها؛ لأن النبي ﷺ له السيادة على البشر، ولكننا في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد لا نزيدها؛ لأنها لم تَرِد عن رسول الله ﷺ، فنقول: السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته. ولا نقول: السلام عليك سيدنا أيها النبي. ونقول: اللهم، صلِّ على محمد، وعلى آل محمد. ولا نقول: اللهم صلِّ على سيدنا محمد. بل لا نقول: اللهم صلِّ على نبينا محمد. ولكن نقول: اللهم صلِّ على محمد. كما جاء به النص، هذا هو الأَوْلى والأفضل.

أما التوسُّل بالنبي ﷺ فإن التوسل به أقسام:

أولها: أن يُتوسَّل بالإيمان به: وهذا التوسُّل صحيح؛ مثل أن يقول: اللهم، إني آمنت بك، وبرسولك، فاغفر لي. هذا لا بأس به، وهو صحيح، وقد ذكره الله تعالى في القرآن في قوله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[آل عمران: ١٩٣]. ولأن الإيمان بالرسول ﷺ وسيلة شَرعية لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، فهو قد توسَّل بوسيلة ثابتة شرعًا.

ثانيها: أن يُتوسَّل بدعائه ﷺ: أي أن يدعو للمشفوع له، وهذا أيضًا جائز وثابت، لكنه لا يمكن أن يكون إلَّا في حياة الرسول ﷺ، وقد ثبتَ عن

عمر ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**». **فَيَقُومُ العَبَّاسُ فيَدْعُو فيُسْقَوْنَ**[1]. فالتوسل في حياة النبي ﷺ بدعائه جائز، ولا بأس به.

ثالثها: أن يُتوسَّل بجاه الرسول ﷺ سواء في حياته، أم بعد مماته، فهذا توسُّل بِدعي، لا يجوز؛ وذلك لأن جاه الرسول -عليه الصلاة والسلام- لا يَنتفِع به إلَّا الرسولُ ﷺ، أما بالنسبة إليك فإنك لا تَنتفع به؛ لأنه ليس من عملك، وشيء ليس من عملك لا يَنفعُك، وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يقول: اللهم، إني أسألك بجاه نبيك أن تغفر لي، أو أن ترزقني الشيء الفلاني. لأن الوسيلة لا بد أن تكون وسيلة، والوسيلة مأخوذة من الوَسْل، بمعنى الوصول إلى الشيء، فلا بد أن تكون هذه الوسيلة مُوصِلة إلى الشيء، وإذا لم تكن موصلة إليه فإن التوسُّل بها غير مُجْدٍ ولا نافع.

وعلى هذا فنقول: التوسل بالرسول -عليه الصلاة والسلام- ثلاثة أقسام:

١- أن يُتوسَّل بالإيمان به واتباعه، وهذا جائز في حياته وبعد مماته.

٢- أن يُتوسَّل بدعائه، أي بأن يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له، فهذا جائز في حياته لا بعد مماته؛ لأنه بعد مماته مُتعذِّر.

٣- أن يُتوسَّل بجاهه ومنزلته عند الله، فهذا لا يجوز، لا في حياته، ولا بعد مماته؛ لأنه ليس وسيلة؛ إذ إنه لا يُوصِل الإنسان إلى مقصوده؛ لأنه ليس من عمله.

فإذا قال قائل: لو جئتُ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- عند قبره، وسألتُه أن يَستغفر لي، أو أن يَشفع لي عند الله، فهل يجوز ذلك أم لا؟ قلنا: لا يجوز. فإذا قال: أليس الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ

---

(١) تقدم تخريجه.

فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]؟ قلنا: بلى، إن الله يقول ذلك، ولكنه يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [النساء: ٦٤]. وإذ هذه ظرف لما مَضَى، وليس ظرفًا للمستقبل، لم يقل الله تعالى: ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول. بل قال: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ ﴾.

فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وحصل من بعض القوم مخالفة وظلم لأنفسهم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ [النساء: ٦٤]، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر مُتعذِّر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله، كما قال الرسول ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١). فلا يمكن للإنسان بعد موته أن يَستغفر لأحد، بل لا يستغفر لنفسه أيضًا؛ لأن العمل انقطع.

يقول السائل: إذًا على هذا لا يكون التوسل إلا بالإيمان بالرسول ﷺ مثلًا، لكن هل نقيس عليه التوسل بأي عبادة من العبادات، كالتوسل مثلًا بصلاة الإنسان، أو بصومه، أو بعمل من أعماله الصالحة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم يُتوسَّل به، ولا بأس به، فيقول مثلًا: اللهم، لك صليت، ولك صمت، ولك حججت -وما أشبه ذلك- فاغفر لي، هذا لا بأس به؛ لأن هذه الأعمال من أسباب المغفرة.

***

(٥٠٠) يقول السائل م. أ. من المملكة العربية السعودية من الزلفي: ما حكم التوسل بالصالحين مع التفصيل؟

---

(١) تقدم تخريجه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوسُّل معناه: اتخاذ الوسيلة الموصلة إلى المقصود، ومن المعلوم أن الوسيلة لا بد أن تكون صحيحة في إيصالها إلى المقصود، وأما ما لم يكن صحيحًا في إيصاله إلى المقصود فإنه باطل لا يجوز فعله؛ لأن ما بني على الباطل باطل. وبناء على هذه القاعدة نعرف حكم التوسل بالصالحين، فالتوسل بالصالحين بعد موتهم لا يجوز؛ لأنهم لن ينفعوا من يتوسل بهم، ولن يستطيعوا أن يدعوا له، ولا أن يشفعوا له عند الله، إلا بإذن الله؛ لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[1]. أما التوسل بالصالحين الأحياء فهذا على نوعين:

النوع الأول: أن يتوسَّل بأعمالهم الصالحة، أو بجاههم عند الله، أو ما أشبه ذلك، فهذا حرام، ومثال هذا أن يقول: أسألك اللهم بصلاة فلان لك أن تغفر لي. فإن هذا التوسل الممنوع محرم؛ لأن صلاة فلان لا تنفع إلا فلانًا، ولا مصلحة لك منها، وليس منك عمل حتى تقول: إنه ينفعني عند الله. وكذلك التوسل بذات الرجل الصالح، أو بجاهه، فإنه ممنوع ومحرم؛ لأن ذاته لا تفيدك شيئًا، وجاهه لا يفيدك شيئًا؛ فلو قلت: أسألك اللهم بفلان. وهو حي أو ميت أيضًا فإنه لا ينفعك، ولا يحل لك التوسُّل به، وكذلك لو قلت: أسألك بجاه فلان. حيًّا كان أم ميتًا. فإنه لا يحل لك أن تتوسَّل بجاهه؛ لأن جاهه ليس وسيلة يوصلك إلى مقصودك، فجاهه ينتفع به هو، ولا تنتفع به أنت.

النوع الثاني: أن يتوسَّل بدعاء الصالحين الأحياء، وهذا لا بأس به، مثل أن يقول: اللهم إني أسألك بدعاء فلان لي أن تَقبل دعوتَه. يعني: أن تَقبل دعاءه، ثم يطلب منه أن يدعو له، فهذا لا بأس به، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسَّلُون إلى الله تعالى بالرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أي بدعائه،

---

(١) تقدم تخريجه.

كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﵁: «**أَنَّ رَجُلًا دَخَل، والنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا». قَالَ أَنَسُ: وَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»**(١).

فهذا التوسل من التوسل الجائز، ولكن هل ينبغي للإنسان أن يسأل غيره ليدعو له؟ الجواب على هذا أن نقول: لا ينبغي للإنسان أن يسأل غيره ليدعو له لأمرين:

الأمر الأول: أن في ذلك نوعًا من التذلُّل للمطلوب منه الدعاء.

الأمر الثاني: أن المطلوب منه الدعاء قد يلحقه الغرور والإعجاب بالنفس، ويقول: أنا من أنا؟ أنا الذي يتوسَّل الناسُ إلى ربهم بدعائي لهم. فيهلِك، ولا شك أنَّ كَوْن الإنسان يسأل اللهَ تعالى بنفسه خيرٌ من كونه يطلب من غيره أن يدعو اللهَ له:

أولًا: لأن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه فقد امتثل أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ثانيًا: أنه إذا دعا ربه بنفسه استفادَ من ذلك قُربةً إلى الله تعالى؛ لأن الدعاء من العبادة، والعبادة تُقرِّب إلى الله.

---

(١) تقدم تخريجه.

ثالثًا: أنه إذا دعا ربه بنفسه أحسَّ بالضرورة إلى الله تعالى، والافتقار إليه، وأنه -سبحانه وتعالى- مَلجؤه دون خلقه.

رابعًا: أنه إذا دعا ربه بنفسه فإنه يدعو الله تعالى بما يَشاءُ جملةً وتفصيلًا، فيحصل بذلك الانبساط في الدعاء، والتوسع فيه، والإلحاح فيه على الله.

خامسًا: أنه إذا دعا ربه بنفسه صار معتمدًا على الله، متوكلًا عليه، لا يَلجأُ إلَّا لله تعالى، وهذا لا شَكَّ أن له تأثيرًا في إصلاح القلب وصلاحه.

سادسًا: أنه إذا دعا ربه بنفسه سَلِم من أن يمُنَّ عليه مَنْ طلب منه أن يدعو له.

والمهم أن الذي ينبغي للإنسان أن يدعو ربَّه بنفسه في قضاء حاجاته للأسباب التي ذكرناها، وربما يكون هناك أسباب أخرى غابت عنا في هذا المكان. هذا هو حكم التوسُّل بالصالحين.

وأما ما يظنه بعض الناس توسُّلًا بالصالحين، وهو عبادة لهم في الحقيقة، فإنه لا يُسمَّى توسُّلًا، بل هو شرك، مثل أن يقول عند صاحب القبر: يا فلان، أغثني من الشدة، يا فلان، يَسِّر لي الأمر. وما أشبه ذلك مما يصنعه الجاهلون، ويظنُّون أنه من باب التوسل، وهو حقيقةً شِركٌ يُشبه قولَ المشركين، الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. فعلى المؤمن أن يكون دائمًا مُتعلِّقًا بربه، سائلًا ربه بنفسه، لا يفتقر إلى أحد، ولا يلجأ إلى أحد. والله الموفق.

***

(٥٠١) يقول السائل: ما ضابط التوسل المشروع؟ وما حكم مَن يتبرَّكون بالصالحين بحجة أن الصحابة يتبرَّكون بشعر الرسول ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التوسل المشروع أنواع، منها:

١- **التوسُّل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته:** فيقول: يا غفور، اغفر لي. أو يقول: يا ذا المغفرة والرحمة، اغفر لي. أو يقول: اللهم، برحمتك أستغيث. أو ما أشبه ذلك.

٢- التوسُّل إلى الله تعالى بأفعاله: مثل ما جاء في التشهد: اللهم، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. فهذا توسُّل إلى الله تعالى بأفعاله، التي منَّ بها على مَن شاء مِن عباده فيما سبق.

٣- التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح: كقول أولي الألباب: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٤- التوسُّل إلى الله بذكر حاجته وافتقاره إلى ربه: كقول موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

٥- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته: كما فعل الصحابة رضي الله عنهم حين يأتون إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- يسألونه أن يدعو الله لهم، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا دخل يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا». قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»**[1].

وليس من التوسُّل أن يتبرَّك بالإنسان بلباسه، أو شعره، أو عرقه، أو ما

---

(١) تقدم تخريجه.

أشبه ذلك، إلَّا النبي ﷺ، فإن الصحابة كانوا يتبرَّكون بآثاره -عليه الصلاة والسلام-، لكن لم يَتبرك أحد منهم بالآخر، فما تبرَّكوا نحو هذا التبرُّك بأبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي رضي الله عنهم.

***

(٥٠٢) تقول السائلة إ. من بغداد: عند قيام المسلم بالدعاء، والسؤال من الله -عز وجل- وقوله مثلًا: اللهم اغفر لي بجاه سيدنا محمد ﷺ، فهل هذا حرام، ويعاقِب اللهُ المؤمنَ عليه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ينبغي أن يُعلم أن الدعاء من عبادة الله -عز وجل-، وإذا كان الدعاء من العبادة فإنه ليس لنا أن نُحدِث من وسائل الدعاء ما لم تَرد به الشريعة، والتوسُّل إلى الله -تبارك وتعالى- حال الدعاء يكون بأمور:

أولًا: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته: لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مثل أن يقول الإنسان: اللهم، يا رزاق ارزقني، ويا غفور اغفر لي، ويا رحمن ارحمني. ومثل أن يقول: أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين. فيتوسَّل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، وهذا مما جاءت به الشريعة.

ثانيًا: التوسُّل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته: كما ذكر الله تعالى عن أولي الألباب الذين يقولون: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]. فإن الفاء هنا للسببية، تدلُّ أن ما بعدها مُفرَّع على ما قبلها، أي: بسبب إيماننا بهذا المنادي اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

ثالثًا: التوسُّل الإنسان بحاجته إلى الله -عز وجل-: أي: بذكر حاله وفقره، كما في قول موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. فهذا خبر، لكنه يَتضمَّن الدعاء والتوسُّل إلى الله

-تبارك وتعالى- بذكر حال الداعي، وتارة يكون التوسُّل إلى الله تعالى بكل هذه الأسباب، كما في الدعاء الذي علَّمه النبي ﷺ أبا بكر، يدعو به في صلاته: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(١). فإن هذا توسَّل إلى الله تعالى بذكر حال العبد: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**». وبالثناء على الله تعالى بصفاته في قوله: «**إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». وهذا من الإيمان بالله: «**فاغفر لي مغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم**».

هذه هي الوسائل الشرعية الصحيحة، التي يتوسَّل بها المرء إلى الله تعالى لإجابة دعائه.

أما بالنسبة للتوسُّل بالنبي ﷺ نفسه؛ فإن كان توسلًا بدعاء النبي ﷺ للمُتوسِّل فهذا لا بأس به، ولكن هذا لا يكون إلا في حياة الرسول ﷺ، كما في قول عمر رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**». **فَيَقُومُ العَبَّاسُ فَيَدْعُو فَيُسْقَوْنَ**.

كما دخل أعرابي، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقال: **يَا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا». ثلاثَ مراتٍ، فما نَزَل من الْمِنبَرِ إِلَّا والمطَرُ يَتَحادَرُ مِن لِحْيَتِهِ**(٢). فهذا توسُّل بنفس الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن يدعو للمرء الذي توسَّل به إلى الله -عز وجل-.

وأما التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته فهذا لا يجوز، ومنه أن يتوسَّل بجاه الرسول -عليه الصلاة والسلام- فإن هذا من البدع، لم يَرِد عن الصحابة أنهم توسَّلُوا بجاه النبي ﷺ، وكما أن هذا مقتضى الأثر؛ ألَّا نتوسَّل بجاه الرسول -عليه الصلاة والسلام- لعدم وروده، فكذلك أيضًا هو مقتضى النظر، فإن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

جاه الرسول -عليه الصلاة والسلام- ليس من فِعلنا حتى نتوسَّل به إلى الله، كالتوسل بإيماننا وعملنا، وليس هو أيضًا نافعًا لنا حتى نتوسل إلى الله تعالى به، فإن جاه الرسول -عليه الصلاة والسلام- إنما يَنتفع به الرسولُ ﷺ وحده، فليس وسيلة لإجابة الدعاء.

وإذا كان مقتضى الأثر والنظر ألَّا نتوسَّل إلى الله تعالى بجاه الرسول -عليه الصلاة والسلام- فَلْنتوسل إلى الله تعالى بما هو أحسن منه، وهو: الإيمان بالرسول ﷺ، كما حكى الله -سبحانه وتعالى- عن أولي الألباب، فهذه الطريق الواردة الحسنة القيمة، وهي: التوسُّل إلى الله تعالى بالإيمان برسوله ﷺ، فما لنا لا نسلكها؟ ما لنا نسلك طريقًا وهي محرَّمة وبدعة، وَنَدَعُ هذا الطريق؟ فما دام الله تعالى قد فتح لنا طرقًا مشروعة سليمة فلْنكنْ مِن الذين يسلكونها، حتى نكونَ ممَّن قال الله -تعالى- عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

***

(٥٠٣) يقول السائل: **ما الحكم في أشخاص يتوسَّلُون بجاه النبي ﷺ؟ بعد دعاء الرجل يقول: بجاه سيدنا محمد، وما توجيهكم؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نُوجِّهكم إلى أن تَدَعُوا التوسُّل بجاه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؛ لأن ذلك من البدع، ولأن جاه النبي ﷺ لا ينفعُك، والله -تبارك وتعالى- إنما يُتوسَّل إليه بما يكون سببًا ووسيلة لحصول المقصود، وجاه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- باعتبار الداعي لا يفيدُه، ونحن لا نشكُّ أن رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وأن له جاهًا عظيمًا عند الله -عز وجل- كسائر إخوانه من المرسلين، ولكن جاهه عند الله إنما ينتفع به هو -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، أما نحن فلا، وقد أبدلنا الله تعالى عن التوسل المحرَّم بتوسل مُباح، فلماذا نعدل عن التوسل المباح المشروع

إلى توسل لم يرد لا في الكتاب، ولا في السنة، وليس أيضًا هو سببًا لحصول المقصود؟ ومن أنواع التوسل في الدعاء:

١- **التوسُّل إلى الله -تبارك وتعالى- بأسمائه عمومًا:** مثل قوله ﷺ في الدعاء المشهور: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي**.. إلخ»[1]. أو يَتوسَّل باسم خاصٍّ من أسماء الله مناسب لما يدعو به، مثل أن يقول: اللهم، يا واسع المغفرة، اغفر لي. أو: يا رحيم ارحمني. أو يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم. وما أشبه ذلك، ومنه حديث: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي**»[2].

٢- **التوسُّل إلى الله تعالى بصفاته:** أي بصفة من صفاته، مثل: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ**»[3]. إلى آخر دعاء الاستخارة المشروع.

٣- **التوسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله:** مثل قوله: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[4]. أو يقول: اللهم، كما مَنَنْتَ على فلان بالعلم والعمل أنعم عليَّ بمثل ذلك.

٤- **التوسُّل إلى الله تعالى بالإيمان به، واتباع رسوله:** مثل قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٣]، ومثل قوله تعالى: ﴿**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا**﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ومن ذلك توسُّل **أصحاب الغار**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الثلاثة، الذين انطبقت عليهم صخرةٌ عَجزوا عن إزالتها عن باب الغار، فتوسَّلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم[١]، والحديث في ذلك مشهور معلوم.

٥- **التوسُّل إلى الله -عز وجل- بحاله:** أي: بحال الداعي، مثل أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي. أو يقول: اللهم، إني فقير فأغنني. وكقول موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

٦- **التوسُّل إلى الله -تبارك تعالى- بدعاء العبد الصالح الذي ترجى إجابته:** مثل قول عكاشة بن محصن رضي الله عنه لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

فهذه الأنواع من التوسل أنواع مشروعة، وفيها الكفاية عن التوسل إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة، فالتوسل إلى الله تعالى بجاه الرسول صلى الله عليه وسلم توسل بِدْعي ممنوع، وفي التوسُّل المشروع المباح غُنْية عنه.

***

(٥٠٤) تقول السائلة خ. ص. من العراق: هناك قِسم من الناس عندما **يدعون الله يقولون: ربنا بجاههم عندك. أي: جاه الأولياء والصالحين، هل يعتبر واسطة هذا الدعاء بين العبد وربه؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ينبغي أن نعرف أن الوسيلة إنما تتخذ وسيلة إذا كانت وسيلة حقيقية، سواء ثبت كونها حقيقيةً بالشرع أم بالواقع، أما اتخاذ وسيلة لم يثبُت أنها وسيلة في الشرع، ولا في الواقع، فإن هذا من اللغْوِ، بل نوع من الشرك؛ لأن إثبات أن هذا الشيء سبب، والله تعالى لم يجعله سببًا، معناه: تشريك مع الله تعالى في قضائه أو شرعه، فكل من أثبت سببًا لم يثبت كونه سببًا، لا باعتبار الواقع، ولا باعتبار الشرع، فقد أشرك بالله -سبحانه وتعالى-؛ حيث جعل ما ليس سببًا جعله سببًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

فلننظر: هل جاء التوسُّل إلى الله -سبحانه وتعالى- بجاه الأولياء والأنبياء والصالحين في الشرع أنه وسيلة؟ الجواب: لا، ونحن نقول لكل من يسمع: إذا كان لديه دليل من الشرع من النبي -عليه الصلاة والسلام- أو من الصحابة، أو التابعين لهم بإحسانٍ، على أن التوسل بالجاه مشروع، فلْيأتِ به على هذا العنوان: نور على الدرب، في إذاعة المملكة العربية السعودية، ونحن نعاهد الله -سبحانه وتعالى- ونسأله العون على أنه متى جاءنا دليل شرعي ثابت فإننا سنتبعه؛ لأن ذلك هو الفرض علينا، فإذا كان عند أحد من الناس أن التوسل بالجاه مشروع فلْيتفضَّلْ به، فإننا به آخذون، ولما أسدَاه إلينا شاكرون.

وإذا لم يكن دليل من الشرع -والأمر كذلك، فإنني لا أعلم أبدًا أن التوسل بالجاه أمر مشروع- فهل يكون الجاه وسيلة بحسب الواقع؟ الجواب: لا؛ لأن الجاه عند الله إنما يَنتفِع به من له جاهٌ فقط، أما غيره فأيُّ نفع له؟ فإذا كان هذا الرجل له جاهٌ عند الله -سبحانه وتعالى- فالذي ينتفع بهذا الجاه هو الرجل نفسه، أما أنا فأي نفع لي بجاهه هو، لذلك ليس الجاه وسيلة بحسب الواقع أيضًا، فإذا لم يكن الجاه وسيلة، لا بحسب الشرع، ولا بحسب الواقع، لم يجز أن يُتَّخذ وسيلة، وعلى هذا فيحرُم على الإنسان أن يقول: اللهم، إني أسألك بجاه النبي ﷺ. أو بجاه فلان، أو فلان. ممن يزعمونهم أولياء؛ لأن ذلك ليس سببًا شرعيًّا، ولا سببًا واقعيًّا، وإذا كان سببًا غير شرعي ولا واقعي فإن إثبات كَوْنه سببًا نَوْعٌ من الإشراك بالله -عز وجل-.

ولكن بدلًا من أن يقول: أسألك بجاه النبي، أو بجاه الولي. يقول: اللهم إني أسألك برحمتك، وأسألك بفضلك، وأسألك بإحسانك. فهذا أفضل؛ لأن فضل الله وإحسانه ورحمته أشمل وأعمُّ وأنفع للإنسان من جاهِ رجلٍ عند الله -عز وجل-، فكونك تسأل بفضل الله ورحمته، وما أشبه ذلك من صفات الله -سبحانه وتعالى- التي تتوسل بها إليه، هذا أفضل بلا شك، وأنفع للنفس، وأقرب إلى الإجابة.

***

(٥٠٥) يقول السائل ع. إ. أ. من جمهورية مصر العربية، قد استمع إلى حلقةٍ، كما أشار إليها، في يوم السبت الموافق ١٤٠١/١٠/٢٢هـ، ويسأل عن ردكم على إحدى المستمعات التي تقول: هل يجوز الدعاء لله -عز وجل-، والتوسل إليه بجاه الأنبياء، أو بجاه عباده الصالحين؟ كمثل قولنا: اللهم، إنا نسألك بجاه نبيك ﷺ أن تغفر لنا ذنوبنا. وخلاف ذلك من الدعاء. ويقول: إنكم قد أشرتم في إجابتكم أنه إذا وجد حديث يخالف عدم الجواز فليرسله إلينا، وإنه قد وجد حديثًا في بلوغ المرام يقول فيه: عن أنسٍ رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقال: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». فَيَقُومُ العَبَّاسُ فَيَدْعُو فَيُسْقَوْنَ[1]. رواه البخاري. يقول: فما رأي فضيلة أستاذنا الجليل في ذلك؟ هل هذا الحديث صحيح أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل أن أجيب على هذا السؤال أولًا أشكر الأخ على تعاونه مع إخوانه؛ لأن هذا من التعاون على البر والتقوى، فإن الإنسان بشر يخطئ ويصيب، ويذهل عن الشيء ويغيب، والشريعة ليست محصورةً على أحدٍ معينٍ من الناس، بل كلُّ مَن آتاه الله تعالى علمًا وفهمًا وإخلاصًا فإن له الحق في أن يتكلَّم بما آتاه الله تعالى من عِلمٍ وفهمٍ وإخلاص، وهذا هو واجبُ كلِّ مسلم في هذا الباب وغيره؛ أن يكونَ ناصحًا لإخوانه، حريصًا على حفظ شريعة الله، إذا تكلم أحدٌ فيها بخطأ حاول إصلاح الخطأ على وجه الحكمة والصواب.

وأما بالنسبة لسؤاله: هذا الحديث الذي أشار إليه هو حديثٌ صحيح، رواه البخاري، ولكن مَن تأملَّه وجد أنه دليلٌ على عدم التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره، وذلك أن التوسل هو اتخاذ الوسيلة، والوسيلة هي الشيء الموصِل إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

المطلوب، والوسيلة المذكورة في هذا الحديث: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**»[1]. المراد بها: التوسل إلى الله تعالى بدعائه؛ لأن عمر قال للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قم يا عباس، فادع الله. فدعا، ولو كان هذا من باب التوسُّل بالجاه لَكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتوسَّل بجاه النبي ﷺ قبل أن يتوسَّل العباس؛ لأن جاهَ النبي ﷺ عند الله بلَا شَكٍّ أعظمُ من جاهِ العباس وغيره، فلو كان هذا الحديث من باب التوسل بالجاه لَكان الأجدرَ بأمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يَتوسَّل بجاه النبي ﷺ دون جاه العباس بن عبد المطلب.

والحاصل: أن التوسل إلى الله تعالى بدعاء مَن تُرجَى فيه إجابةُ الدعاء لصلاحه لا بأس به، فقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتوسَّلون إلى الله بدعاء النبي ﷺ لهم، وكذلك أيضًا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توسَّل بدعاء العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلا بأس إذا رأيت رجلًا صالحًا حَرِيًّا بالإجابة بكَوْن طعامه وشرابه ومَلبسه ومَسكنه حلالًا، وكونه معروفًا بالعبادة والتقوى لا بأس أن تسأله أن يدعو الله لك بما تحب، بشرط ألَّا يحصُلَ في ذلك غرورٌ لهذا الشخص الذي طُلِب منه ذلك الدعاء، فإن حصل منه غرورٌ بذلك فإنه لا يَحِلُّ لك أن تقتله وتُهلِكه بهذا الطلب منه؛ لأن ذلك يضره.

كما أنني أيضًا أقول: إن هذا جائز، ولكنني لا أحبذه، وأرى أن الإنسان يَسأل الله تعالى بنفسه، دون أن يجعل له واسطةً بينه وبين الله؛ لأن ذلك أقوى في الرجاء، وأقرب إلى الخشية.

كما أنني أيضًا أُرغِّب في أن الإنسان إذا طَلَب من أخيه، الذي تُرجَى إجابة دعائه، أن يَدْعو له أن يَنوي بذلك الإحسان إليه، أي: إلى هذا الداعي دون دفعِ حاجةِ هذا المدعوِّ له؛ لأنه إذا طلبه من أجل دفع حاجته صار كسؤال

---

(١) تقدم تخريجه.

المال وشبهه، وهذا مذموم، وأمَّا إذا قصَد بذلك نفعَ أخيه الداعي بالإحسان إليه -والإحسان إلى المسلم يُثاب عليه المرءُ كما هو معروف- صار هذا أولى وأحسن.

***

(٥٠٦) يقول السائل من السودان: هل يجوز التوسُّل إلى الله بهذه الصيغة: اللهم، صلِّ على محمد، وبارك على نبينا محمدٍ، صلاةً تُفرِّج بها همي، وتُنفِّس بها كربتي، وتُوسِّع بها رزقي. إلى آخره؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل أن أجيب على هذا السؤال أودُّ أن أنصَح هذا السائلَ وغيرَه من الإخوان أن يحافظوا على الصيغ الواردة في القرآن والسنة في الدعاء؛ وذلك لأن الدعاء عبادة يَتقرَّب به الإنسان إلى ربِّه، وليس مجرد طلبٍ يحصُل به الإنسان على ما يريد، بل هو نفسُه عبادة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فأنصح هذا السائل وغيرَه من إخواننا المسلمين أن يحافظوا على ما جاء في الكتاب والسنة من الأدعية.

ثم أقول: إن هذه الصيغ -التي ذكرها السائل- لا يُرغَب فيها، ولا ينبغي أن تكون وسيلة، بل توسَّلْ إلى الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته المناسبة لمطلوبك، فقل -مثلًا-: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، يا عزيز أعزَّني بطاعتك. وما أشبه ذلك، حتى تكون مُتوسِّلًا بوسيلة ليس فيها شبهة.

***

(٥٠٧) يقول السائل: هل يجوز أن نقول في دعائنا: اللهمَ شفِّع فينا محمدًا ﷺ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما قول القائل: اللهم شفع فيَّ رسولَك محمدًا ﷺ فإن ذلك لا بأس به، ولهذا أمرَنا أن نقول خلف الأذان إذا تابعنا المؤذن: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ**

وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

فأمرنا أن نقول ذلك؛ لأن من قاله حلَّت له شفاعةُ الرسول ﷺ، فنحن مأمورون أن نفعل جميع الأسباب التي تكون بها شفاعة رسول الله ﷺ، ومن ذلك الدعاء، فإن الدعاء من أكبر الأسباب لحصول المقصود، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. فإذا سألتَ الله -عز وجل- أن يجعل نبيَّه محمدًا ﷺ شافعًا لك، فإنه لا حرجَ في هذا.

***

(٥٠٨) يقول السائل ع. ص. ف. وهو متقاعد مدني بالعراق من بغداد: لماذا لا يجوز الطلب من الله بجاه، أو بحق، أو بحرمةِ أي إنسان الصالحين الأموات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: فإن سؤال الله -سبحانه وتعالى- ودعاءه بوسيلةٍ من الوسائل لا يجوز، إلا إذا كانت هذه الوسيلة مما ثبتَ شرعًا أنها وسيلة؛ وذلك لأن الدعاء عبادة، والعبادة يُتوقَّف فيها على ما ورد به الشرع، فسؤال الله تبارك وتعالى بالوسيلة ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن تكون الوسيلة مما جاء به الشرع، مثل:

- **التوسُّل إلى الله -تبارك وتعالى- بأسمائه وصفاته:** مثل أن تقول: اللهم يا غفورُ اغفر لي، ويا رزَّاقُ ارزقني، ويا رحيمُ ارحمني. وما أشبه ذلك.

- **التوسُّل إلى الله -تبارك وتعالى- بإيمانه به وبرسله:** مثل أن يقول: اللهم، إني آمنت بك وبرسلك، فاغفر لي. كما حكى الله تبارك وتعالى عن أولي الألباب الذين يقولون: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم (٦١٤).

- **التوسُّل إلى الله -تبارك وتعالى- بذكر حاله هو من ضرورة وحاجة:** كما في قول موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

هذه الأنواع -التي تندرج تحت القسم الأول- كلها جائزة لورود الشرع بها، وكذلك أيضًا من هذا القسم إذا توسَّل بدعاءِ غيره، ممَّن يكونون أقرب إلى الإجابة منه، كما فعل عمر رضي الله عنه حين استسقى فقال: **«اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». فَيَقُومُ العَبَّاسُ فَيَدْعُو فيُسْقَوْن**[1].

ثانيهما: أن تكون الوسيلة ممَّا لم يرد به الشرع، فهذه لا يجوز أن يُدعى اللهُ بها؛ لأن معنى ذلك أنك تقدِّم إلى الله تبارك وتعالى ما لم يكن سببًا للوصول إليه، وهذا يشبه الاستهزاء، ولهذا لو أنك توسَّلتَ إلى مَلِك من ملوك الدنيا بما لم يكن وسيلةً إليه -مثل أن تأتي برجل من سُوقَة الناس، وتقول: اشفع لي عند الملك. فإن هذا يعتبر كالاستهزاء به والسخرية، كذلك إذا توسَّلتَ إلى الله -تبارك وتعالى- بما لم يكن سببًا، فإنه كالاستهزاء به، وبآياته تبارك وتعالى.

ومن هذا النوع التوسُّل بما ذكره السائل من جاهِ النبي ﷺ وحرمته، وما أشبه ذلك، فإن جاه النبي ﷺ لا ينتفع به إلَّا رسول الله ﷺ فقط، أما غيره فإنه لا ينتفِعُ به، بمجرد أن للرسول ﷺ جاهًا عند الله وحرمة، هذا لا ينفعه، ولهذا لم ينتفع أبو لهب وغيره، ممن ليسوا أهلًا للرحمة والمغفرة، بجاه النبي ﷺ عند الله.

وحتَّى في التوسل إلى العباد لقضاء الحاجة لا يصلُح أن نَتوسَّل إليه بجاهِ فلانٍ؛ حتى يكونَ لفلان هذا تأثير بالطلب والسؤال، وكذلك التوسل إلى الله بحُرمة الرسول ﷺ وجاهه لم يجعلهما اللهُ -تبارك وتعالى- وسيلةً لإجابة

---

(١) تقدم تخريجه.

الداعي، وكذلك أيضًا هو في الحقيقة ليس وسيلة؛ لأنه -كما أسلفنا آنفًا- لا ينتفع الإنسان بجاهِ شخصٍ إذا لم يكن لهذا الإنسان سببٌ يُوصل إليه، فحرمة الرسول عند الله ليست سببًا لقضاء حاجتك أنت، وما وجه السبب؟ السبب إمَّا فعلُك، أو حالُك، أو أسماءُ الله تعالى وصفاته، والنبي -عليه الصلاة والسلام- ليس هو الذي يجيب، حتى نقول: إن السؤال بحرمته وتعظيمه وجاهه كالسؤال بأسماء الله وصفاته. وما أشبه ذلك، فالرسول ليس هو الذي يُدعَى، وهو الذي يُجيب، حتى نقول: إن وصفه بهذه الصفات الحميدة يقتضي الإجابة.

***

(٥٠٩) تقول السائلة أ. ع. من الأردن: ورد عن النبي ﷺ والراوي عثمان بن حنيف، **أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ، فَهُوَ خَيْرٌ». فَقَالَ: ادْعُهُ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ، فَتَقْضِي لِي، اللهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ»**[1]. فما صحة هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الحديث اختلف العلماء في صحته؛ فمنهم من أنكره، وقال: إنه لا يصح عن النبي ﷺ. ومنهم من قال: إنه صحيح. وعلى تقدير صحته فإنه ليس من باب التوسُّل بذات النبي ﷺ، ولكنه من باب التوسل بدعائه؛ بدعاء النبي ﷺ كما هو ظاهر، ولكن أَمْرَه النبي ﷺ أن يصلِّي ركعتين تمهيدًا وتوطئة لاستجابة الله -سبحانه وتعالى- لشفاعة النبي

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤٧٨، رقم ١٧٢٤٠). والترمذي: أبواب الدعوات، باب في دعاء الضيف، رقم (٣٥٧٨). وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم (١٣٨٥).

ﷺ فيه؛ لأنه كلما تحقَّق الإيمان في الشخص كان أقربَ إلى نَيْل شفاعة الرسول ﷺ.

ولهذا في هذا الحديث يقول: **اللهم إني أسألك، وأتوجَّهُ إليك بنبينا محمدٍ ﷺ نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجَّهُ بك إلى ربي**. فإن قوله: يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي. يخاطب النبي ﷺ، وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان حاضرًا، وأن هذا طلبٌ من النبي ﷺ أن يشفع فيه إلى الله -عز وجل-، ثم سأل الله -عز وجل- أن يقبل هذه الشفاعة، وقال: اللهم شفعه فيَّ. وهذا لا يكون دليلًا على التوسل بذات الرسول ﷺ.

وإني بهذه المناسبة أقول: إن التوسل إلى الله -سبحانه وتعالى- بالدعاء على نوعين: نوع جائز، ونوع ممنوع. **فالتوسل الجائز** على عدة وجوه:

الوجه الأول: أن نتوجَّه إلى الله تعالى بأسمائه: قد يكون باسمٍ خاصٍّ، وقد يكون بالأسماء عمومًا، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه الحديث المشهور: **«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»**[1]. هذا من التوسل بالأسماء على سبيل العموم. وقول السائل: اللهم، إني أسألك أن تغفر لي، فإنك أنت الغفور الرحيم. هذا من التوسل بالاسم الخاصِّ المناسب لما تدعو الله به، وهو داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الوجه الثاني: أن نتوجَّه إلى الله تعالى بصفاته: قد يكون بصفاتٍ معينة، وقد يكون بالصفات عمومًا، فتقول: اللهم، إني أسألك بصفاتك العليا أن تغفر لي. وقد يكون بصفةٍ خاصة، مثل قولك: **«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ،**

---

(١) تقدم تخريجه.

وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي»(١). فتوسَّلتَ إلى الله بعلمه وقدرته، وهما صفتان خاصتان.

الوجه الثالث: أن نتوجه إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله: والتوسُّل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله، مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الوجه الرابع: أن نتوجَّه إلى الله تعالى بالعمل الصالح: ومثاله: توسل **الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فلم يستطيعوا أن يزحزحوا الصخرة التي سدت عليهم الباب، فتوسَّل أحدهم إلى الله تعالى بكمال بِرِّه، والثاني بكمال عِفته، والثالث بكمال وفائه بالعقد**(٢). والقصة مشهورة.

الوجه الخامس: أن نتوجه إلى الله تعالى بذكر حاله وفقره إلى ربه: ومثاله أن تقول: اللهم إني فقير إليك، ذليل بين يديك. وما أشبه ذلك، ومنه قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

الوجه السادس: أن نتوجَّه إلى الله -عز وجل- بدعاء من تُرجَى إجابته: ومثاله: توسُّل الصحابةِ رضي الله عنهم بدعاء النبي ﷺ، كما في حديث أنس: أن رجلًا دخل يوم جمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا». قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»(١). فهذا من التوسل بدعاء من ترجى إجابته.

وفي الصحيح أيضًا، من حديث عمر رضي الله عنه، أنه استسقى فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». فَيَقُومُ العَبَّاسُ فَيَدْعُو فَيُسْقَوْنَ(٢). هذه أصناف التوسل الجائز.

أما التوسل الممنوع: فأن نتوسل بشيء ليس وسيلةً، وليس سببًا في حصول المقصود، مثل: أن يُتوسَّل بذات النبي ﷺ، أو بجاه النبي ﷺ، فإن التوسل بذاته أو بجاهه ليس سببًا في حصول المقصود؛ لأنك إذا لم يكن لديك سببٌ يُوصِل إلى حصول المقصود لم ينفعك جاه رسول الله ﷺ عند ربه؛ لأن جاهه إنما ينفعه هو -صلوات الله وسلامه عليه-.

ولهذا لم ينتفع أبو لهب بجاه النبي ﷺ ولا بذاته؛ لأنه ليس لديه وسيلة تمنعه من عذاب الله، وكذلك توسُّل أصحابِ الأوثان بأوثانهم الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فإن هذا التوسل لا ينفعهم بشيء؛ لأنهم مشركون.

وإنني أنصح إخواني المسلمين أن يحرصوا على اتباع الآثار فيما يتوسلون به إلى الله، وما أحسنَ الامتثالَ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهذا خير ما يَتوسَّل به المرءُ؛ أن يتوسَّل إلى الله تعالى بأسمائه الدالة على صفاته العظيمة وعلى ذاته، فهذا خير مُتوسَّل به.

❖❖❖

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

❁ الولاء والبراء ❁

(٥١٠) يقول السائل ف. م. ع. ش: كيف تكون المحبة في الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تكون المحبة في الله بأن تحب الرجل لكَوْنه عابدًا صالحًا، لا لأنه قريبُك، ولا لأن عنده مالًا، ولا لأنه يعجبك فيه خُلقُه ومنظره، وما أشبه ذلك، ولكن تحبُّه لدينه وتقواه، هذه هي المحبة في الله، وفي هذه الحال تجد أن كل واحدٍ منكما يُعِين الآخر على طاعة الله.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١). والشاهد هنا قوله: «**رجلان تحابا في الله؛ اجتمعا عليه، وتفرقا عليه**».

ولكني أحذر غاية التحذير- ولا سيما النساء- من أن تكون هذه المحبة في الله محبةً مع الله؛ لأن بعض الناس يغرم بمحبة أخيه في الله، أو تغرم المرأة بمحبة أختها في الله، حتى تكون محبة هذا الإنسان في قلبها، أو في قلب الرجل، أشدَّ من محبة الله؛ لأنه يكون دائمًا هو الذي في قلبه، وهو الذي على ذِكْره؛ فإن نام نام على ذِكْره، وإنِ استيقظ استيقظ على ذِكْره، وإن ذهب أو رجع فهو على ذِكْره، فيُنسِيه ذكره ذكر الله -عز وجل-، وهذا شركٌ في المحبة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وفعلًا تحصل الشكوى من هذا الأمر، أن تحب المرأة زميلتها أو معلمتها محبةً

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم (٦٦٠). ومسلم: كتاب الكسوف، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١).

شديدةً، تستولي على قلبها وفكرها وعقلها، حتى تكون هي التي على بالها دائمًا، وتَنسَى بذكرها ذِكْر الله، وهذا خطأ وخطر.

والواجب على المرء إذا وقع في هذا الداء أن يحاول بالدواء ما استطاع، ولكن كيف الدواء، وقد وصلت الحال إلى هذه المنزلة؟

الدواء:

أولًا: أن يذكر أن محبة الله تعالى فوق كل شيء، ويَصرف قلبَه لمحبة الله. وممَّا يُقوِّي محبة الله في قلب العبد: دوام ذكر الله، وكثرة قراءة القرآن، وكثرة الأعمال الصالحة، والإعراض عن شهوات النفس وهوى النفس.

ثانيًا: أن يبتعد بعض الشيء عن هذا الذي وقع في قلبه محبته إلى هذه المنزلة، فيبتعد عنه بعض الشيء ويَتلهَّى بأمرٍ آخر، فإن لم ينفع فليجتنبه نهائيًّا، يقطع الصلة بينه وبينه حتى يهدأ هذا الحب، وتزول هذه الحرارة وتسكن، ثم يعود إلى محبته المحبة العادية.

ومن أجل كثرة الشكوى من هذا أحببت أن أنبه على ألَّا تكون المحبة في الله ترتقي إلى أن تكون محبةً مع الله؛ لأن هذا نوعٌ من الشرك في المحبة.

***

(٥١١) يقول السائل من تونس: كيف يكون الحب في الله والبغض في الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يكون الحب في الله بأن ترى شخصًا صاحبَ دِينٍ وعلم، صاحبَ عبادة، صاحب خُلُق، صاحبَ حُسنِ معاملة، فتحبه لِما في قلبه، ولِما قام به من طاعة الله والإيمان به، فهذه هي المحبة في الله.

والبغض في الله: بأن ترى شخصًا عاصيًا متهاونًا بدينه، لا يُبالي، فتكرهه وتبغضه لما هو عليه من التهاون بدين الله -عز وجل-.

والحب في الله والبغض في الله من أوثق عُرى الإيمان، ولهذا يجب علينا أن يكون حبُّنا وبغضنا لله -عز وجل-، لا نحب إلا مَن أحبَّه الله، ولا نُبغض إلا من أبغضَه الله، نحب مَن أحبه الله، وإن كُنَّا لا نميل إليه ميلًا طبيعيًّا،

ونكره من يكرهه الله، وإن كنا نميل إليه ميلًا طبيعيًّا، حتى يحصل لنا التمسك بأوثق عُرى الإيمان.

***

(٥١٢) يقول السائل: كيف يكون الحب في الله والبغض في الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الحب في الله: أن لا تحبَّ الرجل إلا لله، بأن تراه كثيرَ العبادة، كثيرَ الصدقة، يحب الخير، ويكره الشر، فتحبه لذلك، لا لكونه قريبًا لك، أو صديقًا لك، أو غنيًّا، أو فقيرًا، أو ما أشبه ذلك.

والبغض لله: أن تبغضه لكونه عاصيًا لله -عز وجل- غيرَ مستقيم على أمر الله، لا لعداوة شخصية بينك وبينه، ولكن لأنه قد فرَّط في حق الله.

***

(٥١٣) تقول السائلة: هل تُعدُّ زيارة المسلمة لأهلها الكفار موالاةً لمن حادَّ اللهَ ورسوله؟ وهل يُعدُّ الأب أجنبيًّا يجب عدم الكشف له؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: صلة الرحم لا تعتبر موالاةً، بل الموالاة شيء، والصلة شيء آخر، ولهذا جمع الله تعالى بين الصلة وبين النهي عن اتخاذ الولاية في سورةٍ واحدة، فقال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]. وقال في نفس السورة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

فصلة الرحم أمرٌ منفصل عن الولاية، فعلى هذا يجب على الإنسان أن يصل رحمه، ولو كانوا كفارًا، لكن بدون موالاةٍ ومناصرة ومعاضدة، على ما هم عليه من الكفر، وكذلك يجوز أن يدعوهم إلى بيته مثلًا، ولكن مع ذلك ينبغي أن يحرص على عرض الإسلام عليهم ونصحهم وإرشادهم، لعل الله أن يهديهم بسببه.

***

(٥١٤) يقول السائل: هل يأثم الإنسان إذا عاش مع أناس لا يصلُّون، ولكنه يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، لكنه لا يستطيع أن يَهجُرَهم؛ لأنهم إخوانه وأقاربه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، إذا كانوا لا يَصلُّون فالواجب عليه نصيحتهم حينًا بعد حين، فإن أصرُّوا على ترك الصلاة فهم كَفرة، مرتدون عن دين الإسلام، مستوجبون للخلود في النار، والعياذ بالله، وعليه أن يهجرهم، فلا يُجيب دعوتهم، ولا يُسلِّم عليهم، ولا يدعوهم، إلا إذا رجا ولو رجاءً بعيدًا أن يَهديهم الله -عز وجل- بالمناصحة، فلا ييأس من رحمة الله.

***

(٥١٥) يقول السائل: هل يجوز مؤاكلة المشركين من طبق واحد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأَوْلى للمسلم أن يَتجنَّب مجالس السوء؛ ومنها مجالس المشركين واليهود والنصارى، فلْيبتعدْ عنهم بقدر الإمكان، لكن إذا ألجأته الحاجة أو الضرورة لمؤاكلتهم فإنه يُعذَر في ذلك، كما يوجد اليوم كثير من المؤسسات تجمع بين عمال كُفار وعمال مسلمين، ولا يستطيع المسلم أن يَتخلَّص من الاجتماع بهؤلاء.

ولكني أقول: إن من الخير أن يَعْرِض المسلمُ على هؤلاء الكفار محاسنَ الإسلام، وأن يدعوهم إلى الإسلام، فلعل الله -سبحانه وتعالى- أن يهديهم به، فينال هذا الأجر، الذي قاله رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وجَّهه إلى خيبر، فقال له: «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[(١)]. وحُمْر النَّعَم هي الإبل الحمراء، وكانت من أَنْفَسِ الأموال، وأغلاها عند العرب.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، رقم (٢٩٤٢). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٦).

(٥١٦) يقول السائل ع. ب. ك. وهو مصري ومقيم بالطائف: أسأل عن حكم زيارة النصراني إذا كان مريضًا، وعن اتباع جنازته.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: زيارة النصراني أو غيره من الكفار إذا كان مريضًا -وتُسمَّى في الحقيقة عِيادة، لا زيارة؛ لأن المريض يُعادُ مرةً بعد أخرى- فإذا كان في ذلك مصلحة، كدعوته إلى الإسلام، فهذا خير، ويُطلَب من الإنسان أن يَعوده، وإن لم يكن فيها مصلحة، فإن كان هناك سبب يقتضي ذلك؛ مثل كَوْنه قريبًا، أو جارًا، أو ما أشبه ذلك، فلا بأس أيضًا، وإلَّا فالخيرُ في ترك عيادته.

وأمَّا اتباع جنازته فإن كان فيها شيء مُحرَّم؛ كالناقوس، وإشعال النيران، والصلبان، فإنه لا يجوز، وإن لم يكن فيها شيء محرم فينظر إلى المصلحة في ذلك. والله أعلم.

***

(٥١٧) يقول السائل: هل يجوز السفر للبلاد الكافرة، والعمل بها في الأعمال المباحة، مع المحافظة على العقيدة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شكَّ أن الذي يسافر إلى هذه البلاد مُخاطِرٌ بدينه؛ لأنها بلادُ كُفْرٍ، والمرء إذا عاش في بيئة فإنه يتأثَّر بها، إلَّا من عَصم اللهُ، قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١). وكيف تطيب نفسُ مؤمن أن يعيش في بلاد لا يسمع إلا أجراس النواقيس، وأصوات الأبواق، ولا يسمع فيها قول: الله أكبر، حي على الصلاة؟ المؤمن ينبغي له أن يبتعد مهما أمكن عن بلاد الكفر.

ولكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وكان عنده علمٌ يَدْفع به شبهاتِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨). ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

المنصِّرين، وكان عنده عبادة تمنعه من الزيغ والميل، بهذه الشروط الثلاثة نرى أنه لا بأس أن يسافر إلى الخارج، وأعيدها:

أولًا: الحاجة إلى ذلك، بأن يكون مسافرًا لتخصُّصات لا توجد في بلاده.

ثانيًا: أن يكون لديه علم يدفع به شبهات المضلِّلين المنصِّرين وغير المنصرين.

ثالثًا: أن يكون عنده عبادة قوية تمنعه من الزيغ والانحلال.

فإذا تمت هذه الشروط الثلاثة فلا بأس أن يسافر، وإذا تخلَّف واحد منها فنرى أنه لا يجوز السفر، لا سيما لصغير السن والنشء، فإنه على خطر. وقد حذَّر رسول الله ﷺ من سَمِع بالدجال أن يَقرُب منه، وأمره بأن يبتعد عنه، وأخبر بأن الرجل يأتي إليه، وهو يرى أنه لا يصده، ثم لا يزال به حتى يصده عن دينه، وهذا أمر واقع؛ فإن الذين يسافرون إلى بلاد الكفر غالبهم يرجع بغير ما سافر به من دِين وخُلق، نسأل الله السلامة والعافية.

***

(٥١٨) يقول السائل: ما حكم السفر إلى بلاد الكفار للترفيه، مع العلم أن الإنسان سيلتزم بزيه الإسلامي وواجباته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن السفر إلى بلاد الكفار خطرٌ على الإنسان مهما كان في التقوى والالتزام والمحافظة، فهو إمَّا مكروه، أو محرم، إلا لحاجة، والنزهة ليست بحاجة، ففي بلاد الإسلام -ولله الحمد- من المُتَنَزَّهات الكثيرة ما هو كفيل بإشباع رغبة الإنسان على الوجه المباح، ولا حاجة به إلى بلاد الكفر.

ثم إن النفس أمَّارة بالسوء، قد تُسوِّل له نفسه أن يفعل ما لا يَحِلُّ له شرعًا في تلك البلاد، التي لا تُحِلُّ حلالًا، ولا تُحرِّم حرامًا، ثم إنه قد يَأْلَف ذلك سَنة بعد سَنة، حتى يرغب في أولئك القوم، وَيحلُو له ما يفعلون من عادات وغيرها مخالفة للشرع، وحينئذٍ يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه.

***

(٥١٩) تقول السائلة ت: أنا مُعلِّمة في منطقة بعيدة عن سكن الأهل، وتستوجب وظيفتي أن أسكن في سكن المعلمات الذي خصصته الحكومة لنا، وكان من ضمن المعلمات اللواتي معي في نفس الغرفة معلمة غير مسلمة، وهي تشاركني في الأكل والشرب، وكذلك في ماء الغسيل؛ لأننا نجلُب الماء من الشاطئ ونخزنه، فأنا أضطرُّ في صلاة المغرب أن أتوضأ من هذا الماء؛ لأنني أخاف الخروج ليلًا إلى النهر، وخاصة أن المنطقة ريفية ومُوحِشة ليلًا، وبقيت على هذه الحال أربع سنوات. فهل صلاتي صحيحة؟ وهل معاشرتي لها صحيحة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال تضمن سؤالين:

السؤال الأول: وهو عن حكم استعمال الماء المخزن بينكما -أي: بين المرأة السائلة، وبين مَن كانت معها وهي غير مسلمة- فهذا الماء المخزن طاهر مُطهِّر؛ وذلك لأن بدن الكافر ليس بنجس نجاسة حِسيَّة، بل نجاسة الكافر نجاسة معنوية؛ لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨]. ولقول النبي ﷺ لأبي هريرة: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ»[1].

وعلى هذا فيجوز للإنسان أن يتوضأ بالماء الذي خَزَنه غيرُ المسلم، وكذلك يجوز أن يلبَس الثياب التي غسلها غير المسلم، و أن يأكل الطعام الذي طبخه غير المسلم. وأما ما ذبحه غير المسلم؛ فإن كان الذابح من اليهود والنصارى فذبيحته حلال؛ لقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة: ٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: طعامهم: ذبائحهم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الغسل، باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس، رقم (٢٨٣). ومسلم: كتاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس، رقم (٣٧١).

ولأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه **أكل من الشاة التي أهدتها له اليهودية**[١]، **وأجاب يهوديًّا على إِهَالَةٍ سَنِخَةٍ وخبز شعير**[٢]، **وأقر عبد الله بن مغفل** رضي الله عنه **على أخذ الجراب من الشحم الذي رُمِي به في فتح خيبر**[٣]، فثبت بالسُّنة الفِعلية والسُّنة الإقرارية أن ذبائح أهل الكتاب حلال، ولا ينبغي أن نسأل: كيف ذبحوا؟ ولا: هل ذكروا اسم عليه أم لا؟

فقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها **أَنَّ قَوْمًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ، لَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: **«سَمُّوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَكُلُوهُ»**[٤]. **قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر**. تعني أنهم جديدو الإسلام، ومثل هؤلاء قد تَخفى عليهم الأحكام الفرعية الدقيقة، التي لا يعلمها إلا من عاش بين المسلمين، ومع هذا أرشد النبي ﷺ هؤلاء السائلين إلى أن يعتنوا بفعلهم هم بأنفسهم فقال: **«سَمُّوا أنتم وَكُلُوا»**. أي: سموا على الأكل وكُلُوا، وأما ما فعله غيركم ممن تصرُّفه صحيح فإنه يحمل على الصحة، ولا ينبغي السؤال عنه؛ لأن ذلك من التعمق والتنطع.

ولو ذهبنا نُلزِم أنفسنا بالسؤال عن مثل ذلك لأتعبنا أنفسنا إتعابًا كثيرًا؛ لاحتمال أن يكون كل طعام قُدِّم إلينا غير مباح، فإن من دعاك إلى طعام، وقدَّمه إليك فإنه من الجائز أن يكون هذا الطعام مغصوبًا، أو مسروقًا، ومن الجائز أن يكون ثمنه حرامًا، ومن الجائز أن يكون اللحم الذي ذُبِح فيه لم يسمَّ الله عليه، وما أشبه ذلك، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن الفعل إذا كان قد صدَر من أهله فإن الظاهر أنه فُعِلَ على وجه تَبرَأ به الذمة، ولا يلحق الإنسانَ فيه حرجٌ.

---

(١) انظر البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين، رقم (٢٦١٧). ومسلم: كتاب الآداب، باب السم، رقم (٢١٩٠).

(٢) انظر البخاري: كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، رقم (٢٠٦٩).

(٣) انظر البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب، رقم (٣١٥٣).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات، رقم (٢٠٥٧).

السؤال الثاني: وهو معاشرة هذه المرأة الكافرة؛ فإن مخالطة الكافرين إن كان يُرجَى منها إسلامهم بعَرْض الإسلام عليهم، وبيان مزايـاه وفضائله، فلا حرج على الإنسان أن يخالط هؤلاء؛ ليدعوهم إلى الإسلام ببيان مزاياه وفضائله، وبيان مضارِّ الشرك وآثامه وعقوباته.

وإن كان الإنسان لا يرجو من هؤلاء الكفار أن يُسلِموا فإنه لا يُعاشِرهم، لما تقتضيه معاشرتهم من الوقوع في الإثم، فإن المعاشرة تُذهِبُ الغيرة والإحساس، وربما تجلُب المودة والمحبة لأولئك الكافرين، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومودة أعداء الله ومحبتهم وموالاتهم مخالِفةٌ لما يجب على المسلم، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد نهى عن ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. ولا ريب أن كل كافر فهو عدو لله وعدو للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. فكل كافر فهو عدوٌّ الله، ولا يَليق بمؤمن أن يُعاشِر أعداء الله -عز وجل-، وأن يوادهم ويحبهم، لما في ذلك من الخطر العظيم على دينه وعلى منهجه، نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق، والعصمة مما يغضبه.

***

(٥٢٠) يقول السائل: أنا مقيم في الأردن في منزل مُعظم سكانه من الإخوة المسيحيين، نأكل ونَشرب معًا، فهل صلاتي وعيشي معهم باطل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على سؤاله أودُّ أن أذكر له

ملاحظة أرجو أن تكون جَرَت على لسانه بلا قصد، وهي قوله: أعيش مع الإخوة المسيحيين. فإنه لا أُخوَّة بين المسلمين وبين النصارى أبدًا، الأخوة هي الأُخوة الإيمانية، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وإذا كانت قرابة النسب تُنفَى مع اختلاف الدين، فكيف تثبُت الأُخوة مع اختلاف الدين وعدم القرابة؟ قال الله -عز وجل- عن نوح وابنه لما قال نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٥- ٤٦].

فلا أُخوَّة بين المؤمن والكافر أبدًا، بل الواجب على المؤمن ألَّا يتخذ الكافر وليًّا، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. فمَن هم أعداء الله؟ أعداء الله هم الكافرون، قال الله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فلا يحل للمسلم أن يصف الكافر -أيًّا كان نوع كفره: سواء كان نصرانيًّا، أم يهوديًّا، أم مجوسيًّا، أم ملحدًا دهريًّا- بالأخ أبدًا، فاحذر يا أخي مثل هذا التعبير، ولا يعني ذلك حينما نقول هذا أنه لو كان أخًا لك في النسب حقيقة أن أخوته النَّسَبية تنتفي، بل إن أخوته النسبية ثابتة إذا كان أخًا لك، مثل أن يكون من أولاد أمك أو أولاد أبيك، لكن الأخوة التي تكون أخوة ربط بينك وبينه هذه لا تجوز أبدًا.

وأما الجواب على سؤاله: فإن الذي ينبغي للإنسان أن يبتعد عن مخالطة غير المسلمين؛ لأن مخالطتهم تُزيل الغيرة الدينية من قلبه، وربما تؤدي إلى مودتهم ومحبتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

***

(٥٢١) يقول السائل ع. ن. من السودان: ظروف العمل قد تجمعنا مع هؤلاء الآتية صفاتهم: أولهم رجلٌ يَدِين بدين المجوسية مطلقًا، ولا علاقة له بالإسلام، وثانيهم يَدين بأحد الأديان السماوية المنسوخة بالإسلام، وثالثهم ناكرٌ للأديان، ورابعهم يدين بالإسلام، ويؤمن به، ولكنه في الوقت نفسه لا يُطبِّق قواعد الإسلام الخمسة عمليًّا مع القدرة على العمل، ويترك ذلك تلقائيًّا بغير عُذرٍ شرعي، زِدْ على ذلك أنه يستغيث ويستعين بغير الله. وسؤالي هو: أننا بحكم ظروف العمل الموحَّد في مصلحةٍ واحدة يبادروننا بالسلام مرةً، وتارةً نبادرهم نحن، وأيضًا قد يموت واحدٌ من هؤلاء، ويلزمنا من ناحيةٍ إنسانية بحكم الزمالة أن نحضر مراسم العزاء؛ من صلاةٍ ودفن وتعزية، فما حُكم الإسلام في كل هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نحن ننصح هذا الأخ، ونقول له: ينبغي لك أن تطلب عملًا ليس فيه أحدٌ من أعداء الله ورسوله، ممن يَدِينون بغير الإسلام، فإذا تيسَّر فهذا هو الواجب، وهذا هو الذي ينبغي، وإن لم يتيسَّر فلا حرج عليك؛ لأنك أنت في عملك، وهم في عملهم، ولكن بشرط ألَّا يكون في قلبك مودةٌ لهم ومحبة وموالاة، وأن تلتزم ما جاء به الشرع، فيما يتعلق بالسلام عليهم، ورد السلام، ونحو هذا.

كذلك أيضًا لا تُشيِّع جنائزهم، ولا تحضرها، إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، كما لو لم يوجد أحد يقوم بدفنهم فلا حرج عليك في هذه الحال أن تقوم بدفنهم، وأما مع وجود أحد من أوليائهم يقوم بذلك فإنك لا تَشهَد جنائزهم؛ لأن المؤمن يجب أن يراعي ما يرضي الله ورسوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

***

(٥٢٢) يقول السائل: لدي أخٌ لا يُصلِّي إلا قليلًا، وهو عاقٌّ لوالديه، كما أنه يشرب الدخان، وهو بذيء اللسان، بالإضافة إلى أعمال أخرى يقوم بها. فما الحكم في هذا الشخص؟ هل لنا أن نجلس معه في المجلس الذي يكون فيه؟ وهل نأكل معه من طبقٍ واحد؟ أم يأخذ حكم تارك الصلاة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يأخذ حكمَ تارك الصلاة؛ لأن بينه وبين تارك الصلاة فرقًا؛ فتارك الصلاة كافرٌ مرتدٌّ، وليس من المسلمين، وهذا مسلم، لكنه ناقص الإيمان. فأرى أن تنظروا للمصلحة؛ إن كانت مشاركتكم إياه في الأكل والشرب والجلوس تؤدي إلى رقِة قلبه، وميوله إليكم، فافعلوا، وإن كان لا يحصل في أوَّل مرة، أو ثاني مرة، لكن ما دُمنا نعرف أن الرجل له نوعٌ من الميل إلى الاستقامة فلنجلس معه، ونتحدث إليه ولنباسطه، أما إذا عرفتم أن الرجل معاندٌ مكابر، وأن هَجْره في هذه الأحوال يُؤدِّي إلى خِفَّة استكباره، وإلى رجوعه إلى الحق، فافعلوا، أي: جانبوه في الأكل والشرب والجلوس والتحدث.

***

(٥٢٣) يقول السائل أ. أ. أ. من جمهورية مصر العربية: أنا مقيم بالعراق، وأصلي وأصوم شهر رمضان، وكان معي جماعة من المسيحيين، وسكنت معهم في المسكن، وكنتُ آكل وأشرب معهم. هل صلاتي صحيحة، وأكلي وشربي معهم صحيح أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الرجل يقول: إن معه جماعةً من النصارى، وإنه يأكل معهم ويشرب معهم ويصلي، فهل هذا الفعل صحيح أم لا؟ فنقول له في الجواب على ذلك: أما صلاتك فصحيحة؛ لأنه لم يكن فيها شيء يوجب بطلانها، وربما تكون صلاتك داعيةً لهم إلى الإسلام، مُرغِّبة لهم فيها، إذا رأوا أنك تذهب، وتدع العمل؛ لتقوم بما أوجب الله عليك من الصلاة، وتقوم في آخر الليل لتتوضَّأ، ولا سيما في الليالي الباردة؛ لتؤدِّي ما فرض الله عليك، فربما يكون ذلك سببًا لرغبتهم في الإسلام ودخولهم فيه.

وأما معاشرتك إياهم، وأكلك وشربك معهم، فإن هذا لا ينبغي، بل الذي ينبغي لك أن تختار أصحابًا من المسلمين، ليكونوا لك عونًا على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، وتبتعد عن غير المسلمين؛ لأن مخالطتك غير المسلمين قد يؤدي إلى محبتك إياهم، ومودتك لهم، وقد يكون لك معهم مجاملة ومصانعة لا تحل لك، وقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

***

(٥٢٤) يقول السائل: لي أخ في بلاد كفار؛ مثل الاتحاد السوفيتي، وغيرها من البلاد الكافرة، التي تُعد دار حرب، فما الجواب حيال هذا الأخ في معاملته ومراسلاته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الأخ الذي يكون في بلاد الكفار -سواء كانت حربية، أم ذات عهد- يجب على المرء أن يراسله ليناصحه، ويدعوه إلى القدوم إلى بلاد الإسلام؛ لأن ذلك أسلَمُ لدينه، وأبْرأُ من براثن الشرك والكفر، وأما تركه وهَجْره فهذا قد لا يزيده إلا شرًّا وسوءًا وتمسكًا بما هو عليه، فالذي ينبغي لهذا أن يراسل أخاه، ويدعوه إلى الدين، ويرغبه فيه، ثم إلى الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، إلا إذا كانت إقامته هناك لمصلحة تعود إلى الإسلام، مثل أن يكون داعية هنالك مُوفَّقًا في دعوته، فهنا الإقامة من أجل هذا الغرض لا بأس بها، بل قد تكون واجبة عليه.

***

(٥٢٥) يقول السائل: لي صديق لا يصلي ولا يصوم، وهو في العشرين من العمر، وأنا أحبه وأقدره؛ لأنه زميل مُخلِص لي، وأنا أحافظ على الصلوات، والحمد لله، فما حكم زمالتي له؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول: أولًا ما دام صديقًا لك فله حقٌّ عليك أن تناصحه، وأن تؤكد عليه أن يصلي، وأن تخوفه من عقوبة الله -عز وجلَّ- إذا لم يصلِّ، وأن تصطحبه معك إلى المسجد، وإلى مجالس الذكر، ومجالس الإيمان من الأصحاب والخلان، لعل الله أن يَهديه على يدك، فتكونَ أهديت له أهمَّ هدية، فإن حصل هذا المطلوب فهو المطلوب، وإن لم يحصل فلا أرى أن تصاحبه، ولا أن تماشيه؛ لأن من ترك الصلاة فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، وهو مرتدٌّ يُستتاب، فإن تاب وإلَّا قتل.

***

(٥٢٦) تقول السائلة م. ص. ع. من العراق، من بغداد، حي الفردوس: إنني أعمل في دائرة، وهذه يكثر فيها النصارى جدًّا، ونحن نتعامل معهم، ونودهم أحيانًا أكثر من المسلمين، وأنا سمعت وقرأت أن هذا لا يجوز، على الرغم من أنني أصوم وأصلي، وأرتدي الحجاب الشرعي، وأخاف الله، وأحيانًا أجادلهم إلى درجة الخصومة، ولكن دون جدوى، وأحيانًا -أو كثيرًا- ما يُكذِّبون ما أقول، ولكن بعد يوم أعود وأتكلم معهم طمعًا في إسلامهم، لأنهم يودونني كثيرًا، وأنا أظل في حيرة من هذه الصداقة، وخصوصًا مع إحداهن، فهي لا تؤذيني، ولا تسيء إليَّ، ولكني أخاف الله تعالى، وأخشى أن يكون عليَّ إثم في صداقتي لها، وإخلاصي لها، ولكن يعلم الله أنني أطمع كثيرًا في دخولها ورفاقها في الإسلام، ولذلك حافظت على علاقتي بها، فهل علي شيء في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن المسلم يجب عليه أن يبغض أعداء الله، وأن يتبرَّأ منهم؛ لأن هذه هي طريقة الرسل وأتباعهم، قال الله

تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]. وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وعلى هذا فلا يحل لك أن يقع في قلبك محبة ومودة لأعداء الله، الذين هم أعداء لك في الواقع، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]. أما كَونكِ تعاملينهم باللين والرفق طمعًا في إسلامهم وإيمانهم فهذا لا بأس به؛ لأنه من باب التأليف على الإسلام، ولكن إذا أيستِ منهم فعامليهم بما يستحقون أن تعامليهم به.

تقول السائلة: ماذا عن مودتهم أكثر من المسلمين، أو عن مدحهم؟ أو ربما يكون مدحهم بصفة عامة، كمن يقول مثلًا: إن المسيحيين -أو غير المسلمين- قد يكونون أفضل من المسلمين في بعض المعاملات، أو في شيء بصفة عامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن الذي يوادُّهم أكثر من المسلمين قد فَعَل محرَّمًا عظيمًا، فإنه يجب عليه أن يحب المؤمنين، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، أما أن يوادَّ أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عليه عظيم، وحرام عليه، بل لا يجوز أن يودهم، ولو أقل من المسلمين، كما سمعت من الآية: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وكذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١]. وكذلك أيضًا من أثنى عليهم ومدحهم، وفضلهم على المسلمين في العمل وغيره، فإنه قد فَعَل إثمًا،

وأساء الظن بإخوانه المسلمين، وأحسن الظن بمن ليس أهلًا لإحسان الظن. والواجب على المؤمن أن يقدم المسلمين على غيرهم في جميع الشئون؛ في الأعمال وفي غيرها، وإذا حصل من المسلمين تقصير فالواجب عليه أن ينصحهم، وأن يحذرهم، وأن يبين لهم مغبة الظلم، لعل الله أنْ يهديهم على يده.

***

(٥٢٧) يقول السائل م. أ. أ. من الجزائر: أنا مسلم، وأحمد الله على ذلك، متَّبع لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ولكن لي زملاء عندهم بعض البدع، فهل لي أن أتركهم وأهجرهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواجب على مَن كان له قُرناء فيهم بدعة أن ينصحهم، ويبيِّن لهم أن ما هم عليه بدعة، لعل الله أن يهديهم على يديه حتى ينال أجرهم، فقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١). فإن أصروا على ما هم عليه من البدعة؛ فإن كانت البدعة مكفرة وجب عليه هجرهم والبعد عنهم، وإن لم تكن مُكفِّرة فلينظر: هل في هجرهم مصلحة؟ إن كان في هَجْرهم مصلحة هَجَرهم، وإن لم يكن في هَجْرهم مصلحة فلا يَهجُرهم؛ وذلك لأن الهجر دواء، إن كان يرجى نفعه فليفعل، وإن لم يُرجَ نفعُه فلا يفعل؛ لأن الأصل أن هَجْر المؤمن محرم، والعاصي من المؤمنين لا يرتفع عنه اسم الإيمان، فيكون هجرُه في الأصل محرمًا، لكن إذا كان في هجره مصلحة؛ لكونه يستقيم، ويدع ما يوجب فسقه، فإنه يهجر، وإلَّا فلا.

هذا هو الضابط في الهجر الذي تجتمع فيه الأدلة، وخلاصته: أن هَجْر الكافر المرتدِّ واجب إذا لم يُفِد فيه النصيحة، وهجر الفاسق ليس بجائز إلا إذا كان في هجره مصلحة، ودليل ذلك أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-

(١) تقدم تخريجه.

قال: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[1]. إلا إذا كان في هجره مصلحة فيهجر، كما فعل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم حين تخلَّفوا عن غزوة تبوك.

***

(٥٢٨) يقول السائل: نحن نعلم -والحمد لله- بأن زيارة القبور بهدف الاستعانة والاستغاثة بها مُحَرَّم وشِرك، ولكن ماذا أفعل وأهلي ينذرون الذبائح كل عام لأصحاب القبور بهدف التقرب إليهم؟ ونصحناهم كثيرًا، لكن دون فائدة، قائلين: بأنهم أولياء لله وصالحون. فقلت لهم: إذا كانوا صالحين فهم صالحون لأنفسهم، وهم أموات ولا يستطيعون أن ينفعوكم. وسؤالي: هل أبقى معهم في المنزل؟ مع العلم بأنهم يصلون، وهل صلاتهم هذه مقبولة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، نحن معك في نصيحة أهلك عن هذا العمل المشين، الذي هو من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله، والذي قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وإني أقول لأهلك: اتقوا الله في أنفسكم، فإنكم إن مُتم على ذلك صِرتم من أصحاب النار، وأنتم خالدون فيها مخلدون، وحرم الله عليكم الجنة، والعياذ بالله، وهم مشركون مخلدون في النار، ولو كانوا يصلون، ويصومون، ويحجون، ويعتمرون، وصلاتهم غير مقبولة، وحجهم غير مقبول، وصدقاتهم غير مقبولة؛ لأنهم كفار، والعياذ بالله.

فنصيحتي لهؤلاء الأهل أن يتداركوا الأمر قبل فوات الأوان، وأن يتوبوا إلى الله -عز وجل- قبل حلول الأجل، فإن التوبة بعد حلول الأجل لا تُقبَل،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم (٦٠٧٧). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم (٢٥٦٠).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨].

إذًا قولي لأهلك: أنقذوا أنفسكم من النار، أنقذوا أنفسكم من النار، أنقذوا أنفسكم من النار! وهؤلاء الموتى الذين تزورونهم:

أولًا: هل تشهدون عليهم بأنهم أولياء لله؟ قد يكونون أولياء لله بحسب الظاهر، وباطنهم خراب، فلا ندري، وإذا أحسنَّا الظن إلى أبعد الحدود فليكونوا من أولياء الله، ولكن إذا كانوا من أولياء الله، فإنهم جثث هامدة، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملكون لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وليعلم أهلك، وغيرهم ممن يدعون الأموات، أن هؤلاء الأموات لا يستجيبون، ولا ينفعون، ولا يضرون، وأنهم هم بأنفسهم محتاجون لمن يدعو لهم. أسأل الله أن يُنير قلوبنا بالتوحيد والإخلاص والإيمان، إنه على كل شيء قدير.

***

(٥٢٩) تقول السائلة: **أنا فتاة، وبحكم علاقتي بالأسرة والعائلة والأقارب العديد منهم لا يصلي، فكيف يكون التعامل معهم؟ علمًا بأنهم يعلمون أن الصلاة واجبة، إنما هو تكاسل، فكيف تكون العلاقة معهم؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: العلاقة مع هؤلاء الذين لا يُصلُّون بتاتًا المناصحة قبل كل شيء بالكلام وبالرسائل وبالأشرطة الدينية، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم، وإن أبوْا إلا أن يكونوا على ما هم عليه وجب هَجْرهم والبعد عنهم؛ لأنهم في هذه الحال لا حق لهم؛ إذ إن تارك الصلاة مرتدٌّ خارج عن الإسلام، ليس له حق، كما قال الله -عز وجل- لنوح -عليه الصلاة والسلام- لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]. وكان ابن نوح كافرًا، قال: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]. فهذه الحال هي التي يجب أن تعاملي بها هؤلاء الأقربين.

***

(٥٣٠) يقول السائل: هذا ليس في مقدور العائلة، ولو كانوا يعرفون أن ابنهم هذا لا يصلي، أو لا يأتي بشيء من شعائر الدين، لا يستطيعون أن يرموه مثلًا في حفرة، أو يذهبوا به من دون تغسيل، ولا تكفين، ولا صلاة عليه؛ لأن هذا يحرجهم جدًّا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سبحان الله! وما الذي يمنع؟ ما السبب؟ لأن الواجب على العائلة إذا كان من أبنائهم من هو بهذه الصفة، فالواجب عليهم أن لا يحبُّوه؛ لأنهم إذا أحبوه فقد أحبوا أعداء الله؛ لأن الكافر عدو لله، فقد قال الله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]. وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فالعطف، أو المودة، أو المحبة، لمثل هذا الذي هو عدو لله هذا لا يجوز، وهو ينافي الإيمان، وكيف يدَّعِي محبةَ الله من يحب أعداء الله؟ هذا لا يمكن.

✿✿✿

❁ ألفاظ وعبارات ❁

(٥٣١) يقول السائل: ما العبارة الصحيحة فيما يأتي: اللهم أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، والثاني يقول: ناقل الكفر ليس بكافر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الدعاء: اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، علم مُقيَّد بهذا ألَّا يكون نافعًا؛ وذلك لأن العلم إما نافعٌ، وإما ضار؛ لقول رسول الله ﷺ: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»[1]. فالعلم بالشريعة لا يمكن أن يخرج عن أحد هذين الأمرين:

١- إما نافعٌ لصاحبه إذا عمل به عملًا وتعليمًا ودعوة.

٢- وإما ضارٌّ له إذا لم يقم بواحدٍ من هذه الأمور الثلاثة.

فقولك: اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، كقولك: اللهم، إني أعوذ بك من علمٍ يضرُّ.

***

(٥٣٢) يقول السائل: ناقل الكفر ليس بكافر، فهل هذا صحيح أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هو إن قصد أنه حديث فليس بحديث، وإن قصد أنه كلام لأهل العلم فهذا صحيح أن ناقل الكفر ليس بكافر، بمعنى: أن الإنسان الذي يحكي قول الكفار لا يَكْفُر، وهذا أمرٌ معلوم لأهل العلم، وحسب النظر أيضًا، فإنك إذا قلتَ: قال فلانٌ: إن الله ثالث ثلاثة. أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يُعَدُّ ذلك كُفرًا منك؛ لأنك إنما تحكي قول غيرك.

***

(٥٣٣) يقول السائل: ما حكم قول: فلان غفر الله له، إن شاء الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا بأس به أيضًا، أي: لا بأس به أن يقول: فلان غفر الله له، إن شاء الله. وذلك لأن هذه الجملة تُفيد الرجاء، وليست

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣).

خبرًا؛ إذ إن الخبر بهذه الصيغة لا يجوز؛ لأنه خبر عن أمر غيبي، لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز الإخبار بأن الله غفر لفلان، أو رحم فلانًا، أو ما أشبه ذلك؛ لأن هذا لا يعلم إلا بطريق الوحي، ولا وحي بعد موت رسول الله ﷺ، ولكن هذه الجملة يقصد بها الرجاء، أي: أرجو -إن شاء الله- أن يغفر الله لفلان، هذا هو معناها عند كل من يتكلم بها.

***

(٥٣٤) يقول السائل ع. أ. من المنطقة الشرقية: كثير من الناس يقولون: اللهم، إننا لا نسألك ردَّ القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه. فما الحكم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا نرى الدعاء هذا، بل نرى أنه محرم، وأنه أعظم من قول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ**»[1]. وذلك لأن الدعاء ممَّا يَرُدُّ الله به القضاء، كما جاء في الحديث: «**لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»[2]. والله -عز وجل- يقضي الشيء، ثم يجعل له موانعَ، فيكون قاضيًا بالشيء، وقاضيًا بأن هذا الرجل يدعو، فيرد القضاء، والذي يرد القضاء هو الله -عز وجل-.

فمثلًا الإنسان المريض هل يقول: اللهم، إني لا أسألك الشفاء، ولكني أسألك أن تهون المرض؟ لا، بل يقول: اللهم، إنا نسألك الشفاء. فيجزم بطلب المحبوب إليه دون أن يقول: يا رب، أَبْقِ ما أكره، لكن الطُفْ بي فيه. خطأ، هل الله -عز وجل- إلا أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين؟ وهو القادر على أن يرد عنك ما كان أراده أولًا بسبب دعائك، فلهذا نحن نرى أن هذه العبارة محرمة، وأن الواجب أن نقول: اللهم إني أسألك أن تعافيني، وأن تشفيني، وأن ترد عليَّ غائبي، وما أشبه ذلك.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقم (٦٣٣٩). ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، رقم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، رقم (٢١٣٩).

(٥٣٥) يقول السائل: ما رأيكم بقول الداعي في دعائه: اللهم لا تعاملنا بعدلك، بل عاملنا بعفوك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأَوْلى أن يقول: اللهم عاملنا بعفوك وفضلك. وأن يدع قوله: اللهم لا تعاملنا بعدلك. لأنه لا داعي لها، وإلَّا فمن المعلوم لو أن الله عامل الناس بعدله لأهلكهم جميعًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. ثم إن الله تعالى لو عامل الإنسان بعدله لكانت نعمةٌ واحدة تستوعب جميعَ أعماله التي عملها، بل لكانت أعماله الصالحة التي عملها نعمة من الله تستحق المكافأة والشكر، كما قيل:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ الله نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاخْتُصِرَ الْعُمْرُ

فلا داعيَ أن يقول الداعي: اللهم لا تعاملنا بعدلك، ولكن عاملنا بفضلك. بل نقول: قل: اللهم عاملنا بفضلك، ولا تعاملنا بسوء أفعالنا، فإنك ذو الفضل العظيم، ونحن ذوو الإساءة، ونستغفرك اللهم، ونتوب إليك.

***

(٥٣٦) يقول السائل ن. س. أ.: هل مَن سأل الله -عز وجل- بقوله: اللهم إني أسألك بحق نبيك الذي أرسلت، وبحق كتابك الذي أنزلت. هل هذا الدعاء صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الدعاء غير صحيح؛ لأن حق النبي -عليه الصلاة والسلام- هل المراد حقُّ النبي عليَّ، أو حق النبي على الله، أم ماذا؟ لا ندري فهو مُبهَم، فحق النبي على الله -عز وجل-، بل حق كل مسلم موحِّد ألَّا يُعذِّب مَن لا يشرك بالله شيئًا، كما قال النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «**حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦). ومسلم: كتاب =

وحق النبي علينا هو توقيره واحترامه، وتصديق أخباره، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وكل هذا لا يصح أن يكون وسيلة للعبد، لكن يقول: اللهم إني أسألك بأني آمنت برسولك واتبعته أن تغفر لي، أو ما أشبه ذلك، كقول المؤمنين: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وبهذه المناسبة أودُّ من إخواني المسلمين عمومًا أن يحرصوا على الأدعية الواردة في القرآن والسُّنة، فإنها خير، وهي جامعة، ولا يعتري الإنسان فيها شك، ولا شكِ أنها خير من جميع الأدعية التي صنفت بعدُ، والتي تعتمد على السَّجْع، وما يثير النفس من البكاء وغيره، ويكون بها الإعراض عن الأدعية المشروعة، التي جاءت في الكتاب والسُّنة.

***

(٥٣٧) تقول السائلة ن. ع. من الأردن عمان: ما حكم دعاء بعض العامة بقولهم: الله لا يمتحنا. أو: الله لا يبتلينا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المحنة والابتلاء معناهما متقارب، وتكون في الخير، وتكون في الشر، قال الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١]. ولكن دعاء الناس بقولهم: اللهم لا تمتحنا. أو: لا تبلُنا. إنما يريدون بذلك الامتحان في الشرِّ، والابتلاء في الشر، ولا حرج أن يقول الإنسان: اللهم لا تمتحنا. بهذا المعنى، أو: اللهم لا تبلُنا. بهذا المعنى؛ لأن الإنسان يسأل الله ألَّا يبتليه بالشر، خوفًا مما إذا وقع الشر لم يستطع الخلاص منه.

***

= الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم (٣٠).

(٥٣٨) يقول السائل: بعض الناس يقولون: يا شيخ فلان، يا شيخ فلان، والشيخ هذا ميت، وحينما نقول لهم بأن هذا لا يجوز يقولون: نحن لا نقصد دعاء ذلك، فما حكم هذا القول؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ما معنى: يا شيخ فلان. إلا أن أقول: ليس معناه إلا النداء، فلا يحِلُّ لأحدٍ أن يقول: يا شيخ فلان، نعم لو أن أحدًا أثنى عليه بشيء، وقال القائل: رحمك الله يا شيخ. مثلًا هذا لا بأس به، وأما أن يدعوه ويقول: يا شيخ أنجني من كذا، يا شيخ أعطني كذا. فهذا شركٌ أكبر، والعياذ بالله.

***

(٥٣٩) يقول السائل: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[يس: ٥٨]. **يقول هذا بعض الناس عند سماع خبر، أو حادث محزن، أو شيء مستغرب، هل هذا جائز؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا غير مناسب؛ لأن هذا مما يُقال لأهل الجنة، لكن إذا سمع حادثًا، أو شيئًا مفزعًا، فليقل: اللهم اجعله سلامًا، اللهم الطُف بنا في قضائك. أو كلمات نحوها.

***

(٥٤٠) يقول السائل: هل تصح كلمة المرحوم للأموات، مثلًا أن نقول: المرحوم فلان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا قال قائل، وهو يتحدث عن الميت: المرحوم. أو المغفور له، أو ما أشبه ذلك، إذا قالها خبرًا فإنه لا يجوز؛ لأنه لا يدري: هل حصلت له الرحمة، أم لم تحصل له؟ والشيء المجهول لا يجوز للإنسان الجزم به، ولأن هذا شهادةٌ له بالرحمة، أو المغفرة من غير علم، والشهادة من غير علم محرمة.

وأما إذا قال ذلك على وجه الدعاء والرجاء، بأن الله تعالى يغفر له

ويرحمه، فإن ذلك لا بأس به، ولا حرج فيه، ولا فرق بين أن تقول: المرحوم. أو: فلانٌ رحمه الله؛ لأن كلتا الكلمتين صالحتان للخبر، وصالحتان للدعاء، فهو على حسب نية القائل.

ولا شك أن الذين يقولون: فلانٌ مرحوم. أو: فلانٌ مغفور له. لا يريدون بذلك الخبر والشهادة بأن فلانٌ مرحوم ومغفور له، وإنما يريدون بذلك الرجاء والتفاؤل والدعاء، ولهذا تكون هذه الكلمة ليس فيها حرجٌ، ولا بأس.

***

(٥٤١) يقول السائل: ما حكم الشرع -في نظركم- في عبارة: بالرفاء والبنين للعروسين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي أرى أن هذا عُدول عما جاءت به السُّنة في التهنئة بالزواج، فإن النبي ﷺ كان إذا رفَّأ إنسانًا تزوج قال له: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ**»[1]. فلا ينبغي للإنسان العدول عمَّا جاءت به السُّنة إلى ما كان الناس عليه في الجاهلية، وعلى هذا فنقول لمن رفَّأ متزوجًا بهذه العبارة: بالرفاء والبنين: لقد أخطأتَ حين عَدلتَ عمَّا جاءت به السُّنة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية.

***

(٥٤٢) يقول السائل: هل يجوز أن يسمى الإنسان بالعزيز والحكيم والعادل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، يجوز أن يُسمَّى الإنسان بهذه الأسماء، بشرط ألَّا يُلاحَظ فيها المعنى الذي اشتُقَّت منه، بأن تكون مجرد عَلَم فقط.

---

(١) أخرجه أحمد: (١٤/ ٥١٧، رقم ٨٩٥٦). وأبو داود: كتاب النكاح، باب ما يقال للمتزوج، رقم (٢١٣٠). والترمذي: أبواب النكاح، باب ما جاء فيما يقال للمتزوج، رقم (١٠٩١).

ومن أسماء الصحابة: الحكم، وحكيم بن حزام، وكذلك اشتهر بين الناس اسم عادل، وليس بمنكر.

أما إذا لُوحِظ فيه المعنى الذي اشتُقَّت منه هذه الأسماء فإن الظاهر أنه لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ غيَّر اسم أبي الحكم الذي تَكنَّى به لكَوْن قومه يتحاكمون إليه، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**». ثم كنَّاه بأكبر أولاده شُرَيح، وقال له: «**أَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»(١). وذلك أن هذه الكنية التي تكنَّى بها هذا الرجل لُوحِظ فيها معنى الاسم، فكان هذا مُماثلًا لأسماء الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن أسماء الله -عز وجل- ليست مجرد أعلام، بل هي أعلام من حيث دلالاتها على ذات الله -سبحانه وتعالى-، وأوصاف من حيث دلالاتها على المعنى الذي تَتضمَّنه. وأمَّا أسماء غيره فإنها مجرد أعلام، إلا أسماء النبي ﷺ فإنها أعلام وأوصاف، وكذلك أسماء كتب الله -عز وجل فهي- أعلام وأوصاف أيضًا.

***

(٥٤٣) يقول السائل من جمهورية مصر العربية: أرى بعضًا من الناس يكتب في خطاباته -لأخيه مثلًا أو لوالده- فيقول مثلًا: والدي العزيز. أو: أخي القدير. أو: أختي الكريمة. وغير ذلك من أسماء الله الحسنى. هل هذا العمل فيه شيء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، هذا ليس فيه شيء، بل هو من الجائز، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. وقال النبي ﷺ: «**إن الكريم**

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، رقم (٤٩٥٥). والنسائي: كتاب آداب القضاة، باب إذا حكموا رجلا فقضى بينهم، رقم (٥٣٨٧).

ابن الكريم ابن الكريم يوسف». فهذا دليل على أن مثل هذه الأوصاف تصِحُّ لله ولغيره، لكن اتصاف الله بها لا يُماثله شيء من اتصاف المخلوق بها، فإن صفات الخالق تليق به، وصفات المخلوق تليق به، وقول القائل لأبيه، أو أمه، أو صديقه: العزيز. يعني: أنك عزيز عليَّ، وغالٍ عندي، وما أشبه ذلك، ولا يقصد بها أبدًا الصفة التي تكون لله، وهي العزة التي لا يقربها أحد، وإنما يريد: أنك عزيز عليَّ وغالٍ عندي، وما أشبه هذا.

***

(٥٤٤) يقول السائل: اسمي محسن، وهو من أسماء الله الحسنى، وكل من يعرفني يناديني: يا محسن. ولم أستطع تغييره؛ لأنه مُسجَّل بأوراق رسمية، فهل هذا حرام أم مكروه؟ وعلى مَن يقع الذنب في هذا؟ على من سمَّاني بهذا الاسم، أم عليَّ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المحسن من صفات الله -سبحانه وتعالى-، ولا أعلم أنه وَرَد من أسمائه، فالإحسان صفةُ فِعلِ الله -سبحانه وتعالى-، ولا يَحْرُم التسمِّي به ما دام الإنسان قَصَد مجرد العلمية، فإن من أصحاب النبي ﷺ من يُعرف بحكيم، وحكيم من أسماء الله، ومع ذلك ما غيَّرها النبي ﷺ، فإذا كان هذا الاسم الذي تسمَّيتَ به، أو سُمِّيتَ به، مجرد عَلَم فلا حرجَ عليك في الاستمرار في التسمية به.

***

(٥٤٥) يقول السائل: قرأتُ في بعض الكتب أن التسمِّي بعبد الحارث من الشرك، ما قولكم في ذلك، مع بيان كيف يكون من الشرك مع أن الله هو الحارث؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن التسمِّي بعبد الحارث فيه نسبة العبودية إلى غير -الله عز وجل-، فإن الحارث هو الإنسان، كما قال النبي ﷺ: **«كلكم**

حارث وكلكم همام»(١). فإذا أضاف الإنسان العبودية إلى المخلوق كان هذا نوعًا من الشرك، لكنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، ولهذا لو سُمِّيَ رجلٌ بهذا الاسم لَوَجب أن يُغيَّر، فيُضاف إلى اسم الله -سبحانه وتعالى-، أو يُسمَّى باسم آخرَ غير مضاف.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى الله عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»(٢). واشتهر عند العامة قولهم: (خير الأسماء ما حمدَ وعبدَ). ونسبوا ذلك لرسول الله ﷺ، وليس ذلك بصحيح، أي: ليست نسبته إلى النبي ﷺ صحيحة، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وإنما ورد: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى الله عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ».

وأما قولَ السائلَ في سؤاله: مع أن الله هو الحارث، فلا أعلم اسمًا لله تعالى بهذا اللفظ، وإنما يُوصَف -عز وجل- بأنه زارع، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤].

***

(٥٤٦) تقول السائلة من السودان: قرأتُ في بعض الكتب أن التسمِّي بعبد الحارث من الشرك، ما قولكم في ذلك، مع بيان كيف يكون مِن الشِّرك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التسمي بعبد الحارث من باب إضافة العبودية للمخلوق؛ لأن الحارث من أوصاف المخلوق، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]. وقال النبي ﷺ: «وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ»(٣). والتعبيد لغير الله تعالى شِرك؛ لأن العبودية لا تكون إلا لله وحده، فلا يجوز للإنسان أن يُسمِّيَ ولدَه مُعبَّدًا لغير الله.

---

(١) لم أجده، وأقرب النصوص إليه ما سيأتي بعد ذلك من قوله ﷺ: وأصدقها حارث وهمام.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم (٢١٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣١/ ٣٧٧، رقم ١٩٠٣٢). وأبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم (٤٩٥٠).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمعوا على تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله حاشا عبد المطلب». يعني: فإنهم مختلفون فيه، والصحيح أنه لا يجوز التعبيد ولا لعبد المطلب. وأما قول النبي ﷺ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»[1]. فهذا من باب الإخبار، وليس من باب إنشاء التسمية.

ولهذا لو قُدِّر أن أحدًا له والد مُعبَّد لغير الله، وكان هذا الوالد لا يمكن تغيير اسمه، فإنه يصح أن يقال: هو فلان بن عبد فلان. أو: ابن عبد الشيء الفلاني. لأن هذا من باب الإخبار، وليس من باب إنشاء التسمية، والمعروف عند أهل العلم أن باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء.

***

(٥٤٧) يقول السائل: **هناك أناس يُسمُّون المرضاتِ ملائكةَ الرحمة، فما حكم هذه التسمية؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه التسمية حرام؛ لأن الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- أكرم من أن تُطلَق أسماؤهم على أسماء نساء ممرضات. ثم إن هذا الوصف لا ينطبق على كل مُمرِّضة، فكم من ممرضة سيئةِ التمريض لا ترحم مريضًا، ولا تخاف الخالق -عز وجل-، فالمهم أن إطلاق ملائكة الرحمة على الممرضات مُحرَّم لا يجوز، بل ولا على الممرضين أيضًا أن يطلق عليهم ملائكة الرحمة.

***

(٥٤٨) يقول السائل: **هل قول: العقيدة الطحاوية. أو: العقيدة الواسطية. فيه شيء؟ فقد ذكر لي أحد الزملاء بأن ذلك لا يجوز؛ لأنه يُخالف السُّنة والتوحيد، ولماذا لا يقال: عقيدة المسلمين. أو: عقيدة أهل السنة. مثلًا؟ أرجو توضيح ذلك بالتفصيل.**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم (٢٨٦٤). ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٦).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، لا حَرَج أن يقال: العقيدة الواسطية. أو: العقيدة الطحاوية. لأنها من باب نسبة المصنَّف إلى مُصنِّفه، وليس المراد بذلك عقيدة الطحاوي رحمه الله، أو عقيدة ابن تيمية رحمه الله، بل المراد العقيدة التي كتبها الطحاوي رحمه الله، والعقيدة التي كتبها شيخ الإسلام رحمه الله إجابةً لأحد قضاة واسط، ولا حرج في ذلك.

ونظيرها سورة البقرة مثلًا؛ فما هي سورة البقرة، بل هي سورة ذكرت فيها البقرة، ولهذا لما كان الحَجَّاج يقول: السورة التي يقال فيها -أو التي تذكر فيها- البقرة، والسورة التي تذكر فيها النساء. بدلًا من سورة البقرة والنساء، ردُّوا عليه فقالوا: إن النبي ﷺ سمَّاها سورة البقرة، وكذلك سمَّاها الصحابة، وسموها سورة النساء وما أشبه ذلك. المهم أنه ليس المراد بذلك عقيدة الطحاوي رحمه الله، بل المراد العقيدة التي كتبها الطحاوي، وهي عقيدة المسلمين، وكذلك العقيدة الواسطية.

***

(٥٤٩) يقول السائل ص. ع. آ. ع. من الرياض: هل يجوز إطلاق كلمة الأديان السماوية؟ عِلمًا بأننا إذا أطلقناها فقد أقرَرْنا بأن هناك أديانًا أرضية، وهل تدخل هذه الكلمة في باب البدع؛ لأنها لم تُؤْثَر عن المصطفى -عليه الصلاة والسلام-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم نقول: الأديان السماوية. لأن هناك أديانًا أرضية؛ لأن الدين ما دان به العبدُ لربِّه، سواء كان من شريعة الله -سبحانه وتعالى- أم من شرائع البشر. ومن المعلوم أن هناك أناسًا يَدينون بغير دين شرعي، يعتقدون ديانة فيسجدون للبقر، ويسجدون للصنم، وغير ذلك، والله تعالى لم يَشرَع هذا في أي كتاب كان، ولا على لسان أي رسول كان، وعلى هذا فهذه الديانة التي يَدِينون بها ليست من شريعة الله، فليست سماوية. وأما الأديان السماوية فهي التي شرعها الله -عز وجل-؛ لأنها نزلت من السماء.

إلا أنه يجب أن يَعلَم السائلُ وغيره أن جميع الأديان السماوية منسوخة بالدين الإسلامي، وأنها الآن ليست مما يُدان به لله -عز وجل-؛ لأن الذي شرعها ووضعها دينًا هو الذي نسخها بدين محمد ﷺ، وكما أن النصارى مُقرُّون بأن دين المسيح قد نَسَخَ شيئًا كثيرًا من دين موسى -عليه الصلاة والسلام-، وأنه يجب على أتباع موسى -عليه الصلاة والسلام- أن يتبعوا عيسى، فإننا كذلك أيضًا نقول: إن الإسلام مُلزِم للنصارى أن يدينوا به، ولجميع الأمم أن يَدِينوا بالإسلام؛ لأن العبرة للمتأخِّر، فالمتأخر من شريعة الله، وقد قال الله تعالى عن عيسى إنه قال لقومه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦].

وهذه البشارة من عيسى -عليه الصلاة والسلام- لمحمد ﷺ تدل على أنه يجب على بني إسرائيل؛ من النصارى واليهود وغيرهم، أن يتبعوه؛ إذ إنه لو لم تكن الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ شاملة لهم لم يكن لبشراهم بها فائدة، فلولا أنهم ينتفعون من هذه الرسالة باتباعها ما كان لهم فيها فائدة إطلاقًا.

والمهم أنني أقول: يجب أن يعلم السائل وغيره أننا وإن عَبَّرنا بالأديان السماوية فليس معنى ذلك أننا نُقرُّ بأنها باقية، بل نقول: إنها منسوخة بدين واحد فقط، هو دين الإسلام، وإن الدين القائم الذي يرضى الله تعالى أن يَدين به العباد له إنما هو دين الإسلام وحده فقط، قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. والله الموفق.

***

(٥٥٠) يقول السائل: هل يجوز لنا أن نقول: الأديان السماوية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يجوز لنا أن نقول: الأديان السماوية، ولكن ليس على أنها الآن ثابتة، إطلاق هذه الكلمة يجوز، لكن إذا كان يفهم منها أن

هذه الأديان باقية، وأنها مرضية عند الله، فإنه لا يجوز إطلاقها إلا مقرونة ببيان الحال، بأن يقال: معنى أنها سماوية أي: أنها ممَّا أنزله اللهُ تعالى على الرسل، لكنه نُسِخ -ما عدا الإسلام- بالإسلام.

***

(٥٥١) **يقول السائل**: هل هذه الأديان الأرضية على غير حق؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: وحتى الأديان السماوية، التي كانت في وقتها حَقًّا، هي الآن منسوخة بالإسلام.

***

(٥٥٢) **يقول السائل**: بعض الناس يُسمِّي مكة المكرمة ببلد الديانات السماوية، هل هذا التعبير صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا تعبير باطل؛ لأن أنبياء بني إسرائيل، الذين من جملتهم موسى وعيسى، إنما كانوا في الشام، وليسوا في مكة، لكن مكة بلد مَبعَث النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، والمدينة مَهجَر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وفيها أُسِّست الدولة الإسلامية، وفيها أُقيمَ عَلَم الجهاد، وفيها توطَّد الدين الإسلامي. فمكة مُبتدأ البعث، والمدينة مُنتهى البعث، أي: منتهى الدين الذي بُعِث به النبيُّ ﷺ في مكة.

***

(٥٥٣) **يقول السائل**: من الواجب علينا بأنه إذا مرَّ ذِكْر الصحابي أثناء قراءتنا أن نقول: رضي الله عنه. ولكن هل إذا مرَّ ذِكر تابعي، أو أحد من السلف نقول أيضًا: رضي الله عنه. فهل في ذلك حرج؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس من الواجب علينا أن نقول كلما مرَّ بنا ذِكرُ صحابيٍّ: رضي الله عنه. هذا ليس من الواجب، لكن من حقِّ الصحابة علينا أن ندعو الله لهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا

غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. أما أن نترضَّى عنهم كلما ذُكِر اسمُ واحدٍ منهم فهذا ليس بواجب، والترضِّي يكون عن الصحابة، ويكون عن التابعين، ويكون عن تابعي التابعين، ويكون عمَّن كان عابدًا لله على الوجه الذي يرضاه إلى يوم القيامة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٧-٨]. ذلك لمن خشي ربه إلى يوم القيامة.

لكن جرت عادة المحدثين -رحمهم الله- أن يخصُّوا الصحابة بالترضي عنهم، ومَن بعدهم بالترحُّم عليهم، فيقولوا في الصحابي: رضي الله عنه. ويقولون فيمن بعد الصحابة: رحمه الله. ولكن لو أنك قلتَ للصحابي: رحمه الله. وفي غيره: رضي الله عنه. فلا حَرَج عليك، إلَّا إذا خشيتَ أن يَتوهَّم السامعُ بأن التابعي صحابيٌّ، والصحابيَّ تابعيٌّ، فهنا لا بد أن تُبيِّن، فتقول: قال عبد الله بن مسعودٍ، وهو من الصحابة، رحمه الله. أو: قال مجاهد، وهو من التابعين، رضي الله عنه. حتى لا يتوهَّم أحدٌ أن ابن مسعودٍ من التابعين، ومجاهدًا من الصحابة.

***

(٥٥٤) يقول السائل ع. إ.: نحن نقول للصحابة: رضي الله عنهم. لكنَّ التابعين وتابعي التابعين، ومن جاء بعدهم، هل نقول: رضي الله عنهم، أو: رحمهم الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نحن نقول: رضي الله عن كل مؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. لكن المعروف عند أهل

العلم تخصيص الصحابة رضي الله عنهم بقولهم فيهم: رضي الله عنهم. وأما مَن بعد الصحابة مِن التابعين إلى زمننا هذا فيقولون فيهم: رحمه الله. وإن كان بعض العلماء قد يقول: رضي الله عنه. في الأئمة الكبار، كالإمام أحمد، فيقول: قال الإمام أحمد رضي الله عنه. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه. وقال الإمام مالك رضي الله عنه.

لكن عامة المعروف بين أهل العلم أن الترضِّي يكون للصحابة، والترحُّم يكون لمن بعدهم، وإذا كان هذا هو المعروف المصطلح عليه عند عامة العلماء، فإن الإنسان إذا ترضَّى عن شخص مِن غير الصحابة أوهم السامعَ بأن هذا الشخص من الصحابة، فينبغي أن نتجنَّب ذلك، أو أن يقول: قال فلان، وهو من التابعين، رضي الله عنه. قال فلان، وهو من تابعي التابعين، رضي الله عنه. حتى لا يظنَّ أحدٌ أن هذا من الصحابة.

***

(٥٥٥) يقول السائل: هل يجوز أن نقول: رضي الله عنه. لأي مسلمٍ، أم هي خاصة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا، هي عامة لكل واحد نسأل الله له الرضا، قال الله -عز وجل-: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. لكن جرى الاصطلاح العُرفي بين العلماء أن الترضِّي يكون على الصحابة فقط، والترحُّم على من بعدهم، فيقال عن عمر رضي الله عنه. ويقال لعمر بن عبد العزيز: رحمه الله. ولا يقال: رضي الله عنه. هذا في الاصطلاح عند العلماء، وهو اصطلاحٌ عُرفي ليس اصطلاحًا شرعيًّا، بمعنى: أنه ليس من إرشاد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن نقول للصحابة: رضي الله عنهم. ولغيرهم: رحمهم الله. بل هذا شيء جرى عليه الناس، فلا ينبغي أن يخرج الإنسان عن المألوف؛ لأنه لو قال مثلًا: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. لفهم السامع أنه صحابي، بناءً على العرف المطِّرد.

***

(٥٥٦) تقول السائلة ف. ق. أ. من المنطقة الجنوبية: أسأل عن بعض العبارات العامية التي تتردد على بعض الألسنة، وهل يجوز التلفظ بها مثل: عليك وجه الله أن تعطيني هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا لا يجوز أن تقول عليك وجه الله؛ لأنها تستشفع بالله على خَلْق الله، والله تعالى أعظم وأجلُّ من أن يستشفع به على خلقه، فلا يحلُّ لها هذا اللفظ.

***

(٥٥٧) يقول السائل: ما حكم قول: الله لا يستحي منك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يجوز أيضًا، فإنه قد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ، إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[1]. نعم إذا قالت: إن الله لا يستحي من الحق. فهذا حق، ولا بأس به.

***

(٥٥٨) يقول السائل: ما حكم قول: يا وجه الله. عند التعب والنصَب والغضب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا يجوز، بل يجب أن تقول: يا الله. ولا نقول: يا وجه الله. يعني إذا قال: يا وجه الله. فمعنى هذا أنها دعت بالصفة منفردةً عن موصوفها، وهذا حرام.

***

(٥٥٩) تقول السائلة: أقول عند الغضب من والدي: حسبي الله. فما حكم ذلك؟

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم (١٤٨٨). والترمذي: أبواب الدعوات، باب، رقم (٣٥٥٦). وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (٣٨٦٥).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا حرج على الإنسان إذا ظُلِم أن يقول: حسبي الله. كما قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

***

(٥٦٠) يقول السائل: يردِّد بعض العامة كلامًا مثل: يا هادي، يا دليل، لا سمح الله، لا قدَّر الله. فما الحكم في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما قولهم: يا هادي، يا دليل. فهذه من أوصاف الله -عز وجل-، فهو يَهدِي مَن يشاء إلى الصراط المستقيم، وهداية الله تعالى نوعان: هداية دلالة، وهداية توفيق. فإذا قال: يا هادي، يا دليل. فالمعنى متقارِب أو واحد، وهو ينادي الله تعالى بوصفه لا باسمه.

وأما قولهم: لا سمح الله. فهي كلمةٌ لا ينبغي أن تُقال؛ لأن ظاهرها يقتضي أن الله -سبحانه وتعالى- له مُكرِه على أن يسمح، أو لا يسمح.

وأما قولهم: لا قدَّر الله. فهي عبارةٌ صحيحة، ومعناها الدعاء، أي: أن الإنسان يسأل ألَّا يُقدِّر الله ذلك. ولو أن الذين يستعملون «لا سمح الله» يجعلون بدلًا منها: لا قَدَّر الله. لَكان ذلك جائزًا، ولا شبهة فيه، ولا كراهة فيه، لكن لا سَمح الله ينبغي أن يُعدَل عنها؛ لأنها توهم معنًى لا يَليق بالله -سبحانه وتعالى-، فيُعدَل عنها إلى قوله: لا قدَّر الله.

***

(٥٦١) يقول السائل: أسمع من الإخوة في الندوات الطيبة الدينية قولهم: الحمد لله وكفى. فأرجو التكرم بتوضيح حكم هذه الكلمة: وكفى.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى قولهم: الحمد لله وكفى. أي: أن الله تعالى كافٍ عبده، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافيه شئونه

وأموره، فالفاعل في قوله: وكفى. هو الله -عز وجل-، وليس معنى قوله: وكفى. أي كفى قولي. بل المعنى: الحمدُ لله. وكفى الله، أي: إن الله تعالى كافٍ عبده، كما في الآيات التي قال الله فيها: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

***

(٥٦٢) يقول السائل: **ما حكم عبارة: حُمِل إلى مثواه الأخير؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، هذه فيها الشيء الكثير، لو كان الناس يفهمون معناها وأرادوها؛ لأن قول القائل: إنه حُمل إلى مثواه الأخير. يفيد أن القبر هو آخر مرحلة، وآخر منزلةٍ للإنسان، وليس الأمر كذلك، بل إن القبر يُعتبر ممرًّا ومَزارًا، والمثوى الأخير هو إما الجنة، وإما النار، وهذه العبارة لو أخذنا بظاهرها لَكانت تتضمَّن إنكارَ البعث، وإنكارُ البعث كفر؛ لأن الإيمان هو: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقَدَر خيرِه وشرِّه. لكن غالب الناس يطلقها، وهو لا يدري ما معناها، أو يريد ما يفهمه المسلمون كلهم من أن هذه القبور ممرٌّ وزيارة، وليست مثوًى أخيرًا.

ولذلك نرى أنه لا يجوز للإنسان أن يُطلِقها حتى إن كان يريد بها ما يعلمه المؤمنون بالضرورة من الدين، وهو: أنه لا بد من البعث، ولا بد من الخروج من هذه المقابر، وأنا قلت: إن المقابر مَزار. لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١-٢]. ويُذكَر أن أعرابيًّا سمع قارئًا يقرأ بهذه الآية يقول: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ٢] فقال الأعرابي: والله ما الزائر بمقيم، والله إن هناك شيئًا وراء هذه المقابر.

***

(٥٦٣) يقول السائل من الجمهورية العراقية محافظة التأميم: **إنني عسكري، وموجود عندنا كلمة «سيدي» للعسكري الضابط تتكرَّر في اليوم عدة مرات، فهل يوجد سيد عدا سيدنا محمدًا ﷺ؟ وهل يمسُّنا ذنب أم لا؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: السيد على سبيل الإطلاق هو الله -عز وجل-، وأما السيد مضافًا فإنه يصح؛ لأنها تكون سيادة خاصة، بشرط أن يكون المَقول له ذلك أهلًا للسيادة، فيجوز -مثلًا- أن يقول الإنسان لأبيه: هذا سيدي. ولأخيه الكبير: هذا سيدي. ويقول العبد لمالكه: هذا سيدي. كما قال النبي ﷺ: «**وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**»(١). وكذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام- للأوس حين أقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»(٢).

فالمهم أن الإنسان يجوز له أن يصف مَن هو أهلٌ للسيادة بأنه سيده، أما إذا كان هذا المقول له ليس أهلًا للسيادة؛ لكونه فاسقًا، أو كافرًا، فإنه لا يستحق، ولا ينبغي للمسلم أن يقول له: سيدي. لأن هذا إذلال للمسلم، والمسلم يعلو بإسلامه على غيره من بني البشر.

***

(٥٦٤) يقول السائل س. ص.: دَرَج على كثير من ألسنة الناس عبارة: شورك وهداية الله. تقال هذه العبارة عندما يتشاور بعض الناس في شيء، فماذا تقولون في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أقول في هذا: إن مقصود السائل أنه يستشير هذا الرجل، ويسأل الله الهداية، فكأنه قال: أنا أنتظر مشورتك، وآمُل هداية الله -عز وجل-. وهذا المعنى لا بأس فيه، ولا حرج فيه، فالإنسان يستهدي ربَّه، ويسأله الهداية، ويشاور إخوانه بما يشكل عليه.

ولكن الذي ينبغي أن يُبدَأ بهداية الله أولًا، فيقول: هداية الله وشورك.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣/ ٥١٨، رقم ٨١٩٧). وأبو داود: كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي، رقم (٤٩٧٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، رقم (٣٠٤٣). ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، رقم (١٧٦٨).

أي: مَشورتك، وإن فصل بـ «ثُم» فهو أَوْلى وأحسن، فيقول: هُدى الله. ثم مشورتك.

***

(٥٦٥) تقول السائلة جواهر س. م. م. من الأفلاج: هل يجوز أن نقول كلمة: شكرًا. لمن عمل لصاحبه معروفًا؟ أم أنها من خصائص الله -عز وجل-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يجوز أن نقول لمن أسدى إلينا معروفًا: شكرًا. أو: شَكَر اللهُ إليك. أو ما أشبه ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. فأثبت اللهُ الشكر له وللوالدين، لكن خيرٌ منها أن تقول له: جزاك الله خيرًا. لأن هذا الذي وردت به السُّنة، أما كلمة «شكرًا» فماذا يستفيد منها الذي أسدى المعروف؟ لا يستفيد شيئًا، إلَّا أن الذي حصل له المعروفُ يتشكَّر من هذا فقط، لكن إذا قال: جزاك الله خيرًا. أو: جزاك عني خيرًا. صارت في هذا فائدة للطرفين؛ للمُسدِي المعروفَ، وللمُسدَى إليه.

***

(٥٦٦) يقول السائل: يقول بعض العامة: عساك تبارك. فما حكم هذه العبارة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: حسَب ما يريدون بها، والعامة إذا قالوا: عساك تبارك. فمعناه، أنهم يسألون الله تعالى أن يُنزِل فيه البركةَ، ولا يقصدون بها المعنى الذي اختصَّ الله به في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [الفرقان: ٦١]. وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]. وما أشبهها، إنما يريدون بذلك سؤال الله أن ينزل في هذا البركة.

***

(٥٦٧) يقول السائل م. أ. أ.: ما حُكم الشرع -في نظركم- في هذه العبارات: من حُسن الطالع أن يحصل كذا وكذا. و: رُبَّ صدفة خيرٌ من ميعاد. و: هذا اليوم نَحس؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما العبارة الأولى؛ وهي قول القائل: من حسن الطالع كذا وكذا. فإن هذا يُعبِّر به أصحاب النجوم، الذين يعتمدون في تقدير النحس والخير للمرء على طوالع النجوم، وهي عبارة لا ينبغي للإنسان أن يقولها، بل هي إلى التحريم أقربُ منها إلى الكراهة.

وأما قول القائل: رُبَّ صدفة خير من ميعاد. فلا بأس بها؛ لأن وصف الشيء بالصدفة إذا كان من فِعل الإنسان فلا بأس به؛ لأن الإنسان تأتيه الأمور بالمصادفة، ولا يُقدِّر لها تقديرًا، ولا يُحسَب لها حسبانًا، وأما بالنسبة لِفعل الله فإنه لا يجوز إضافة الصدفة إلى فعل الله؛ لأن الله تعالى يعلم ما يفعله -جل وعلا- مِن قَبْلِ أن يفعله، وهو على صراط مستقيم في كل ما يفعله -سبحانه وتعالى-، فالصدفة إن أُضِيفت إلى فعل العبد وحال العبد فلا بأس بها، وإن أضيفت إلى الله -عز وجل- فإنها لا تجوز.

وأما العبارة الثالثة؛ وهي: هذا يوم النحس. فلا بأس به إذا لم يقصد السبَّ والعيب، وإنما قصد الإخبار؛ لقول لوط -عليه الصلاة والسلام- لما جاءته الملائكة: ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧]. فوصف الأيام بما تستحقه من وصف، فإذا لم يكن على سبيل الذم والتقبيح فلا بأس به؛ لأن هذا خبر، والخبر عن الواقع حق، ولعل الاستشهاد الأقرب منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر: ١٩].

***

(٥٦٨) يقول السائل ف. ع. أ.: يوجد أناس يقولون بعض الكلمات، ولا نعلم جوازها وحرمتها، فمثلًا شخص بَحَث عن زميل له، فلما وجده قال له: ما صَدَّقْتُ على الله إني أجدك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الكلمة لا بأس بها؛ لأن معناها: ما ظننتُ أنني أجدك، ولم يقل: إني ما صَدَّقْتُ الله. بل يقول: ما صَدَّقْتُ على الله. أي: إنني ما ظننتُ أن هذا يقع، وما دام هذا هو المراد فإن التعبير إذا لم يكن فيه

محذور شرعي بنفسه يكون جائزًا، فالذي نراه أن هذه العبارة لا بأس بها، ولا حرج فيها؛ لأن المقصود منها واضح، وهي في تركيبها لا تدل على معنى فاسد.

***

(٥٦٩) يقول السائل: ما صلاة الإشراق؟ وما حكم قول البعض: ما صَدَّقْتُ على الله أني حصلت كذا وكذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: صلاة الإشراق هي التي يُصلِّيها الإنسان إذا أشرقت الشمس، أي ارتفعت وبرزت وظهرت، وهي ما يعرف بصلاة الضحى، ووقتها من ارتفاع الشمس قِيدَ رُمْحٍ، ويساوي اثنتي عَشْرة دقيقة، أو رُبُعَ ساعة بعد طلوع الشمس- إلى قبيل الزوال بنحو عَشْر دقائق، كل هذا وقت صلاة الإشراق أو صلاة الضحى.

وأما قول القائل: ما صَدَّقْتُ على الله كذا وكذا. فالمعنى: ما ظننتُ أن الله تعالى يُقدِّرُه. وهي كلمة لا بأس بها؛ لأن المقصود باللفظ هو المعنى، وهذا اللفظ نعلم من استعمال الناس له أنهم لا يريدون أنهم لم يُصدِّقُوا الله أبدًا، والله تعالى لم يخبر بشيء حتى يقولوا صَدَّقوه، أو لم يصدقوه، ولكن يظنُّ أن الله لا يُقدِّر هذا الشيء، فيقول: ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا. أي: ما ظننتُ أن الله يُقدِّر هذا الشيء، والعبرة في الألفاظ بمعانيها ومقاصدها.

***

(٥٧٠) يقول السائل: أسأل عن عبارة: أنا على باب الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه العبارة يطلقها بعض الناس يريد بها أن يُبيِّن أنه ليس عنده شيء من هذا الذي سُئِل عنه، مثل أن يقال له: هل عندك مال؟ فيقول: أنا على باب الله. أو: هل تعرف كذا؟ أو: هل أنت طالب علم؟ فيقول: أنا على باب الله. أو: هل أنت متزوج؟ فيقول: أنا على باب الله. يعني:

ليس عندي شيء. ولكني أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يُيسِّر لي هذا. هذا هو معنى العبارة عند الناس، وليس فيها شيء.

***

(٥٧١) يقول السائل: بعض الناس يُلزِمون الضيف بوجه الله، فيقولون مثلًا: عليك وجه الله أن تأخذ واجبك عندي. إلى غير ذلك. فما حكم الشرع -في نظركم- في مثل هذه الأقوال؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي ينبغي للإنسان في معاملته إخوانَه ألَّا يحرجهم فيما يريد أن يُكْرِمهم به، فإن إكرام المرء حقيقة أن تُيسِّر له الأمر، وأن تُمهِلَه، وألَّا تثقل عليه بالتلزيم، أو بالإلزام، والمبالغةُ في الإكرام إهانة، وكَم من إنسان حصل له مثل هذه الحال، أي: إنه ألزم، أو لزم عليه بالشيء يفعله، أو يدعه، فيقع في حرج، وربما تضرَّر بموافقة صاحبه الذي ألزمه، أو لزم عليه. ولهذا لا ينبغي للإنسان أن يُحْرِج أخاه، فيوقعه في الحرج بمثل هذه الأمور، بل يَعْرِض عليه الأمر عرضًا، فإن وافق فذاك، وإن لم يوافق فهو أدرى بنفسه وأعلم.

وقد ذكر أهل العلم -رحمهم الله- أن الرجل إذا عَلِم أن المُهدِي، أو الواهب له، قد أهداه، أو وهبه شيئًا حياءً وخجلًا، لا مروءة وطوعًا، فإنه يَحرُم عليه قبولُ هديته، أو هبته. فكذلك هذا الرجل الذي ألزم صاحبه، أو لزم عليه، قد يكون أَثِم بإحراج أخيه. وشرٌّ من ذلك ما يقع من بعض الناس بطريقة التلزيم أو الإلزام؛ حيث يحلف بالطلاق، فيقول: عليَّ الطلاق أن تفعل كذا. أو ألَّا تفعل كذا. أو ما أشبه ذلك، وحينئذٍ يقع في حرج في نفسه، وإحراج لغيره، فقد يمتنع صاحبه عن موافقته، فيقع هذا الذي حلف بالطلاق في حرج، وربما يُفتَى بما عليه جمهور أهل العلم من أن زوجته تطلق إذا تخلَّف الشرط، وربما تكون هذه الطلقة هي آخر ثلاث تطليقات، فتَبِينُ بها المرأة.

والمهم أن الذي أنصح به إخواني المسلمين هو ألَّا يشقوا على غيرهم،

ويوقعوهم في الحرج، بل يَعرِضوا الإكرام عرضًا، فإن وافقوا فذاك، وإلَّا فليَدَعوا الإنسان في سَعة.

أما بالنسبة للسؤال بوجه الله -عز وجل-؛ فإن وجه الله تعالى أعظم من أن يُسأل به الإنسان شيئًا من الدنيا، ويجعل سؤاله بوجه الله -عز وجل- كوسيلة يَتوسَّل بها إلى حصول مقصوده من هذا الرجل الذي توسَّل إليه بذلك، فلا يُقْدِمَنَّ أحدٌ على مثل هذا السؤال، أي لا يقول: وجه الله عليك. أو: أسألك بوجه الله. أو ما أشبه ذلك.

***

(٥٧٢) يقول السائل: أنا أحب مشاهدة المصارعة الحرة؛ لأنها تُرفِّهُ عني، وتذهب الملل عن نفسي، وكنا سابقًا نقضي بعض الوقت في السباق والرحلات والصيد، وقد تعقَّدت الآن أمور المعيشة، فأصبحنا لا نملك الوقت الكافي للعمل واللهو المباح، ونظرًا إلى أني لا أملك جهاز تلفاز، فإني أذهب في وقت إذاعة المصارعة إلى أحد المُتنزَّهات أو المقاهي لمشاهدتها، وذات مرة جاء أحد المصارعين بحركات مثيرة لجمهور المشاهدين، فأخذوا يتصايحون تشجيعًا لهم، فإذا بأحدهم يقول: يا حبيب النبي. استر عليه يا رب، يا رب خَلِّيه. وسؤالي هو: هل يجوز إطلاق كلمة: يا حبيب النبي. على شخص غير مسلم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: في الحقيقة قبل أن نُجيب على هذا السؤال نود أن ننصح الأخ وغيره من المستمعين إلى أن يعرفوا أن الوقت ثمين، وأن الإنسان إنما خلق لعبادة الله -عز وجل-، ولا ينبغي أن يضيع وقته في مثل هذه المشاهدات، التي لا تُعِينه على طاعة الله، ولا تكسبه مصلحةً في دنياه، وإنما هي مضيعةٌ للوقت، لا سيما إذا كانت في مُتَنَزَّهاتٍ عامة، فإن الغالب أن هذه المُتَنَزَّهات العامة لا تخلو من مشاهدة أو سماع ما يَحرُم، هذا حسَب ما نظن أنها لا تخلو من مشاهدة أو سماع ما يحرم؛ من أغانٍ، وكلام فاحش بذيء، ومن شرب دخانٍ، أو ما أشبه ذلك، من الأشياء التي لا يجوز للإنسان الجلوسُ مع المتلبِّسين بها.

لذا ننصحه أن يراجع الكتب النافعة القيِّمة، ما دام إنسانًا صاحبَ جدٍّ وعمل، وكذلك يراجع بعض الصُّحُف التي تبحث في أمورٍ نافعة، أو التي فيها أخبار يَطَّلِع الإنسان فيها على أحوال المسلمين، وما أشبه ذلك.

وأما إطلاق: حبيب النبي. على رجلٍ لا يعرف أهو مسلمٌ أم كافر فإنه لا ينبغي، فإذا عُلِم أنه كافر فلا يجوز إطلاقًا، وإذا عرف أنه مسلم فهذا يجوز، إذا كان هذا المسلم مُلتزمًا بإسلامه حقيقةً، وإذا كان مشكوكًا فيه -والغالب أن الذين يتصارعون هذه المصارعة الحرة يكونون غير مسلمين- فلا ينبغي إطلاق هذا في قومٍ تجهل حالهم؛ لأن حبيب النبي مَن كان حبيبًا لله -عز وجل-، والله تعالى إنما يحب المؤمنين والمتقين والمحسنين، وغيرهم ممن عَلَّق اللهُ محبته بما يتصفون به من صفاتٍ يحبُّها اللهُ.

✪✪✪

❁ فرق وملل ❁

(٥٧٣) يقول السائل أ. ع.: نعرف أن هناك بدعًا منحرفة؛ مثل الخوارج والمعتزلة، فما الضابط الذي نعرف به الفرقة الخارجة عن الإسلام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البدع أنواع؛ منها ما يخرج من الإسلام، ومنها ما لا يخرج، والضابط: الرجوع إلى الكتاب والسُّنة، فما دل القرآنُ والسُّنة على أنه بدعة مكفِّرة، كالذي يعتقد أن من أوليائه من يدبر الكون، وينزل المطر، ويُدخِل الجنة، وينجِّي من النار، وما أشبه ذلك، هذا بدعته مكفرة، ولا ينفعه إلَّا أن يتوب منها قبل أن يموت. وبعض البدع لا تصل إلى حد الكفر، بل تكون شركًا أصغر، أو كبيرة من كبائر الذنوب، أو معصية من المعاصي، لكن البدع خطيرة كلها.

***

(٥٧٤) يقول السائل: من المعتزلة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعتزلة هم طائفة مبتدعة، يقولون في الله، وفي كلام الله، وفي أفعال الله، ما يخالف مذهب أهل السُّنة والجماعة، ورئيسهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وسُمُّوا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري؛ حيث كان يقرِّر أن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فاعتزلوا هذا المجلس مجلسَ الحسن البصري، وقالوا بقولتهم المشهورة: إن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين، فليس مؤمنًا وليس كافرًا، لكنه مع ذلك مُخلَّد في النار.

فهم يلتقون بالخوارج في القول بأن فاعل الكبيرة مخلد في النار، لكن الخوارج يُصرِّحون بأنه كافر خارج عن الإسلام، وهؤلاء يُصرحون بأنه خارج عن الإسلام، لكنهم لا يجرءون أن يقولوا: إنه كافر. بل يقولون: إنه في منزلة بين منزلتين، فأثبتوا هذه المنزلة المخالفة لكلام الله -عز وجل-، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]. وليس

هناك قسم ثالث ليس بكافر ولا مؤمن إلا على قول هؤلاء المعتزلة، الذين ابتدعوا في دين الله وشريعته ما ليس منها.

***

(٥٧٥) يقول السائل أ. أ. من سوريا: من الصابئة؟ هل هم الذين خرجوا عن دين الله، أم من دين الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: اختلف فيهم العلماء -رحمهم الله-، قيل: إن الصابئة على دِين، وقد خرجوا عن دين قومهم، وقيل: إن الصابئة مَن لا دين لهم، ولم يتحرَّ عندي أي القولين أصح. فالله أعلم.

***

(٥٧٦) يقول السائل م. ح. ج.: نقرأ ونسمع عن أهل الكلام والمتفلسفة عن كثيرٍ من العلماء، فمن هؤلاء؟ وما الكلام المنسوب إليهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإفادة في هذا أن أهل الكلام هم الذين اعتمدوا في إثبات العقيدة على العقل، وقالوا: إن ما اقتضى العقلُ إثباتَه من صفات الله -عز وجل- والعقيدةِ فهو ثابت، وما لم يقتضِ العقل إثباته فإنه لا يثبت. ويسلكون في ذلك إحدى طريقين:

الطريق الأول: إن كان يمكنهم الطعن في هذا الدليل -أي: في ثبوت هذا الدليل- طعنوا فيه، فلو كان هناك حديث يدل على صفةٍ من صفات الله، وهم لا يثبتونها، حاولوا أن يطعنوا في الحديث، حتى يقولوا: إنه غير صحيح. ولا يعتمد على غير الصحيح.

الطريق الثاني: إذا صحَّ الدليل من حيث الثبوت حاولوا إنكاره من حيث التأويل، فأولوه بأنواعٍ من التأويلات الباردة، التي لا تغني من الحق شيئًا. فمثلًا هناك مبتدعة لا يُثبِتون أن الله تعالى موصوفٌ بالرحمة، ومعلومٌ أن القرآن مملوءٌ من هذه الصفة لله -عز وجل-، مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

[يونس: ١٠٧]. والآيات في هذا كثيرة، فيقولون: إن الله تعالى ليس له رحمة، ولا يجوز أن يوصف بالرحمة، والمراد برحمة الله تعالى إحسانه إلى الخلق فقط. فيُفسِّرون هذه الصفة بآثارها دون اتصاف الله تعالى بها، أو يقولون: المراد بالرحمة إرادة الإحسان إلى الخلق، ومعلومٌ أن إرادة الإحسان ثمرةٌ من ثمرات الرحمة، فهؤلاء لا يمكنهم إنكار رحمته من حيث الثبوت، لكن أنكروها من حيث التأويل، وقالوا: المراد بها كذا وكذا.

وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر: ٢٢]: إن المراد جاء أمر الله؛ لأن الله تعالى لا يمكن أن يأتي، فلا يمكنهم أن يردوا هذا الدليل من حيث الثبوت؛ لأنه في القرآن، لكنهم حاولوا ردَّه من حيث التأويل، وقالوا: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ . أي: جاء أمر ربك، ولا شك أن التأويل الذي لا دليلَ عليه يُسمَّى تحريفًا، هذا هو الأحق به؛ لأنه صَرَف كلام الله ورسوله إلى غير ما أراد الله ورسوله، فيكون ذلك تحريفًا للكلم عن مواضعه، فالمتكلمون هم الذي أثبتوا عقائدهم فيما يتعلق بالله تعالى، وفي أمور الغيب، بالعقول لا بالمنقول.

أما المتفلسفة فهم: الذين انتحلوا ملة الفلسفة الموروثة عن اليونان والفرس ونحوهم، وهي أيضًا بعيدة من الحق، لكن ما وافق الحقَّ منها فهو حق، ولا ينبغي أن يُنسَب إلى آراء هؤلاء المتفلسفة، بل إلى كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؛ لأن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وما كان منها باطلًا فلا خير فيه.

***

(٥٧٧) يقول السائل أ. م. ح. وهو مصري: نسأل عن الناس الذين يعطون الناس العهود؛ مثل الطرق الشاذلية والصوفية والرفاعية والبيومية، ويقيمون الأذكار في موالد أولياء الله الصالحين؛ مثل سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيد البدوي، والكثير من أولياء الله الصالحين. فما حكم الشرع -في نظركم- في ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي نرى في هذه الطرق وغيرها من الطرق والنِّحَل والمذاهب أنه يجب أن تُعرَض على كتاب الله، وسُنة رسول الله ﷺ، فما كان منها حقًّا قُبِل، وما كان منها باطلًا وَجَب رده، وعدم الاعتماد عليه، وعدم التمسك به.

وهذه الطرق التي عدَّدها السائل تنبني على ما أشرنا إليه من وجوب عرضها على كتاب الله، وسُنة رسول الله ﷺ، فإذا اشتملت هذه الطرق على دعاء الأولياء، وتقديم محبتهم على محبة الله ورسوله، والتعلق بهم ودعائهم، كان ذلك داخلًا في الشرك، وقد يكون شركًا أكبر مخرجًا عن الملة، فلا ينتفعون بهذه الطرق.

وإن نصيحتي لهم ولغيرهم أن يرجعوا في أمرهم وشئون دينهم إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فإن ذلك هو الخير، وهو الذي ينفعهم عند الله، وأما هذه الأمور التي يتعلقون بها فإنها لا أصل لها.

***

(٥٧٨) يقول السائل: ما موقف الإسلام من الصوفية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصوفية كلمة قيل: إنها مشتقة من الصَّفَا. وقيل: إنها مشتقة من الصفوة. وقيل: إنها مشتقة من الصوف. وهو الأقرب؛ لأنهم كانوا إبَّان ظهورهم يرتدون الألبسة من الصوف تقشُّفًا وتزهدًا.

والصوفية لها طرق متعددة، تصل بهم أحيانًا إلى الكفر الصريح؛ حيث إنهم يصلون إلى القول بوحدة الوجود، وأنهم لا يُشاهِدون إلَّا الربَّ، ويعتقدون أن كل شيء مُشاهَد من آيات الله -تبارك وتعالى- فإنه هو الله، ولا شكَّ أن هذا كفر صريح، ومنهم من يَشذُّ عن الإسلام دون ذلك، وهم على درجات متفاوتة.

وأنا أنصح السائل أن يقرأ كتاب «هذه هي الصوفية» للشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله؛ لأنه بيَّن في هذا الكتاب ما كان عليه الصوفية، الذين يدَّعون

أنهم أهل الصفاء والمعرفة بالله -عز وجل-، وهم في الحقيقة أجهلُ الناس بالله؛ لأن أعلمَ الناس بالله رسولُ الله ﷺ، ثم خلفاؤه الراشدون في هذه الأمة، ثم التابعون لهم بإحسان، هؤلاء هم أعرف الناس، وكل من سلك سبيلًا غيرَ سبيلهم فإن فيه من الجهل بالله بمقدار ما نَأَى به عن طريق النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

***

(٥٧٩) تقول السائلة غريبة الأصلاني من محافظة بيالي بالعراق: عندنا الكثير من كتب التصوف، فما رأي الشرع -في نظركم- في هذه الكتب وفي التصوف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نظري في التصوف -كغيره مما ابتُدِع في الإسلام- ما بيَّنه رسول الله ﷺ لأمته؛ حيث قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1].

فالتصوف المخالف لهَدْيِ الرسول ﷺ بِدعةٌ وضلالة، يجب على المسلم أن يبتعد عنها، وأن يأخذ طريقَ سَيرِه إلى الله من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأما كتب الصوفية فإنه لا يجوز اقتناؤها، ولا مراجعتها، إلَّا لشخص يريد أن يعرف ما فيها من البدع من أجل أن يرد عليها، فيكون في نظره إليها فائدة عظيمة، وهي: معالجة هذه البدعة حتى يَسْلَم الناس منها، ومن المعلوم أن النظر في كتب الصوفية وغيرها من البدع من أجل أن يعرف الإنسان ما عندهم حتى يرد عليهم، ومن المعلوم أن هذا أمر مرغوب فيه، إذا أمن الإنسان على نفسه من أن ينحرف بسبب هذه الكتب.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٥٨٠) يقول السائل: نظام الدين باكستاني: ما قولكم في التصوف والصوفية؟ مع العلم أن التاريخ الإسلامي قد حفظ لنا من خريجي التصوف من غير حصرٍ رجالًا لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله، وهذه حقيقة لا تحتاج إلى مزيدٍ من البحث، فنرجو منكم الإجابة عن هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: جاء في الحديث: «**فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[(١)]. فلعل هذه الخطبة كافيةٌ في الجواب عن هذا السؤال، وذلك أن الطريق الصوفي طريقٌ مُبتدَع، ما أنزل الله به من سلطان، فليس عليه رسول الله ﷺ، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا الأئمة المهديُّون، وهو -أي الطريق الصوفي- على درجاتٍ متفاوتة، منها ما يوصل إلى الكفر الصريح، ومنها ما يوصل إلى الفسق، ومع ذلك فهو يتفاوت تفاوتًا كبيرًا، ولا يمكن أن نحكم عليه حكمًا عامًّا يشمل جميع درجاته.

ولكني أقول: بدلًا من أن يُتعِب الإنسان نفسه في هذا الطريق الصوفي وتصوره، والعمل بمصطلحاته، ليتعب نفسه في طريق النبي ﷺ وخلفائه الراشدين والأئمة المهديين، حتى يتبيَّن له الحقُّ، ويتبعه، ويعبد الله على علم وبصيرة؛ لأن الطريقة الصوفية مبنية إما:

١- على جهل بالشريعة، فتكون عمًى وضلالًا.

٢- وإما على إصرارٍ وعناد، فتكون استكبارًا واستنكافًا، وكل ذلك لا يرضاه المسلم في دينه.

وإنني أشير -بل أنصح- أخي السائل أن يتجنَّب هذا الطريق، وأن ينظر إلى الطريق السليم المبنيِّ على كتاب الله، وسُنة رسوله ﷺ، وفيه كفاية وهداية، وما سواه من الطرق فإنه ضلالٌ وعَمَاية، نسأل الله السلامة.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٥٨١) يقول السائل: كثرت الفرق الضالة في زماننا هذا، ومن هذه الفرق الضالة الصوفية والتيجانية؛ حيث إن لها أنصارًا يدعون أنهم على طريقة صحيحة، وأنهم على حق. نرجو منكم معالجة هذه الطرق الباطلة، وإبَانة الحق لأولئك المخدوعين والمغرورين بهذه الطرق الضالة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: فإن الجواب على هذا السؤال مأخوذ مما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر ﷺ، أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة الجمعة: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١)، وللنسائي: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(٢).

فهذه الطرق التي أشار إليها السائل، وغيرها من الطرق الأخرى، هل تنطبق على هدي النبي ﷺ أو لا تنطبق؟ فإن كانت منطبقة فهي صحيحة، وهي خير الهدي، وهي الطريق الموصل إلى الله عز وجل، وهي الهدى والشفاء والصلاح والإصلاح والاستقامة. وإن كانت مخالفة لهدي النبي ﷺ فهي ضلال وشقاء على أصحابها، وعذاب عليهم، لا يستفيدون منها إلا التعب في الدنيا، والعذاب في الآخرة، وكلما كانت أشدَّ مخالَفةً لهَدْي النبي ﷺ كانت أكثر ضلالًا، وقد تصل بعض هذه الطرق إلى الكفر البواح.

مثل أولئك الذين يقولون: إنهم: وصلوا إلى حدٍّ يعلمون به الغيب. أو: إن أولياءهم يعلمون الغيب. أو: إن فلانًا يُنجِّي من الشدائد، أو يجلب الخير، أو ينزل الغيث. أو ما أشبه ذلك، مما يُدعَى لهؤلاء الذين يزعمون أنهم أولياؤهم وأئمتهم، فإن الله -عز وجل- يقول في كتابه: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥]. فمن ادعى أن أحدًا يعلم الغيب فقد كذَّب هذه الآية الكريمة، فمن ادعى أنه يعلم الغيب، أو أن أحدًا من الناس يعلم الغيب فقد كذب بهذه الآية الكريمة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ويقول الله تعالى آمرًا نبيَّه أن يعلن للملأ أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[الأنعام: ٥٠]. دليلٌ على أنه ﷺ عبد مأمور، وقد كان ﷺ كذلك، أي أنه أعظم الناس عبودية لله، وأتقاهم له، وأقومهم بدين الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

ويقول الله تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ آمرًا إياه: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: ٢١-٢٢]. فإذا كان هذا في حقِّ النبي ﷺ فما بالك بمن دونه من الخلق؟ بل ما بالك بمن ادَّعى أنهم أولياء، وأنهم هداة، وهم في الحقيقة أعداء وضُلَّال، وطُغاة وبُغاة؟

فنصيحتي لهؤلاء ولغيرهم، ممَّن خرجوا ببدعهم من هَدْي النبي ﷺ أن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وأن يرجعوا إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ التي هي تفسير للقرآن، وبيان له، وليرجعوا إلى هديه -صلوات الله وسلامه عليه- الذي هو تطبيق لشريعة الله تمامًا، وإلى هَدْي الصحابة، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

أما هذه الطرق وهذه البدع المخالفة لدين الله فإنها ضلال، مهما اطمأنَّ إليها قلب الإنسان، ومهما انشرح صدره بها، ومهما زُيِّنَت له، فإن العمل السيئ قد يُزيَّن للإنسان، كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

وقد ينشرح الصدر للكفر، كما قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦]. فلا يقولن أصحاب هذه البدع: إن صدورنا تنشرح بهذه البدع، وإن قلوبنا تطمئن. لأن هذا ليس بمقياس، ولكن المقياس كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه

النبي -عليه الصلاة والسلام- وخلفاؤه الراشدون، مِن الحق والهُدى، ولهذا أمرنا النبي ﷺ أن نتَّبِعَه، وأن نتبع سنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعده فقال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»(١). وأصحاب هذه البدع، سواء كانت في الطرق والمنهاج أم في العقيدة- إذا رجعوا إلى الحق سيجدون سرورًا للنفس، ونعيمًا للقلب، وسلوكًا جامعًا بين القيام بحق الله، وحق النفس، وحق العباد، أفضل ممَّا هم عليه بكثير، وسيتبيَّن لهم أن ما كانوا عليه من قبل شرٌّ وضلال، ومحنة وعذاب.

***

(٥٨٢) يقول السائل: لقد زعم بعض الصوفية أن لأهل القبور كراماتٍ، واستدلوا بقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٢]. الآية، وقالوا أيضًا: لو لا أن أباهما كان صالحًا ما خرج الكنز، وعَدُّوا هذه من الكرامات له بعد موته. أرجو الشرح والتوضيح لإزالة الغموض، وكذلك رد دعوى الصوفية الباطلة التي أضلت العباد. ونحن في السودان نعيش في مجتمع تكثر فيه الشِّركيات والخرافات والبدع -نسأل الله الإنقاذ- وبرنامجكم هذا له الدور العظيم في الإنقاذ، وكثير من الأسر اتجهت إليه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال سؤال عظيم، وجوابه يحتاج إلى بسط بعون الله -عز وجل-، فنقول: إن أصحاب القبور ينقسمون إلى قسمين:

١- قسم تُوفِّي على الإسلام، ويُثنِي الناس عليه خيرًا، فهذا يُرجَى له الخير، ولكنه مفتقر لإخوانه المسلمين يدعون الله له بالمغفرة والرحمة، وهو داخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. وهو بنفسه لا ينفع أحدًا؛ إذ إنه ميت جثة، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرَّ ولا عن غيره، ولا أن يجلب لنفسه النفع ولا لغيره، فهو محتاج إلى نفع إخوانه غير نافع لهم.

٢- قسم أفعاله تؤدي إلى فسقه الفسقَ المخرج من الملة، كأولئك الذين يدَّعون أنهم أولياء، ويعلمون الغيب، ويَشفُون من المرض، ويجلبون الخير، والنفع بأسباب غير معلومة حِسًّا ولا شرعًا، فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر لا يجوز الدعاء لهم، ولا الترحم عليهم؛ لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤]. وهم لا ينفعون أحدًا ولا يضرونه، ولا يجوز لأحد أن يتعلَّق بهم، وإن قدر أن أحدًا رأى كرامات لهم، مثل أن يتراءى له أن في قبورهم نورًا، أو أنه يخرج منها رائحة طيبة، أو ما أشبه ذلك، ومعروفون أنهم ماتوا على الكفر، فإن هذا من خداع إبليس وغروره؛ ليفتن هؤلاء العباد بأصحاب هذه القبور.

وإنني أُحذِّر إخواني المسلمين من أن يتعلقوا بأحد سوى الله -عز وجل-، فإنه -سبحانه وتعالى- هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، ولا يجيب دعوة المضطرِّ إلَّا اللهُ، ولا يكشف السوءَ إلا الله، قال الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

ونصيحتي لهم أيضًا ألَّا يقلدوا في دينهم، ولا يتبعوا أحدًا إلا رسول الله ﷺ؛ لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. ويجب على جميع المسلمين أن يزِنوا أعمالَ مَن يدَّعِي الولاية بما جاء في الكتاب والسُّنة، فإن وافق الكتاب والسنة فإنه يُرجَى أن يكون من أولياء الله، وإن خالف الكتاب والسنة فليس من أولياء الله.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه ميزانًا قسطًا عدلًا في معرفة أولياء الله؛ حيث قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، ومن لم يكن كذلك فليس بوليٍّ لله، وإن كان معه بعض الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية، ومع ذلك فإننا لا نجزم لشخص بعينه بشيء، ولكننا نقول على سبيل العموم: كل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا؛ لقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وليعلم أن الله -عز وجل- قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور؛ قد يتعلق الإنسان بالقبر، فيدعو صاحبه، أو يأخذ من ترابه يتبرَّك به، فيحصل مطلوبه، ويكون ذلك فتنة من الله -عز وجل- لهذا الرجل؛ لأننا نعلم بأن هذا القبر لا يُجيب الدعاء، وأن هذا التراب لا يكون سببًا لزوال ضرر، أو جلب نفع، نعلم ذلك لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، تدلُّ على أن كل من دُعِي من دون الله فلن يستجيب الدعاء، ولن ينفع الداعي، ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحانًا، ونقول: إنه حصل هذا الشيء عند الدعاء -أي: عند دعاء هذا الذي دُعِي من دون الله- لا بدعائه، وفرق بين حصول الشيء

بالشيء وبين حصول الشيء عند الشيء؛ لأننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير الله ليس سببًا في جلب النفع، أو دفع الضرر، في الآيات الكثيرة التي ذكرها الله -عز وجل- في كتابه، ولكن قد يحصل هذا الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحانًا، والله تعالى قد يبتلي إنسانًا بأسباب المعصية ليعلم -سبحانه وتعالى- من كان عبدًا لله ومن كان عبدًا لهواه.

ألا ترى إلى أصحاب السبت من اليهود؛ حيث حَرَّم الله عليهم أن يصطادوا الحيتان في يوم السبت، فابتلاهم الله -عز وجل-، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت بكثرة عظيمة، وفي غير يوم السبت تختفي، فطال عليهم الأمد، وقالوا: كيف نحرم أنفسنا هذه الحيتان؟ ثم فكَّروا وقَدَّروا، ونظروا فقالوا: نجعل شبكة نضعها في يوم الجمعة، ونأخذ الحيتان منها يوم الأحد. فأقدموا على هذا الفعل، الذي هو حيلة على محارم الله، فقلبهم الله تعالى قردة خاسئين، قال الله تعالى: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦].

فانظر كيف يسر الله لهم هذه الأسباب، أو كيف يسر الله لهم هذه الحيتان في اليوم الذي منعوا من صيدها، ولكنهم -والعياذ بالله- لم يصبروا، فقاموا بهذه الحيلة على محارم الله. فلننظر لما حصل لأصحاب النبي ﷺ، حيث ابتلاهم الله تعالى وهم محرمون بالصيد المحرم على المحرم، فكانت في متناول أيديهم، ولكنهم رضي الله عنهم لم يجرءوا على شيء منها، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٤].

كان الصيد العادي والطائر في متناول أيديهم؛ يمسكون الصيد العادي باليد، وينالون الصيد الطائر بالرماح، فيسهل عليهم جدًّا، ولكنهم رضي الله عنهم خافوا الله -عز وجل- فلم يُقدِموا على أخذ شيء من الصيد، وهكذا يجب على المرء إذا هيَّأ الله له أسباب الفعل المحرم أن يتقي الله -عز وجل-، وألَّا يُقدم على هذا الفعل المحرَّم، وأن يعلم أن تيسير الله له أسبابه من باب الابتلاء والامتحان، فليحجم وليصبر، فإن العاقبة للمتقين.

***

(٥٨٣) يقول السائل: يقول الصوفية في زعمهم: إن الأولياء تنكشف عنهم الحجب، ويتلقَّوْن علمًا مباشرًا من الله. يسمونه العلم اللدُنِّي، وعندما عارضناهم استشهدوا بما رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر من بعض سراياه، وهم في ميدان القتال، وحذرهم من الجبل الذي كان خلفهم، وأن العلم الإلهي الذي يأتيهم هو مِمَّا يختصُّ الله بعض عبادَه به؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: كل إنسانٍ يَدَّعِي علم الغيب فإنه كافر، وكل إنسان يصدقه في ذلك فإنه كافر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. وغيب الله -تبارك وتعالى- لم يُطْلِع عليه أحدًا إلَّا من ارتضى من رسول، كما قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وهؤلاء الأولياء الذين يزعمون ليسوا برُسُل، وليسوا أيضًا بأولياء لله ما داموا يَّدعون ما يكون فيه تكذيبٌ للقرآن؛ لأن ولي الله هو من جمع الوصفين اللذين ذكرهما الله في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

فهؤلاء الذين يسمونهم أولياء إذا ادعوا علم الغيب فليسوا بأولياء، بل هم أعداءٌ لله؛ لأنهم مُكذِّبون له، ولما ثبت من شريعة رسوله محمدٍ ﷺ وأما

احتجاجهم بما أكرم الله به أمير المؤمنين رضي الله عنه فهذه ليست من أمور الغيب؛ لأن هذا أمرٌ محسوس مشاهد، لكنه بعيدٌ عن مكان عمر، فكشفه الله له، فليس هذا من باب علم الغيب، لكنه من باب الأمور التي يُطْلِع الله عليها من يشاء، وهي أمورٌ واقعة.

ثم إن أمير المؤمنين رضي الله عنه لا شك أنه من أولياء الله؛ لاجتماع الوصفين فيه: الإيمان والتقوى، لكن هؤلاء الأولياء الذين يدعون الولاية، وهم منها بَراء، هؤلاء لا يُصدَّقون، ثم إن قُدِّر أنهم أخبروا بخبر، ووقع الأمر كما أخبروا به، فإنما هم من إخوان الكُهَّان، إن لم يكونوا كُهانًا تنزَّل عليهم الشياطين، فيخبرونهم بالخبر، ويكذبون معه ما شاءوا من الكذبات.

***

(٥٨٤) يقول السائل ع. ع. ب. م. من السودان وهو تاجر بالسوق: أولًا مسألة الطرق وكثرة مشايخها، مِمَّا يجعل الإنسان يعيش في حيرةٍ من أمره، فهل لهذه الطرق داعٍ؟ أو أن الإنسان إذا كان على مذهبٍ من المذاهب الأربعة لا يلزمه الاهتمام بهذه الطرق؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نحن نحمد الله تعالى أننا لا نعيش مع هذه الطرق ومشايخها، ونسأل الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين الثبات على الحق.

أما فيما يتعلق بسؤال الأخ؛ فإني أتلو عليه آية من القرآن تبين صحة هذه الطرق أو بطلانها، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. صراطٌ واحد؛ ﴿صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والسبل جمع سبيل، بمعنى: طريق، والمراد بها: كل ما خالف طريق الله -عز وجل- فإنه طريقٌ منهيٌّ عنه داخلٌ في عموم قوله: السبل، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فهذه الطرق التي يشير إليها السائل يجب أن تُعرَض على كتاب الله،

وسنة رسوله ﷺ، وهَدْيِ خلفائه الراشدين، فإن وافقتها فهي حق، وإن خالفتها فهي باطلٌ يجب ردها، مهما كان الشيخ الذي يقول بها، ومهما كانت شعبيته، ومهما كان أتباعه، ولا تغترُّ أيها السائل بكثرة التابعين لهؤلاء المشايخ؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقولك: إنه يلزم واحدًا من المذاهب الأربعة، الحقيقة أن الإسلام مذهبٌ واحد، وأن هذه المذاهب الأربعة التي ائتمَّ بها من ائتمَّ من الناس هي عبارة عن أقوال مجتهدين، يتحرَّون بذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليست طرقًا مستقلةً عن الدين الإسلامي؛ إذ لو كانت كذلك لم يكن بينها وبين أصحاب الطرق الذين ذَكَرت عنهم فَرْق، ولكنهم يتحرَّوْن موافقة الكتاب والسُّنة، ويدعون إلى اتباع الكتاب والسنة، وإن خالف ذلك أقوالهم، فيجب عليك -إذا أردت النصح لنفسك واستقامة دينك- أن تبحث عن سُنة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين الذين أمر النبي ﷺ باتباعهم حيث قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ**»(١). وأن تقيس ما عليه هؤلاء المشايخ وما عليه غيرهم، أيضًا تقيسه بكتاب الله، وسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين.

***

(٥٨٥) يقول السائل: أنا أسلك طريقة صوفية، ولا أعتقد في الشيخ أي اعتقاد يخالف الشريعة، وكل الأمر أنني أرى في الشيخ أستاذًا يَهْدِي لطريق الشرع اتِّفاقًا مع الشريعة الغرَّاء فقط، ولكنه يُنظِّم أذكارًا شرعية فيها الخير، ولا يقول بغير ما جاءت به السنة، أو جاء به الكتاب. فما رأيكم في اتباعها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: رَأْيُنا أن المؤمن يجب عليه أن يجعل متبوعه

---

(١) تقدم تخريجه.

رسولَ الله ﷺ قبل كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. فإذا كان هذا هو الهدف، وهو الأصل، عند هذا الرجل، وكان لا يستطيع أن يصل إلى الحق بنفسه، لقصور علمه أو فهمه، واعتمد على شخص يدله على الشرع وعلى الخير، فإن ذلك لا بأس به، ولكن من غير أن يكون هذا الشخص منتميًا إلى طريقة معينة من الطرق، بل يكون منتميًا إلى مذهب السلف، وما دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

والأذكار المنظَّمة التي ينظمها بعض العباد، هذه الأذكار إن كانت مما ورد على هذا الوجه الذي يفعلونه المنظِّم لها رسول الله ﷺ وليس هؤلاء، وإن كانت على خلاف ما ورد فإنها بدعة، وإن كان أصل الذكر مشروعًا، لكن تنظيمه على وجه معين يعتبر من البدع.

ولذلك نقول: إن العبادة تفتقر إلى دليل في سببها، وفي جنسها، وفي نوعها، وفي قدرها، وفي وقتها، وفي مكانها. فلا بد من أن تكون العبادة التي يفعلها العبد مطابقة للشرع في هذه الأمور:

١. أن يكون سببها معلومًا بالشرع.
٢. وأن يكون جنسها معلومًا بالشرع.
٣. وأن يكون نوعها معلومًا بالشرع.
٤. وأن يكون قدرها معلومًا بالشرع.
٥. وأن يكون زمانها معلومًا بالشرع.
٦. وأن يكون مكانها معلومًا بالشرع.

فإذا اختلفت هذه الأمور الستة فإن العبادة يكون فيها بدعة حسَب ما خرجت به عن السُّنة.

فعليك -يا أخي- باتباع السلف الصالح، والحرص على منهاجهم، ودع

الطرق التي أحدثت، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(١).

***

(٥٨٦) يقول السائل ن. ع. س. من العراق من محافظة الأنبار: أُهدي أجمل تحياتي واحترامي إلى برنامجكم الموقَّر، الذي أفادنا، وأفاد المسلمين كافة من إفتاء المعلومات الدينية والاجتماعية، وعلى هذا الأساس أرسلت رسالتي هذه وفيها بعض الأسئلة، أرجو عرضها على أصحاب الفضيلة والعلماء لديكم، وأرجو الإجابة منهم مع الشكر. أنا شخصٌ أنعم الله عليه بالهداية وسلكت الطريق الصحيح للإسلام، وطبقت جميع الشروط من صلاةٍ وصوم... إلخ. والتزمت أكثر من اللازم؛ حيث التجأتُ إلى أحد الشيوخ الصوفية، وأصبحت تلميذًا من تلاميذه، حيث أمرني بالحضور لحلقة الذكر يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وأن أُصلِّي وأسلم على الرسول ﷺ ألف مرة يوميًّا، وتسابيح أخرى. فأرجو إرشادي في هذه الطريقة الصوفية؛ هل صحيحة في الشريعة الإسلامية وتعاليمها أم غير صحيحة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نقول: اعلم أن الطرق؛ صوفيةً كانت، أم غير صوفية، يجب أن تُعرَض على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فما كان موافقًا لهما فهو حق، وما كان مخالفًا فهو باطل.

والغالب في الطرق الصوفية أنها طرقٌ مُبتدَعة، وربما يصل بعضها إلى الكفر، وبعضها دون ذلك، ومن هذا الابتداع ما ذكرتَ عن شيخك أنه كان يأمرك بأن تُصلِّي على النبي ﷺ كل يومٍ ألف صلاة، وبتسابيح أخرى، فهذه التسابيح الأخرى التي ذكرتَ لا ندري ما هي حتى نحكم بأنها حقٌّ أم باطل.

وأما الأمر بأن يُصلِّي على النبي ﷺ كل يومٍ ألف صلاة فهذا بلا شكٍّ بدعة لا أصل له في سنة النبي ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه.

والذي أنصحك به أن تطلب عالمًا من علماء السُّنة المعروفين باتباع السلف الصالح، وتأخذ دينك منه، وتدع الطرق التي تشير إليها من صوفيةٍ أو غيرها.

***

(٥٨٧) يقول السائل أبو حذيفة من مكة المكرمة: نرى كثيرًا من علماء السوء والضلال، الذين لا همَّ لهم سوى أكل أموال الناس بالباطل، وهم الذين أوقعوا الناس في الشرك، يلبسون العمائم الخضر، ويتسمون بسمات أهل الصلاح، ولكنهم لا يُصلُّون، وإذا سئلوا: لماذا لا تصلون؟ يقولون: نحن نصلي في المسجد الحرام بمكة. ويأتي من المريدين من أتباعهم فيزكونهم، ويقولون: إنكم لا ترونه عندما يذهب إلى مكة؛ لأنه من أهل الخطوة، ولأن بينكم وبينه حجابًا فلا ترونه. وإذا سئلوا عن الصيام قالوا: هذا من فضل الله علينا، فنحن لسنا بحاجة إلى الصيام؛ لأننا من أصحاب الأموال، والصيام هو للفقراء الذين لا يملكون المال. وإذا سُئلوا عن الحج قالوا: هذا أيضًا من فضل الله. ويعتذرون ويقولون: إن مكة بلد حارة، وكلها جبال، ولا يوجد أشجار أو ظلال. وفي المقابل نرى البعض من الناس ممن يتبعون لهم عندما يؤدون العمرة أو الحج، نراهم يطوفون لهم، ويدعون لهم، ويؤدون الصلاة لهم، في كل جزء من المسجد الحرام. فما حكم فعل هؤلاء؟ وما حكم تصديقهم فيما يقولون؟ وهل أعمالهم مقبولة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الجواب على هذا السؤال أحبُّ أن أوجه نصيحة إلى أولئك الشيوخ الذين وصفهم هذا السائل بما وصفهم به، أقول: أيها الشيوخ إن الواجب عليكم التوبة إلى الله -عز وجل-، والرجوع عما أنتم عليه مما وصف فيكم، وأن تلتزموا طريق النبي ﷺ وأصحابه، وأن تقوموا بما أمركم الله به من العبادات الظاهرة والباطنة، حتى تكونوا أئمة هُدًى وصلاح وإصلاح.

وأما بقاؤكم على ما أنتم عليه، مما وصف السائل، فهو خسارة لكم في دينكم ودنياكم، وهو ضلال وكفر بالله -عز وجل-، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، لا يغركم أن السُّذَّج من الخلق يأتون إليكم يُقبِّلون أيديكم وأرجلكم، ويتمسحون بثيابكم وعمائمكم، إن هذا غرور من الشيطان: يبعث إليكم هؤلاء السذج من أجل أن تستمرئوا ما أنتم عليه، وتستمروا على هذه الطريقة الباطلة، فاتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في عباد الله، واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا.

واعلموا أن من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم هذه الدعوة، وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وباب التوبة مفتوح، إن عليكم أن ترجعوا إلى الله، وأن تبينوا أن طريقتكم الأولى، التي أنتم عليها طريقة ضلال، وأنكم خاطئون فيها، ولكنكم تتوبون إلى الله تعالى منها.

أما بالنسبة لما ذكره السائل من أحوالهم؛ فإن إنكارهم الصوم، وقولهم: إن الصوم إنما يجب على الفقراء، هذا كفر وردة، كفر وردة عن الإسلام؛ لأن الصوم واجب على كل مكلف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٨٣]. فمن أنكر وجوب الصيام على الأغنياء، وقال: إنه واجب على الفقراء فقط. فقد كفر بالقرآن، وكفر بالسنة، وكذب إجماع المسلمين، وهو كافر بلا شك.

وكذلك من استكبر عن الحج، وقال: إن مكة حارة، وفيها جبال، وليس فيها أشجار. فإنه كافر مستكبر عن عبادة الله -عز وجل-؛ لأنه كره ما أنزل الله بهذا من فريضة الحج على عباده، وتعليله هذا كالمستهزئ بشريعة الله -سبحانه وتعالى-، والله -عز وجل- فرض الحج على عباده على المستطيع منهم، وهو يعلم حال هذه البلاد التي فرض الحج إليها، كما قال الله عن إبراهيم خليله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ

ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[إبراهيم: ٣٧].

والمغرور بهؤلاء الشيوخ، الذين هذه صفتهم، والذين هم يصدون عن الإسلام، المغرور بهم مخدوع، فلا يجوز لأحد أن يدعو الله لهم إلَّا بالهداية، وأما أن يَحج لهم، أو يَعتمر لهم، أو يأخذ بقولهم، ويصدقهم فيما يقولون، ويتبعهم فيما إليه يذهبون، فإنه كافر؛ لأن كل من صدق أن الصوم لا يجب إلَّا على الفقراء فقط، أو أن تكليف الناس الحج تكليف لهم بما لا يطاق؛ لأن مكة جبال وحارة، فإنه يعتبر كافرًا؛ لاعتراضه على حكم الله وحكمته، وإنكاره ما فرض الله تعالى على عباده من الصوم، إلا أن يكون جاهلًا لا يَعرف، وإنما سقط في أحضان هؤلاء وضللوه، ولم يهيأ له من يقول له: إن هذا كذب وباطل. فهذا ينظر في أمره.

وأما مَن صدَّقهم، وهو يعرف ما المسلمون عليه، فإنه يكون كافرًا بتصديقهم؛ لأنه صدقهم في إنكارهم فرضَ الصيام، كذلك زعمهم -أي: زعم هؤلاء الشيوخ، إذا أمروا بالصلاة- أنهم يصلون في المسجد الحرام، زعم كاذب باطل، فكيف يصلي في المسجد الحرام من كان في إفريقيا، أو شرق آسيا، أو ما أشبه ذلك؟

هذا أمر لا يمكن، ولكنهم يَغرُّون العامة بمثل هذه الكلمات، فهم لا يصلون في المسجد الحرام، وإنما يريدون التملُّص والتخلُّص من الاعتراض عليهم. وعلى كل حال فإني أُحذِّر إخواني المسلمين من الاغترار بأمثال هؤلاء، وأدعوهم إلى نبذ هؤلاء، وإلى البعد عنهم، ولكن لا يمنع ذلك من مناصحتهم، والكتابة إليهم، لعلهم يرجعون إلى الحق.

***

(٥٨٨) يقول السائل ص. أ. من سوريا من دمشق: إنني أقوم بتدريس مجموعةٍ من الناس الفقهَ الحنفي والتصوف، ونقوم بممارسة الذكر الحضرة،

ودليلنا على هذا هو أن النبي -صلوات الله وسلامه عليه- عندما هاجر إلى المدينة المنورة استقبله الناس بالإنشاد وضرب الدفوف، فأقرهم على ذلك، ولم ينكر عليهم. وكذلك ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وكذلك فإنني أعلم تلامذتي ضرورة طاعة الشيخ ومحبته، وعدم الاتجاه إلى شيخ غيره، عملًا بقول النبي ﷺ: «من لا شيخ له فشيخه الشيطان»[١]. ولكن أحدَ تلامذتي قد أخذ يجادلني مؤخرًا في هذه الأمور. وينكر علي ذلك، بحجة أنها بدع، وأنها تخالف هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، فقد أصبحتُ في حيرةٍ من أمري، ولما سألتُ عن تصرفاته تلك قيل لي: إن الشاب الذي يجادلني متأثرٌ بالوهابية، وقالوا بأن هذه الفكرة الوهابية بدعةٌ تدعو إلى التطرف، وتحرم المدائح النبوية والمولد، وتقول عن كثيرٍ من الأمور المستحسنة: إنها من البدع. فقد أشكل عليَّ الأمر، أرجو إرشادكم وتوضيح هذه الحقيقة لي.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: فإن هذا السؤال سؤالٌ عظيم، اشتمل على مسائل في أصول الدين، ومسائل تأريخية، ومسائل عملية.

أما المسائل العملية: فإنه ذكر أنه يُفقِّه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة، ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله أحد المذاهب الأربعة المتبوعة المشهورة، ولكن ليعلم أن هذه المذاهب الأربعة لا ينحصر الحق فيها، بل الحق قد يكون في غيرها، فإن إجماعهم على حكم مسألةٍ من المسائل ليس إجماعًا للأمة، والأئمة أنفسهم -رحمهم الله- ما جعلهم الله تعالى أئمة لعباده إلَّا حيث كانوا أهلًا للإمامة؛ حيث عَرفوا قدر أنفسهم، وعلموا أنه لا طاعة لهم، إلَّا فيما كان موافقًا لطاعة النبي ﷺ، وكانوا يحذرون عن تقليدهم، إلَّا فيما وافق السُّنة سُنة رسول الله ﷺ.

ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام أحمد، ومذهب

---

(١) لم أجده.

الإمام الشافعي، ومذهب الإمام مالك -رحمهم الله- وغيرهم من أهل العلم، أنها قابلةٌ لأن تكون خطأً أو صوابًا، فإن كل أحدٍ يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله ﷺ. وعلى هذا فإنه لا حرج عليه أن يفقه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة، بشرط إذا تبيَّن له الدليل في خلافه تَبع الدليلَ وتركه، ووضح لطلبته أن هذا هو الحق، وأن هذا هو الواجب عليهم.

أما مسألة الصوفية: وغنائهم ومديحهم، وضربهم بالدف والغبيراء، -الغبيراء: التي يضربون الفراش ونحوه بالسوط، فما كان أكثر غبارًا فهو أشد صدقًا في الطلب- وما أشبه ذلك مما يفعلونه؛ فإن هذا من البدع المحرمة، التي يجب عليه أن يُقلِع عنها، ويَنهى أصحابه عنها؛ وذلك لأن خير القرون، وهم القرن الذين بُعث فيهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- لم يتعبدوا لله بهذا التعبد، ولأن هذا التعبد لا يُورِث القلب إنابةً إلى الله، ولا انكسارًا لديه، ولا خشوعًا لديه، وإنما يورثه انفعالاتٍ نفسية يتأثر بها الإنسان من مثل هذا العمل؛ كالصراخ وعدم الانضباط والحركة الثائرة، وما أشبه ذلك.

وكل هذا يدل على أن هذا التعبد باطل، وأنه ليس بنافعٍ للعبد، وهو دليلٌ واقعي، غير الدليل الأثري، الذي قال فيه الرسول -عليه الصلاة والسلام-: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»**(1).

فهذا من الضلال المبين، الذي يجب على المرء أن يقلع عنه، وأن يتوب إلى الله، وأن يرجع إلى ما كان عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- وخلفاؤه الراشدون، فإن هَدْيهم أكمل هَدْي، وطريقهم أحسن طريق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. ولا يكون العمل صالحًا إلا بأمرين: الإخلاص لله، والموافقة لرسوله ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه.

وأما استدلاله باستقبال أهل المدينة رسولَ الله ﷺ بالدف والأناشيد، فهذا إن صح فإنهم ما اتخذوا ذلك عبادة، وإنما اتخذوا ذلك فرحًا بمقدم الرسول ﷺ، وليس من هذا الباب في شيء.

وأما ما ذكره من مجادلة الطالب له، وقول بعضهم: إنه رجلٌ وهابي، وإن الوهابية لا يُقرُّون المدائح النبوية، وما إلى ذلك، فإننا نخبره وغيره بأن الوهابية -ولله الحمد- كانوا من أشد الناس تمسكًا بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومِن أشد الناس تعظيمًا لرسول الله ﷺ واتباعًا لسُنته، ويدلُّك على هذا أنهم كانوا حريصين دائمًا على اتباع سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- والتقيد بها، وإنكار ما خالفها من عقيدةٍ أو عمل قوليٍّ، أو فعلي، ويدلك على هذا أنهم جعلوا الصلاة على النبي ﷺ ركنًا من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها، فهل بعد هذا من شكٍّ لتعظيمهم رسول الله ﷺ؟ وهم أيضًا إنما قالوا بأنها ركن من أركان الصلاة؛ لأن ذلك هو مقتضى الدليل عندهم، فهم مُتبعون للدليل، لا يغلون بالنبي -عليه الصلاة والسلام- في أمرٍ لم يشرعه الله ورسوله.

ثم إن حقيقة الأمر أن إنكارهم للمدائح النبوية المشتملة على الغلو في رسول الله ﷺ، حقيقة الأمر أن هذا هو التعظيم لرسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وهو سلوك الأدب بين يدي الله ورسوله؛ حيث لم يقدموا بين يدي الله ورسوله، فلم يغلوا لأن الله نهاهم عن ذلك، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»**(١).
وهو عليه الصلاة والسلام نهى عن الغلو فيه، كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم، نعم قال: **«لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»**(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

والمهم أن طريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأتباعه- وهو الإمام المجدد- طريقته هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لمن تتبعها بعلمٍ وإنصاف، وأما مَن قال بجهل أو بظلمٍ وجور فإنه لا يمكن أن يكون لأقواله منتهى، فإن الجائر أو الجاهل يقول كلَّ ما يمكنه أن يقول من حقٍّ وباطل، ولا انضباط لقوله، وإذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، ومن أراد أن يعرف الحق في هذا فليقرأ ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأحفاده والعلماء، حتى يتبين له الحق إذا كان منصفًا ومريدًا للحق.

ثم إن المدائح النبوية التي يُشير إليها الأخُ مدائحُ لا شك أن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- لا يرضى بها، بل إنما جاء بالنهي عنها والتحذير منها، فمن المدائح التي يحرصون عليها، ويتغنون بها، ما قاله الشاعر:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وأشباه ذلك مما هو معلوم، ومثل هذا -بلا شك- كفرٌ بالرسول ﷺ، وإشراكٌ بالله -عز وجل-، فإن رسول الله ﷺ بشر، لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله -عز وجل-، والدنيا وضرتها -وهي الآخرة- ليست من جُود رسول الله ﷺ، بل هي من خلق الله -عز وجل-، هو الذي خلق الدنيا والآخرة، وهو الذي جاد فيهما بما جاد على عباده -سبحانه وتعالى-، وكذلك علم اللوح والقلم ليس من علوم الرسول -عليه الصلاة والسلام-، بل إن علم اللوح والقلم إلى الله -عز وجل-، ولا يعلم منه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- إلا ما أطلعه الله عليه.

هذا هو حقيقة الأمر، وهذا وأمثاله هي المدائح التي يتغنَّى بها هؤلاء الذين يدعون أنهم معظمون لرسول الله ﷺ، ومن العجائب أن هؤلاء الذين يدعون أنهم معظمون لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- تجدهم معظمين له كما زعموا في مثل هذه الأمور، وهم في كثيرٍ من سُنته فاترون معرضون، والعياذ بالله.

فأنصح هذا الأخ، الذي يسأل هذا السؤال، بأن يعود إلى الله -عز وجل-، وأن لا يُطرِي رسول الله ﷺ كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وأن يعلم أن رسول الله ﷺ بشر يمتاز عن غيره بالوحي الذي أوحاه اللهُ إليه، وبما خصَّه الله به من المناقب الحميدة، والأخلاق العالية، ولكنه ليس له من المتصرف في الكون شيء، وإنما المتصرف في الكون، الذي يُدعَى ويُرجَى ويُؤَلَّه، هو الله -عز وجل- وحده لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون.

***

(٥٨٩) يقول السائل ع. ع. م. وهو مصري يعمل بالعراق: **ومن خلال متابعتي الدائمة لبرنامجكم الكريم، وخلال إجابة الأسئلة الخاصة بالتصوف، سمعت إجابات مختلفة من أساتذة أفاضل، وقد أجمعوا تقريبًا على ذم هذا الأمر بدون استثناء، وإني لأعجب أشد العجب من ذلك؛ لأن في اعتقادي -والله أعلم- أن الأحكام في ديننا العظيم لا تأتي على التعميم في أمور الدين، فمثلًا إذا كان هناك شخصُ سَوْءٍ في مكان ما لا يمكن أن أحكم على جميع من فيه بأنهم أشرار، فعندما نحكم على التصوف بأنه سيئ هل معنى ذلك أن التصوف -بوصفه مبدأ- سيئ؟ أم هناك من يَدَّعِي الصوفية، وهو ليس من أهلها؟ وإذا كان التصوف كذلك فماذا نقول عن أئمة التصوف، الذين أفادونا في الدين أعظم إفادة من خلال علمهم وعملهم؛ أمثال: الإمام الغزالي، وكذلك ابن عطاء الله، وعبد القادر الجيلاني، والشيخ السنوسي، وزواياهم معروفة، وفي العصر الحديث الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله. وماذا يقول الدين عن التصوف في أبسط معانيه التي نفهمها، وهو يتمثل في الزهد في الدنيا، مع عدم ترك ما أحل الله لعباده، وإخلاص العمل والنية لله تعالى، وذكره كثيرًا واستغفاره وحمده، مع نبذ كل ما يلتصق بالدين والتصوف من خرافات وبدع وأشياء تؤدي إلى الكفر، أعوذ بالله من ذلك؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا السؤال مطول متداخل، وفيه شيء يحتاج إلى تصنيف:

فالذين سمعهم يذمون التصوف ويطلقون إنما يريدون أن إثبات طريقة على نحو معين تنفرد عن طريقة أهل السنة والجماعة، هذا من حيث هو مذموم بلا شك، فالذي ينبغي لجميع المسلمين أن يكونوا طائفة واحدة؛ ألا وهي طائفة السلف الصالح، أهل السُّنة والجماعة، سواء كان ذلك في العقيدة، أم كان ذلك في الأعمال الظاهرة؛ وهي أعمال الجوارح، فالذي يُذَم مطلقًا أن تحدث طريقة معينة يقال لها: هذه طريقة القوم؛ إذ إن كل طريق، أو كل طريقة، تخالف ما كان عليه النبي ﷺ فإنها مذمومة مهما كانت.

أما بالنسبة للأعمال التي تحدثها هذه الطائفة فإنه ينظر فيها؛ فإن وافقت ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- فهي حق، لكن لا ينبغي أن يقال: إنها من طريق الصوفية، أو من صنع الصوفية، أو من تنظيم الصوفية، أو ما أشبه ذلك، بل يقال: هذه سنة الرسول ﷺ ولا تنسب إلى هذه الطائفة بعينها، وحينئذ يخرج من اللقب الذي قد يوجب الذم.

وأما ما يتعلق بالزهد في الدنيا؛ فلا ريب أن الزهد بالدنيا الذي لا يتضمَّن ترك ما أحل الله -عز وجل-، أو لا يتضمن ترك ما ينفع في الآخرة، لا ريب أنه محمود، وأن الإنسان ينبغي له أن تكون الدنيا وسيلة إلى الآخرة، لا يكون كل همه وقصده بالدنيا، والإنسان إذا أراد الدنيا فقط فإنه قد يضيع الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وأما الأذكار والأوراد التي أحدثها أهل التصوف؛ فلا شك أن ما خالف الشرع منها بكيفيته، أو وقته، أو عدده، أو سببه، فإنه بدعة يُنكَر على صاحبه؛ لأنه لا تكون العبادة عبادة حتى يقوم دليل شرعي على الأمور التالية: على سببها، وجنسها، ونوعها، وهيئتها، وزمانها، ومكانها، وقدرها. فإذا لم يكن دليل على هذه الأمور فإنها تكون بدعة، ويكون فيها من البدع أو من البدعية بحسَب ما فارقت السُّنةَ فيه.

***

(٥٩٠) يقول السائل الخليفة مهدي عبد الستار من العراق من محافظة صلاح الدين: إني مهدي عبد الستار أحد خلفاء الطريقة الرفاعية، سؤالي حول موضوع الطرائق الصوفية: إني سمعت من فضيلة العلماء أنهم يشكون في الطرائق في برنامجكم هذا، ويقول بعض العلماء: إن الطريقة بدعة، حيث إنها لم ترد عن رسول الله ﷺ، حيث إني أخذت الطريقة عن شيخي، وإن شيخي أخذ الطريقة عن أبيه، وأخذها أبوه عن جده، وهكذا إلى سيدنا الكبير سيد أحمد الرفاعي. أما السيد أحمد الرفاعي فهو ابن السيد سلطان بن علي، وستة أظهر ينتسب إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو الذي له الطريقة الرفاعية وتُنسَب إليه، وهو الذي أسس ضرب الحراب والسيوف، والدخول في النار، وعمل الرفاعي، فكيف تنكرون هذا، وقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقد خصَّ اللهُ سيد أحمد الرفاعي بالكرامات والشواهد التي جاءت بها الكتب الصوفية، مثل قوله أمام حضرة الرسول ﷺ: يا مصطفى أنت من أسرار منزلها إلى آخره... فمد يدك، أو فمد يمينك، لأقبلها لكي تحظى بها شفتي. وظهرت يد الرسول فقبلها سيد أحمد الرفاعي، هل هذا حق؟ أفتونا فيها وشكرًا لكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة مسألة عظيمة، وهي مسألة الطرق التي ابتدعها مَن ابتدعها بواسطة الدعاية له، إما من جهة النسب، ودعواه أنه يتصل بنسب شريف، وإما من جهة ما يدعيه من الكرامات التي اختصه الله بها، فيلبس بذلك على عامة الناس، ويبتدع في دين الله تعالى ما ليس منه.

ونحن نذكر جملة عامة أمام الطريقة الرفاعية وغيرها، فنقول: إن الله -تبارك وتعالى- جعل المشرِّعين في دين الله تعالى ما ليس منه، جعلهم بمنزلة الأصنام اللاتي تتخذ من دون الله تعالى شركاء، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. واليهود والنصارى

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله؛ لأنهم تابعوهم في تشريع ما يخالف شريعة الله -سبحانه وتعالى-، ورسول الله ﷺ حذر من البدع تحذيرًا بالغًا، حتى إنه في خطبة الجمعة يحذر منها ويقول: « **وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وهذه الطرق التي يبتدعها أهلها ليتقربوا بها إلى الله، ولم تكن في سنة النبي ﷺ، نقول عنها: إنها بدع محرمة، وإنها لا تزيدهم من الله إلا بعدًا، وإن ما يدَّعُونه من نَسضب شريف، أو من كرامات يختصهم الله بها، فإنه لا أساس لها من الصحة، ما داموا مخالفين في ذلك لشريعة النبي ﷺ، فإن الكرامات لا تكون إلا لأولياء الله -سبحانه وتعالى-، وأولياء الله -تبارك وتعالى- بينهم الله سبحانه في كتابه في قوله: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

فنحن نعرض حال هذا الرجل الذي يدَّعِي الكرامات، نعرضها على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فإن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، ومن أعظم التقوى أن يتقي الإنسان البدعة في دين الله؛ بأن يشرع في دين الله ما ليس منه، فإذا عُلِم أن الرفاعي، أو غيره من زعماء البدع، ابتدعوا طريقة ليس عليها رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون، عُلم أنها طريقة بدعية ضالة، وأنه لا يجوز التمسك بها، وأن ما يدَّعون من كرامات فليست بكرامات في الحقيقة، وإنما هي أشياء يُموِّهون بها على العامة يتخذونها بطرق حسية، لا بطرق إلهية غيبية، ويدَّعون أنها الكرامات، فالدخول في النار مثلًا هناك أشياء يستعملها الإنسان، فيُدْهَن بها، ويدخل بها النار، ولا يحترق، فيأتي هذا الرجل الذي يدعي أنه ولي، وأنه يدخل في النار ولا تضره، كما دخل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- النار ألقي فيها، ولم تضره، يُدهَن بهذه الأشياء المضادة للاحتراق،

---

(١) تقدم تخريجه.

لكنه لا يُدهَن بها أمام هذه العوام، بل يُدهَن بها خفية، ثم يأتي أمام الناس، ويدخل في النار، ويزعم أنه ولي لم يحترق بالنار، إلى غير ذلك مما يفعله المشعوذون.

فإذا قال هذا الرجل: إن ما حصل هو كرامة من الله -عز وجل-، فإنما يجب أن ننظر حاله؛ إن كان مؤمنًا تقيًّا فإن ما ادعاه من الكرامات قد يكون حقًّا، وإن كان ليس بمؤمن تقي، بل هو صاحب بدعة وخرافة، وتشريعات لم يأذن بها الله -عز وجل- علمنا أنه كاذب، وأنه ليس من أولياء الله، بل هو من أبعد الناس عن ولاية الله -سبحانه وتعالى-.

هذه جملة عامة أزفها للرفاعية ولغيرهم من أهل البدع، وإنني أناشدهم الله -عز وجل- أن يرجعوا إلى دين النبي ﷺ وإلى شريعته، وأن يعلموا أن دين الله تعالى كامل، وأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. وليعلم كل مبتدع أنه -مع تحريم سلوكه وابتداعه- هو مُتنقِّص لدين الله -عز وجل-، حيث زعم أن ما ابتدعه مما تدعو الحاجة إليه في دين الله -عز وجل-، وهذا معناه أن دين الله تعالى ناقص، ويكون بهذا مكذبًا لقول الله -عز وجل-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكل ما خالف هذا الدين الذي أكمله الله على يدي رسوله ﷺ فإن الله لا يرضاه، فإن الله يقول: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. فقط، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥]. فكل بدعة فإنها ليست من الإسلام بشيء.

فأناشد هؤلاء الذين يسلكون هذه الطرق من الرفاعية والقادرية والنقشبندية وغيرهم، أناشدهم الله -عز وجل- أن يرجعوا إلى دين الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وأن يعلموا أنهم ملاقو الله -عز وجل- ومحاسبهم على

ذلك، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦]. وليتأملوا كثيرًا قول الله -عز وجل-: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. إلى أن قال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولو أن المسلمين اجتمعوا على السنة، ولم يتفرقوا شيعًا في عقائدهم ومناهجهم وسلوكهم، لو أنهم اجتمعوا على ذلك لحصل للأمة الإسلامية من النصر والتأييد والعز والتمكين ما لم يكن مما هم عليه اليوم من الوضع المشين، وذلك بسبب بعدهم عن دينهم، وتمسكهم به. والله أسألُ أن يصلح المسلمين وولاة أمورهم وبطانتهم، إنه جواد كريم.

يقول السائل: لكن بالنسبة لرؤية يد الرسول ﷺ كما ذكر هذا الشخص، وتُرى مثلًا واضحة أيضًا أمام الحضور، هذا أيضًا نريد التعليق عليه.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا نقول: إن هذه القصة، بل وكل قصة وكل خبر، فإنه لا يغني ثبوته إلا إذا وصل إلينا من طريق العدول، ثم إذا وصل إلى غاية السند فإننا ننظر أيضًا من هو هذا الرجل الذي تحدَّث بأنه رأى الرسول ﷺ؟ هل هو مقبول الخبر أم غير مقبول الخبر؟ ثم كذلك أيضًا ننظر كيف رأى النبي ﷺ، أو شيئًا من جسمه -عليه الصلاة والسلام-؟ هل هو على الوصف المعروف، الذي ثبت من أوصاف الرسول ﷺ أم لا؟ لأن من رأى النبي ﷺ في المنام فقد رآه حقًّا، ومن رآه حقًّا فإنما يكون على حسَب ما هو عليه في الحياة الدنيا ﷺ، ثم إن من رأى يدًا، قيل له -أو وقع في نفسه- إنها يد الرسول -عليه الصلاة والسلام- فليس بِمُسلَّم أن تكون هي يد الرسول ﷺ؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا رُئِيَ فإنما يرى على الوصف الذي هو عليه، وهذه القصة كما قلتُ أولًا يُشَكُّ في خبرها، ويشك في المُخْبِر بها، ويشك أيضًا فيما رآه، فليست بمُسلَّمة إطلاقًا.

❁❁❁

۞ الأولياء ۞

(٥٩١) تقول السائلة أ. م.: ما صفات أولياء الله؟ وكيف يكون المسلم وليًّا لله -عز وجل-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولياء الله -تبارك وتعالى- هم الذين تولوا أمره، وقاموا بشريعته، وآمنوا به -جل وعلا- وكانوا من أنصار دينه، وقد بين الله ذلك في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فهؤلاء هم أولياء الله، الذين آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. آمنوا إيمانًا تامًّا ويقينًا صادقًا، وكانوا يتقون؛ يتقون معاصي الله، فيقومون بالواجب، ويَدَعون المحرم، فهم صالحون ظاهرًا وباطنًا.

وما أجملَ العبارةَ التي قالها شيخ الإسلام رحمه الله: «من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا». ومن ولاية الله الحب في الله، والبغض في الله؛ بأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويبغض المرء لا يبغضه إلا لله.

وأما ما يذكره بعض الناس، الذين يدَّعون أنهم أولياء، وهم فسقة فجرة، فهذا كَذب وخِداع، وقد يُجْرِي الله على أيدي هؤلاء من خوارق العادات ما يكون به فتنة، والخوارق هذه التي تأتي لغير الأولياء إنما هي من الشياطين، تأتي للمرء بأخبار الناس، أو تحمله في الهواء، أو ما أشبه ذلك، ويقول: هذا من ولاية الله. وكل من ادعى ولاية الله، ودعا الناس إلى تعظيمه وتبجيله، فليس من أولياء الله؛ لأن هذا تزكية للنفس، وإعجاب بها، وتزكية النفس من المحرمات، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. أي: لا تدَّعوا زكاءها، قد يدعي الإنسان أنه زَكِيٌّ، أو يتصور أنه زكي، وهو ليس كذلك. وأما قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]. فليس المراد من زَكَّاها بلسانه، وقال: إنه زكي. أو اعتقد زكاءه

بقلبه، وإنما المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[الشمس: ٩]. أي: فعل ما به تزكو نفسه.

وإنني بهذه المناسبة أحذر إخواني، الذين عندهم من يدعي الولاية، وهو أبعد الناس عنها لمحادته الله ورسوله، فليحذر إخواني من هؤلاء وأمثالهم أهل الشعبذة واللعب بعقول الناس، فإنهم لا ولاية لهم عند الله -عز وجل-.

***

(٥٩٢) يقول السائل: في هذا الزمن كَثر من يدعي أنه من أولياء الله بحقٍّ، أو بغير حق، فهل هناك تحديدٌ أو صفاتٌ معينة بأولياء الله، لكي نفرق بين الولي والدجال؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هناك تحديدٌ؛ لا تحديد أوضح منه، ولا أبين منه، وهو ما ذكره الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]. فهؤلاء هم أولياء الله، الذين جمعوا بين الإيمان الحقيقي في قلوبهم والتقوى الحقيقية في ظواهرهم، فهم أصلحوا البواطن والظواهر، فإذا رأيت الإنسان مؤمنًا بالله -والإيمان له علامات ظاهرة- متَّقِيًا الله فهذا هو الولي، وإذا رأيتَه دجالًا كَذابًا فهذا ليس بولي، وإن ادعى الولاية.

***

(٥٩٣) يقول السائل من المغرب: أسمع عن الأولياء، وأسمع عن الكرامات التي تحصل لبعض الأتقياء، فهل لكم أن تحدثونا عن صحة ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا يجب أن نعلم من هم أولياء الله؟ فنقول: أولياء الله تعالى من ذكرهم الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، سواءٌ أشهره العامة وزعموه وليًّا، أم كان خفيًّا على الناس لا يحب أن يَظهر، فالولي هو المؤمن التقي هذه واحدة.

ثانيًا: هل لكل وليٍّ كرامة؟ والجواب: لا، ليس لكل وليٍّ كرامة، بل من الأولياء من يعطيه الله تعالى كرامة محسوسة، يشهدها بنفسه، ويشهدها الناس، ومن الناس من يجعل الله كرامته زيادة إيمانه وتقواه، وهذه الكرامة أعظم من الكرامة الأولى الحسية؛ لأن هذه الكرامة أنفع للعبد من الكرامة الأولى؛ إذ إن الكرامة الأولى سببٌ لزيادة الإيمان والتقوى، وأما زيادة الإيمان والتقوى فهي الغاية، ولهذا نجد أن الصحابة رضي الله عنهم تَقِل فيهم الكرامات بالنسبة للتابعين؛ لأن كرامات الصحابة في زيادة إيمانهم وتقواهم، والتابعون ليسوا مثل الصحابة في ذلك، ولهذا كثرت الكرامات في عهدهم أكثر من الكرامات في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

والكرامات إما:

أن تكون في المكاشفات والعلوم.

وإما أن تكون في ظهور التأثيرات والقدرات.

فأما في المكاشفات: فكأن يُكشَف للإنسان عن شيء لا يعلمه غيره، كما ذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يخطب الناس يوم الجمعة على منبر رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فسمعه الناس يقول: الجبلَ يا سارية، الجبلَ يا سارية! فتعجبوا من ذلك، فكان الأمر أن أحد القواد حوصر في مواجهةٍ بينه وبين أعدائه، فكشف لعمر رضي الله عنه، عنه وهو على المنبر فخاطبه، قائلًا: الجبلَ يا سارية! فسمعه القائد، فانحاز إلى الجبل، فهذا توجيه من القائد الأعلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائد السرية أو الجيش من مكانٍ بعيد وسمعه، وليس في ذلك الوقت تليفونات هوائية ولاسلكية، ولكنها قدرة الله -عز وجل-، هذه كرامة في المكاشفات، كشف الله له ما لم يكن لغيره.

وتكون الكرامة في العلم: بأن يفتح الله على الإنسان من العلم ما لا يفتحه على غيره، ومن هؤلاء فيما نظن ما فتح الله به على شيخ الإسلام ابن

تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلم العظيم؛ العلم بالنقل، والعلم بالعقل، حتى إنك لتكاد أن تشك في هذه القدرة العظيمة التي أقدره الله عليها، وفتح الله عليه من العلم.

ومن ذلك أيضًا الكرامة في القدرة؛ بأن يجعل الله تعالى للإنسان قدرةً لم تكن لغيره، ومن ذلك ما يُذكَر في غزوات سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنه كان يغزو الفرس، فيفتح الله عليه بلادهم بلدًا بعد بلد، حتى وصل إلى نهر دجلة، فلما وصل إلى النهر وجد أن الفرس قد أغرقوا السفن، وكسروا الجسور، وهربوا إلى الجانب الشرقي من النهر، فتوقَّف سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ماذا يصنع؟ فدعا سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان ذا خبرة في أحوال الفرس، وما يصنعونه عند القتال، فاستشاره -أي: إن سعدًا استشار سلمان الفارسي- ماذا يصنع؟ فقال له: يا سعد ليس هناك شيء يمكن أن نصنعه، إلا أن ننظر في الجيش؛ هل عندهم من الإيمان والتقوى ما يُؤهِّلهم للنصر أم لا؟ فدَعْني أسبر القوم، وأنظر حالهم. فأمهله سعد، فجعل يذهب إلى الجيش، ويتفقَّد أحوالهم، وينظر أعمالهم، فوجدهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالليل يبيتون لربهم سُجَّدًا وقيامًا، وفي النهار يصلحون أحوالهم، ويستعدون للقتال، فرجع بعد ثلاثٍ إلى سعد بن أبي وقاص، وأخبره الخبر، وقال: إن قوم موسى ليسوا أحق بالنصر منا، فقد فلق الله لهم البحر، وأنجاهم من فرعون وقومه، ونحن سوف نعبر هذا النهر بإذن الله. فأذَّن سعدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالرحيل والتقدم إلى النهر، وقال: إني مكبرٌ ثلاثًا، فإذا كبرت الثالثة فسموا واعبروا. ففعلوا، فجعلوا يدخلون الماء كأنما يمشون على الصفا؛ خيلهم ورجلهم وإبلهم، حتى عبروا النهر، وهو يجري يقذف بزبده، فلما رآهم الفرس قال بعضهم لبعض: إنكم لا تقاتلون إنسًا، وإنما تقاتلون جنًا! فهربوا من المدائن -وهي عاصمتهم- حتى دخلها المسلمون، وفتح الله عليهم، هذه كرامة، قدروا على أمرٍ لا يَقْدِر عليه البشر بمقتضى قدراتهم؛ حيث خاضوا الماء والنهر يمشي، هكذا ذكر المؤرخون هذه القصة.

هذه كرامة في القدرة، وقصة عمر كرامة في المكاشفات؛ بأن الله يكشف له ما لا يدركه غيره.

ومن الكرامات ما حصل لمريم -عليها السلام- حين حملت بعيسى ابن مريم ﷺ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فجلست إلى هذا الجذع وقالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣-٢٥]. قال: هزي إليك، وهي امرأة ماخض تهز بجذع النخلة، فيهتز فرعها، ومن المعلوم أن الهز بجذع النخلة -حسَب العادة- لا يمكن أن يهتز به فرع النخلة، لكن فرع النخلة اهتز، وتساقط منه الرطب، والنخلة لا شك أنها فوق قامة الإنسان؛ لأنها لو كانت بقدر القامة لتناولت الرطب بيدها، هذا من آيات الله، وهو من كرامة مريم -عليها السلام-.

***

(٥٩٤) يقول السائل ي. ح. من جمهورية مصر العربية من طنطا يقول: نسمع عن الكرامات لبعض الناس، ونسمع كثيرًا في بلدنا عن هذا الموضوع بأن هذا الرجل من أولياء الله الصالحين. فما حكم ذلك أيضًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الكرامات: خوارق للعادة يجريها الله -عز وجل- على يد الرجل الصالح، تكريمًا له، أو إقامة دليل على أن ما عليه فهو حق. فالكرامات إما لمصلحة الشخص نفسه، أو لمصلحة الدين، ولكنها لا تكون إلا للأولياء المتقين، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فهذا هو الولي الذي قد يظهر الله على يديه من الكرامات ما يدل على صدقه وصحة منهجه، وهذه الكرامات موجودة في الأمم السابقة، وموجودة في هذه الأمة، ولا تزال موجودة فيها إلى يوم القيامة.

فمن الكرامات للأمم السابقة ما جرى لمريم بنت عمران؛ حينما حملت

بعيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٣-٢٥]. فأنت ترى هذه الكرامة؛ امرأة حامل، في فلاة من الأرض، أتاها المخاض، فيسَّر الله لها هذا الطعام والشراب: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، وفي الطعام قال: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. وهي امرأة نفساء، والمرأة ضعيفة، تُؤمَر بأن تهز بجذع النخلة، لا في رأسها، والهز بالجذع لا يحرك النخلة، لكن كرامة لها تحركت النخلة، ثم لما تحركت تساقط الرطب رطبًا جنيًّا، لم يتأثر بسقوطه على الأرض، مع أن الغالب أن الرطب إذا سقط من أعلى فإنه يفسد، يتمزق بسقوطه على الأرض، لكن هذا الرطب الذي تساقط على مريم تساقط عليها رطبًا جنيًّا، لم يتأثر بالأرض، ولم يتمزق بها، قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦]. يعني: كلي واشربي قريرةَ العين، من غير خوف ولا حزن، هذا من الكرامة.

ومن الكرامات في الأمم السابقة ما جرى لأصحاب الكهف؛ فهم فتية آمنوا بربهم، كَرِهوا ما عليه قومهم من الشرك بالله -عز وجل-، خرجوا عن البلد، فأووا إلى غار، وناموا به، أتدري كم ناموا؟ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، وهم نيام، لا يحتاجون إلى أكل، ولا إلى شرب، ولا إلى بول، ولا إلى غائط، ولم تتمزق ثيابهم، ولم تَنْمُ شعورهم ولا أظفارهم، بل بقوا على ما هم عليه كل هذه المدة، يقلبهم الله تعالى ذات اليمين وذات الشمال؛ لِئلَّا يتحجَّر الدم على اليمين إن بقوا على اليمين دائمًا، أو على اليسار إن بقوا على اليسار دائمًا، ثم إنهم في كهف: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]، فلا تدخل عليهم الشمس فيسخنون، ولا يفسدون من الحر ولا من البرد، وهذه آية من آيات الله -عز وجل-، كرامة من كرامات الله.

ومن الكرامة كرامات هذه الأمة ما يذكر عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه أرسل سرية إلى العراق، وعليها رجل يقال له: سارية بن الجمير، فحصره العدو، فكشف لعمر بن الخطاب ﵁ وهو يخطب الناس يوم الجمعة عن حال هذا القائد، فسمعه الناس يقول: الجبلَ يا سارية، الجبلَ يا سارية! فسمع ذلك سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل، فسَلِم، وصارت العاقبة للمسلمين. نقول: فأنت ترى الآن كرامة واضحة بالنسبة لعمر وبالنسبة لسارية؛ عمر ﵁ كلم الرجل سارية، وسارية سمع كلامه، وليس هناك هاتف ولا برقية، ولكنها قدرة الله -عز وجل-.

وإذا أردت أن تعرف هذه الكرامات فراجع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀، الكتاب المسمى: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان». وليعلم أن كثيرًا ممن يَدَّعِي الولاية اليوم تكون دعواه كذبًا؛ لأنك إذا فَتَّشت عن حاله وجدتَه من أعداء الله، لا من أولياء الله، فكيف يدعي أنه وليٌّ لله، ونراه يُجرِي على يديه الكرامات؟ فإن قال قائل: نعم، إنه تجري على أيديهم خوارق. قلنا: هذا من أعمال الشياطين؛ تعمل لهم الخوارق؛ من أجل أن يضل الناس بغير علم، بل من أجل أن يضل الناس عن علم.

ولهذا نقول: إن الكرامة لا تكون إلا لولي، والولي بينه الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]. فأنت إذا أردت أن تزن الرجل، وهل هو ولي أم عدو، فعليك بهذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فإذا كان مؤمنًا تقيًّا فهو ولي، وإلا فهو دَعِيٌّ وليس بولي.

***

(٥٩٥) يقول السائل: **سؤالي عن الكرامات والولاية، أرجو من فضيلة الشيخ أن يبين لي النقاط التالية: ما عليه الناس اليوم من إطلاق لفظ الولاية على كل إنسان.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الولاية لا يصح إطلاقها إلا على حسب الوصف الذي جاء في كتاب الله -عز وجل-، وقد بين الله تعالى في كتابه؛ حيث يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فبين الله -سبحانه وتعالى- أن ولايته لا تنال إلا بهذين الوصفين:

أولهما: الإيمان بما يجب الإيمان به.

ثانيهما: التقوى.

ففي الوصف الأول صلاح القلب، وفي الوصف الثاني صلاح الجسد.

فمن ادعى ولاية الله -عز وجل- وقد فاته الوصفان، أو أحدهما، فإنه كاذب، فلو وجدنا شخصًا يُجِيز لنفسه أن يركع الناس له، وأن يسجد الناس له، أو يجيز لنفسه أن يستخدم الشياطين بأنواع من الشرك، ثم يدعي بعد هذا أنه ولي لله، فإننا نقول له: إنك كاذب؛ لأن أعمالك هذه تنافي الإيمان والتقوى، وما يحصل على يديه من خوارق العادات فإن ذلك لخدمة الشياطين له؛ لأن الشياطين تَقْوَى على ما لا يقوى عليه البشر، فيستخدم الشياطين لينال مأربه في إضلال عباد الله عن سبيل الله. وعلى هذا فمَن ادعى الولاية، ولم يكن متصفًا بالوصفينِ اللذين ذكرهما الله -عز وجل-، وهما: الإيمان، والتقوى، فإنه كاذب في دعواه.

***

(٥٩٦) يقول السائل أيضًا: مَن يُطلَق عليهم الأولياء اليوم عند الصوفية وما ينسب إليهم من الكرامات الباطلة، ما قولكم فيهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه فقرة بينها جواب الفقرة التي قبلها: فما ينسب إليهم من الكرامات، وهم على ضلال، فإنها إهانات في الحقيقة، وليست بكرامات؛ لأنها استدراج من الله -عز وجل- لهم، وهي في الحقيقة ليست كرامة، بل هي مما يخدمهم بها الشياطين من أجل إضلال عباد الله.

***

(٥٩٧) يقول السائل ع. أ. أ. وهو سوداني مقيم بالرياض: يوجد لدينا في السودان فئة من الناس تسمي نفسها أهل بيت النبي ﷺ، وهذه الفئة تقوم بأعمال لا أصل لها في الشرع؛ حيث إنهم يزعمون أنهم أولياء صالحون، ومن وقت لآخر يطوفون في ربوع أرجاء الوطن، ويستقبلون من العامة بالهتافات والترحيب، فيقدمون لهم الهدايا والقرابين -مع العلم أنهم في أشد الحاجة إليها- معتقدين أنها تعود عليهم بالبركة والخير من هذه الفئة، فهل يوجد في زماننا هذا بقية لأهل بيت النبي ﷺ؟ وهل هذه الأعمال التي يقومون بها جائزة؟ وكذلك المظاهر التي يقابلون بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: بكل بساطة نقول لهؤلاء المدعين أنهم من نَسْل رسول الله ﷺ: أَكِّدوا لنا ذلك ببرهان قاطع من الناحية التاريخية. ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ لم يَبْقَ له أولاد بلغوا وتزوجوا وأنجبوا، وإنما أولاده الذين ينسبون إليه ليسوا من أولاده لصلبه.

وعلى هذا فنقول لكل من ادَّعَى أنه من آل البيت من هؤلاء: أكدوا لنا ذلك من الناحية التاريخية. فإن عجزوا عن الإثبات تبيَّن بطلان قولهم وكذبهم، وإن ثبت ذلك من الناحية التاريخية فإننا نقول: ليس كونكم من الذرية، أو من آل النبي ﷺ، بِمُجدٍ عنكم شيئًا، إذا لم تكونوا على شريعته، فإن المهم أن تكونوا على شريعة النبي ﷺ، وإذا كنتم على شريعته حقًّا فإن لكم حق الإسلام، وحق القرابة من الرسول ﷺ.

ومجرد القرابة من رسول الله ﷺ لا تُغنِي شيئًا، فهذا أبو لهب عم النبي ﷺ أخو أبيه، لم يُغْنِ عنه قربه من النبي ﷺ شيئًا، بل أنزل الله تعالى سورة كاملة من القرآن في فضيحته إلى يوم القيامة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥].

والحاصل: أننا نحتاج في هذه الدعوى إلى إثباتها من الناحية التاريخية، ثم

إذا ثبتت ننظر إلى حال هؤلاء؛ فإن كانوا صالحين حقًّا يتمشون على شريعة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا فإن لهم حق الإسلام، وحق القرابة من الرسول ﷺ، وإن لم يكونوا كذلك فإنهم دجالون، ولا يستحقون شيئًا، ولا بركة في أعمالهم، ولا في أحوالهم.

والظاهر ما دام هؤلاء الجماعة يمشون على القرى وعلى السُّذَّج من الناس، ويدعون ما يدعون، الظاهر أنهم كاذبون فيما ادعوا؛ لأنهم غير مستقيمين أيضًا على ما ينبغي منهم في شريعة الله -سبحانه وتعالى-، وحينئذٍ فلا يستحقون شيئًا من التعظيم أو الإكبار، أو إتحافهم بالهدايا وغيرها.

***

(٥٩٨) يقول السائل أ. أ.: هل صحيح أن الصالحين والأولياء تنكشف لهم من أسرار القرآن ما لا ينكشف لغيرهم، وما ليس موجودًا في كتب التفاسير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هناك أحد مخصوص بفَهم القرآن، بل فهم القرآن يكون لكل مسلم، لكن كل من كان بالله أعلم، وله أتقى، كان أقربَ إلى فَهم القرآن؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[محمد: ١٧]. ولما قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**»(١).

لكن هناك أناس يدعون أنهم أولياء، وأنه يُفتَح لهم في القرآن معانٍ باطنةٌ لا يعرفها أحد، ويجعلون ألفاظ القرآن رموزًا وإشارات لمعانٍ لا تُفهَم من ألفاظ القرآن بمقتضى اللغة العربية، ولا بمقتضى الحقيقة الشرعية، وهم الذين

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم (٣٠٤٧).

يسمون أنفسهم أهل العلم بالباطن، فهؤلاء لا يُقبَل قولهم في تفسير القرآن؛ لأنه كذب على الله -تبارك وتعالى-، فهم فسَّروا كلامه بما لا يدل عليه باللسان الذي نزل به وهو اللغة العربية، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]. وقال الله -تبارك وتعالى- في القرآن الكريم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. أي: بلغة عربية فصيحة.

وإنني بهذه المناسبة أحث إخواني -ولا سيما طلبة العلم- على الحرص على فهم معاني القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم نزل للتعبد بتلاوته، ولتدبر معناه والعمل به، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]. وكثير من طلاب العلم حريصون على فهم السنة، التي وردت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، بحثًا وتدقيقًا ومراجعة لكلام العلماء، ولكنهم مقصرون في تفسير القرآن وفهمه، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا قرءوا عشر آيات من كتاب الله لا يتجاوزونها حتى يتعلموها، وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

إني أكرر الوصية لإخواني طلاب العلم أن يعتنوا بفهم القرآن الكريم، وأن يراجعوا عليه كلام العلماء في تفاسيرهم، وأعني بالعلماء العلماءَ الموثوق بهم؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، وكتب الشوكاني، وما أشبههم، وكذلك تفسير شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله، وإن كان يوجد في مثل تفسير القرطبي بعض الشيء الذي ليس على ما ينبغي، وكذلك يوجد في تفسير ابن جرير آثار ضعيفة، لكن البصير يعرف كيف يتصرف.

***

(٥٩٩) يقول السائل: إذا مات شخص صالح وليٌّ هل ينفع أو يضر بعد موته، إذا تُوفِّي هل ينفع الناس أو يضرهم؟ أو ماذا يكون بعد وفاته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن أحق الناس بالولاية وأعظمهم ولاية هو النبي ﷺ، وقد قال الله له آمرًا إياه أن يبلغ الأمة؛ بأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، وقد قال -تبارك وتعالى-: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾[الأعراف: ١٨٨]. وأمره كذلك أن يقول للناس بأنه لا يملك لهم مثل ذلك، فقال: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[الجن: ٢١]. فإذا كان هذا في أعظم الناس ولاية، وأقربهم من الله -تبارك وتعالى-، وهو محمد ﷺ فما بالك بمن دونه من الأولياء؟ فكل ولي، أو نبي، أو ملك، فإنه لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، والذي يملك ذلك، ويدبر الخلق، هو الله -عز وجل-.

فإذا كان الولي لا يملك الضرر ولا النفع في حياته، فكذلك أيضًا لا يملك النفع ولا الضرر بعد موته، من باب أَوْلى، لهذا الأولياء ليس لهم حق في تدبير الكون، ولا في نفع الخلق، ولا في ضرر الخلق، والواجب على الإنسان أن يعلق ذلك بالله -عز وجل- وحده؛ لأنه هو المالك له.

ثم إنني أقول لهذا الأخ ولغيره: إنه يجب التحقق من انطباق وصف الولاية على من يوصف بها، فقد يقال: هذا وليٌّ لله، وهو عدو لله -عز وجل-؛ لأنه يُضِلُّ الناس، ويصدهم عن دين الله الحق، ويغريهم بما يكون على يديه من الخرافات والخزعبلات وغيرها، وميزان الولاية هو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣].

فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، فإذا قيل عن شخص ما: إنه ولي، نظرنا في إيمانه وفي تقواه لله -عز وجل-، وهل هو مستقيم على شريعة الله -عز وجل-، حريص على اتباع النبي ﷺ، منفِّذٌ لشرع الله تعالى في قوله وفعله؟ وإلَّا فإنه ليس لله بولي، وإن زعم أنه ولي، فإذا كان يأتي بأمور محدثة في العبادة،

أو في العقيدة ويزعم أنه ولي، فهو كاذب في زعمه هذا؛ لأنه ليس بتقي، والولي هو المؤمن التقي.

***

(٦٠٠) يقول السائل: ما رأيكم فيما يعتقده بعض الناس في الأولياء من النفع والضر، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، سواء الأحياء أم أصحاب القبور؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الاعتقاد باطل؛ لأن الذي بيده النفع والضرر وكشف الكربات هو الله -عز وجل- وليس الأولياء، فالأولياء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن غيرهم، سواء كانوا أحياء أم أمواتًا، وإنما الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء هو الله -عز وجل-، فإذا كان الأنبياء -وهم سادات الأولياء، وفوق مرتبة الأولياء- لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فما بالك بغيرهم؟ قال الله تعالى عن نوح: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال الله تعالى لنبيه محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال له: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: ٢١-٢٢]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فالأولياء لا يملكون لأحد شيئًا لا نفعًا ولا ضرًّا، سواء كانوا أحياء أم أمواتًا، فلا يملكون أن يهدوا ضالًّا، ولا أن يُغنوا فقيرًا، ولا أن يَشفُوا مريضًا، وإنما ذلك إلى الله -عز وجل-، هم بأنفسهم إذا أصابهم الضرر لا يملكون دفعه، ولا يملكون رفعه، بل هم عاجزون عن ذلك، فكيف يملكون لغيرهم ذلك؟

***

(٦٠١) يقول السائل: ما حكم الشرع -في نظركم- في زيارة قبور الأولياء والصالحين؟ هل هو محرم؟ وهل يجوز لنا أن نزورهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: يجب أن نعرف من هو الولي؟ الولي بينه الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]. فكل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، وليس كل من ادعى الولاية يكون وليًّا، وهذه نقطة يجب أن يعرفها كل أحد، وذلك لأن بعض الناس يستغفلون العامة، ويدعون أنهم أولياء، وربما يؤيدون دعواهم بخدمة الشياطين لهم، فيظن العامة أن هذا من باب الكرامات، وهو في الحقيقة من باب الإهانات.

ثانيًا: بالنسبة لزيارة القبور؛ زيارة القبور عمومًا مستحبة، فعلها النبي -عليه الصلاة والسلام- وأمر بها، وأخبر عن فائدتها فقال: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**»[(١)]. وفي رواية: «**فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»[(٢)]. والإنسان إذا زار القبر، بل إذا زار القبور، تَذَكَّر الآخرة؛ حيث يتذكر أن هذا هو مثواه، وأنه لا بد أن يحله كما حله من قبله، ويتذكر أن هؤلاء الذين صاروا مرتهنين في قبورهم كانوا بالأمس على ظهر الأرض يمشون عليها، ويتمتعون بما فيها من نعم الله، كما يمشي عليها هو الآن، ويتمتع بما فيها من نعم الله، فيتذكر، ويخاف، ويعمل لهذا اليوم المحتوم الذي لا بد منه، ولهذا كانت زيارة القبور سنة مستحبة.

ولكن يجب أن نعلم أن زيارة القبور ليس من أجل أن ننتفع بزيارتهم انتفاعًا ماديًّا؛ من كشف الكربات، وإغاثة اللهفات، وانتفاء المضرات، ولكن من أجل أن ندعو الله لهم؛ لأننا نقول عند زيارة القبور: السلام عليكم دار قوم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم.

وأما دعاء أصحاب القبور فهو شرك أكبر مخرج عن الملة؛ لأن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا لغيرهم، وأما التبرُّك بترابهم أو التمسُّح بقبورهم فإنه بدعة مُنكَرة، وقد تصل إلى حد الكفر بحسَب اعتقاد الفاعل.

وزيارة القبور سُنة بالنسبة للرجال فقط، أما النساء فلا يُسَنُّ لهن زيارة القبور، بل إن النبي ﷺ **«لَعَنَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ»**[(١)]. ولا يرد على هذا ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أمرها أن تقول: **«السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ»**[(٢)]. فإن المراد بذلك من مَرَّت بمقبرة بدون قصد الزيارة، فإنه لا حرج عليها أن تسلم على أهل القبور، وتدعو لهم، والشأن فيمن خرجت من بيتها إلى زيارة المقبرة فإن هذا حرام عليها، بل من كبائر الذنوب؛ «**لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور**».

***

(٦٠٢) يقول السائل من المملكة المغربية: هل زيارة الأولياء تجوز أم لا؟ وإذا كانت تجوز كيف الزيارة؟ وكيف يكون لنا أن نترحَّم عليهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، أولًا لا بد أن نعلم من هم الأولياء؟ هل الولي من أطال الشَّعَر، وكبَّر العمامة، وزاد في حبات المسبحة، أو ما أشبه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧١، رقم ٢٠٣٠). وأبو داود: كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، رقم (٣٢٣٦). والترمذي: أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا، رقم (٣٢٠). والنسائي: كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، رقم (٢٠٤٣). وابن ماجه: كتاب الجنائز، ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور، رقم (١٥٧٥).

(٢) تقدم تخريجه.

ذلك، مما يصطنعه من يدعون أنهم أولياء أم ماذا؟ الجواب على هذا أن نقول: إن الولي قد بينه الله -عز وجل- في كتابه فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فالولي حقيقةً هو المؤمن بالله -عز وجل-، المؤمن بكل ما يجب الإيمان به، المتقي لله، والتقوى: اتخاذ الوقاية من عذاب الله؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

فإذا علمنا أن رجلًا بهذا الوصف فهو متَّقٍ، وزيارته إن كان حيًّا لا بأس بها، بل قد تكون مطلوبة؛ لما في الجلوس معه من الخير، فإن الولي المؤمن التقي جليسٌ صالح، وقد حث النبي -عليه الصلاة والسلام- على الجلوس معه، فقال -عليه الصلاة والسلام-: **«مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً»**(١).

وأما زيارة قبورهم؛ فإن كان الإنسان يزورها على سبيل التبرك بها فإن ذلك بدعة وذريعةٌ إلى الشرك، وإن كان يزورها ليدعو لهم فهذا لا بأس به، فإن زيارة القبور للدعاء لأهل القبور جائزة، وهي من الإحسان إليهم. وإن كان يزورها -أي: يزور قبور الأولياء- ليدعو الأولياء ويستغيث بهم، فهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة، لا يُقبل من صاحبه صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا صدقة، ولا حج؛ لأنه مشركٌ شركًا أكبر، فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم (٢٦٢٨).

﴿ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. ويقول -عز وجل-: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على التحذير من دعاء غير الله، وعلى أنه كفرٌ، وشركٌ مخرجٌ من الملة.

فصارت زيارة هؤلاء الأولياء على ثلاثة وجوه:

١- زيارة للدعاء لهم والاتعاظ بأحوالهم، وهذه جائزة بل مطلوبة.

٢- زيارة للتبرك بهم، وهذه وسيلة إلى الشرك.

٣- زيارة لدعائهم والاستغاثة بهم، وهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة.

ثم إن القسم الثاني، وهو التبرُّك بهم، إن كان يعتقد أن هؤلاء يجعلون البركة في سعيه، وفي أهله، وفي ماله، من أجل زيارتهم، فهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة؛ لأن هؤلاء لا يقدرون على هذا، أمواتٌ غير أحياء، فلا يقدرون على أن ينفعوا أحدًا في دنياه؛ بكشف الضر، أو جلب النفع.

***

(٦٠٣) يقول السائل م. أ.: ما حكم زيارة الأولياء، سواءٌ كانوا أحياء أم أمواتًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كلمة الأولياء لا ينبغي أن نطلقها إلا على مَن تحقَّقتْ فيه الولاية التي بينها الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. وليست الولاية بالدعاية، أو بملابس معينة، أو بهيئةٍ معينة، ولكنها بالإيمان والتقوى، وكثيرٌ ممن يدعي الولاية يكون دَجَّالًا كذابًا، يدعو إلى تعظيم نفسه، وإلى سيطرته على عقول الخلق بغير الحق، فمثل هذا لا يستحق أن يُزار، ولا أن تُلبَّى دعوتُه، حتى يستقيم على أمر الله، ويرجع إلى دين الله، ويسلم الناس من شره ودجله.

وإذا عرفنا أن هذا الرجل من المؤمنين المتقين الذي لا يزكي نفسه، ولا يدعي الولاية، كان له حق على إخوانه المسلمين أن يحبوه في الله، وأن يحترموه الاحترام اللائق به، حتى يكون ذلك تشجيعًا له على مضيه فيما هو عليه من الإيمان والتقوى، وحثًّا لغيره أن يكون مثله في إيمانه وتقواه.

وأما زيارة الأولياء بعد الموت -كما قال السائل- فإن الأولياء الصادقين المتصفين بالإيمان والتقوى إذا ماتوا كانت زيارتهم كغيرهم، لا تختلف عن غيرهم؛ لأنهم محتاجون إلى الدعاء لهم، كما أن غيرهم من المسلمين محتاجٌ إلى الدعاء له، وليس في زيارة قبورهم مَزِيةٌ على زيارة غيرهم؛ من حيث النفع أو الضرر؛ لأنهم هم بأنفسهم محتاجون إلى عفو الله ومغفرته، وليس لهم من الأمر شيء، وما يفعله بعض العامة الجهلة من التردد على قبور من يسمونهم أولياء، أو يعتقدونهم أولياء، للاستشفاء بتراب القبر، أو التبرك بالدعوة عنده، أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من البدع، بل قد تكون وسيلةً إلى الشرك بهم، ودعائهم مع الله -عز وجل-.

***

(٦٠٤) تقول السائلة: في أغلب الأوقات عندما أستمع لأحد العلماء، وهو يؤدي الصلاة من خلال المذياع، يخطر في قلبي بأنه سيقرأ في الركعة الأولى خواتيم سورة البقرة مثلًا، وفي الركعة الثانية خواتيم سورة التوبة، وأتكلم بذلك فيأتي كما قلتُ، وهذا يحدث لي كثيرًا، ولا أقول بأني أعلم الغيب -حاشا- فلا يعلم الغيبَ إلا اللهُ -عز وجل-، ولكن هل تعتبر هذه مكرمة لي من الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه ليست مكرمة، وليست علمَ غَيْبٍ، ولكنها ظنٌّ يقع في قلب الإنسان؛ أن يكون كذا وكذا فيكون، ولا سيما إذا كان هذا الإمام قد اعتاد أنه إذا قرأ خواتيم سورة البقرة قرأ خواتيم سورة التوبة، فإن سامعه يتوقَّع أنه بعد قراءته لخواتيم سورة البقرة أن يقرأ خواتيم سورة

التوبة، وليس كل ظن يقع كما ظنه الظانُّ يكون كرامةً للإنسان، أو علمَ غيبٍ؛ لأن الكرامة أمر خارق للعادة، يظهره الله -تبارك وتعالى- على يد ولي من أوليائه، وهذا الظن الذي يستفاد من القرائن، وليس بأمر خارق للعادة.

✿✿✿

۞ الصحابة ۞

(٦٠٥) يقول السائل: يا فضيلة الشيخ، ما الواجب علينا نحو الصحابة الكرام؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الواجب علينا محبتهم واحترامهم، والذَّوْدُ عن أعراضهم، والسكوت عمَّا جرى بينهم من القتال، واتهام من سَبَّهُم بالنفاق، وذلك بأنه لا أحد يجرؤ على سب الصحابة رضي الله عنهم إلا من غَمَسَه النفاق -والعياذ بالله-، وإلا فكيف يُسَبُّ الصحابة وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(١)]، وقال: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»[(٢)]؟! ثم إن سب الصحابة قَدْحٌ في الصحابة، وقَدْحٌ في الشريعة، وقَدْحٌ في الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وقَدْحٌ في حكمة الله -عز وجل-. أما كونه قَدْحًا في الصحابة فواضحٌ. وأما كونه قَدْحًا في الشريعة فلأن الذين نقلوا إلينا الشريعة هم الصحابة، وإذا كان ناقلو الشريعة على الوصف الذي يَسُبُّهم به من سبهم لم يَبْقَ للناس ثِقَةٌ بشريعة الله؛ لأن بعضهم -والعياذ بالله- يصفهم بالفجور والكفر والفسوق، ولا يُبَالِي أن يُسَبَّ هذا السَّبَّ أَشْرَفُ الصحابة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وأما كونه قَدْحًا في رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فلأن الصاحب على حسب حال صاحبه بالنسبة لاعتباره ومعرفة قدره؛ ولذلك تجد الناس إذا رَأَوْا هذا الشخص صاحبًا لفاسق نَقَصَ اعتباره عندهم، وفي الحكمة المشهورة، بل في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ «**لو كنت متخذا خليلا**»، رقم (٣٦٧٣).
ومسلم: كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم (٢٥٤٠).

وسلم- أنه قال: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[١]. وفي الحكمة المشهورة المنظومة:

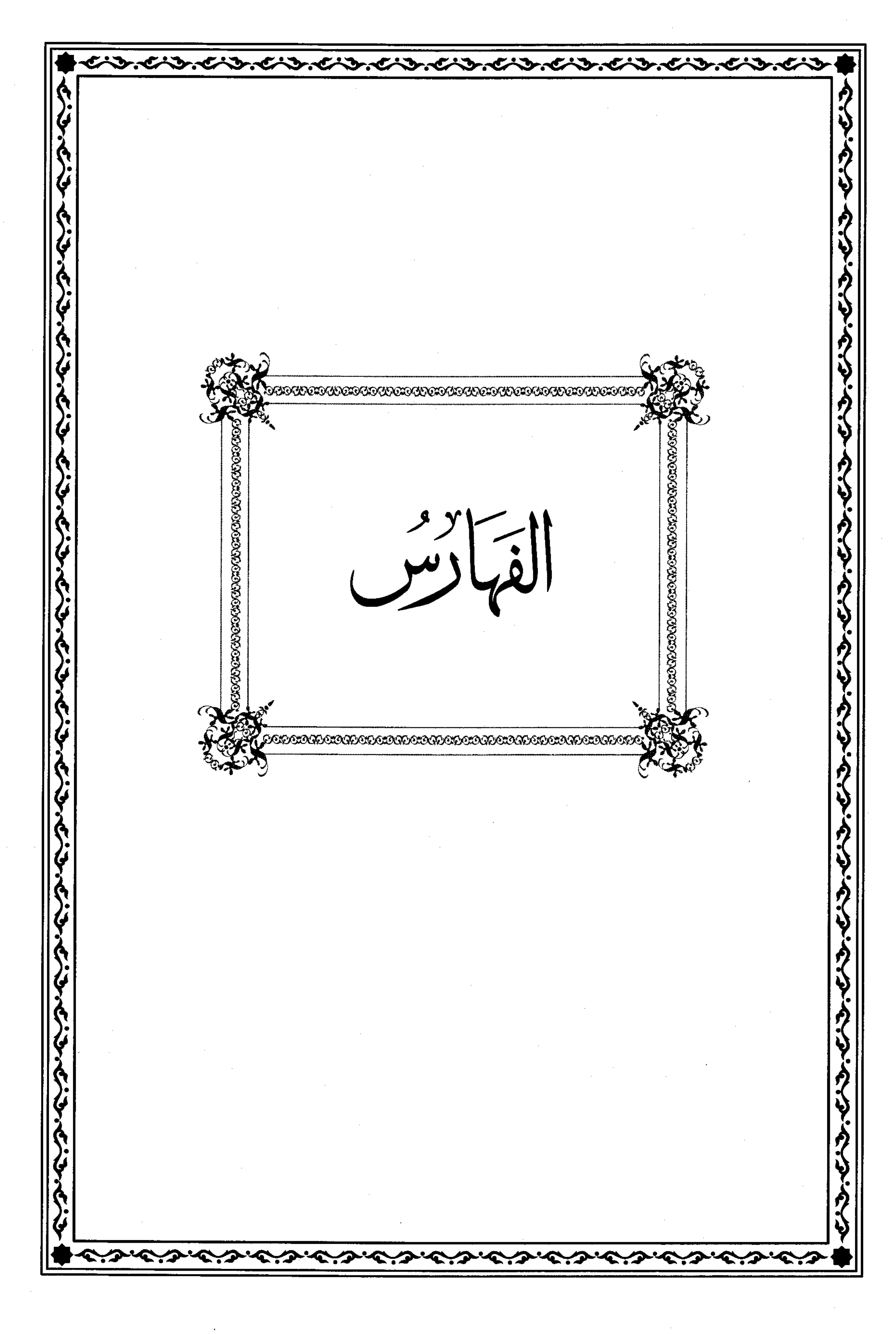
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

وأما كونه طعنًا في حكمة الله: فهل من الحكمة أن يختار الله لأشرف خلقه محمد ﷺ هؤلاء الأصحاب الْفَجَرَةَ الكَفَرَة الفَسَقَة -بزعمهم-؟!

✪✪✪

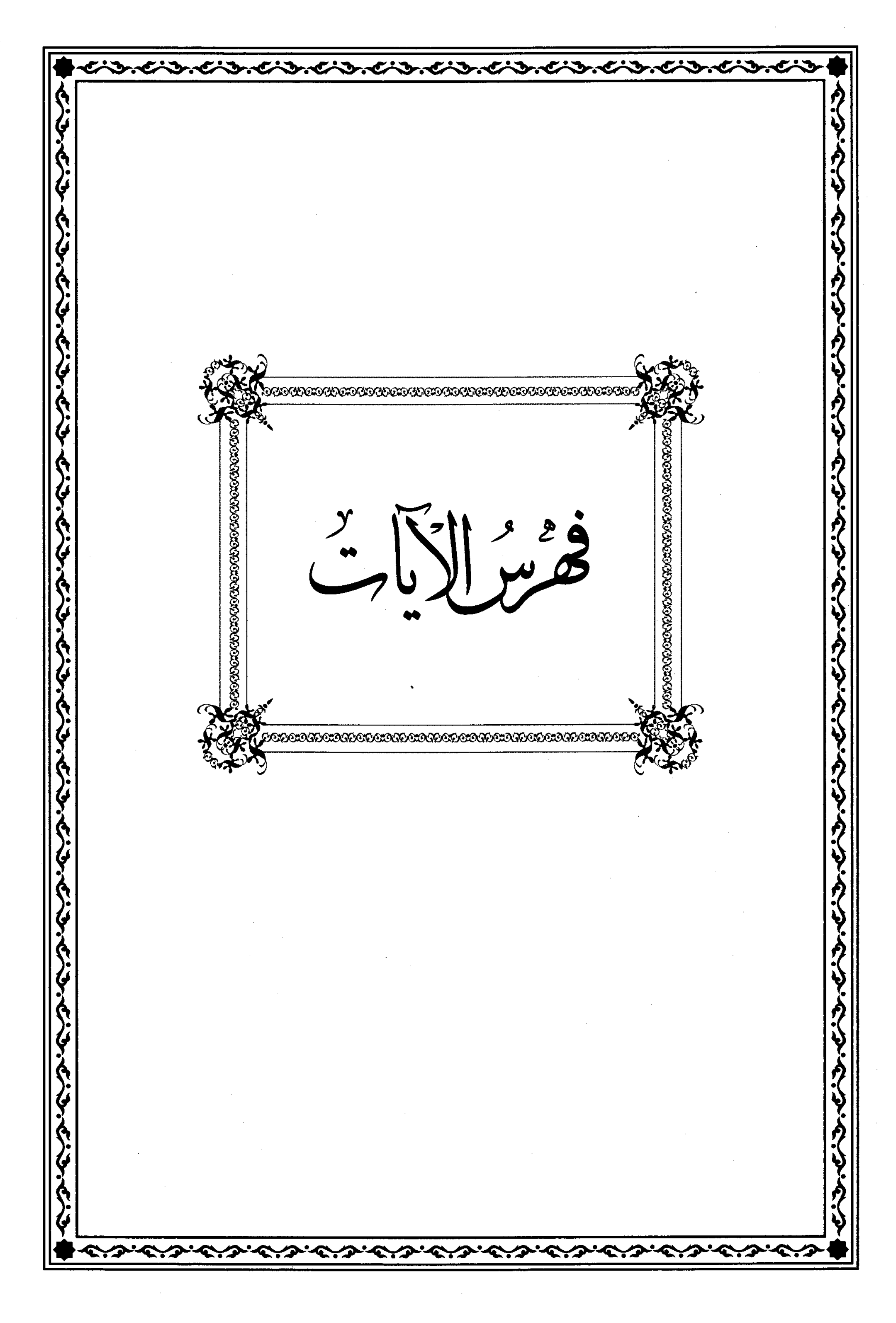
(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب من يُؤْمَرُ أن يجالس، رقم (٤٨٣٣). والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وأحمد (٢/ ٣٠٣، رقم ٨٠١٥).





الفهارس





فهرس الآيات



فهرس الآيات

[الفاتحة]

[البقرة]

[آل عمران]

[النساء]

[المائدة]

[الأنعام]

[الأعراف]

[الأنفال]

[التوبة]

[يونس]

[هود]

[يوسف]

[الرعد]

[إبراهيم]

[النحل]

[طه]

[الأنبياء]

[الحج]

[المؤمنون]

[النور]

[الفرقان]

[الشعراء]

[النمل]

[القصص]

[العنكبوت]

[الروم]

[لقمان]

[السجدة]

[الأحزاب]

[سبأ]

[فاطر]

[يس]

[الصافات]

[ص]

[الزمر]

[فصلت]

[الشورى]

[الزخرف]

[الأحقاف]

[محمد]

[الفتح]

[الحجرات]

[ق]

[الذاريات]

[النجم]

[القمر]

[الرحمن]

[الواقعة]

[الحديد]

[المجادلة]

[الحشر]

[الممتحنة]

[الصف]

[المنافقون]

[التغابن]

[الطلاق]

[التحريم]

[الملك]

[القلم]

[المعارج]

[الجن]

[المدثر]

[القيامة]

[الإنسان]

[عبس]

[التكوير]

[المطففين]

[الانشقاق]

[الطارق]

[الأعلى]

[الفجر]

[الشمس]

[الليل]

[الشرح]

[القدر]

[البينة]

[الزلزلة]

[العاديات]

[التكاثر]

[الكوثر]

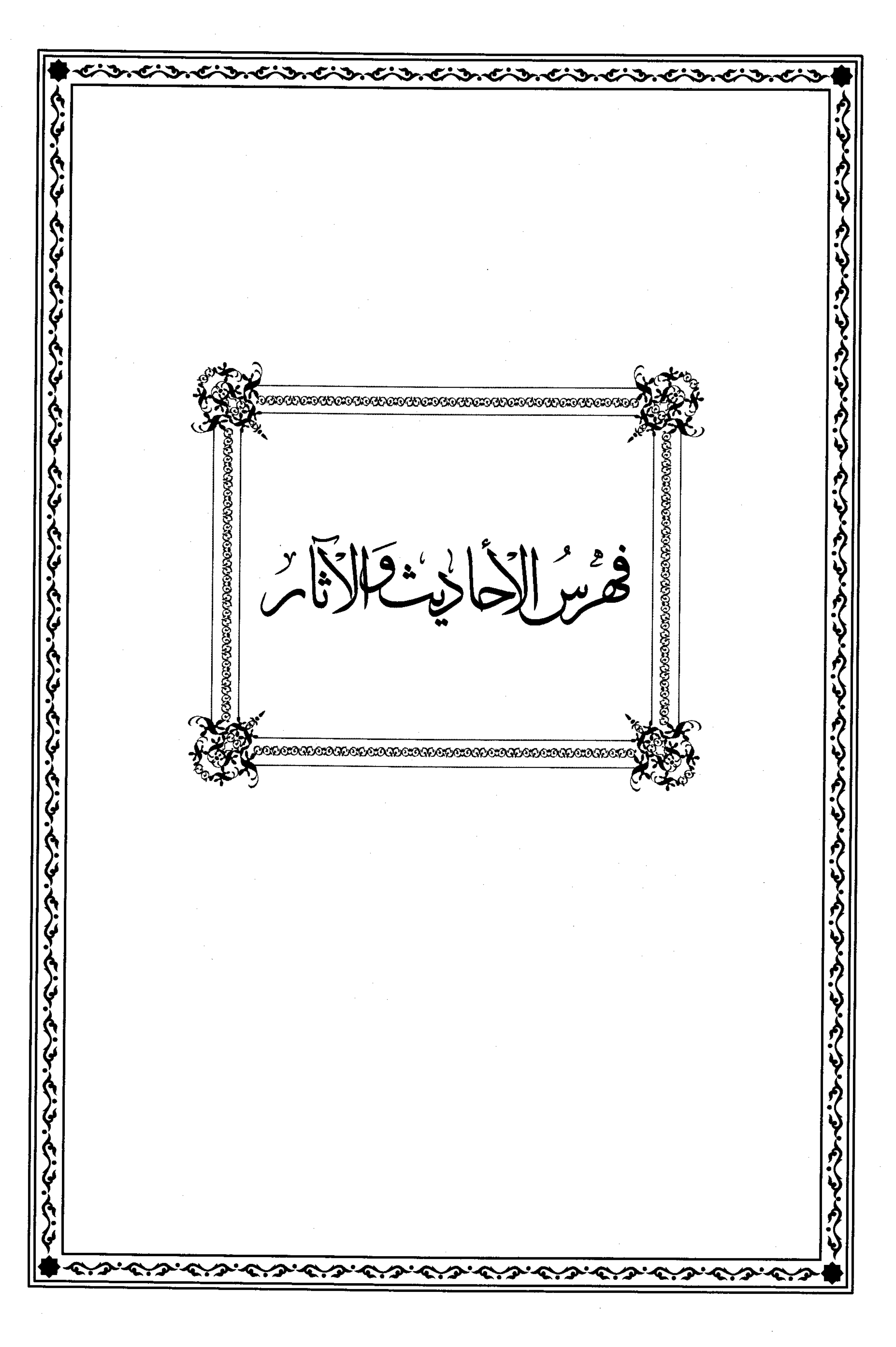
[المسد]

[الإخلاص]

[الفلق]

۞۞۞



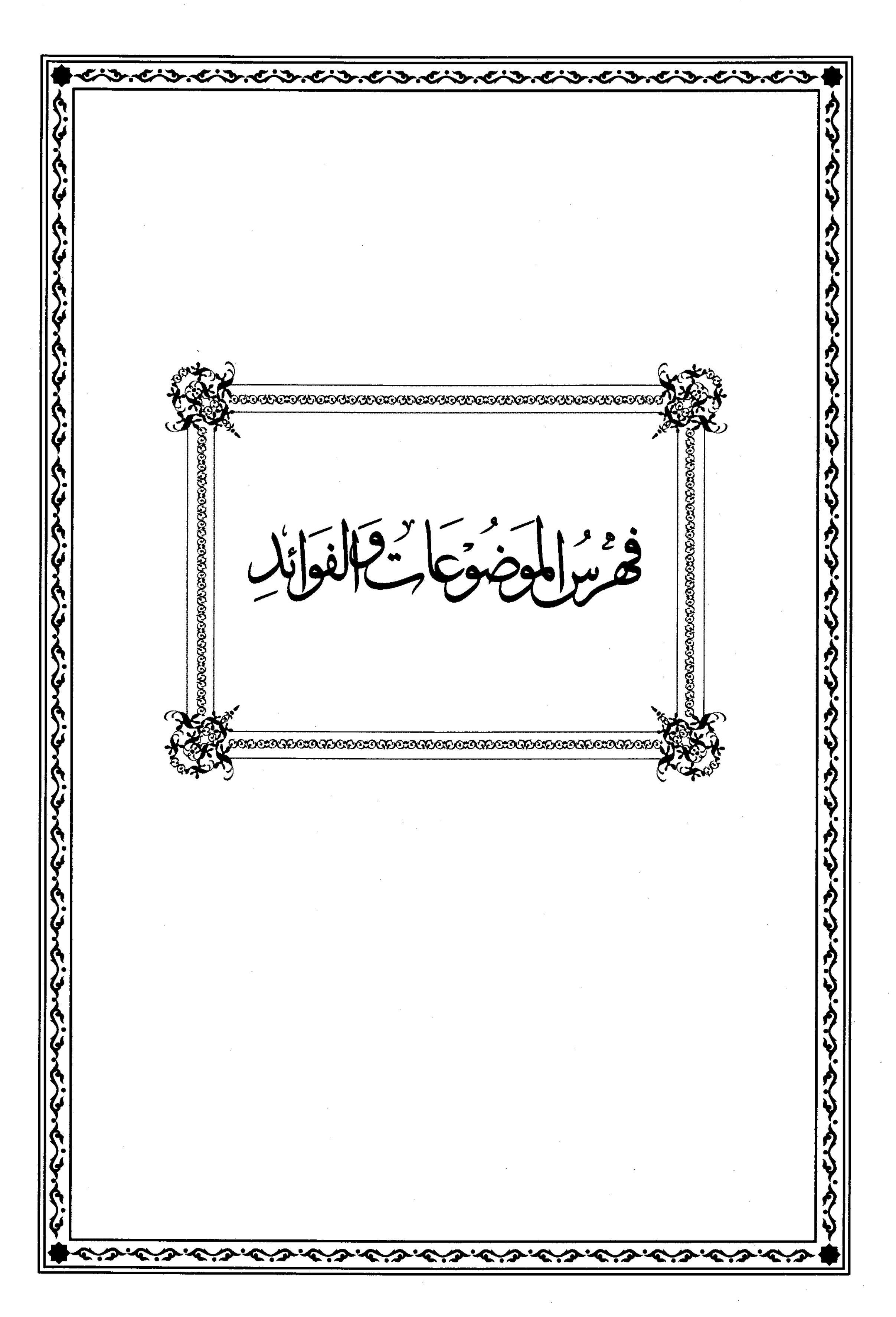

فهرس الأحاديث والآثار



فهرس الأحاديث والآثار

✿✿✿





فهرس الموضوعات والفوائد



فهرس الموضوعات والفوائد